

شرح نهج البلاغة

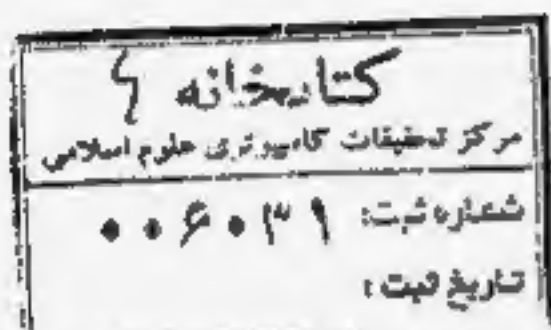
لابن أبي الحديد

محمّد بن
محمّد بن الفضل بن حسين

دار النشر: دار الفكر للطباعة والنشر
بيروت - لبنان

شرح نهج البلاغة

لابن أبي الحديد



المجلد الأول

دار النشر: المكتبة العربية
عيسى البابي الحلبي وشركاه



منشورات مکتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي
قم - ایران ١٤٠٤ هـ ق

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

١ - نهج البعثة

اجتمع للإمام علي بن أبي طالب من صفات الكمال ، وعمود الشامل والخلال ،
وسناء الحسب وباذخ الشرف ؛ مع الفطرة النقية ، والنفس المرضية ، مالم يشهياً لغيره من
أفذاذ الرجال .



(*) مصادر البحث والدراسة :

- ١ - البداية والنهاية ، لابن كثير - ٢٣ : ١٩٨ - ١٩٩ ، (مطبعة السعادة) .
- ٢ - تلخيص مجمع الآداب لابن القوطي - الجزء الرابع الورقة ٩ ، (مصورة معهد المخطوطات بجامعة
القول العربية) .
- ٣ - المحادثات الجامعة والتجارب الناجحة في المائة السابعة ، لابن القوطي ص ٣٣٦ ، (مطبعة المكتبة العربية ببغداد)
- ٤ - حرة الأسلاك في دولة الأكراد ؛ لابن حبيب الحلبي - وفيات سنة ٦٥٥ ، (مصورة دار الكتب
المصرية رقم ٦١٧٠ ح) .
- ٥ - روحيات الجنات لمحمد باقر الخوانساري ٤٠٦ - ٤٠٩ ، (طبع الجهم ١٣٠٤ هـ) .
- ٦ - عقد الجمان للصبي - وفيات سنة ٦٥٥ ، (مخطوطة دار الكتب المصرية ١٥٨٤ تاريخ) .
- ٧ - ميون التواريخ لابن شاكر - وفيات سنة ٦٥٥ ، (مخطوطة دار الكتب المصرية رقم ١٤٩٧ تاريخ) .
- ٨ - فوات الوفيات ١ : ٥١٩ - ٥٢٢ ، (مطبعة السعادة) .
- ٩ - كشف الظنون ١٧٧٣ ، ١٧٩١ ، ١٥٧٦ ، ١٦١٥ ، ١٩٩١ ، (طبع استانبول ١٩٤٣) .
- ١٠ - مامو نهج البلاغة ، السيد عبد الله القهرستاني ، (مطبعة العرفان بصيدا) .
- ١١ - مجمع الآداب لابن القوطي ، (في ذيل الجزء الرابع من شرح نهج البلاغة - طبعة الحلبي) .
- ١٢ - نسمة الشعر في ذكر من تشيع وشعر ، ليوسف بن يحيى الصنعاني ، الورقة ٧٦٠ - ٧٦٢
(مصورة دار الكتب المصرية ١٣٨٤٩ ح) .

تحدّر من أكرم الناس ، وانتهى إلى أطيب الأعراق ؛ فأبوه أبو طالب عظيم
 المشيخة من قريش . وجدّه عبد المطلب أمير مكة وسيد البطحاء ؛ ثم هو قبل ذلك من
 هاشمات بنى هاشم وأعيانهم ؛ وبنو هاشم كانوا كما وصفهم الجاحظ : « مِلْح الأرض ، وزينة
 الدنيا ، وحلّ العالم ، والتمام الأضخم ، والكاهل الأعظم ؛ ولباب كلّ جوهر كريم ،
 وسرّ كلّ عنصر شريف ، والطينة البيضاء ، والمفرس المبارك ، والتصاب الوثيق ، ومعدن
 الفهم ، وينبوع العلم . . . » (١) .

واختصّ بقرايته القريبة من الرسول عليه السلام ؛ فكان ابن عمّه ، وزوج ابنته ،
 وأحبّ عترته إليه ، كما كان كاتب وحيه ، وأقرب الناس إلى فصاحته وبلاغته ،
 وأحفظهم لقوله وجوامع كليمه ؛ أسلم على يديه صبياً قبل أن يمسن قلبه عقيدة ساذجة ،
 أو يخاط عقله شوب من شرك موروث ؛ ولزمه فتياً يافعا ؛ في غدوة ورواحه ، وسلمه
 وحربه ؛ حتى تخلّق بأخلاقه ، وآتم بصفاته ، وحقّه عنه الدين ، وتقف مائلا به الروح
 الأمين ؛ فكان من أقدّس أصحابه وأفضّلهم وأحفظهم وأوثقهم ؛ وأدقهم في الفتيا ؛ وأقربهم إلى
 الصواب ؛ وحتى قال فيه عمر : لا بقيت لمعضلة ليس لها أبو الحسن . وكانت حياته كلها
 مفعمة بالأحداث ، مليئة بجلال الأمور ؛ فعلى عهد الرسول عليه السلام ناضل المشركين
 واليهود ؛ فكان فارس الحلبة ومستتر الميدان ، صليب النّبع لجميع الفؤاد ؛ وفي أيام خلافته
 كانت له أحداث أخرى ؛ لقي فيها مالتى من تفرّق الكلمة واختلاف الجماعة ، وانقسام
 العروة ؛ ما طوى أضالعه على الممّ والأسى ، ولاع قلبه بالحزن والشجن ؛ وفي كل مالتى من
 أحداث وأمر ، وما صادف من محن وخطوب ، بلا الناس وخبرهم ، وتفتن لمطوى نفوسهم ،
 واستشف ما وراء مظاهرهم ؛ فكان العالم الجرب الحكيم ، والناقد الصيرفي الخبير .
 وكان لطيف الحسن ، نقي الجوهر ، وضاء النفس ؛ سليم الذّوق ، مستقيم الرأى ،

حسن الطريقة ، سريع البديهة ، حاضر الخاطر ؛ حوثلاً قلباً ؛ عارفاً بمهمات الأمور إصداراً وإيراداً ؛ بل كان كما وصفه الحسن البصري : سهما صائباً من مرامي الله على عبوده ، ورباني هذه الأمة وذا فضلها وسابقتها ، وذا قرابتها من رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ لم يكن بالشومة عن أمر الله ، ولا بالملومة في دين الله ، ولا بالسروقة لمال الله ؛ أعطى القرآن عزائمه ، ففاز منه برياض موقفة ، وأعلام مشرقة ، ذاك على بن أبي طالب .



كل هذه المزايا مجتمعة ، وتلك الصفات متآزرة متناصرة ؛ وما صاحبها من نفع إلهي ، وإلهام قدسي ، مكنت للإمام على من وجوه البيان ، وملكت له أعتة الكلام ، والمهتة أسمى المعاني وأكرمها ، وهيات له الحرف والوقف وأعزها ، فبرث على لسانه الخطب الرائعة ، والرسائل الجامعة ، والوصايا النافعة ، والكلمة يرسلها عفو الخاطر فتندو بحكمة ، والحديث يلقيه بلا تمهل ولا إعنات فيصيح مثلاً في أدله محكم ، ومعنى واضح ، ولفظ عذب سائغ ؛ وإذا هذا الكلام يملأ السهل والجبل ، وينتقل في البدو والحضر ؛ يرويه على كثرة الرواة ، ويحفظه العلماء والدارسون ؛ قال للسعدي : والذي حفظ الناس منه من خطبه في سائر مقاماته أربعمائة خطبة وثيف وثمانون خطبة ؛ يوردها على البديهة ؛ تداول عنه الناس ذلك قولاً وعملاً^(١) .

ثم ظل هكذا محفوظاً في الصدور مروياً على الألسنة ، حتى كان عصر التنوين والتأليف ؛ فانتشرت خطبه ورسائله في كتب التاريخ والتبصرة والمنازى والمحاضرات والأدب

(١) تاريخ السعدي ٢ : ٤٣١ .

على الخصوص ، كما انتخبت كلماته ومأثور حكمه فيها وضوء من أبواب المواظ
والدعاء ؛ وفي كتابي التريب لأبي عبيد القاسم بن سلام وابن قتيبة منه الشيء الكثير
١. وإذا كان لكلام الإمام علي طابع خاص يميزه عن غيره من الخطباء ، ونهج واضح
يخالف غيره من البلغاء والمرسلين ؛ فقد حاول كثير من العلماء والأدباء على مرّ العصور
أن ينفردوا لكلامه كتباً خاصة ودواوين مستقلة ؛ بقي بعضها وذهب الكثير منها على
الآيام ؛ منهم نصر بن مزاحم صاحب صفين ، وأبو المنذر هشام بن محمد بن السائب الكلبي ،
وأبو مخنف لوط بن يحيى الأزدي ، ومحمد بن عمر الواقدي ، وأبو الحسن علي بن محمد
المدائني ، وأبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ، وأبو الحسن علي بن الحسين السعدي ،
وأبو عبد الله محمد بن سلامة القضاعي ، وعبد الواحد بن محمد بن عبد الواحد التميمي ،
ورشيد الدين محمد بن محمد المعروف بالوطواط ، وعز الدين عبد الحميد بن أبي الحديد ؛
وغیرهم كثيرون .

إلا أن أعظم هذه المحاولات ~~خطراً~~ وأبعدها شأناً وأحسنها أبواباً ؛ وأبعدها صيتاً
وشأوا ؛ هو مجموع ما اختاره الشريف الرضي أبو الحسن محمد بن الحسين الموسوي ؛
في كتابه « نهج البلاغة » .

بناء على ما أفرده في كتاب « خصائص الأئمة » من « فصل يتضمن محاسن ما نقل
عنه عليه السلام من الكلام القصير في الحكم والأمثال والآداب ، دون الخطب الطويلة
والكتب المبسوطة ^(١) » ؛ ثم جعله كتاباً « يحتوي على مختار كلام مولانا أمير المؤمنين عليه
السلام في جميع فنونه ومتشعبات خصونه ، من خطب وكتب ومواظ وآداب ؛ علماً أن
ذلك يتضمن من عجائب البلاغة وغرائب الفصاحة وجواهر العربية وثواب الكلم الدينية
والدينية مالا يوجد مجتمعا في كلام ، ولا مجموع الأطراف في كتاب » ^(٢) .

(١) مقدمة الرضي قتيبي .

وأدار اختياره على ثلاثة أقطاب: أولها الخطب والأوامر، وثانيها الكتب والرسائل، وثالثها الحكم والوعظ؛ وأسماء كتاب « نهج البلاغة » إذ كان يفتح للناظر فيه أبوابها، ويقرب عليه ملامحها، وفيه حاجة العالم والتعلم، وبغية البليغ والزاهد^(١). ومنذ أن صدر هذا الكتاب عن جامع سار في الناس ذكره، وتآلق نجمه؛ أشام وأعرق، وأنجد وأنهم، وأعجب به الناس حيث كان، وتدارسوه في كل مكان. لما اشتمل عليه من اللفظ المتقن، والمعنى للشرق؛ وما احتواءه من جوامع الكلم، ونوايغ الحكم في أسلوب متساق الأغراض، بحكم السبك، بمد في الذروة العليا من النثر العربي الرائع.

ولم يذكر الشريف الرضي في صدر كتابه للمصادر التي رجع إليها؛ أو الشيوخ الذين نقل عنهم؛ إلا أنه - كما يبدو من تصانيف الكتاب - قل في بعض ما نقل عن كتاب البيان والتبيين للجاحظ، والفتن للبرد، وكتاب المنازى لسيد بن يحيى الأموي، وكتاب الجمل للواقدي، والتمائم في مناقب أمير المؤمنين لأبي جعفر الإسكافي، وتاريخ ابن جرير الطبري، وحكاية أبي جعفر محمد بن علي الباقر، ورواية الهادي عن أحمد ابن قتيبة؛ وما وجد بخط هشام بن الكلبي وخير ضرار بن حزمة الصدائي، ورواية أبي جعفر، وحكاية ثعلب عن أبي الأحرابي^(٢)؛ ولمنه في غير ما نقل عن هؤلاء، نقل من مصادر أخرى لم يصرح بها.

وعلى مرّ العصور والأزمان كانت نسبة ما في كتاب نهج البلاغة إلى الإمام عليّ مشاراً للشكّ عند العلماء والباحثين؛ المتقدمين والمتأخرين.

(١) مقدمة الرضي لنهج.

(٢) انظر نهج البلاغة ١: ٣٦، ٢٢، ٨٩ / ٢: ٥٩، ٢٦٦، ٣٠٠، ٣٠٣، ٣٩١.

وقد تناول ابن أبي الحديد هذه القضية بالبحث ، فقال :

كثير من أرباب الهوى يقولون : إن كثيراً من نهج البلاغة كلامٌ محدث صنعته قوم من فصحاء الشيعة ، وربما عرّوا بعضه إلى الرضى أبي الحسن أو غيره ؛ وهؤلاء أعمت العصبية أعينهم فضلوا عن النهج الواضح ، وركبوا بُنيات^(١) الطريق ، ضلّالاً وقلة معرفة بأساليب الكلام .

وأنا أوضح لك بكلام مختصر مافي هذا الخطاب من الغلط فأقول : لا يخلو إما أن يكون كل نهج البلاغة مصنوعاً منحولاً ، أو بعضه .

والأول باطل بالضرورة ؛ لأننا نعلم بالتواتر صحة إسناد بعضه إلى أمير المؤمنين عليه السلام ، وقد نقل المحدثون - كلهم أو جلهم - والثوريون كثيراً منه ، وليسوا من الشيعة لينسبوا إلى غرض في ذلك .



والثاني : يدل على ما قلناه ؛ لأن من قبل من ~~كلام~~ ^{الكلام} والخطابة ، وشداً طرّفاً من علم البيان ، وصار له ذوق في هذا الباب ؛ لا بد أن يفرق بين الكلام الركيك والفصيح ، وبين الفصيح والأفصح ، وبين الأصل واللوّذ . وإذا وقف على كراس واحد يتضمن كلاماً لجماعة من الخطباء أو لاثنتين منهم فقط ، فلا بد أن يفرق بين الكلامين ، ويميز بين الطريقتين ؛ ألا ترى أننا مع معرفتنا بالشعر ونقده ؛ لو تصفّحنا ديوان أبي تمام فوجدناه قد كتب في أثنائه قصائد أو قصيدة واحدة لغيره لعرفنا بالذوق مباينتها لشعر أبي تمام نفسه وطريقته ومذهبه في القريض ؛ ألا ترى أن العلماء بهذا الشأن حذفوا من شعره قصائد كثيرة منسوبة إليه ، لمباينتها لمذهبه في الشعر ؛ وكذلك حذفوا من شعر أبي نواس كثيراً

(١) بنيات الطريق : هي الطرق الصغار تتشعب من الجادة ؛ وهي التفرعات .

لما ظهر لم أنه ليس من ألقاظه ولا من شعره ، وكذلك غيرها من الشعراء ؛ ولم يمتدوا
في ذلك إلا على القوق خاصة .

وأنت إذا تأملت نهج البلاغة وجدته كله ماء ، واحدا ، ونقاً واحدا ، وأسلوباً واحداً ؛
كالجسم البسيط الذي ليس ببعض من أبعاضه مخالفاً لباقي الأبعاض في اللامية ؛ وكالقرآن
المعزى ، أوله كوسطه ، وأوسطه كآخره ؛ وكل سورة منه ، وكل آية مماثلة في للأخذ
والمذهب والفن والطريق والنظم لباقي الآيات والسور .

ولو كان بعض نهج البلاغة منحولاً ، وبعضه صحيحاً ، لم يكن ذلك كذلك ؛ فقد ظهر
لك بالبرهان الواضح خلال من زعم أن هذا الكتاب أو بعضه منحول إلى أمير المؤمنين
عليه السلام ،

واعلم أن قائل هذا القول يطرق على نفسه ما لا قبل له به ؛ لأننا متى قمنا هذا
الباب ، وسألنا الشكوك على أنفسنا في هذا النحو ، لم تبق بصحة كلام منقول عن رسول الله
صلى الله عليه وآله أبداً ، وسأف طاعن أن يطعن ويقول : هذا الخبر منحول ؛ وهذا
الكلام مصنوع ؛ وكذا ما نقل عن أبي بكر وحرر من الكلام والخطب والمواعظ
والآداب وغير ذلك ، وكل أمر جله هذا الطاعن مستنداً له فيها برويه عن النبي صلى الله
عليه وسلم وآله والأئمة الراشدين والصعابة والتابعين والشعراء والقرّائين والخطباء ؛
فلناصرى أمير المؤمنين عليه السلام أن يستندوا إلى مثله فيما يروونه عنه من نهج البلاغة
وغیره ؛ وهذا واضح ^(١) .

(١) شرح نهج البلاغة ١٠ : ١٢٨ ، ١٢٩ .

٢ - شرح نهج البلاغة

وقد تصدر لشرح كتاب « نهج البلاغة » كثيرون من العلماء والفضلاء ؛ ذكر السيد هبة الله الشهرستاني^(١) أنها تنوف على الخمسين شرحا ؛ ما بين مبسوط ومختصر ؛ منهم أبو الحسين البيهقي ، والإمام غفر الله عن الرازی ، والقطب الرواندي ، وكمال الدين محمد ميثم البعرائي ؛ من التخدمين ، وحبيب بن محمد بن هاشم الهاشمي والشيخ محمد بن محمد نائل الرضوي من التأخرين .

ولكن أعظم هذه الشروح وأطولها ، وأشملها بالعلوم والآداب والعارف وأملؤها ؛ هو شرح عز الدين عبد الحميد بن أبي الحديد المدائني ؛ صنفه برسم خزانة مؤيد الدين أبي طالب محمد بن أحمد العلقمي ، وزير المستعصر بالله ، آخر ملوك المماليك . « كان من فضلاء الشيعة وأعيانهم ببغداد ، مائلا للآداب مقربا للأدباء ، وكانت له خزانة كتب فيها عشرة آلاف مجلد من نفائس الكتب^(٢) »

شرح في تأليفه في فترة شهر رجب من سنة أربع وأربعين وستائة ، وأتمه في سلخ صفر من سنة تسع وأربعين وستائة ؛ قضى أربع سنين وثمانية أشهر ، وكانت كما يقول : « مقدار مدة خلافة أمير المؤمنين عليه السلام » ؛ وكسره على عشرين جزءا .

ولما فرغ من تصنيفه أخذه على يد أخيه موفق الدين أبي المعالي إلى ابن العلقمي ، فبث إليه بمائة دينار وخلعة سنية وفرس ؛ فكتب إلى الوزير :

أيارب العباد رَفَعْتَ ضَبِّي وَطَلْتَ بِمَنْكَبِي وَبَلْتَ رِيقِي
وزيغ الأشعري كشفت حق فلم أسلكُ بُنْيَاتِ الطَّرِيقِ

(١) في كتابه مآل نهج البلاغة ٨ - ١٠

(٢) الغري ٢٩٥ .

أحبُّ الإعرالَ وناصره ذوى الألباب والنظر الدقيق
 فأهل العدل والتوحيد أهلي ونم فريقهم أبداً قريب
 وشرح النهج لم أدركه إلا بمؤنك بعد مجاهدة وضيق
 تمثل إذ بدأت به يعين هناك كذروة الطود السحيق
 فتم بحسن عونك وهوانى من المتيق أو يفيض الأنوق
 بآل العلقى ورت زنادى وقامت بين أهل الفضل شوق
 فكم توب أبقى نلت منهم وملت بهم وكم طريف عتيق
 أدام الله دولتهم وأمنى على أعدائهم بالتحقيق

وقد ذكر في صدر كتابه أنه لم يسبقه أحد شرح النهج سوى سيد بن هبة الله بن
 الحسن الفقيه، المعروف بالراوندى، وأنه قد تفرغ لهذا الشرح فيما ناقضه فيه، في مواضع
 يسيرة، وأعرض عن كثير مما قاله، وقد أدرج في شرحه أن يقسم الكلام فصولاً،
 فيشرح كلمات كل فصل شرحاً دقيقاً مشتملاً على «المريب والمعاني وعلم البيان، وما يصاحبه
 يشبه ويشكل من الإعراب والتصريف»^(١)، ثم يورد «ما يطابقه من النظائر والأشياء نثراً
 ونظماً»^(٢)، ثم يستطرد إلى ذكر «ما يتضمنه من السبر والوقائع والأحداث..»^(٣)،
 ويشير إلى ما يتطوّر عليه هذا الفصل «من دقائق علم التوحيد والعدل إشارة حفية»^(٤)،
 ويلوح «إلى ما يستدعي الشرح ذكره من الأنساب والأمثال والسكتات والمباحات لطيفة»^(٥)،
 ويرصده بما يشاء «من المواعظ الزهدية، والزواجر الدينية والحكم النفيسة، والآداب
 الخلقية، المناسبة لفقره، والمشاكلة لدرره»^(٦).

ثم ينتقل إلى الفصل الذى يليه؛ وهكذا.

(١) التحقيق : الدامية .

(٢) شرح نهج البلاغة ١ : ٤ .

وهو بهذا النهج الذي التزمه ، والطريق الذي سلكه ، قد قفل إلى هذا الكتاب
 عصارة ما في كتب الأدب والنقد والتاريخ والنسب والمغازي والسير والتفقه والجدل والفاظرة
 وعلوم الكلام ، وخلاصة ما اشتملت عليه الرسائل والقون والشروح والحواشي والتعاليق ؛
 وطرزه بما اختاره من روائع الخطب ونوايج الحكم ومصطفى الرسائل ؛ مما نطق به مصانع
 الخطباء وبلغاء الكتاب وزعماء القول في الجاهلية والإسلام ؛ ثم وشاه بما انتخذه من
 دواوين الشعراء الجاهليين والمخضرمين والإسلاميين واللوذين ؛ من فاخر القول وحرر
 الكلام ؛ في متنوع فنون الشعر ومذاهبه ، ومختلف أغراضه ومراميه .

وقد ارتفع أسلوبه في جميع مراحل الكتاب من الخلل والتعقيد ، ومجاف عن الركادة
 والتصنف والإبهام ، والتزم الأسلوب الرصين ، والخيير الفصيح ، واللفظ العربي الأصل ؛
 سوى بعض الألفاظ التي تلتفت فيها من التشكيلين وأصحاب اللقولات ؛ من نحو قولهم :
 « المحسوسات » ، و « الكل واليحقين » ، وقولهم : « الصفات الذاتية والجسمانيات » ،
 وقولهم : « أما أولاً فالحال كذا » ؛ ونحو ذلك مما يباه الفصيح من الألفاظ والسليم من
 الأساليب ؛ وقد اعتذر عن ذلك للثؤلف بقوله : « استهجننا تبديل ألفاظهم وتعير
 عباراتهم ؛ فمن كلم قوماً كلهم باصطلاحهم ، ومن دخل غلغار سحر » ^(١) .

وما أحسن ما اعتذر به !

وجلت المزايا المتنوعة للكتاب ، خرج « كتاباً كاملاً في فنه ، واحداً بين أبناء
 جنسه ، متمماً بحماسة ، جلية فوائده ، شريفة مقاصده ، عظيماً شأنه ، عالية منزلته
 ومكانه » ^(٢) ؛ يرد شريعته العلماء ، وينهل من موارده الباحثون والأدباء .

(١) شرح نهج البلاغة ٢٠ : ٣٥٠ .

(٢) شرح نهج البلاغة ١ : ٤ .

٣ - ابن أبي الحرير

ومؤلف هذا الشرح هو عز الدين أبو حامد بن هبة الله بن محمد بن محمد بن الحسين ابن أبي الحديد اللدائني ؛ أحد جهابذة العلماء ، وأثبت للمؤرخين ؛ بمن نجم في العصر العباسي الثاني ؛ أزهى المصور الإسلامية إنتاجاً وتأليفاً ؛ وأحفظها بالشعراء والكتاب والأدباء والمؤرخين والفنويين وأصحاب المعاجم والموسوعات .

كان قتيها أصولياً ؛ وله في ذلك مصنفات معروفة مشهورة ؛ وكان متعلماً جديلاً نظاراً ؛ اصطنع مذهب الاعتزال ؛ وعلى أساسه جادل وناظر ، وحاج ونقش ؛ وفي شرح النهج وكثير من كتبه آراء مثيرة بما ذهب إليه ، وله مع الأشعري والنزالي والرازي كتب ومواقف .

وكان أديباً ناقداً ، تأمل النظر ، خيراً بمعان الكلام ومساوئه ، وكتابه " الفلك الدائر على المثل السائر " قد قيل على بعض فقرته ، ودرس في قديمه في عهد الشعر وفنون البيان .

ثم كان أديباً متضلماً في فنون الأدب ، متقناً لعلوم اللسان ، عارفاً بأخبار العرب ، مطلعاً على لغاتها ، جامعاً لخطبها ومناقراتها ، راوياً لأشعارها وأمثالها ، حافظاً لملحها وطرفها ، قارئاً مستوعباً لكل ما حوته الكتب والأسفار في زمانه .

وكان وراء هذا شاعراً مذهب الموردين ، مشرق المعنى ، متصرفاً مجيداً ؛ كما كان كاتباً بديع الإنشاء ، حسن الترتيل ، ناصح البيان .



وله بالمدائن في غرته ذى الحجة سنة ست وثمانين وخمسمائة ؛ ونشأ بها ، وتلقى عن

شيوخها ، ودرس المذاهب الكلامية فيها ، ثم مال إلى مذهب الاعتزال منها ؛ وكان
 الغالب على أهل المدائن التشيع والتطرف والمالاة ؛ فسار في دربهم ، وتقبل مذهبهم ،
 ونظم القصائد المعروفة بالمعانيات السبع على طريقتهم ، وفيها غالى وتشيع ؛ وذهب به
 الإسراف في كثير من أبحاثها كل مذهب ؛ يقول في إحداها (١) :

عِلْمُ الْيَوْمِ إِلَيْهِ قَسِيرٌ مُدَافِعٌ	وَالْمَشِيعُ أَيْبَسُ مُسْفِرٌ لَا يَدْفَعُ
قَالَتِ فِي يَوْمِ الْحَادِ حَابُنَا	وَهُوَ الْمَلَأُ لَنَا قَدْماً وَالْمَزْعُ
هَذَا أَهْوَائِي قَدْ كَشَعْتُ غِطَاءَهُ	سَيَفِرُّ مُعْتَقِداً لَهُ أَوْ يَنْفَعُ
يَا مَنْ لَهُ فِي أَرْضٍ قَلْبٌ مَنُزِلٌ	نَمُ الْمَرَادُ الرَّحْبُ وَالسَّرْعُ
وَتَكَادُ نَفْسِي أَنْ تَذُوبَ صَبَابَةً	خَلَقًا وَطَبِيبًا لَا كُنَّ يَنْطَبِعُ
وَرَأَيْتُ دِينَ الْإِعْتَزَالِ وَاشْفَعُ	أُخْرَى لِأُجْحِكَ كُلُّ مَنْ يَنْشِيعُ
وَلَقَدْ عَلِمْتُ بَأَنَّهُ لَا يَدُ مِنْ	مَهْدِيَّتِكُمْ وَلِيَوْمِهِ أَنْوَقُ
مَحْبِيهِ مِنْ جُنْدِ الْإِلَهِ كَتَابُ	كَالِمٍ أَقْبَلُ زَاهِرًا يَنْفَعُ
فِيهَا لَأَلْ أَبَى الْحَدِيدِ صَوَارِمٌ	مَشْهُورَةٌ وَرِمَاحُ نَحْطِ شَرْعُ
وَرِجَالُ مَوْتٍ مُقْدِمُونَ كَأَنَّهُمْ	أَسْدُ الْعَرِينِ الرُّبْدُ لَا تَفْكُكُكُمْ
تِلْكَ النَّفَى لِمَا أُعِيبَ عَنْهَا قَلْبِي	نَفْسٌ تُنَازِعُهُ شَوْقٌ يَنْزِعُ
تَا اللَّهُ لَا أُنْسِي الْحُسَيْنَ وَشِلْوَهُ	نَحْتُ السَّيَابِكِ بِالْعَرَاءِ مُورَعُ
مُتَلَفِّمًا نُحُورَ الثِّيَابِ وَفِي غَدِي	بِالْخَضِرِ مِنْ فِرْدَوْسِهِ يَنْفَعُ
نَطَأُ السَّيَابِكِ حُذْرَهُ وَحَيْثَهُ	وَالْأَرْضُ تَرْحِفُ خِيَمَةً وَتَضَعُكُمْ
وَالشَّمْسُ نَاشِرَةٌ الذُّؤَابِ نَاكِلٌ	وَالدَّهْرُ مَشْقُوقُ الرُّدَاءِ مُقْنَعُ

(١) المعانيات السبع ١٦ ، ١٧ .

لَهْفِي عَلَى تِلْكَ الدَّمَاءِ تُرَائِي فِي أَبْدِي أُمِّيَّةَ عَنَوَةٍ وَتُضَعِّعُ
يَأْبَى أَبُو الْعَبَّاسِ أَنْحَدُ إِنَّهُ خَيْرُ الْوَرَى مِنْ أَنْ يَطْلُ وَيَمْنَعُ^(١)
فَهُوَ الْوَلِيُّ لِثَارِهَا وَهَسْوِ الْجَو لَ لَمَبْنَاهَا إِذْ كُلَّ عَوْدٍ يَضْلَعُ^(٢)
وَالذَّهْرُ طَوَّعَ وَالشَّيْبَةُ غَصَّة وَالسَّيْفُ عَضْبٌ وَالْقَوَادُ مُشْعِمُ^(٣)

وحينما انقضت أيام صباه ، وطوى رداء شبابه ، خفت إلى بغداد ؛ حاضرة الخلافة ،
وكعبة القصاد ، وعش الطماء ، وكانت خزائنها بالكتب مصورة ، ومحاسنها بالعلم
والأدب مأهولة ، فقرأ الكتب واستزاد من العلم ، وأوغل في البحث ، ووعى المسائل ،
ومحس الخفايا ، واختلط بالعلماء من أصحاب المذاهب ، ثم جنح إلى الاعتزال ؛ وأصبح
كما يقول صاحب " نسمة الشعر " : معتزلياً جاحظياً ، في أكثر شرحه للنهج ؛
بعد أن كان شيعياً غالياً .



وفي بغداد أيضاً مال المحظوظ عند الخلفاء من العباسيين ومدحهم ، وأخذ جوائزهم ،
ونال عندهم سنى المراتب ورفيع المناصب ، فكان كاتباً في دار التشریفات ؛ ثم في
الديوان ، ثم ناظراً للبيارستان ؛ وأخيراً مؤوض إليه أمر خزائن الكتب في بغداد ؛ وفي
كل هذا كان مرموق الجانب ، عزيز المحل ؛ كريم المنزلة ، إلى أن مات

وكان مع اشتغاله بالمناصب ، ومطامنه للتأليف شاعراً مجيداً ؛ ذكره صاحب " نسمة
الشعر في ذكر من تشيع وشعر " ؛ وله ديوان ، ذكر ابن شاكر أنه كان معروفاً مشهوراً .
وقد جال شعره في شتى المعاني ومختلف الأغراض ، فقل في المدح والثناء ، والحكم والوصف

(١) هو الخليفة أبو العباس أحمد بن المستنصر ، بأمر الله المروفي بالامر ، ببيع بالخلافة سنة ٥٧٥ هـ ،
ومات سنة ٦٢٩ هـ ، وكان يرى رأى الإمامية . العصرى ٢٨٠
(٢) يقال : حاة مضاع ، أى لا تقوى أسلحتها على المحل
(٣) للشيخ : الشجاع .

والفضل، إلا أن الغرض الذي غلب عليه واشتهر به هو المناجاة والمخاطبة على مسلك أرباب الطريقة، أورد في النهج كثيرا منه، فمن ذلك قوله :

فَلَا وَاللَّهِ مَا وَصَّلَ ابْنُ سِينَا وَلَا أَغْنَى ذَكَاهُ أَبِي الْحَسَنِ (١)
وَلَا رَجَعَا بِشَيْءٍ بَعْدَ بَحْثِ وَتَدْقِيقِ سِوَى خُتْمِ حُسَيْنِ
لَقَدْ طَوَّفْتُ أَطْلُبُكُمْ وَلَكِنْ بِحَوْلِ الْوَقْتِ يَسْكُمُ وَيَبِينُ
فَهَلْ بَعْدَ انْقِضَاءِ الْوَقْتِ أَظَلَى بِوَصْلِكُمْ غَدَاً وَتَقَرَّ هَوْنِي أ
مَنْ عِشْنَا بِهَا زَمَنًا وَكَانَتْ نَتَوَقَّفُنَا بِصِدْقِ أَوْ بَيْنِ
فَإِنْ أَكْذَبَ فَذَاكَ ضَيَاعُ دِينِي وَإِنْ أَجْدَبَ فَذَاكَ حُلُولُ دِينِي

وقوله :

وَحَقِّكَ إِنْ أَدَخَلْتَنِي السَّارِقَاتِ لَسْتُ بِمَعْلُومٍ وَحَقِّكَ إِنْ أَدَخَلْتَنِي السَّارِقَاتِ لَسْتُ بِمَعْلُومٍ
وَأَفْنَيْتُ مُخْرِي فِي عِلْمٍ وَفَقِيرَةٍ وَأَفْنَيْتُ مُخْرِي فِي عِلْمٍ وَفَقِيرَةٍ
هَبُونِي مَبْنًى أَوْ نَعَجَ الْجَهْلِ فَعَدْبَةٍ هَبُونِي مَبْنًى أَوْ نَعَجَ الْجَهْلِ فَعَدْبَةٍ
أَمَا يَجْتَنِي شَرَعَ الشُّكْرِ عِنْفَةً أَمَا يَجْتَنِي شَرَعَ الشُّكْرِ عِنْفَةً
أَمَا كَانَ يَنْوِي الْحَقَّ فَيَا يَقُولُهُ أَمَا كَانَ يَنْوِي الْحَقَّ فَيَا يَقُولُهُ
أَمَا رَدَّ زَيْغَ ابْنِ الْخَطِيبِ وَشَكَّهُ أَمَا رَدَّ زَيْغَ ابْنِ الْخَطِيبِ وَشَكَّهُ
أَمَا قَلَمُ مَنْ كَانَ فِينَا مُجَاهِدًا أَمَا قَلَمُ مَنْ كَانَ فِينَا مُجَاهِدًا
فَأَيَّ اجْتِهَادٍ فَوْقَ مَا كَانَ صَاحِبًا فَأَيَّ اجْتِهَادٍ فَوْقَ مَا كَانَ صَاحِبًا
فَإِنْ تَصَفَّحُوا نَسَمَ وَإِنْ تَتَحَرَّموْا فَإِنْ تَصَفَّحُوا نَسَمَ وَإِنْ تَتَحَرَّموْا
وَأَيَّةَ صِدْقِ الصَّبِّ أَنْ يُغْذِبَ الْأَذَى وَأَيَّةَ صِدْقِ الصَّبِّ أَنْ يُغْذِبَ الْأَذَى

(٢) أَوْنَع : أَهْلَكَ .

(١) شرح نهج الالفة ١٦ : ٧٩ - ٨٧ .

ونحو هذا من الشعر في شرح الهج كثير .

ومن طريف ما أورده صاحب نسمة الشعر قوله :

لَوْلَا ثَلَاثٌ آءٌ أَخَفَّ صَرَغَتِي لَيْسَتْ كَمَا قَالَ فَقِي الْعَبْدِ (١)
أَنْ أَنْصُرَ التَّوْحِيدَ وَالْعَدْلَ فِي كُلِّ مَكَانٍ مَازِلًا جُودِي
وَأَنْ أَمَاجِي اللَّهَ مُسْتَمْتِمًا بِحُفْرَةِ أُخْلَى مِنَ الشَّهْدِ
وَأَنْ أَتَيْسَهُ الذَّهْرَ كِبَرًا عَلَى كُلِّ لَتِيمٍ أَصْغَرَ الْخَدِّ
كَذَاكَ لَا أَهْوَى فَنَاءً وَلَا تَحْرَأُ وَلَادًا مُنْعِمَ تَهْدِ

•••

وقد اضطرب للورخون في تاريخ وقاته ؛ فذكر بعضهم أنه توفي في سنة ٦٥٥ ؛ ذهب إلى ذلك ابن شاکر في كتابه : **موات الوفاة** و**مجموع التواريخ** ؛ وكذلك ابن كثير في **التاريخ** ، والسيوطي في **عقد الجمان** ، وابن حبيب **الحلي** في كتابه **درة الأسلاك** .

وقال صاحب كتاب **" نسمة الشجر "** عن الأديب بكرى أنه توفي قبل دخول التتار بغداد بضعة عشر يوما . وكان دخولهم إليها في العشرين من المحرم سنة ٦٥٦ ؛ على ما ذكره للورخون . وقال الذهبي في **سير النبلاء** (٢) : « إنه توفي في الخامس من جمادى الآخرة سنة ست وخمسين وسبعمائة » .

(١) يشير بهذا البيت إلى قول طرفه من المدح مطقة :

وَلَوْلَا ثَلَاثٌ هُنَّ مِنْ عَيْشَةِ الْفَقَى وَحَقُّكَ لَمْ أُخْضِلْ مَتَى قَامَ هُودَى
فَمِنْهُمْ سَبْقُ الْعَازِلَاتِ بِشَرِّهِ كَمَيْتٍ مَتَى مَا نُعِلَ بِالسَّاءِ تَزِيدِ
وَكَرَمِي إِذَا نَادَى لِلصَّافِ حُبًّا كَيْدِ الْمَضَا نَبَهَةً الْمُتَوَرِّدِ
وَتَقْصِيرُ يَوْمِ الدَّجْنِ وَالْذَّجْنِ مُعْجَبٌ بِهَنْكَةِ تَحْتَ أَنْبَاءِ الْمُعَمِّدِ

(٢) المجلد الثالث عشر ، الورقة ٣١٦ (مصورة دار الكتب المصرية رقم ١٢١٩٥ ح) .

وذكر ابن الفوطي في كتاب مع الألقاب أنه أدرك سقوط بغداد ، وأنه كان ممن
 حلص من القتل في دار الوزير مؤيد الدين الملقب مع أخيه موفق الدين ؛ كما ذكر أيضاً
 في كتابه الحوادث الجامعة ؛ في وفيات سنة ٦٥٦ :

« توفي فيها الوزير مؤيد الدين محمد بن الملقب في جمادى الآخرة ببغداد . . .
 والقاضي موفق الدين أبو المعالي القاسم بن أبي الحديد المدائني في جمادى الآخرة ، فرتاه
 أخوه عز الدين عبد الحميد بقوله :

أبا المعالي هل سميت تأوي فلفد عهدك في الحياة مميها
 عيني بكنك ولو نطق حوايجي وجوارحي أجرت عليك نجيعاً
 أنفاً غضبت على الزمان لم تطع حبلاً لأسباب الوفاء قطعاً
 ووفيت للولي الوزير فلتمش من بعده شهراً ولا أسبوعاً
 وفيت بعد كما لو كان الردي يدي لفارقاً الحياة جميعاً
 فماش عز الدين بعد أخيه أربعة عشر يوماً .

• • •

وله من المصنفات :

- ١ - الاعتبار ؛ على كتاب الفريفة في أصول الشريعة ، ذكره ابن الفوطي وصاحب
 روضات الجنات .
- ٢ - انتقاد المستصفي للزالي ، ذكره ابن الفوطي .
- ٣ - الحواشي على كتاب المفصل في النحو ، ذكره ابن الفوطي .
- ٤ - شرح المحصل للإمام نضر الدين الرازي ، وهو يجرى مجرى النقض له ؛ ذكره
 ابن الفوطي .

- ٥ - شرح مشكلات العرر لأبي الحسين المصري في أصول الكلام ؛ ذكره ابن الفوطي^(١) وصاحب روضات الجنات .
- ٦ - ديوان شعره ، ذكره ابن شاكر الكتبي .
- ٧ - زيادات النقصين ، ذكر المؤلف في الجزء الأول ص ٦١ .
- ٨ - شرح نهج البلاغة ، وهو هذا الكتاب .
- ٩ - شرح الباقوت لأن بوغت في الكلام ، ذكره ابن الفوطي^(٢) وصاحب روضات الجنات .
- ١٠ - المبقرى الحسان ، ذكره صاحب روضات الجنات ، وقال : وهو كتاب غريب الوصف قد احتار فيه قطعة وافرة من الكلام والتواريخ والأشعار ، وأودعه شيئاً من إسناده وترسلاته ومنطوماته .
- ١١ - الملك الدائر على الملك السماوي^(٣) ، ألّفه برسم الخليفة المستنصر ؛ بدأ في تأليفه في أول ذي الحجة سنة ١٢٣٣ هـ ووقع عنه في خمسة عشر يوماً .
- ١٢ - القصائد السبع الملونات^(٤) ، ذكر ابن الفوطي^(٥) أنه نظمها في صباه وهو بالمدائن سنة ٦١٩ هـ .
- ١٣ - المستنصرات ؛ كتبها برسم الخليفة المستنصر ؛ ومنه نسخة بمكتبة السماوي بالنجف .
- ١٤ - نظم فصيح قلب ؛ ذكره ابن شاكر وصاحب كشف الظنون .
- ١٥ - نقص المحصول في علم الأصول للإمام فخر الدين الرازي ؛ ذكره ابن الفوطي^(٦) وصاحب روضات الجنات وصاحب كشف الظنون .
- ١٦ - الوشاح الذهبي في العلم الأبى ، ذكره ابن الفوطي .

(٢) طبع الجهم سنة ١٣١٧

(١) طبع بالمدن سنة ١٣٠٩ هـ .

٤ - تحقيق الكتاب

وحينما شرعت في تحقيق هذا الكتاب بذلت الجهد الممكن في الحصول على النسخ التي تعين على تحقيقه ، وقد وقع لي من ذلك ما يأتي :

١ - نسخة كاملة تقع في عشرين جزءا مخطوط معتادة مختلفة ، مصورة عن الأصل المحفوظ بمكتبة المتحف البريطاني برقم ١٢٦ ؛ ويبدو أنها كتبت جميعها في القرن الحادي عشر والثاني عشر ؛ وقد رمزت لها بالحرف (ا) .

٢ - نسخة كاملة مطبوعة على الحجر في طهران سنة ١٢٧١ هـ ، ورمزت لها بالحرف (ب) .

٣ - نسخة مصورة عن أصلها المخطوطة بالمكتبة الطاهرية ، محفوظ برقم (٧٩٠٤ طام) ، تشمل على عشرة أجزاء من الكتاب ، مكتوبة بخط دقيق ، مضبوطة بالشكل الكامل ^(١) على حواشها شروح وتعليقات ؛ جاء في آخرها : « وقد مرع من نويد هذا الكتاب بعون الملك الوهاب ، أقل المباد ؛ محمد حسن الأهري الأصفهاني يوم الخميس ، ثالث صفر ، حتم بالخير والظفر ، سنة اثنين وثمانين بعد الألف ، من المحبرة النبوية المصطفوية » ، وقد رمزت لها بالحرف (ج) ^(١)

٤ - نسخة مخطوطة محفوظة بدار الكتب برقم ١٨٦٨ - أدب ، تشمل على عشرة أجزاء في ثلاثة مجلدات ، المجلد الأول يشمل على عشرة أجزاء في ثلاثة مجلدات ؛ المجلد الأول يشمل على الأجزاء : السادس والسابع والثامن . والمجلد الثاني يشمل

(١) ذكرت في مقدمة الجزء الثاني (من الطلعة الأولى) ، أني رجعت إلى هذه النسخة من ص ٦٥ ؛ وفي هذه الطلعة رجعت إليها من أول الكتاب .

على الجزأين : التاسع والعاشر ؛ وهذان المجلدان مكتوبان بخط فارسي ، بخط محمد مؤمن ، سنة إحدى وأربعين وألف ؛ أما المجلد الثالث فيشتمل على الأجزاء الخمسة الأخيرة ؛ من الجزء السادس عشر إلى الجزء العشرين ؛ تمت كتابتها سنة تسع وتسعين وألف ، بخط محمد مزيد . وقد رمزت لها بالحرف (د) (١) .

كما أني رجعت في تحقيق متن سهج البلاغة - فوق النسخ التي اعتمدت عليها في شرحه - إلى نسخة منه مخطوطة محفوظة بمكتبة طلعت بدار الكتب برقم ٤٨٤٠ - أدب ، وهي نسخة خرائفية كتبت بالقلم النسخ الجليل ، مضبوطة بالشكل الكامل ؛ ومحلة بالذهب واللازورد ، كتبت برسم « حراة خياث الحق والدين » ، سنة اثنين وثمانين وستمائة ، بخط الحسين بن محمد الحسي .



وقد اقتضاني أيضا تحقيق هذا الكتاب الجامع أن أرجع إلى ما أمكني الاطلاع عليه من الكتب التي رجع إليها المؤلف ، كتاريخ الجيوش ، والأغاني ومقاتل الطالبين لأبي الفرج الأصفهاني ، والحیوان والبيان والتبيين والمنايا للعاحظ ، والثاني للشريف الرضي ، والمغني للقاضي عبد الجبار ، وحلية الأولياء لأبي نعيم ، وكتاب صفين للمنقري ، والكامل للمبرد ، والأوائل لأبي هلال العسكري ، وسب قريش الزبير بن سكار ، والمنظوم لابن الجوزي

(١) ذكرت في مقدمة الطبعة الأولى أني حصلت على مصورات لأجزاء مختلفة من مكتبة المتحف البريطاني ومكتبة القابضكل ؛ وبالرجوع إليها تبين أنها مصورة بشبح فيها الخطأ والتعريف ، فلم أر ما يدعو إلى الرجوع إليها ؛ كما أن بدار الكتب المصرية نسخة مخطوطة محفوظة برقم ٥٧٦ - أدب ، تمت كتابتها في صبيحة يوم الخميس التاسع من شهر رمضان سنة ١٢٩٢ هـ ، لم أرجع إليها ، إذ ترجح عندي أنها منسوخة عن مطبوعة طهران ؛ أما النسخة للطبوعة في مصر سنة ١٣٢٩ ، يبدو أنها طبعت عن مطبوعة طهران أينما لم أرجع إليها .

والصالح للجوهري، وغيرها من كتب الأدب واللغة والتاريخ؛ كما أني رجعت فيما أورده من الشعر إلى دواوين الشعراء والمجموعات المختارة منها . وحاولت أن أضبط الأعلام والنصوص المعوية والشعرية ضبطاً صحيحاً؛ وعلقت في الحواشي ما اقتضاه إصباح النص تليفاً وسطاً في غير إسراف ولا تقصير .

كما أني فصلت موضوعاته بعتاوين وصعتهما بين علامتي الزيادة لتتضح معالم الكتاب، وتسهل الإحاطة بما فيه .

وسيجري الكتاب - بما أرحو من الله المعونة والتأييد - في عشرين جزءاً كما وضعه مؤلفه؛ أما الفهارس العامة للتبصرة فأفرد لها جزءاً خاصاً في آخر الكتاب، والله الموفق للصواب ﴿ رَبِّمَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِير ﴾ (٥) .

محمد أبو الفضل إبراهيم



القاهرة في ١٠ جمادى الآخرة سنة ١٣٧٨ هـ
٢١ ديسمبر سنة ١٩٥٨ م

مكتبة جامعة القاهرة

(٥) هذه مقدمة الطبعة الأولى مع تعديل في وصف الصح .

مقدمة الطبعة الثانية

لم نكد تظهر هذه الطبعة من هذا الكتاب لجميع أحراره ؛ حتى أقبلت الجهرة من العلماء والتأديين على اقتبائه ، ومدارسة فصوله وأبوابه ، واستيعاب ماحواه من صنوف الآداب وصروب الفنون ، المعارف ؛ حتى تعدت أجزائه الأولى في زمن يسير .

وحينما شرعت في إعداد الطبعة الثانية ، وحدثها فرصة طيبة لأن أعيد النظر في تحقيقه ، وأجبل الفكر لزياده شرحه وتصحيحه ، وأن أسدرك ما فاتني من التمليق ، أو جابني فيه وجه الصواب ؛ وقد أعانني على ذلك أمور

مهما أنه نسى لي بعد المراج من تحقيقه الإطلاع على كثير من كتب الأدب والتاريخ ودواوين الشعر مما لم يتيسر لي الإطلاع عليه في الطبعة الأولى ؛ وقد كان على في تحقيق تاريخ الطبري وظهور معظم أحراره ؛ مما حقق كثيرا من نصوصه ؛ إذ كان هذا التاريخ الكبير من أهم مراجع المؤلف ومصادره ؛ كما أن ماقت به من تحقيق متن نهج البلاغة ، مراجعا على نسخ حطية أصيلة وشرحه شرحا موجزا ؛ مما قوّم الكثير من ألقاظه ، وحقق بمصر رواياته .

ومنها أن فرقا من العلماء حين وقع إليهم هذا الكتاب قابله بالاهتمام الشديد ، وتناولوه بالنقد النافع العريه ؛ وقدّروا ما بذل فيه من جهد وعناء ؛ وكانت لم ملاحظات قيمة كتبوا إلى بها ؛ أذكر منهم الأستاذ مكي السيد جاسم ؛ أحد علماء العراق وفصلاتها ؛ فقد قرأ الكتاب جميعه ، وأرسل إلى ملاحظاته على كثير من أجزائه ؛ وقد انتفعت بهذا النقد الكريم ؛ وأثبت ملاحظاته في هذه الطبعة .

وأمر آخر ؛ هو أنى حينما أتممت تحقيق جميع أجزاء الكتاب ، وأخذت فى عمل فهرسه ومعاودة قراءته ، اتضح لى معاله وطرائقه ، وأسست إلى مراجعته ومطالنه ، وعرفت مواطن الاستدراك والتعقيب ، وقطعت إلى مجالات أخرى لتصحيح والتعليق ، وتبينت لى الأخطاء الطبعية ؛ وأمكن لى أن أعمل الجديد والهام فى هذه الطبعة .

هذا ، وقد كان على فى إنحدر الكتاب على هذا النحو ؛ ثم اشتغالى مرة أخرى بإعادة تحقيقه . بعد أن حلت للكتبة العربية من أجزاءه الأولى - معوقا عن إنجاز الفهارس العامة فى حينها ؛ ولكنى دائم العمل فيها ، منهم بإتمامها وإخراجها على الوجه الكامل ؛ وستظهر إن شاء الله فى الجزء الحادى والعشرين للطبعتين الأولى والثانية .

ومن الله أطلب هداية وتيسيرا ، وعونا وتوفيقا .

القاهرة فى ١٧ جادى الأولى سنة ١٣٨٥ هـ
٨ سبتمبر سنة ١٩٦٥ م



محمد أبو الفصل إبراهيم

مكتبة شيخ الإسلام

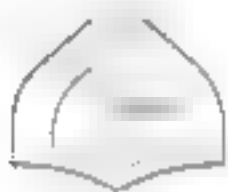




مرکز تحقیقات کتابخانه و اسناد ملی

[illegible]

Handwritten text in Arabic script, likely a manuscript page. The text is arranged in approximately 25 horizontal lines. The script is dense and cursive, characteristic of classical Arabic calligraphy. There are some marginalia or smaller text elements on the left side of the page, possibly indicating a chapter or section. The overall appearance is that of an aged, possibly leather-bound, manuscript.

[illegible]

4. 1990年12月15日

آخر الجزء الثاني من نسخة (ج)

الحمد لله

بسم الله الرحمن الرحيم
 انما قد حمده الله الذي جعل لنا النعماء ومساكننا
 من ليلته وميسرا الى غايته صبرا للزيادة اخباقة
 والتملوة على سوله بن الرحمة طام الامية وسراج الامية
 المشيب من الجنة الكرم وسلا لاله المبلى الامم ومنه من
 المعرف وفع الملا والمتم الموزق وعلى امر الله تعالى انظلم
 ومنهم الامم ومنه والدين الواحدة وشاقل الفضل الرحمة
 مثل الله عليهم اجتمعت صلوة تكمن اراة لفصلهم ومكانه

وَمَقَرُّهُنَّ لَعْنٌ كَمَا شَرَطْنَا أَوْ لَا عَلَى تَمِيلٍ أَوْ رَافٍ عَنِ الْيَاسِرِ فِي أَخْرِ كُلِّ آيَةٍ مِنَ الْأَوَابِ
 لَا فَصَاحٍ شَارِدٍ وَاسْتِجَابٍ الْوَاردِ وَمَا عَسَاءَ أَنْ يَطْمَأَنَّ بِمَعْدِ النَّمُوسِ بَعْدَ الْبَنَاتِ
 بَعْدَ التَّدْوِينِ وَمَا تَوَقَّفْنَا إِلَّا بِأَسْمَاءٍ عَلَيْهِ وَكَفَا وَمَوْحِبٌ وَبِهِمُ الْوَكِيلُ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
 الشَّرْعُ الْمَقَرُّ
 بِمَقَرِّهِ لَعْنٌ كَمَا شَرَطْنَا أَوْ لَا عَلَى تَمِيلٍ أَوْ رَافٍ عَنِ الْيَاسِرِ فِي أَخْرِ كُلِّ آيَةٍ مِنَ الْأَوَابِ
 لَا فَصَاحٍ شَارِدٍ وَاسْتِجَابٍ الْوَاردِ وَمَا عَسَاءَ أَنْ يَطْمَأَنَّ بِمَعْدِ النَّمُوسِ بَعْدَ الْبَنَاتِ
 بَعْدَ التَّدْوِينِ وَمَا تَوَقَّفْنَا إِلَّا بِأَسْمَاءٍ عَلَيْهِ وَكَفَا وَمَوْحِبٌ وَبِهِمُ الْوَكِيلُ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
 الشَّرْعُ الْمَقَرُّ
 بِمَقَرِّهِ لَعْنٌ كَمَا شَرَطْنَا أَوْ لَا عَلَى تَمِيلٍ أَوْ رَافٍ عَنِ الْيَاسِرِ فِي أَخْرِ كُلِّ آيَةٍ مِنَ الْأَوَابِ
 لَا فَصَاحٍ شَارِدٍ وَاسْتِجَابٍ الْوَاردِ وَمَا عَسَاءَ أَنْ يَطْمَأَنَّ بِمَعْدِ النَّمُوسِ بَعْدَ الْبَنَاتِ
 بَعْدَ التَّدْوِينِ وَمَا تَوَقَّفْنَا إِلَّا بِأَسْمَاءٍ عَلَيْهِ وَكَفَا وَمَوْحِبٌ وَبِهِمُ الْوَكِيلُ

شرح نهج البلاغة

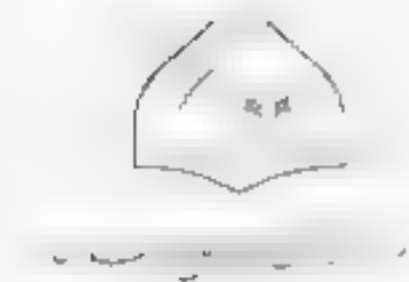
لابن أبي الجهم

(٢٥٨٦ - ٢٥٦٦ هـ)

تأليف محمد بن أبي الجهم

تأليف

محمد أبو الفضل إبراهيم



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله [الواحد العدل] (١)، الحمد لله الذي تفرَّد بالكمال؛ فكلُّ كمالٍ سواه منقوص، واستوعبَ هموم المخلد والملاح؛ فكلُّ ذى هموم عداه مخصوص؛ الذى وزَّع مُنْهَسَاتِ نَصَمِهِ بين مَنْ يَشَاءُ من خَلْقِهِ، واقتصت حكْمُهُ أنْ نَافِسَ الحَاقِيقَ فى حِدْقِهِ فَاحْتَسِبَ بِهِ عَلَيْهِ من رِزْقِهِ، وَزَوَى (٢) الدُّيَا عن الفضلاء فلم يأخذها الشريفُ بشرفه، ولا السابق بسبقه. وقَدَّمَ للفضولِ على الأفضلِ لصلحة اتصالِ التكليفِ، واحتصنَ الأفضلَ من جلائلِ المآثرِ ونفائسِ المناخرِ بما يَعْلَمُ من التَّشْبِيهِ (٣) وَيُجَلِّى (٤) مِنَ التَّكْيِيفِ. وَصَلَّى اللهُ عَلَى رَسُولِهِ مُحَمَّدٍ؛ الَّذِى (٥) لَمَّا كُنْى عَنْهُ شُعَاعُ مَنْ شَمِعِهِ، وَغَمَمَ مِنْ غَرَمِهِ، وَقُوَّةُ مَنْ قُوِّى نَفْسُهُ، وَمَنْسُوبٌ إِلَيْهِ نِسْبَةُ الْعَدْرِ إِلَى يَوْمِهِ وَالْيَوْمِ إِلَى أَمْسِهِ؛ فَأَمَّا إِلَّا سَابِقٌ وَلاحِقٌ، وَقَائِدٌ وَسَاتِقٌ، وَسَاكِتٌ وَبَاطِقٌ، وَجَلَلٌ وَمُجَلَّلٌ؛ سَبَقَ لُحْمَةُ الْبَارِقِ، وَأَنَارَ اسْدُفَةُ الْعَاسِقِ؛ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِمَا مَا اسْتَحْلَبَ (٦) خَيْرٌ، وَتَنَاضَحَ حِرَاءٌ وَثَبِيرٌ (٧).

وبعد، فإنَّ مراسمَ المولى الوزير الأعظم، الصاحب (٨)، الصدر الكبير المعظم العالم العادل المنفطر المنصور المجاهد، الرابط (٩)، مؤيد الدين عضد الإسلام، سيلوزراء الشرق والغرب، أبى طالب (١٠)

(١) نكلة من ب. (٢) زوى الدنيا : نحاها وصرفها. (٣) فى ١ : « والذى ».

(٤) استغلب، بالبناء للمجهول : قطع. والخير : الثبات، وورد فى حديث طهفة : « ولستغلب الخير »، قال ابن الأثير : الخير : الثبات والعشب، شبه بحير الإبل؛ وهو وبرها. النهاية ١ : ٢٨٠.

(٥) يقال : ما جلان يتناوحان؛ إذا كانا متطابقين؛ وثير : حل شامخ يحكى يقابل حراء؛ وهو أرفع من ثير. ياقوت ٣ : ٢٤٠.

(٦) ب : « صاحب ». (٧) ١ : « والرابط ».

(٨) فى الطبعة الأولى : « أبى محمد بن أحمد »، وهو خطأ.

محمد بن أحمد بن محمد القمي^(١)، نصير أمير المؤمنين - أسبق الله عليه من ملابس النعم أخفها،
وأحد من مراقب السعادة ومراتب السيادة أشرفها وأعلاها - لما شرفت عهدة دولته،
وريب نسته بالاهتمام بشرح " نهج البلاغة " - على صاحبه أفضل الصلوات، وقد كره
أطلب التصيحات - بأمر إلى ذلك مباحة من بعثه من قبل عزم، ثم تحله^(٢) أمر عزم،
وشرع فيه بإحدى الرأي شروع مختصر، وعلى ذكر العرب واللعن مقتصر؛ ثم تمقب
الفكر، فرأى أن هذه النقطة^(٣) لا تشفى أواما، ولا تزيد الحائتم إلا خياما، فتكبد ذلك
المسك، ورفض ذلك النهج، وبسط القول في شرحه بسطا اشتمل على الغريب والمغاني
وعلم البيان، وما علم يشته ويشكل من الإعراب والتصريف، وأورد في كل موضع
ما يطاقه من النظائر والأشياء، نثرا ونظما، وذكر ما يفتضيه من السور والوقائع والأحداث
فصلا فصلا وأشار إلى ما ينطوي عليه من دقائق علم التوحيد والعدل إشارة خفيفة، ولوح
إلى ما يستلزمه الشرح ذكره من الأنساب والأمثال والتسكت تلويحات لطيفة، ورضه
من اللولع الزهدية، والزواج الدينية، والحكم النفسية، والآداب الخلقية، المناسبة لفقراء،
والشاكلة لدرره، والمتظلة مع معانيه في منقط، والمتسقة مع جواهره في لفظ^(٤)، بما يهزأ
بشوف الثغار، وتنجل قلع الروض غيب القطار. وأوضح ما يومي إليه من المسائل
الفقهية، وبرهن على أن كثيرا من فصوله داخل في باب المحبررات الحمدية؛ لاشتمالها على

(١) هو مؤيد القرن أبو طالب محمد بن أحمد بن محمد القمي البغدادي، وزير القنصل باقة، الخليفة الباسي.
اشتمل في صباه بالأدب، فلاق فيه، وكتب خطا مليحا، وترسل ترسلا فصحا، وكان لهيا كريما،
ولها مفسكا بطاين الرئاسة، خيرا بأدوات السياسة، عبا للأدب، مقربا لأهل العلم، اتقى كتابا
كثيرة فقهية، وصنف الناس له؛ منهم الصافي، صنف له الصاب، وهذا المصنف اتقى ألف برسمه،
وكان محمدا مدحه الشراء، واعتصم الفضلا، وأخباره الطيبة كثيرة وجيلة. توفي سنة ٦٥٦ - الفري
٢٩٥، ٢٩٦. (٢) ب، ج: « حركة ». (٣) النقطة في الأصل: الجرة من الماء. وفي أ:
« البية ». والأجود ما ألحقه من ب. (٤) الخط، بالفتح: القلادة.

الأخبار الغيبية ، وخروجها عن وسع الطبيعة البشرية . وَتَبَيَّنَ من مقامات المعارفين ؛ التي يَرْمِزُ إليها في كلامه ما لا يمتنع إلا المألون ، ولا يُدْرِكُه إلا الروحانيون للقرّيون . وكشف عن مقاصده عليه السلام في لفظة يرسلها ، ومعنيّة (١) بِكَيْفِيّ عنها ، وغامضة يرضي بها ، وحقاً لا يُجْهِمُ (٢) بذكرها ، وهناك نجيش في صدره فيفتّ بها نفثة للصدور ، ومُرْمِضَاتٍ مؤلّات يشكوها فيسترخ بشكواها استراحة المكروب .

تخرج هذا الكتاب كتاباً كاملاً في فتنه ، واحداً بين أبناء جنسه ، مُتِمّاً بحماسة ؛ جليلة فوائده ، شريفة مقاصده ، عظيماً شأنه ، عالية منزلته ومكانته ؛ ولا عجب أن يقترب بسيد الكتب إلى سيد الملوك ، ويجمع الفضائل إلى جامع اللقائب ، ويرواحد العصر إلى أوجد الدهر ؛ فالأشياء بأسمائها ألين ، وإلى أشكلها أقرب ؛ وشبه الشيء إليه متجذّب ، ونحوه دان ومقترب .

بسم الله الرحمن الرحيم

ولم يشرح هذا الكتاب قبل - فيما أحده - إلا واحد ؛ وهو سعيد بن هبة الله بن الحسن الفقيه المعروف بالقُطْبِ الراوندي (٣) ، وكان من فقهاء الإمامية ، ولم يكن من رجال هذا الكتاب ، لا قصاره مدّة عمره على الاشتغال بعلم الفقه وحده ، وأتى للفقيه أن يشرح هذه القنون المتنوعة ، ويخوض في هذه العلوم المتشعبة لا جرم أن شرحه لا يخفى حاله من الذكاء ، وجري الوادي فلم على القرى (٤) . ولقد تراضت في هذا الشرح لمناقضته

(١) كذا في ج ، وجمم بالكلام ؛ لم يبينه ، ولأ ، ب : « يجمع » .

(٢) ١ : « معضلة » ، بدون الواو . (٣) هو سعيد بن هبة الله بن الحسن الراوندي ، أحد فقهاء الفقيه ؛ وتسايفه كثيرة متنوعة ؛ أسمى كتابه في شرح التهجج « منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة » ، وتولى سنة ٥٧٣ . لسان اليزان ٣ : ٤٨ ، وروحات الجنات ٢ : ٣٠٢ . (٤) جرى الوادي فلم على القرى ، مثل ؛ قال اليباني في شرحه : أي جرى شيل الوادي فلم ، أي دفن ؛ يقال : طم السيل الركبة ؛ أي دفنها . والقرى : جرى الماء في الروضة ، والجمع القرية وقرى ، و « على » من صلة للمعنى ؛ أي آتى على القرى ؛ يعني أهلها بأن دفن ؛ يضرب عند تجاوز المعنى . حده . مجمع الأمثال ١ : ١٥٩ .

في مواضع يسيرة اقتضت الحال ذكرها ، وأعرضت عن كثير مما قاله ، [إذ] لم أرى ذكره ونقصه كبير فالتفت .

• • •

وأنا قبل أن أشرع في الشرح أذكر أقوال أصحابنا رحمهم الله في الإمامة والتفضيل والتهنئة والخوارج . ومتشيع ذلك بذكر نسب أمير المؤمنين عليه السلام ، ولمع بسيرة من فضائله ، ثم أثبت بذكر نسب الرضى أبي الحسن محمد بن الحسين الموسوي رحمه الله ، وبعض خصائصه ومناقبه . ثم أشرع في شرح خطبة " سبح البلاغة " التي هي من كلام الرضى أبي الحسن رحمه الله ^(١) ؛ فإذا انتهيت من ذلك كلمة ابتدأت بعون الله وتوفيقه في شرح كلام أمير المؤمنين عليه السلام شيئاً فشيئاً .

ومن الله سبحانه أستمدد للمونة ، وأستدبر أسباب العيشة ، وأستمع عما هم الرحمة ، وأمتري أخلاف البركة ، وأشيم بارق السماء والزيادة ، فالرجو إلا فضله ، ولا المأمول إلا طوؤه ، ولا الوثوق إلا برحمته ، ولا الكون إلا إلى رافته ، ﴿ رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ۝ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَآخِرُ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝ ﴾ ^(٢) .

القول فيما يذهب إليه أصحابنا المعترلة في الإمامة والفضل والبغاة والخوارج

اتفق شيوخنا كافة رحمهم الله ؛ المتقدمون منهم والمتأخرون ، والبصريون والبغداديون
على أن بيعة أبي بكر الصديق بيعة صحيحة شرعية ، وأنها لم تكن عن نص ، وإنما كانت
بالاختيار الذي ثبت بالإجماع ، وبغير الإجماع كونه طريقاً إلى الإمامة .

واختلفوا في الفضل ، فقال قداماء البصريين كابي عثمان عمرو بن عبّيد ، وأبي
إسحاق إبراهيم بن سيار النظام ، وأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ، وأبي معن ثمامة بن
أشرس ، وأبي محمد هشام بن عمرو القوطي ، وأبي يعقوب يوسف بن عبد الله الشحام ،
وجاعة غيرهم : إن أبا بكر أفضل من علي عليه السلام ؛ وهؤلاء يحملون ترتيب الأربعة
في الفضل كترتيبهم في الخلافة . *مقتضى نسخة سدر*

وقال البغداديون قاطبة ؛ قدامؤم ومتأخروم ، كابي سهل بشر بن المعتز ، وأبي
موسى عيسى بن صبيح ، وأبي عبد الله جعفر بن مبشر ، وأبي جعفر الإسكافي ، وأبي
الحسين الخياط ، وأبي القاسم عبد الله بن محمود البلخي وتلامذته : إن علياً عليه السلام
أفضل من أبي بكر .

وإلى هذا المذهب ذهب من البصريين أبو علي محمد بن عبد الوهاب الجبائي أخيراً ،
وكان من قبل من التوفيقين ، كان يميل إلى التفضيل ولا يصرح به ، وإذا صنف ذهب
إلى الوقف في مصنفاته . وقال في كثير من تصانيفه : إن صح خبر الطائر فعلي أفضل^(١) .

(١) يشير إلى ما رواه الترمذي في باب اللائب ١٣ : ١٧٠ ، بسنده عن أنس بن مالك ، ولفظه :
كان عند النبي صلى الله عليه وسلم طير ، فقال : « اللهم انق يا أحب خلقك إليك يا كل حي هذا
الطير » ، فجاء على فأكل معه . قال أبو عيسى : هذا حديث غريب لا يعرف من حديث السدي إلا من
هذا الوجه .

ثم إن قاضي القضاة رحمه الله ذكر في شرح "القلالات" لأبي القاسم البلخي أن أبا علي رحمه الله ما مات حتى قال بتفضيل علي عليه السلام ، وقال : إنه نقل ذلك عنه سمعاً ؛ ولم يوجد في شيء من مصنفاته . وقال أيضاً : إن أبا علي رحمه الله مات استعدني ابنه أبا هاشم إليه ، - وكان قد ضعف عن رفع الصوت - فأتني إليه أشياء ، من جعلها القول بتفضيل علي عليه السلام .

ومن ذهب من البصريين إلى تفضيله عليه السلام الشيخ أبو عبد الله الحسين ابن علي البصري رضي الله عنه ، كان متحققاً بتفضيله ، ومبالغاً في ذلك ، وصنف فيه كتاباً مفرداً .

ومن ذهب إلى تفضيله عليه السلام من البصريين قاضي القضاة أبو الحسن عبد الجبار بن أحمد رحمه الله ؛ ذكر ابن مقريه عنه في كتاب "الكفاية" في علم الكلام أنه كان من التوثقين بين علي عليه السلام وأبي بكر ، ثم قطع على تفضيل علي عليه السلام بكامل النزعة .

ومن البصريين الذاهبين إلى تفضيله عليه السلام أبو محمد الحسن بن مقريه صاحب "التذكرة" نص في كتاب "الكفاية" على تفضيله عليه السلام على أبي بكر ؛ واحتج ذلك ، وأطال في الاحتجاج .
فهذان اللذبيان كما عرفت .

وذهب كثير من الشيوخ رحمهم الله إلى التوقف فيهما ؛ وهو قول أبي حذيفة وأصل ابن عطاء ، وأبي الهذيل محمد بن الهذيل العلاف ؛ من المتقدمين . وما - وإن ذهبوا إلى التوقف^(١) بينه عليه السلام وبين أبي بكر وعمر - فاطمان على تفضيله على عثمان .

ومن المذهبيين إلى الوقف الشيخ أبو هاشم عبد السلام بن أبي عليّ رحمه الله
والشيخ أبو الحسين محمد بن عليّ بن العتيّب البصريّ رحمه الله .

وأما نحن فنذهب إلى ما يذهب إليه شيوخنا البنداديون ؛ من تفضيله عليه السلام .
وقد ذكرنا في كتبنا الكلامية ما معنى الأفضل ؛ وهل المراد به الأكثر ثواباً أو^(١)
الأجمع لمزايا الفضل والخلال الحميدة ، وبيننا أنه عليه السلام أفضل على التفسيرين معاً .
وليس هذا الكتاب موضوعاً لذكر الحجاج في ذلك أو في غيره من المباحث الكلامية
لنذكره ، ولهذا موضع هو أمّك به .

وأما^(٢) القول في البغاة عليه^(٣) والحوارج ، فهو على^(٤) ما أذكره لك :
أما أصحاب الجمل فهم عند أصحابنا ~~ما يكون~~ كلهم إلا عائشة وطلحة والزبير ؛
"رحمهم الله"^(٥) فلمهم تابوا ، ولولا الثورة ~~على~~ لم بالنار لإصرارهم على البغي .
وأما عسكر الشام بصفين فلمهم ~~ما يكون~~ كلهم عند أصحابنا لا يُحكم لأحد منهم
إلا بالنار ؛ لإصرارهم على البغي وموتهم عليه ؛ رؤسائهم والأتباع جميعاً .
وأما الحوارج فلمهم مرقوا من الدين بالخير النبويّ الجمع عليه ؛ ولا يختلف أصحابنا
في أنهم من أهل النار .

وجملة الأمر أن أصحابنا يحكون بالنار لكل فاسق مات على فسقه ؛ ولا ريب في
أن الباقي على الإمام الحق والخارج عليه بشبهة أو بغير شبهة فاسق ؛ وليس هذا مما
يخصّون به عليّاً عليه السلام ، فلو خرج قوم من المسلمين على غيره من أئمة الإسلام
العدل^(٦) لكان حكمهم حكم من خرج على عليّ صلوات الله عليه .

وقد يرى^(٧) كثير^(٨) من أصحابنا من قوم من الصحابة أخطوا ثوابهم ؛ كالخوارج بن شعبة

(١) ب : د أم . (٢) ب ، ج : د فأما . (٣) ساقطة من أ .

(٤) أ : د فعل ما ذكره . . . (٥) ساقط من ب . (٦) ب ، ج : د من أئمة العدل .

(٧) ب : د يرى ، صحيح . (٨) كذا في ب ، ج ، د : أ : د قوم .

وكان شيخنا أبو القاسم البلخي إذا ذكر عنه عبد الله بن الزبير ، يقول : لا خيرَ فيه . وقال مرة : لا يعجبني صلاته وصومه ؛ ولما بناتين له مع قول رسول الله صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام : « لا يُفَضُّكَ إلا منافق » . وقال أبو عبد الله البصري رحمه الله لما سئل عنه : ما صيحت عندي أنه تاب من يوم الجمل ؛ ولكنه استكثر مما كان عليه .

فهذه هي المذاهب والأقوال ؛ أما الاستدلال عليها فهو مذكور في الكتب الموضوعة لهذا الفن .



القول في نسب أمير المؤمنين علي عليه السلام وذكر كرم بيرة من فضائله

هو أبو الحسن علي بن أبي طالب - واسمه عبدمناف - بن عبدالمطلب - واسمه شيبه -
ابن هاشم - واسمه عمرو - بن عبدمناف بن قصي - القالب عليه من الكنية عليه السلام
أبو الحسن . وكان ابنه الحسن عليه السلام يدعو في حياة رسول الله صلى الله عليه وآله
أبا الحسين ، ويدعوه الحسين عليه السلام أبا الحسن ، ويدعوان رسول الله صلى الله عليه وآله عليه
وآله أباها ، فلما توفى النبي صلى الله عليه وآله ^(١) دعوا به بأبيها .

وكنى رسول الله صلى الله عليه وآله نزلها أبا تراب ، مؤخره مأثما في تراب ، قد سقط عنه
رداؤه ، وأصاب التراب جسده ، فجاء حتى جلس عند رأسه ، وأيقظه ، وجعل يمسح التراب
عن ظهره ويقول له : اجلس ؛ إنما أنت أبو تراب ^(٢) . فكانت من أحب كنى إله
صلوات الله عليه ، وكان يفرح إذا دُعِيَ بها ، وكانت ترغيب بنو أمية خطبامها ^(٣)

(١) ساقطة من أ .

(٢) رواية الخبر كما في صحيح البخاري ، في كتاب فضائل الصحابة ٢ : ٣٠٠ ؛ يستدعي عن عبد الله
ابن مسعود : « أن رجلا جاء إلى رسول بن سعد ، فقال : هذا فلان - أمير المدينة - يدعو عليا عند
الخبر ، قال : فيقول ماذا ؟ قال : يقول له : أبو تراب . فصحك ، قال : والله ما سمعته إلا النبي صلى الله
عليه وسلم ، وما كان له اسم أحب إليه . فسلمت الحديث سجلا ، وقلت : يا أبا عباس ، كيف ؟
قال : دخل على علي ليلة ، ثم خرج فاصطنع في المسجد ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : أين ابن عمك ؟
فالتفت في المسجد ، فخرج إليه فوجد رداه . قد سقط عن ظهره ، وجلس التراب على ظهره ، فجعل يمسح
التراب عن ظهره فيقول : اجلس يا أبا تراب ، مرتين » . ولهذا الخبر رواية أخرى ذكرها صاحب الزمان
الضرية في ٢ : ١٥١ .

(٣) ب ، ج : « فعدت بنو أمية » ، وما أتبعه من أ .

أن يسبوه بها على النابير، وجعلوها تهيئة له ووضعة عليه؛ فكأننا كسوتها بالخلل والخلل؛ كما قال الحسن البصري رحمه الله .

وكان اسمه الأول الذي سمته به أمه حيدرة ، باسم أبيها أسد بن هاشم - والحيدرة : الأسد - فغير أبوه اسمه ، وسماه علياً .

وقيل : إن حيدرة اسم كانت قريش تسميه به . والقول الأول أصح ؛ يدل عليه خبره ^(١) يوم يَرز إليه مَرَحَب ، وارتجز عليه فقال :

• أنا الذي تمتني أمي مَرَحَبًا ^(٢) •

فأجابه عليه السلام رجزاً :

• أنا الذي تمتني أمي حَيْدَرَةً ^(٣) •

ورجزهما مما مشهور منقول لا حاجة لنا الآن إلى ذكره .

وتزعم الشيعة أن خطوط في حياة رسول الله صلى الله عليه وآله « أمور المؤمنين » ، خاطبه بذلك جثة المهاجرين والأنصار ، ولم يثبت ذلك في أخبار المحدثين ؛ إلا أنهم قد رووا ما يعلل هذا اللفظ ، وإن لم يكن اللفظ بعينه ، وهو قول رسول الله صلى الله عليه وآله : « أنت يسوب الدين وللأل يسوب الطلعة » ، وفي رواية أخرى : « هذا يسوب المؤمنين »

(١) الخبر رواه مسلم مفصلاً بسنده عن الحسن بن صالح بن أبيه ، في كتاب الجهاد والسير من ١٤٣٣ - ١٤٤١ ، في غزوة خيبر .

(٢) رواية مسلم :

قَدْ خَلَيْتَ خَيْبَةً أَنِّي مَرَحَبٌ شَاكِي السَّلَاحِ بَطْلٌ مُجَرَّبٌ

• إِذَا الْحُرُوبُ أَقْبَلَتْ تَلَبُّ •

(٣) بعينه ، كما رواه مسلم :

كَلِمَتٌ خَابَاتٍ كَرِيمَةٍ السَّنْظَرَةُ أَوْفَيْهِمُ بِالصَّاعِ كَمِثْلِ السَّنْدَرَةِ

والسندرة : مكياك واسع .

وقائد الفرّ المحجلين ^(١) ، واليسوب : ذكر النعل وأمرها . روى هاتين الروايتين أبو عبد الله أحمد بن حنبل الشيباني في " السند " في كتابه " فضائل الصحابة " ، ورواهما أبو نعيم الحافظ في " حلية الأولياء " ^(٢) .

ودُعي بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله بوصى رسول الله ، لوصايته إليه بما أَراده . وأصحابنا لا ينكرون ذلك ، ولكن يقولون : إنها لم تكن وصية بالخلافة ، بل بكثير من التجلدات بعده ، أفضى بها إليه عليه السلام . وسنذكر طرقاً من هذا المعنى فيما بعد . وأمه فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف بن قصي ، أول هاشمية ولدت لهاشمي ، كان على عليه السلام أصغرَ بنينا ، وجعفر أسن منه بشر سنين ، وعقيل أسن منه بشر سنين ، وطالب أسن من عقيل بشر سنين ؛ وفاطمة بنت أسد أمهم جميعاً .

وأم فاطمة بنت أسد فاطمة ^(٣) بنت هرم بن رواحة بن حُجر بن عبد بن مغيص [ابن عامر بن لؤي . وأما حديّة بنت ^(٤) وهب بن ثعلبة بن وائلة بن عمرو بن شيبان ابن محارب بن فهر .] وأما فاطمة بنت ~~عبد الرحمن بن عوف بن عمرو بن مغيص بن عامر بن لؤي~~ . وأما سلمى بنت عامر بن ربيعة بن هلال بن أُمّية بن ضبة بن الحارث بن فهر ^(٥) . وأما عاتكة بنت أبي حمزة . واسمها عمرو بن عبدالمزّي . بن عامر بن حميرة بن ودبة ^(٦) بن الحارث ابن قهر ، [وأما ثُمّاضر بنت عمرو بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب ابن لؤي] ^(٧) ، وأما حبيبة ؛ وهي أمة الله بنت عبدالميل بن سالم بن مالك بن حُطيط بن جُشم ابن قصي ؛ وهو ثقيف . وأما فلانة بنت مخروم بن أسامة بن ضبع ^(٨) بن وائلة بن نصر ابن صمعة بن ثعلبة بن كنانة بن عمرو بن قُين بن فُهْم بن عمرو بن قيس بن عيلان

(١) ورواه أيضاً الطبراني في الكبير ، وعلقه صاحب الرياض النضرة ٢ : ١٥٥ ؛ مع اختلاف في القبط .

(٢) حلية الأولياء ١ : ٦٣ ، بسنده عن أس ، ولفظه : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يا أس ، أول من يدخل من هذا الباب أمير المؤمنين ، وسيد المسلمين ، وقائد الفر المحجلين ، وخاتم الوصيين » .

(٣) في مناقب الطالبين : « وتعرف بحبي بنت هرم » .

(٤) تسككة من مناقب الطالبين . (٥) مناقب الطالبين : « ابن أبي ودبة » .

(٦) كنداني ب ، و ١ : « صبح » ، وفي مناقب الطالبين « صبح » .

ابن مضر . وأما ربيعة بنت يسار بن مالك بن حطيط بن جشم بن قتيب . وأما كلة^(١)
بنت حصين بن سعد بن بكر بن هوازن . وأما حنيفة بنت الحارث بن النابغة بن عميرة
ابن عوف بن نصر بن بكر بن هوازن . ذكر هذا النسب أبو الفرج علي بن الحسين
الأصفهاني في كتاب "مقاتل الطالبين" .^(٢)

أسلمت فاطمة بنت أسد بعد عشرة من المسلمين ؛ وكانت الحادية عشرة ، وكان رسول
الله صلى الله عليه وآله يكرمها ويحفظها ويدعوها : «أمي» ، وأوصت إليه حين حضرتها
الوفاة ، فقيل وصيتها ، وصلى عليها ، ونزل في لحدها ، واضطجع معها فيه بعد أن ألبسها
قيصه ، فقال له أصحابه : إنا مارأيتك صنعت يا رسول الله بأحد ما صنعت بها ، فقال :
«إني لم يكن أحدٌ بعد أبي طالب أبرَّ بي منها ، إنما ألبسها قيصي لتكسى من حُلل
الجنة ، واضطجعتُ معها ليهونَ عليها حطلة القبر» .

وفاطمة أول امرأة بايعت رسول الله صلى الله عليه وآله من النساء .

وأم أبي طالب بن عبد المطلب فاطمة بنت عبد المطلب عاتكة بنت عمرو بن عامر بن
أم عبد الله ، والد سيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله ، وأم الزبير بن عبد المطلب ؛ وسائر
ولد عبد المطلب بعد الأمهات شقي .

واختلف في مولد علي عليه السلام أين كان ؟ فكثير من الشيعة يزعمون أنه ولد
في الكعبة ، والمحدثون لا يعترفون بذلك ، يزعمون أن المولد في الكعبة حكيم بن
حزام بن حويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي .

واختلف في سنة حين أظهر النبي صلى الله عليه وآله الدعوة ، إذ تكامل له
صلوات الله عليه أربعون سنة ، فالأشهر من الروايات أنه كان ابن عشر . وكثير من أصحابنا
المتكلمين يقولون : إنه كان ابن ثلاث عشرة سنة ؛ ذكر ذلك شيخنا أبو القاسم البلخي
وغیره من شيوخنا .

(١) مقاتل الطالبين : « كلة بنت قيس » . (٢) في ترجمة جعفر بن أبي طالب ص ٧ .

والأولون يقولون : إنه قتل وهو ابن ثلاث وستين سنة ، وهؤلاء يقولون : ابن ست وستين ، والروايات في ذلك مختلفة . ومن الناس من يزعم أن ستة كانت دون العشر ، والأكثر الأظهر خلاف ذلك .

وذكر أحد بن يحيى البلاذري وحمل بن الحسين الأصمغاني أن قريشاً أصابها أزمة وقحط ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله لمتيه ؛ حمزة والعباس : « ألا نحمل قتل أبي طالب في هذا للحل ؟ » ، فقاموا إليه وسألوه أن يدفع إليهم ولده ليكفوه أمرهم ، فقال : دَعُوا لِي عَقِيلًا وَحَذُوًا مَن شِئْتُمْ - وكان شديد الحب لعقيل - فأخذ العباس طالباً ، وأخذ حمزة جعفرًا ، وأخذ محمد صلى الله عليه وآله عليًا ، وقال لهم : « قد اخترت - من اختاره الله لي عليكم - عليًا » ، قالوا : فكان علي بن أبي طالب في حِجْر رسول الله صلى الله عليه وآله ، منذ كان عمره ست سنين .

وكان ما يُسَدِّي إليه صلواتُ الله عليه من إحيائه وشفقته وبره وحسن تربيته ؛ كالكفاة والمعاوضة لصنيع أبي طالب به ؛ حيث مات عبد المطلب وجعله في حِجْره . وهذا يطابق قوله عليه السلام : لقد عِدْتُ أَنِّي قَبْلُ أَنْ يَمُوتَ أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ سَبْعَ سِنِينَ ، وقوله : كُنْتُ أَسْمَعُ الصَّوْتَ وَأَبْصُرُ الضُّوءَ سَبْعَ سِنِينَ ؛ ورسول الله صلى الله عليه وآله حينئذٍ صامت ما أذِنَ له في الإنذار والتبليغ ؛ وذلك لأنه إذا كان عمره يوم إظهار الدعوة ثلاث عشرة سنة ، وتسليمه إلى رسول الله صلى الله عليه وآله من أبيه وهو ابن ست ؛ فقد صحَّ أنه كان يصدُّ الله قبل الناس بأجمعهم سبع سنين ؛ وابن ست تصبُّح منه العبادة إذا كان ذا تميز ، على أن عبادة مثله هي التعظيم والإجلال وخشوع القلب ، واستخذاء الجوارح إذا شاهد شيئاً من جلال الله سبحانه وآياته الباهرة ، ومثلُ هذا موجود في الصبيان .

وقُتِلَ عليه السلام ليلة الجمعة لثلاث عشرة بقين من شهر رمضان ، سنة أربعين في

رواية أبي عبد الرحمن السلمي^(١) - وهي الرواية للشهيرة - وفي رواية أبي مخنف أنها كانت لإحدى عشرة ليلة^(٢) يقين من شهر رمضان ، وعليه الشيعة في زماننا .
والقول الأول أثبت عند الحديث ، واليلة السابعة عشرة من شهر رمضان هي ليلة بدر ، وقد كانت الروايات وردت أنه يقتل في ليلة بدر ، عليه السلام . وقبره بالقرى .

وما يدعيه أصحاب الحديث - من الاختلاف في قبره ، وأنه نُحِل إلى المدينة ، أو أنه دفن في رحبة الجامع ، أو عند باب قصر الإمارة ، أو نَدَّ البعير الذي نُحِل عليه فأخذته الأعراب - باطل كله ، لا حقيقة له ، وأولاده أعرف بقبره ؛ وأولاد كل الناس أعرف بجمهور آلائهم من الأجانب ؛ وهذا القبر الذي يراه بنوه لما قَدِمُوا العراق ، منهم جعفر بن محمد عليه السلام وغيره من أكابرهم وأعيانهم .
وروى أبو الفرج في " مقاتل الطالبين " بإسناد^(٣) ذكره هناك أن الحسن عليه السلام لما سئل : أين دفنتم أمير المؤمنين ؟ قال : حَرَجْنَا بِهِ لَيْلًا مِنْ مَنْزِلِهِ بِالْكُوفَةِ ، حَتَّى مَرَرْنَا^(٤) بِهِ عَلَى سَعْدِ الْأَشْعَثِ ، حَتَّى أَتَيْنَاهُ بِهِ إِلَى الطَّهْرِ بِجَنْبِ الْقَرَى .
وسنذكر خبر مقتله عليه السلام فيما بعد .

فأما فضائله عليه السلام ؛ فإنها قد بلغت من العظم والجلالة والانتشار والاشتهار مبلغاً يَسْمُحُ معه التعرض لذكرها ، والتصدّي لتفصيلها ؛ فصارت كآل أبي السناء لعبيد الله بن يحيى بن خاقان وزير التوكل والعتيد : رأيتني فيما أنماطى من وصف فضلك ، كالخبر عن ضوء النهار الباهر ، والقمر الزاهر ، الذي لا يخفى على الناظر ؛ فأيقنت أنني حيث انتهى بي القول منسوب إلى العَجْر ، مقصّر عن الغاية ، فأنصرفت عن الثناء عليك إلى الدعاء لك ، ووكلت الإخبار عنك إلى علم الناس بك .

وما أقول في رجل أقرّ له أعداؤه وخصومه بالفضل ، ولم يمكنهم جحد مناقبه ،

(١) نقلها أبو الفرج في مقاتل الطالبين ، ٤٠ (٢) مقاتل الطالبين ص ٤٧ : « الحس » .

(٣) كذا في الأصول ومقاتل الطالبين والأجود : « مررنا » .

ولا كتمان فضائله ، فقد علمت أنه استولى بنو أمية على سلطان الإسلام في شرق الأرض وغربها ، واجتهدوا بكل حيلة في إطفاء نوره ، والتعريض عليه ، ووضع للمعاصي والمثالب ، ولعنوه على جميع المنابر ، وتوقدوا ماديحيه ، بل حبسوه وقتلوه ، ومنعوا من رواية حديث بعضهم فضيلة ، أو يرفع له ذكرا ، حتى حظروا أن يسمى أحد باسمه ؛ فإذ زاده ذلك إلا رفة وسؤا ؛ وكان كالمسك كلما سُير انتشر عرقه ، وكلما كُتم تضرع نشره ؛ وكالشمس لا تُستر بأبراج ، وكضوء النهار إن حُجبت عنه عين واحدة ، أدركته هيون كثيرة .

وما أقول في رجل تُزَي إلى كل فضيلة ، ونتهي إليه كل فرقة ، وتتبعه كل طائفة ، فهو رئيس المعاني والمنازل ، وأبو خذرها ، وسابق مضارها ، ومجلى حلتها ؛ كل من بزغ فيها مده فنه أخذ ، وله آتني ، وعمل مثله احتذى .

وقد عرفت أن أشرف العلوم هو علم الإلهي ، لأن شرف العلم بشرف للعلوم ، ومعلومه أشرف للوجودات ، فكان هو أشرف العلوم ومن كلامه عليه السلام أقبح ، وعنه نقل ، وإليه انتهى ؛ ومنه ابتداء ، فإن المعتزلة^(١) - الذين هم أهل التوحيد والعدل ، وأرباب النظر ، ومنهم تعلم الناس هذا الفن - تلامذته وأصحابه ؛ لأن بيروم وأصل بن عطاء تلميذ أبي هاشم عبد الله بن محمد بن الحنفية^(٢) ، وأبو هاشم تلميذ أبيه ، وأبو تلميذه عليه السلام . وأما الأشعرية فإنهم ينتمون إلى أبي الحسن علي بن [إسماعيل بن]^(٣) أبي بشر الأشعري ، وهو تلميذ أبي علي الجبائي ، وأبو علي أحد مشايخ المعتزلة ؛ فالأشعرية ينتمون بأخيرة إلى أستاذ المعتزلة ومعلمهم ، وهو علي بن أبي طالب عليه السلام .

وأما الإمامية والزيدية فالتأؤم إليه ظاهر .

(١) انظر أمالي المرتضى ١ : ١٤٨ وما بعدها ؛ في كلام المؤلف من سند المعتزلة إلى علي عليه السلام .

(٢) هو إمام الكيسانية ؛ وعنه انتقلت الشيعة إلى أبي العباس . تنقيح المقال ٢ : ٢١٢ .

(٣) من ابن خلكان ١ : ٣٢٦ .

ومن العلوم علم الفقه ، وهو عليه السلام أصله وأساسه ، وكل فقيه في الإسلام فهو عيال عليه ، ومستفيد من فقهه ؛ أما أصحاب أبي حنيفة كابي يوسف ومحمد وغيرهما فأخذوا عن أبي حنيفة ، وأما الشافعي فقرأ على محمد بن الحسن ، فیرجع فقهه أيضاً إلى أبي حنيفة ، وأما أحمد بن حنبل فقرأ على الشافعي ، فیرجع فقهه أيضاً إلى أبي حنيفة ؛ وأبو حنيفة قرأ على جعفر بن محمد عليه السلام ، وقرأ جعفر على أبيه عليه السلام ، وبتتبع الأسر إلى علي عليه السلام . وأما مالك بن أنس فقرأ على ربيعة الرأي ، وقرأ ربيعة على عكرمة ، وقرأ عكرمة على عبدالله بن عباس ، وقرأ عبدالله بن عباس على علي بن أبي طالب ^(١) ؛ وإن شئت فرددت ^(٢) إليه فقه الشافعي بقراءته على مالك كان لك ذلك ؛ فهو لأهل الفقهاء الأربعة .

وأما فقه الشيعة فرجوعه إليه ظاهر . وأيضاً فإن فقهاء الصحابة كانوا : عمر بن الخطاب وعبد الله بن عباس ؛ وكلاهما أخذ عن علي عليه السلام . أما ابن عباس فظاهر ، وأما عمر فقد عرّف كل أحد رجوعه إليه في كثير من المسائل التي أشكلت عليه وعلى غيره من الصحابة ، وقوله غير مرّة : « لولا علي لهلك عمر » ، وقوله : « لا بقيت لمصلحة ليس لها أبو الحسن » ، وقوله : « لا يفتين أحد في المسجد على حاصر » ؛ فقد عرّف بهذا الوجه أيضاً انتهاء الفقه إليه . وقد روت العامة والخاصة قوله صلى الله عليه وآله : « أقصاكم على » ^(٣) ، والقصاص هو الفقه ؛ فهو إذا أقصاهم . وروى الكل أيضاً أنه عليه السلام قال له وقد بعثه إلى اليمن قاضياً : « اللهم اهد قلبه وثبت لسانه » ، قال : « فما شككت بعدها في قضاء بين اثنين » ^(٤) .

(١) ب : « عن علي » . (٢) في الأصول : « رددت » .

(٣) نقله السيوطي في الجامع الصغير ١ : ٨٨ عن مسد أبي بصل بن بقط : « أرفأ أمي بأمي أبو بكر ، وأشدم في دين الله عمر ، وأمد لهم حياة علي ، وأقصاكم على ... » وصححه .

(٤) رواه أبو داود في كتاب الأضحية ٣ : ٤٠٩ بسنده عن علي ، ونقله : يثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى اليمن قاضياً فقلت : يا رسول الله ، ترسلني وأنا حديث السن ، ولا علم لي بالقضاء ، فقال : « إن الله سيهدي قلبك ويثبت لسانك ، فإذا جلس بين يديك الخصمان فلا تقضين حتى تسمع من الآخر كما سمعت من الأول ، فإنه أحرى أن يبين لك القضاء » ، قال : « فارت قاضياً - أو ما شككت في قضاء بعد » .

وهو عليه السلام الذي أفق في المرأة التي وضعت لسته أشهر ، وهو الذي أفق في الحامل الزانية^(١) ؛ وهو الذي قال في النبوة^(٢) : صار كمنها تسما . وهذه المسألة لو فكر القارئ فيم فكراً طويلاً لاستحسن منه بعد طول النظر هذا الجواب ، فإفكك بمن قاله بديهة ، واتعصبه ارتحالاً !

ومن العلوم علم تفسير القرآن ، وعنه أخذ ، ومنه فرغ . وإذا رحت إلى كتب التفسير علمت صحة ذلك ؛ لأن أكثره عنه وعن عبد الله بن عباس ، وقد علم الناس حال ابن عباس في ملازمته له ، وانقطاعه إليه ، وأنه تلميذه وحرّجه . وقيل له : أين علمك من علم ابن عمك ؟ فقال : كنيشة قطرة من المطر إلى البحر المحيط .

ومن العلوم علم الطريقة والحقيقة وأحوال المتصوف ؛ وقد عرفت أن أرباب هذا الفن في جميع بلاد الإسلام إليه ينهبون ، وهذه يقفون ، وقد صرح بذلك الشُّلِّي ، والجُنَيْد ، ومُتَرِي^(٣) ، وأبو يزيد البسطامي ، وأبو منصور معروف الكرخي ؛ وغيرهم . ويكفيك دلالة على ذلك الخيرة^(٤) التي هي شعارهم إلى اليوم ، وكوّنهم بسندونها بإسناد متصل إليه عليه السلام .

(١) ذكر القرطبي في تفسيره ١٦ : ١٩٣ ؛ عند الكلام على تفسير قوله تعالى : ﴿ وَحَمَلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا ﴾ أن عثمان قد آق بإمرأة قد وفدت لسته أشهر ، فأراد أن يفرض عليها بالمد ، فقال له على رضي الله عنه : ليس ذلك عليها ، قال الله تعالى : ﴿ وَحَمَلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا ﴾ .

(٢) سميت النبوة ؛ لأنه سئل عنها وهو على النبر ؛ فأفق من خبر روية ؛ وبيانها أنه سئل في ابنتين وأبوين وامرأة ؛ فقال : صار كمنها تسما ، قال أبو عبد : أراد أن السهام طالت حتى صار للمرأة التسع ، ولها في الأصل الثس ؛ وذلك أن الفريضة لو لم تمل كانت من أربعة وعشرين ، فلما طالت صارت من سبعة وعشرين ، للملائكة الثمان : ستة عشر سها ، وللأبوين الدسان : ثمانية أسهم ، وللرأة ثلاثة من سبعة وعشرين ؛ وهو التسع ، وكان لها قبل المول ثلاثة من أربعة وعشرين ؛ وهو الثس . وانظر النهاية لابن الأثير ٣ : ١٣٩ ، واللسان ١٣ : ٥١٢ ، وحاشية القرطبي على متن الرحية ٣٤ .

(٣) هو سري بن المنلى السطلي ؛ حال الحيد وأستاذ ، وصاحب معروف الكرخي ؛ وأول من تكلم بيقين في شأن التوحيد وحقائق الأحوال . مات سنة ٢٥١ . (طبقات الصوفية للطنلي ص ١٨)
(٤) فصل السهروردي في الباب الثاني عشر من كتابه عوارف المعارف (٤ : ١٩١ وما بعدها - على هامش الإحياء) الكلام في شرح خيرة الشايخ الصوفية ولبها .

ومن العلوم علم النحو والعربية ؛ وقد علم الناس كافة أنه هو الذي ابتدعه وأنشأه ، وأتمى على أبي الأسود القول جوامعه وأصوله ، من جملة : الكلام كله ثلاثة أشياء : اسم وفعل وحرف ، ومن جملة تقسيم الكلمة إلى معرفة ونكرة ، وتقسيم وجوه الإعراب إلى الرفع والنصب والجر والجرم ^(١) ، وهذا يكاد يُلحق بالمعجزات ؛ لأن القوة البشرية لا تفي بهذا الحصر ، ولا تنهى بهذا الاستنباط .

وإن رجعت إلى الخصائص الحقيقية والفضائل النسانية والدينية وجدته ابن جلاها وطلاع ثنائها ^(٢)

• • •

وأما الشجاعة فإنه أسمى الناس فيها ذكر من كان قبله ، وبها اسم من يأتي بعده ، ومقاماته في الحرب مشهورة بضربها الأمثال إلى يوم القيامة ؛ وهو الشعاع الذي سافر قط ، ولا ارتاع من كثبة ، ولا يبرز أحداً إلا قتله ؛ ولا ضرب ضربة قط فاحتاجت الأولى إلى ثانية ؛ وفي الحديث : « كانت ضرباً ثوراً » . ولما دعا معاوية إلى المبارزة ليستريح الناس من الحرب بقتل أحدهما ، قتل عمرو ^(٣) فقد انتفك ، قتال صارية : ما غشيتني منذ نصحتني إلا اليوم ، أنا مرنى بمبارزة أبي الحسن وأنت تعلم أنه الشعاع للطريق أراك طمعت في إمارة الشام بعدى ؛ وكانت العرب تفتخر بوقوفها في الحرب في مقابلته ، فأما قتلا فافتخارهم بأنه عليه السلام قتلهم أظهر وأكثر ، قالت أخت عمرو ابن عبدود ترثيه :

لو كان قاتلُ عمرو عسيراً قاتله بكيتُه أبداً ما دُمْتُ في الأبد ^(٤)

(١) معجم الأدباء ١٤ : ٢٠ - ٢١ . (٢) الناس من قول سقيم بن وهب الراحمي :

أنا ابنُ جَلَا وطلاعُ النِّسَاءِ متى أضعُ أَلِيَّامَةَ تُصْرِفُونِي

وابن جلا ، أى الواضح الأمر ؛ وطلاع النساء : كناية عن السمو إلى سائر الأمور ، والنهاي الأصل : جمع ثنية ، وهى الطريق في الجبل . وانظر الحان ١٨ : ١٦٥ .

(٣) من أبيات ذكرها صاحب الحان ٨ : ٣٩٥ . وروايته :

لو كان قاتلُ عمرو عسيراً قاتله بكيتُه ما أقامَ الرُّوحُ في جَسَدِي

لكن قاتله من لا يُعَابُ بِهِ وَكَانَ يُدْعَى قَدِيماً بيضة البليد

لكن قاتله من لا نظير له وكان يذم أبوه بيضة البهائم^(١)

وانتبه يوماً معاوية ، فرأى عبد الله بن الزبير جالساً تحت رجله على سريره فقد ، فقال له عبد الله يداعبه : يا أمير المؤمنين ، لو شئت أن أفثك بك لفعلت ، فقال : لقد شجبت بدننا يا أبا بكر ! قال : وما الذي تنكره من شجاعتى وقد وقفت في الصف إزاء علي بن أبي طالب ! قال : لا جرم ، إنه قتلك وأباك يسرى بدبه ، وبقيت اليمنى فارغة ، يطلب من يقتله بها .

وجملة الأمر أن كل شجاع في الدنيا إليه ينهى ، وباسمه يصادى في مشارق الأرض ومنازلها .



وأما القوة والأيد فيه يضرب المثل لهما : قال ابن قتيبة في " المعارف " : ما صارح أحداً قط إلا سرعه^(٢) . وهو الذي قنع بلسان خبير واجتمع عليه عصابة من الناس ليقبلوه فلم يقبلوه ؛ وهو الذي اقتلع هتل من أعلى الكعبة وكان عطياً جلياً ، وألقاه^(٣) إلى الأرض . وهو الذي اقتلع الصخرة العظيمة في أيام خلافة علي السلام بيده سد فجز الجيش كله عنها ، وأنبط^(٤) لاه من تحتها .



وأما السخاء والجود لحاله فيه ظاهرة ؛ وكان يصوم ويطوى ويؤثر بزاده ؛ وفيه أنزل : ﴿ وَبُطِّمُونَ أَلْعَمَامَ عَلَى حُبِّهِ مَشْكِينًا وَبَيْنِيَا وَأَسِيرَاهُ إِنَّمَا لَطَّيْمُكُمْ لِيُوجِهَ اللَّهُ لَا تَرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا ﴾^(٥) . وروى المفسرون أنه لم يكن يملك إلا أربعة دراهم ؛ فتصدق بدرهم ليلاً وبدرهم نهاراً ، وبدرهم سرّاً وبدرهم علانية ؛ فأنزل فيه : ﴿ الَّذِينَ

(١) بيضة البهائم ، يريد على من أبي طالب ، أي أنه فرد ليس مثله في الشرف كالبيضة التي هي تروكة وحدها ، ليس معها غيرها ، كذا فسر في اللسان .

(٢) المعارف ٢١٠ ، وهذا : « شديد الوثب قوى الصرب » .

(٣) ب : « فألقاه » . (٤) ب ج : « فأنبط » .

(٥) سورة الإنسان ٩ ، ١٠ .

يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً ^(١) .

وروى عنه أنه كان يسقي بيده لنخل قوم من يهود المدينة ، حتى تحلّت ^(٢) يده ، ويتصدق بالأجرة ، ويشد على بطنه حجرا .

وقال الشعبي وقد ذكره عليه السلام : كان أسخى الناس ؛ كان على الخلق الذي يحته الله : السخاء والجود ، ما قال : « لا » لسائل قط .

وقال عدوه رثيمه الذي يجتهد في وصيه وعيبه معاوية بن أبي سفيان ليحفن ^(٣) بن أبي محفن الصبي لما قال له : جئتك من عند أبجل الناس ، فقال : ويحك ! كيف نقول إنه أبجل الناس ، لو ملك بيتا من نبر وبيتا من ثبن لأخذ نبره قبل ثبنه .

وهو الذي كان يكتس بيوت الأموال ويصلي فيها . وهو الذي قال : يا صفراء ، وبأبيضاء ، غرسى غبرى ، وهو الذي لم يخف ميراثا ، وكانت الدنيا كلها بيده إلا ما كان من الشام .

و قد شئت من سدي

وأما الحلم والصفح فكان أحام الناس من ذنب ، وأصفعهم من سوء ؛ وقد ظهر صفة ما قلناه يوم الجمل ؛ حيث ظفر بمرؤان بن الحكم - وكان أعدى الناس له ، وأشدّهم بغضا - فصفح عنه .

وكان عبد الله بن الزبير يشتمه على رموس الأثهاد ، وخطب يوم البصرة فقال : قد أتاكم الوغد ^(٤) اللثيم علي بن أبي طالب . وكان علي عليه السلام يقول : مازال الزبير

(١) سورة البقرة ٢٧٤ ، والمفسرين في هذه الآية أسباب أخرى لنزول ، ذكرها القرطبي في التفسير ١٩ : ١٢٨ ، وانظر أيضا أسباب النزول لمواحدى ٢٣١

(٢) حلت يده ، أى تحن جفده وتعبير وظهر فيه ما يشه البثر من الصل بالأشياء الصلبة الخشنة ، ومنه حديث عائشة : أنها شكت لى على عمل يميها من الطمس . النهاية لابن الأثير ٤ : ٨٠

(٣) أورده القهقي في المتن من ٥٧٣ ، وقال : « وقد على معاوية » .

(٤) في ب : « الوغب » ، وهما بمعنى .

رجلاً منا أهل البيت حتى شبّ عند الله ، فظفر به يوم الجمل ، فأخذه أسيراً ، فصنع عنه ، وقال : اذهب فلا أريّك ؛ لم يردّه على ذلك .

وظفّر يسعید بن العاص بعد وقعة الجمل بمكة - وكان له عدوا - فأعرض عنه ولم يقل له شيئاً .

وقد علم ما كان من عاتية في أمره ، فلما ظفّر بها أكرمها ، وبثّ معها إلى المدينة عشرين امرأة من نساء عبد القيس عجميّين بالهائم وقلّدهن بالسيوف ، فلما كانت يبعص الطريق ذكرته بما لا يحور أن يذكّره ، وتأنّعت وقالت : هتلك سترى برجاله وجنده المدين وكلّهم بي . فلما وصلت المدينة أتى النساء عجميّين ، وقلن لها : إنا نحن نسوة . وحاربه أهل البصرة ، وصربوا وجهه ووجوه أولاده بالسيوف ، وشتموه ولعنوه ، فلما ظفّر بهم رفع السيف عنهم ، وبأذى متاديفل أقطار السكر : ^(١) ألا لا يتبع مول ، ولا يحمرّ على جريح ، ولا يقتل مسامراً ، ومن تلقى سلاحه فهو آمن ، ومن تحيز إلى عسكر الإمام فهو آمن . ولم يأخذ أثقالهم ، ولا سبي دراريهم ، ولا عيم شيئاً من أموالهم ، ولو شاء أن يفعل كلّ ذلك لفعل ، ولكنه أوى إلى الصّنع والمفو ؛ وتقبّل سنة رسول الله صلى الله عليه وآله يوم فتح مكة ، فإبه عدا والأحقاد لم تبرد ، والإساءة لم تُنفس .

ولما ملك عسكر معاوية عليه الماء ، وأحاطوا شريعة الفرات ، وقالت رؤساء الشام له : اقتلهم بالعطش كما قتلوا عثمان عطشاً ، سألم على عليه السلام وأصحابه أن يشرعوا ^(٢) لم شرب الماء ، فقالوا : لا والله ، ولا قطرة حتى تموت ظمأ كما مات ابن عفا ؛ فلما رأى عليه السلام أنه الموت لا محالة تقدّم بأصحابه ، وحمل على عساكر معاوية حملات كثيفة ، حتى أزالهم عن مراكزهم بعد قتل ذريع ؛ سقطت منه الرؤوس والأيدي ، وملكوا عليهم

(١) : ألا لا يتبع مول ، (٢) : كذا في الأ، و : ب : د يروا .

للماء ، وصار أصحاب معاوية في الفلاة ، لا ماء لهم ، فقال له أصحابه وشيعته : امنعهم الماء يا أمير المؤمنين كما منعوك ، ولا تسقيهم منه قطرة ، واقتلهم بسيوف المطش ، وخذم قصباً بالأبدى فلا حاجة لك إلى الحرب ، فقال : لا والله لا أكافئهم مثل فعلهم ، أفسحوا لهم عن بعض الشريعة ، ففي حدّ السيف ما ينفي عن ذلك . فهذه إن نسبتها إلى الحلم والصفح فتأهيك بها جمالا وحسنا ، وإن نسبتها إلى الدين والورع فأخلق بمثلها أن تصدر عن مثله عليه السلام !



وأما الجهاد في سبيل الله فمعلوم عند حديقته وهدوئه أنه سيد المجاهدين ؛ وهل الجهاد لأحد من الناس إلا له ! وقد عرفت أن أعظم عرلة غزاها رسول الله صلى الله عليه وآله وأشدها مكاية في الشركين بدر الكبرى ؛ فقتل فيها سبعون من الشركين ، قتل على نصمهم ، وقتل المسلمون والملائكة النص للآخر . وإذا رجعت إلى مغازي محمد بن عمر الواقدي وتاريخ الأشراف لأحمد بن يحيى بن جابر البلاء ذرى وغيرها علمت صحة ذلك ؛ دغ من قتله في غيرها كأحد وانلقدق وغيرها ؛ وهذا الفصل لاسمى للإطباب فيه ؛ لأنه من المعلومات الضرورية ، كالعلم بوجود مكة ومصر ونحوها .



وأما الفصاحة فهو عليه السلام إمام الفصحاء ، وسيد البلغاء ؛ وفي كلامه^(١) قيل :
 دون كلام الخالق ، وفوق كلام المحققين . ومنه تعلم الناس الخطأ والكتابة ، قال
 عبد الحميد بن يحيى : حفظت سبعين خطبة من خطب الأئمة ، فحافظت ثم قاضت .
 وقال ابن نثارة^(٢) : حفظت من الخطبة كثيراً لا يزيد الإتيان إلا سعة وكثرة ، حفظت
 مائة فصل من مواضع علي بن أبي طالب .

ولما قال محمد بن أبي مخنف لمعاوية : حثثك من عند أعيان الناس ، قال له : ويحك !

(١) ب : د وعن كلامه . (٢) مرصد المرحوم بن محمد بن محمد بن إسماعيل النارق الجفائي .

كيف يكون أهيا الناس ! فوالله ما سنّ النصيحة لقريش غيره . ويكفي هذا الكتاب الذي نحن شارحوه دلالة على أنه لا يجازى في الفصاحة ، ولا يبارى في البلاغة . وحسبك أنه لم يدوّن لأحد من فصحاء الصحابة العُشْر ولا نصف العُشْر عما دُوّن له ، وكذلك في هذا الباب ما يقوله أبو عثمان الجاحظ في مدحه في كتاب " البيان والتبيين " وفي غيره من كتبه .

وأما سباحة الأخلاق ، وبشر الوجه ، وطلاقة الهيأ والتبسم ، فهو المضروب به المثل فيه ؛ حتى عابه ذلك أعداؤه ؛ قال عمرو بن العاص لأهل الشام : إنه ذو دُعابة شديدة . وقال عليّ عليه السلام في ذلك : **بجهاً لابن النابغة ! يزعم لأهل الشام أن في دُعابة ، وأنى امرؤ يدُعابة ، أعافس وأمارس (١)** . وعمرو بن العاص إنما أخذنا عن عمرو ابن الخطاب لقوله له لما حزم على استخلافة : **يا أبا بكر لو لا دُعابة فيك ! إلا أن عمر اقتصر عليها ، وعمرو زاد فيها وسمجها .**

قال حصص بن صوحان وغيره من شيعته وأصحابه : كان غيتا كأحدنا ، لين جانب ، وشدة تواضع ، وسهولة قياد ، وكنا نهابه مهابة الأسير المربوط للسياق الواقف على رأسه . وقال معاوية لقيس بن سعد : **رحم الله أبا حن ؛ فقد كان مثا بشاً ، ذافكاه .** قال قيس : نعم ، كان رسول الله صلى الله عليه وآله يمزح ويتسم إلى أصحابه ، وأراك تُسرّ حسواً في ارتقاء (٢) ، وتسميه بذلك ! أما والله لقد كان مع تلك الفكاهة والطلاقة أهيب من ذي لبنتين قد منه الطوى ؛ تلك هيبة التقوى ، وليس كما يهابك طغام أهل الشام .

(١) التلابة ، بفتح التاء وكسرهما : الكثير اللعب واللح . والملاحة : اللامعة أيضاً . والممارسة : ملاعبة النساء . والخبر أورده ابن الأثير في النهاية ١ : ١١٧ ، و ٣ : ٥٩ ، و ١١٠ ، و ٤ : ٨٩ ، و ٥٩ .
(٢) في اللؤلؤ : هو يسر حسواً في ارتقاء ، يضرب لمن يظهر أمراً وهو يريد غيره . الحان ١٩ : ٤٦ .

وقد بقي هذا المخلوق متوارثاً متناقلًا في محبة وأوليائه إلى الآن ، كما بقي الجفاء والخشونة والوعورة في الجانب الآخر ، ومن له أدنى معرفة بأخلاق الناس وعوائدهم يعرف ذلك .

وأما الزهد في الدنيا فهو سيد الزهاد ، وبذل الأبدال ، وإليه نشد الرجال ، وعنده تنفّض الأحلاس ؛ ما شجع من طعام قط . وكان أخشن الناس ما كلاً وملبساً ؛ قال عبد الله بن أبي رافع : دخلت إليه يوم عيد ، فقدم جِراً مأخوذاً ، فوجدنا فيه حنّاً شعير يابساً مرضوضاً ، فقدم ما كل ، فقلت : يا أمير المؤمنين ، فكيف نحتيه ؟ قال : حنت هذين الولدين أن يلتآه سمن أو زيت .

وكان ثوبه مرقوعاً محله تارة وليب آخرى ، وبصلاه من ليف . وكان يابس الكرياس^(١) المايط ، فإذا وجد كه طويلاً قطع بشرة ، ولم يحيطه ، فكان لا يزال متساقطاً على ذراعيه حتى يبقى سدى لا تحية له . وكان يأتهم إذا اتهم محل أو مملع ، فإن ترقى عن ذلك فبعض بيات الأرض ، فإن ارتفع عن ذلك فقليل من ألبان الإبل . ولا يأكل اللحم إلا قليلاً ، ويقول : لا تحملوا بطونكم مقار الحيوان . وكان مع ذلك أشد الناس قوة وأظلمهم أيداً ، لا ينقص^(٢) الجوع قوته ، ولا يحوّن^(٣) الإقلال مُنته . وهو الذي طلق الدنيا ، وكانت الأموال تُحبى إليه من جميع بلاد الإسلام إلا من الشام ، فكان يهرقها ويمرقها ، ثم يقول :

هــلّا جَنّأى وجِبْرُهُ فيه إِذْ كُلَّ جانٍ يَدُهُ إلى فيه^(٤)

(١) الكرياس بالكسر : ثوب من القطن الأبيض ، صعب .

(٢) ب : ج : هـ : ينقص .

(٣) يحوّن : ينقص ، وفي ب : « يحور » ، وما أنقته عن أ : ج .

(٤) البيت أشده عمرو بن عدي حين كان غلاماً ، وكان يخرج مع المـدم يحسون لملك (حديقة الأبرش) الكماء ، فكانوا إذا وجدوا كماء جباراً أكلوها وأبوا باساقى إلى الملك ، وكان عمرو لا يأكل منه ، وبأقنى به كاهو ، وبشد البيت . وأصل القاموس ٣ : ٢٥٩ - ٢٦٠ ، وحديث علي ورد مفصلاً في حلية الأولياء ١ : ٨١ .

وأما العبادة فكان أعبد الناس وأكثرهم صلاة وصوماً ؛ ومنه تعلم الناس صلاة الليل ، وملازمة الأوراد وقيام النافلة ؛ وما خلّك رجل يبلغ من محافظته على ورده أن يُبْسَطَ له نِعَمٌ بين الصّفين ليلة المبرر ، فيصل عليه ورده ، والسهام تقع بين يديه وتجر على صياخيه يمينا وشمالا ، فلا يرتاع لذلك ، ولا يقوم حتى يفرغ من وظيفته ؛ وما خلّك رجل كانت جبهته كثيفة البعير لطول سجوده !

وأنت إذا تأملت دعوائه ومناجائه ، ووقفت على ما فيها من تمظيم الله سبحانه وإجلاله ، وما يتضمنه من المصوع لهيبه ، والخشوع لعرّنه والاستخداء له ، عرفت ما ينطوي عليه من الإحلاس ، وفهمت من أى قلب حرحت ، وعلى أى لسان جرت ؛ وقيل لعلّ بن الحسين عليه السلام كان القاية في العبادة ؛ أين عبادتك من عبادة جدّك ؟ قال : عبادتي عند عبادة جدّي كعبادة جدّي عند عبادة رسول الله صلى الله عليه وآله .

وتمت بحمد الله

• • •

وأما قراءته القرآن واشتغاله به فهو المنصور إليه في هذا الباب ؛ اتفق الكل على أنه كان يحفظ القرآن على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله ، ولم يكن غيره يحفظه ، ثم هو أول من جمعه ؛ نقلوا كلهم أنه تأخر عن بيعة أبي بكر ، فأهل الحديث لا يقولون ما تقوله الشيعة من أنه تأخر مخالفة للبيعة ؛ بل يقولون : تشاغل بجمع القرآن ؛ فهذا يدل على أنه أول من جمع القرآن ؛ لأنه لو كان مجموعاً في حياة رسول الله صلى الله عليه وآله لما احتاج إلى أن يتشاغل^(١) بجمعه بعد وفاته صلى الله عليه وآله . وإذا رجعت إلى كتب القراءات وجدت أئمة القراء كلهم يرجعون إليه ؛ كأبي عمرو بن العلاء وعاصم ابن أبي النجود وغيرها ؛ لأنهم يرجعون إلى أبي عبد الرحمن السلمي القاري ،

(١) ب : « تشاغل » .

وأبو عبد الرحمن كان تلميذه ، وعنه أخذ القرآن ؛ فقد صار هذا الفن من الفنون التي تقهى إليه أيضاً ، مثل كثير مما سبق .

وأما الرأي والتدبير فكان من أسدِّ الناس رأياً ، وأصحهم تدبيراً ؛ وهو الذي أشار على عمر بن الخطاب لما عزم على أن يتوجه بنفسه إلى حرب الروم والفرس بما أشار . وهو الذي أشار على عثمان بأمور كان صلاحه فيها ، ولو قبلها لم يحدث عليه ما حدث . وإنما قال أعداؤه : لا رأي له ؛ لأنه كان متقيداً بالشرعية لا يرى خلافها ، ولا يصل بما يقتضيه الدين تحرره . وقد قال عليه السلام : لولا الدين والتقى لكانت أدهى العرب . وغيره من الخلفاء كان يصل بمقتضى ما يستلحيه ويستوفقه ؛ سواء أكان مطابقاً للشرع أم لم يكن ؛ ولا ريب أن من يصل بما يؤذى الله اجتباؤه ، ولا يقف مع ضوابط وقواعد يتسع لأجلها بما يرى الصلاح فيه ، تكون أحواله الدنيوية إلى الانسلاخ أقرب ، ومن كان بخلاف ذلك تكون أحواله الدنيوية إلى الانسلاخ أقرب .

وأما السياسة فإنه كان شديد السياسة ، خشياً في ذات الله ، لم يراقب ابن عمه في حمل كان ولأهله ، ولا راقب أخاه عقيلاً في كلام جتته به . وأحرق قوماً بالنار ، ونقض دار متفلة بن حبيزة ودار جرير بن عبد الله السجلى ، وقطع جماعة وصلب آخرين . ومن جملة سياسته في حروبه أيام خلافة الجبل وصيفين والنهروان ، وفي أقل القليل منها مفتح ، فإن كل سائس في الدنيا لم يبلغ فككه وبعثه وانتقامه مبلغ الشرعياً فعل عليه السلام في هذه الحروب بيده وأهوائه .

فهذه هي خصائص البشر وسزاياهم قد أضعنا فيها الإمام للتعبد فعله ، والرئيس للفتنى أثره .

وما أقول في رجل يحب أهل الآفة على تكذيبهم بالنبوة ، وتعظمه الفلاسفة على معاندتهم لأهل اللذة ، وتصور ملوك الفرنج والروم صورته في بيوت عبادتها ،

حامل سيفه ، مشتراً لحربه ، وتصور ملوك الترك والذين لم صورته على أسياها ا كان على سيف عضد الدولة بن بويه وسيف أبيه ركن الدولة صورته ، وكان على سيف إلب أرسلان وابنه ملكشاه صورته ، كأنهم يتفالمون به النصر والظفر .

وما أقول في رجل أحب كل واحد أن يتكثر به ، وود كل واحد أن يجعل ويحسن بالانساب إليه ؛ حتى الفتوة التي أحسن ما قيل في حذها ألا تستحسن من نفسك ما تستقبه من غيرك ، فإن أربابها نسبوا أنفسهم إليه ، وصنفوا في ذلك كتباً ، وجعلوا لذلك إسناداً أهواؤه إليه ، وقصروه عليه ، وسموه سيد القتيان ، وعضدوا مذهبهم إليه بالبيت للشهور المروى ، أنه سُمع من السماء يوم أحد :

لا سيف إلا ذو الفقار ، ولا فتى إلا علي

وما أقول في رجل أبوه أبو طالب سيد الطعام ، وشيخ قريش ، ورئيس مكة ، قالوا : قل أن يسود قدير وساد أبو طالب وهو ظهر لأماله ، وكانت قريش تسميه الشيخ . وفي حديث عفيف الكندي ، لما رأى النبي صلى الله عليه وآله يصلي في مبدأ الدعوة ، ومعه غلام وامرأة ، قال : قلت لعماس : أي شيء هذا ؟ قال : هذا ابن أخي ، يزعم أنه رسول من الله إلى الناس ، ولم يتبعه على قوله إلا هذا العلام - وهو ابن أخي أيضاً - وهذه المرأة ، وهي زوجته - قال : قلت : ما الذي تقولونه أنتم ؟ قال : ننظر ما يفعل الشيخ - يعني أبا طالب . وأبو طالب هو الذي كفل رسول الله صلى الله عليه وآله صغيراً ، وحماه وحامله كبيراً ، ومنعه من مشركي قريش ، وإتي لأجله عتقاً عظيماً ، وقاسى بلاء شديداً ، وصبر على نصره والقيام بأمره . وجاء في الخبر أنه لما توفى أبو طالب أوجى إليه عليه السلام وقيل له : اخرج منها ، فقد مات ناصرك .

وله مع شرف هذه الأموة أن ابن عمه محمد سيد الأولين والآخرين وأخاه جعفر ذو الجناحين ، الذي قال له رسول الله صلى الله عليه وآله : «أشبهت خلقي وخلقى» ، فرى يجعل

فرحاً ؛ وزوجته سيّدة نساء العالمين ، وابنيه سيّدا شباب أهل الجنة ؛ فأبائوه آباء رسول الله ، وأمهاته أمهات رسول الله ، وهو مسوط بلحمه ودمه ، لم يفارقه منذ خلق الله آدم ، إلى أن مات عبد المطلب بين الآخرين عبد الله وأبي طالب ؛ وأمهما واحدة ، فكان منهما سيّد الناس ؛ هذا الأول وهذا الثاني ، وهذا المذر وهذا الهادي !

وما أقول في رجل سبق الناس إلى الهدى ، وآمن بالله وعبدّه وكلّ من في الأرض بمبدأ الحجر ، ويحصد الخالق ؛ لم يسبقه أحد إلى التوحيد إلا السابق إلى كلّ خير محمد رسول الله صلى الله عليه وآله .

ذهب أكثر أهل الحديث إلى أنه عليه السلام أول الناس اتباعاً لرسول الله صلى الله عليه وآله إيماناً به ، ولم يخالف في ذلك إلا الأتقيون . وقد قال هو عليه السلام : أنا الصديق الأكبر ؛ وأما العاروق الأول ، أئمة قبل الإسلام ، وصليت قبل صلاتهم . ومن وقف على كتب أصحاب الحديث يحدّق في ذلك وعلمه واصحاً . وإليه ذهب الواقدي وابن جرير الطبري ، وهو القول الذي رجّحه وتصرّح صاحب كتاب " الاستيعاب " (١) . ولأنّا إنما ذكر في مقدمة هذا الكتاب جملة من قصائده عمت بالعرض لا بالتصدي ؛ وجب أن مختصر وتقتصر ، فلو أردنا شرح مناقبه وخصائصه لاحتجنا إلى كتاب مفرد يماثل حجّهم هذا بل يزيد عليه ، وبالله التوفيق (٢) .

(١) الاستيعاب لابن عبد البر التري القرطبي ٤ : ٤٥٧ .

(٢) واطر ترجمته وأخاره أيضاً في أسد الغابة ١ : ١١٠ - ١٠ ، والاستيعاب ٣ : ١٠٨٩ - ١١٢٣ والإمامة ٤ : ٢٦٩ - ٢٧١ ، وإمام الرواة ١ : ١٠ - ١٢ ، وتاريخ الإسلام للهبي ٢ : ١٩١ - ٢٠٧ ، وتاريخ بغداد ١ : ١٣٣ - ١٣٨ ، وتاريخ أبي الصدا ١ : ١٨١ - ١٨٢ ، وتاريخ الطبري ٦ : ٨٨ - ٩١ ، وتاريخ ابن كثير ٧ : ٣٣٢ - ٣٦١ ، و ٨ : ١ - ١٣ ، وتذكرة الحفاظ ١ : ١٠ - ١٣ ، وتهذيب الاسماء والصفات ١ : ٣٤٤ - ٣٤٩ ، وتهذيب التهذيب ٧ : ٣٣٤ - ٣٣٩ ، وحلية الأولياء ١ : ٦١ - ٨٧ ، ودرر النضر ٢ : ١٥٣ - ٢٤٩ ، وشذرات الذهب ١ : ٤٩ - ٥١ ، وصفوة الصفوة ٣ : ١١٩ - ١٤٤ ، وطفقات ابن سعد ٢ : ٣٣٧ - ٣ / ١٩ : ١٢ : ٦ ، وطفقات القراء لابن المبري ١ : ٥٤٦ - ٥٤٧ ، وشرح الذهب ٢ : ٤٥ - ٥٠ ، والعارف ٢٠٣ - ٢١٨ ، ومعجم الأبناء ١٤ : ٤١ - ٥٠ ، ومعجم الشعراء ٢٧٩ - ٢٨٠ ، ومقاتل الطالبين ٧٤ - ٤٥ ، والنجوم الزاهرة ١ : ١١٩ - ١٢٠ .

القول في نسب الرضى أبى الحسن رحمه الله وذكر طُرف من خصائصه ومناقبه

هو أبو الحسن محمد بن أبى أحمد الحسين بن موسى بن محمد بن موسى بن إبراهيم
ابن موسى بن جعفر الصادق عليه السلام . مولده سنة تسع وخمسين وثلثمائة .

وكان أبوه النقيب أبو أحمد حليلاً لقدر ، عظيم المنزلة في دولة بنى العباس ودولة
بنى بُوَيَّه ، ولقب بالطاهر ذى المناقب ، وخاطبه بهاء الدولة أبو نصر بن بويه بالطاهر الأوحى ،
وولى نقابة الطالبين خمس دفعات ، ومات وهو متقلداً بعد أن حالته الامراض ، وذهب
نصره ، وتوفى عن سبع وتسعين سنة ، ^{فإن مؤلفه كان في سنة أربع وثلثمائة ، وتوفى سنة}
أربعمائة . وقد ذكر أبوه الرضى أبو الحسن ^{كتبه عنه في قصيدته التي رثاه بها ، وأولها :}

وَمِمَّنْكَ حَالِيَةُ الرِّيحِ ^{ثَلَاثِينَ} سَهْبَتُكَ سَاقِيَةُ الْعَمَامِ الرُّزِيمِ ^(١)

سَمِعَ وَتَسْمَعُونَ اهْتِلَنَ لَكَ الْيَدَا حَتَّى مَضَوْا وَعَبَرْتَ غَيْرَ مَذْمُومٍ

لَمْ يَلْحَقُوا فِيهَا أَشَاؤُكَ بَقْدَمًا أَمَلُوا مَعَاظِهِمْ اعْتِرَاضُ الْأَزْلَمِ ^(٢)

إِلَّا بَقَايَا مِنْ غُيَّارِكَ أَصْبَحْتَ عُصَمَاءَ وَأَقْدَاءَ لَمِينٍ أَوْ فَمٍ

إِنْ يَتَسَمَعُوا عَقَبَتِكَ فِي طَلَبِ الْعَلَا فَالذَّنْبُ يَعْثِلُ فِي طَرِيقِ الصَّيْغَمِ ^(٣)

ودفن النقيب أبو أحمد أولاً في داره ، ثم نقل منها إلى مشهد الحسين عليه السلام .
وهو الذى كان السفير بين الخلفاء وبين الملوك من بنى بُوَيَّه والأمراء من بنى تَمِيمٍ
وغيرهم . وكان مبارك الغرة ميسون النقية ، مهيئاً نبلاً ؛ ماشرع في إصلاح أمر قاسد

(٢) الأرم : الدهر .

(١) ديوانه ، لوحه ١٥٣ .

(٣) على الذنب : مضى مسرعاً واضطرب و عدوه .

إلا وصّاح على يديه ، واعتظم بحسن سفارته ، وبركة رحمة ، وحسن تديره ووساطته .
ولاستعظام عضد الدولة أمره ، وامثلاء صدره وعينه به حين قدم العراق ما^(١) كقبض عليه
وحمله إلى القلعة بفارس ؛ فلم يزل بها إلى أن مات عضد الدولة ، فأطلقه شرف الدولة
أبو الفوارس شيرذيل بن عضد الدولة ، واستصعبه في جلته حيث قدم إلى بغداد ، وملك
الحضرة . ولما توفى عضد الدولة ببغداد كان عمر الرضى أبي الحسن أربع عشرة سنة ،
فكتب إلى أبيه وهو معتقل بالقلعة بشيراز :

أَبْلِنَا عَنْ الْحَيْنِ الْوَكَا أَنْ ذَا الطُّودِ بَعْدَ عَهْدِكَ سَاخَا^(٢)
وَالشَّهَابِ الَّذِي اصْطَلَبْتَ لَهَاءَ مَكَّتَتْ ضَوْءُهُ الْخَطُوبُ فَبَاخَا^(٣)
وَالْقَنَيقَ الَّذِي تَذَرَعُ طُلُوبُ الْإَرْضِ خَوْسِي بِهِ الرَّدَى وَأَمَاخَا^(٤)
إِنْ يَرِدُ مَوْرِدَ الْقَذَى وَهُوَ رَاضٍ^(٥) مَا يَكْرَعُ الزَّلَالُ النَّقْصَاخَا^(٦)
وَالْعُقَابُ الشَّوَاءَ أَحْبَبْتُهَا النَّبِيقَ^(٧) وَقَدْ أُرْعَتِ النُّجُومُ صِيَاخَا^(٨)
أَجْلَتْهَا لِلنُّونِ عَمَّا وَلَكِنْ حَلَفْتُ فِي دِيَارِنَا أَفْرَاخَا
وَعَلَى ذَاكَ فَارْمَانُ بِهِمْ مَا دَعَلَامًا مِنْ بَعْدِ مَا كَانَ شَاخَا

وأم الرضى أبي الحسن فاطمة بنت الحسين [بن أحمد]^(٩) بن الحسن الناصر الأصم ،
صاحب الدين ، وهو أبو محمد الحسن بن علي بن الحسن بن علي بن عمر بن علي
ابن أبي طالب عليهم السلام . شيخ الطالبين وعالمهم وزاهدهم ، وأديبهم وشاعرهم ،

(١) ما هنا مصدرة .

(٢) لوحة ١٨٢ ، والأرك : الرسالة .

(٣) باخ : سكن وقد .

(٤) القنيق في الأصل : التعلل للكرم لا يؤذى لكرامته على أمه ولا يرك .

(٥) النقاخ : البارد الذنب الصافي .

(٦) الشوواء من وصف الطاب ؛ قيل لها ذلك لفضل في متارها الأعلى على الأسفل . والنيق : حرف

من حروف الجبل .

(٧) نكة من أ ، ج .

ملك بلاد الديلم والجل ، ويلقب بالناصر قعق ، جرت له حروب عظيمة مع السامانية ،
وتوفي بطبرستان سنة أربع وثلاثمائة ، ومنه تسع وسبعون سنة . وانتصب في منصبه الحسن
ابن القاسم بن الحسين الحسى ؛ ويلقب بالداعى إلى الحق .
وهى أم أخيه أبى القاسم على المرتضى أيضاً .

وحفظ الرضى رحمه الله القرآن بعد أن جاوز ثلاثين سنة في مدة يسيرة ، وعرف من
الفقه والقوانين طرفاً قوياً . وكان رحمه الله عالماً أديباً ، وشاعراً مُفليحاً ، فصيح النظم ، ضخم
الألفاظ ، قادراً على القريض ، متمسكاً في فنونه ؛ إن قصيد الرقة في النسيب أتى بالمعجب
المعجب ، وإن أراد القضاة وجزالة الألفاظ في المدح وغيره ^(١) أتى بما لا يُشَقُّ فيه خبارة ،
وإن قصيدة في المرائى جاء سابقاً والشعراء منقطعاً ^(٢) لها أسرها على آثره . وكان مع هذا متروكلاً
ذا كتابة قوية . وكان حفيظاً شريف النفس ، عالي الهمة ، ملتزماً ^(٣) بالدين وقوانينه ،
ولم يقبل من أحد ريلة ولا جائزة ، حتى إنه ردت جليلات أبيه ^(٤) لمرئاهيك بذلك شرف نفسه ،
وشدة ظلف ^(٥) . فأما بنو بويه فإنهم اجتهدوا على قبوله صلاتهم فلم يقبل .

وكان يرضى بالإكرام وصيانة الجانب وإعزاز الأتباع والأصحاب . وكان الطائع ^(٦)
أكثر ميلاً إليه من القادر ^(٧) ؛ وكان هو أشد حباً وأكثراً ولاءً للطائع منه للقادر ؛ وهو
القاتل للقادر في قصيدته التي مدحه بها ، منها :

(١) ساقطة من أ

(٢) ب ، ج : « مستزماً » وما أتبعه من أ

(٣) الظلف ، من ظلف نفسه عن الشيء بظلفها ظلفاً : منها بما إليه تميل .

(٤) هو أبو بكر عبد الكريم الطالع لأمراته ؛ يوم الخلافة له سنة ٣٦٣ ؛ ثم خلع ، ولحق عليه
الديلم سنة ٣٨١ ، وبويع لأخيه القادر ؛ لحمل إليه الطالع ، وفق منه له أن يول سنة ٣٩٣ . النجاشي :
٢٥٤ ، وابن الأثير حوادث ٣٨١ .

(٥) هو أبو العباس أحمد بن إسحاق بن القادر ، المعروف بالقادر ؛ يوم له بالخلافة بعد خلع أخيه ؛
وتول سنة ٤٢٧ . النجاشي : ٢٥٤ .

ومنه قوله :

مَتَى تَرَانِي مُشِيعًا فِي أَوَائِلِهِمْ يَطْفُونِي النَّفْعُ أَحْيَانًا وَيُخَفِّنِي ^(١)
[لَتَنْظُرَنِي مُشِيعًا فِي أَوَائِلِهَا بسبب النفع أحيانًا ويُبْدِيَنِي] ^(٢)
لَا تَسْرِفُونِي إِلَّا بِالطَّمَّانِ وَقَدْ اضْعَى لَتَأْمِي مَتَّصُوبًا بِمِرْنِي ^(٣)

ومنه قوله يعني نفسه :

فَوَاعَجَبًا مِمَّا يَنْظُنْ عَمْدُ وَلَقَدْ نُنُّ فِي بَعْضِ الْمَوَاطِنِ غَدَارُ ^(٤)
يُؤْتَلُ أَنْ لَلْكَ طَوْعُ عَيْنِهِ ^(٥) وَمِنْ دُونِ مَا يَرْجُو الْقَدَرُ أَقْدَارُ
لَنْ هُوَ أَغْنَى لِلْحَلَاةِ لَيْتَ لَهَا طَرٌُّ فَوْقَ الْجَبِينِ وَإِطْرَارُ
وَرَامَ الْعَلَا بِالشَّعْرِ وَالشَّعْرَ دَائِبًا يَفْنَى النَّاسَ شَعْرٌ خَامِلُونَ وَشُعَارُ ^(٦)
وَأَنِّي أَرَى زَنْدًا تَوَارَ قَدْخُهُ وَمَا أَنْ تَكُونَ لَهُ نَارُ
ومنه قوله ^(٧)

لَا مَمَّ قَلْبِي بِرُكُوبِ الْعَلَا ^(٨) وَلَا بَلَّتْ بَدْيِي بِالشَّجَاعِ ^(٩)

(١) ديوانه ص ٢٢ - (مطبوعة نخه الأحبار) ، من قصيدة يذكر فيها النفس على المذنبات ، وصف خروجها من النار سلبا ، وأنه حين أحس بالأمر مازد وزل دمه ، وتلوم من تلوم من القضاة والأشراف واليهود ، فاتهموا وأخذت ثيابهم . ومطاميرها :

لَوَاعِجُ الشُّوقِ تُخْطِئُهُمْ وَتُضَيِّبِي وَالْقَوْمُ فِي الْخُبِّ يَسَاهُمُ وَيُخْرِيبِي
وَلَوْ لَقُوا بَعْضَ مَا أَلْقَى نَعِيتُ بِهِمْ لَكَيْتَهُمْ سَلِمُوا يَمَّا يُعْطِي

(٢) هنا البيت لم يذكر في الأصول ؛ وهو من المطبوعة للمصرية والديوان .

(٣) الديوان : « إنا » .

(٤) ديوانه ، لوحة ٢١٤ ؛ وروايته : « غرار » ، وق : « بعض المواضع » .

(٥) الديوان : « يظن أن الملك » . (٦) شعر : جمع أشعر ، وهو كثير الشعر طوله .

(٧) ديوانه ، لوحة ٨٤ ، من قصيدة أولها :

نَبَّهْتُهُمْ بِشَلِّ عَوَالِي الرِّمَاحِ إِلَى الْوَعَى قَتَلَ نُمُومِ الصَّبَاحِ
فَوَلَّسْنَا نَالُوا أَلْمَى بِالْقَنَاصِ وَصَافَحُوا أَغْرَاضَهُمْ بِالْصَفَاحِ

(٨) الديوان : « ولا بل يدي » .

إِنْ لَمْ أَمْلِكْهَا بِاشْتِرَاطٍ كَمَا شئتُ عَلَى بَيْضِ الظُّلُمِ وَانْتِزَاحٍ^(١)
 أَخُوذُ مِنْهَا بِالْبَابِ الَّذِي يُعْنِي الْأَمَانِي كَيْفَهُ وَالْعُشْرَاحُ
 قَمَا الَّذِي يُقِمِدُنِي عَنْ مَدَى مَا هُوَ بِالْبَيْتِ وَلَا بِالْقَصَاحُ
 يَطْلُعُ مِنْ لَا يَجِدُ بِسُوءٍ لِي إِنْ أَعْدَرُ عِنْدَ الْعُلَاحُ
 أَمَا فَقَى نَالِ الثَّنَى فَاشْتَنَى أَوْ بَطَلُ ذَاكَ الرِّضَى فَاسْتَرَاحُ !

وفي هذه القصيدة ما هو أخشن منّا ، وأعظم نكايه ؛ ولكننا عدلنا عنه ونخطبناه ،
 كراهية لذكره . وفي شعره الكثير الواسع من هذا النمط .

وكان أبو إسحاق إبراهيم بن هلال الصائى^(٢) الكاتب له صديقاً ، وبينهما ألفة
 الأدب ووشائجه ، ومراسلات^(٣) ومكاتبات^(٤) بالشعر ، فكتب الصائى إلى الرضى في
 هذا النمط :

أَمَا حَسَنٌ لِي فِي الرُّجَالِ فِرَاسَةٌ تَمُودُتُ مِنْهَا أَنْ تَقُولَ قَصْدُكَ^(٥)
 وَقَدْ خَبَرْتَنِي عَنْكَ أَدَبٌ مَا جِدْتُ سَقَرْتُ إِلَى الْعِلْيَاءِ أَبَدَ مُرْتَقَى^(٦)
 فَوْفَيْتُكَ التَّعْظِيمَ قَبْلَ أَوَانِهِ وَقُلْتُ : أَطْلَلُ أَنَّ لِي يَدَ الْبَيْتِ

(١) الظلمى : جمع ظلمة ؛ وهو ضد اليقظ .

(٢) هو أبو إسحاق الصائى ، صاحب الرسائل المشهورة ، كان كاتب الإنشاء يفصاه عن الخليفة ، ومن
 من الدولة بختيار بن سز الدولة بن بويه الديلمى ؛ وكان صابغاً متشعباً في دينه ، وجهده عليه عز الدولة
 أن يعلم قلم يضل ؛ ولكنه كان يصوم شهر رمضان مع المسلمين ، ويحفظ القرآن الكريم أحسن حفظ ،
 ويستعمل في رسالته ؛ ولما مات ورثه الشريف بقصيدته الدالية المشهورة :

أَرَأَيْتَ مَنْ حَمَلُوا عَلَى الْأَعْوَادِ أَرَأَيْتَ كَيْفَ حَمَاهُ النَّادِي

وعابه الناس في ذلك لكونه شريفاً يرثى صابغاً ؛ فقال : إنما ربيت لعله . تولى سنة ٣٨٤ . (ابن
 خلكان ١ : ١٧٠) .

(١) ديوان الرضى ، لوحة ١٩٤ .

(٣) ب : ٥ ؛ وبينها مراسلات .

(٤) الديوان : ٥ من العباء .

وأضمرتُ منه لفظة لم أبيع بها إلى أن أرى إظهارها لي مطلقاً
فإن ميت أو إن عشتُ فاذكر يشارني وأوجب بها حقاً عليك محققاً
وكن لي في الأولاد والأهل حافظاً إذا ما أطان الجنب في مضجع البقا
فكتب إليه الرضى جواباً عن ذلك قصيدة ، أولها :

سَنَنْتَ لِهَذَا الرَّمَجِ غَرْباً مُدَقَّقاً وَأَجْرَيْتَ فِي ذَا الْهَيْدُوانِ رَوْحاً^(١)
وَسَوَّيْتَ ذَا الطَّرَفِ الْجَوَادَ وَأَتَمَّا^(٢) شَرَعْتَ لَهُ تَهْجاً فَغَبَّ وَأَعْتَقَا

وهي قصيدة طويلة ثابتة في ديوانه ، يمدُّ فيها غته ، ويمدُّ الصابي أيضاً ببلوغ آماله ،
إن ساعد الدهرُ وتمَّ الرلم . وهذه الأبيات أنكرها الصابي لما شاعت ، وقال : إني عملتها
في أبي الحسن علي بن عبد العزيز بن حاجب النعمان ، كاتب الطائع ، وما كان الأمرُ كما ادَّعاه ؛
ولكنه خاف على نفسه .



تتمة قصيدة

وذكر أبو الحسن الصابي^(٣) وابنه غرس النعمة محمد في تاريخهما أن القادر بالله عقد
عليهما أحمر فيه الطاهر أبا أحمد للوسوى وابنه أبا القاسم المرتضى وجماعة من القضاة
والشهود والعقلاء ، وأبرز إليهم أبيات الرضى أبي الحسن التي أولها :

مَأْمُقَامِي عَلَى الْهَوَانِ وَعَيْنِي يَقُولُ صَارِمٌ وَأَنْفُ تَجِي^(٤)
وَالْهَلْ تَخْلُقُ بِي مِنَ الصَّنِيعِ كَمَا زَانِغٌ طَائِرٌ وَخَشِي^(٥)
أَيُّ عُبْذِرَةٍ لِي الْمَجْدُ بِنَ ذَلِّ غَلَامٍ فِي غَسْبِهِ الْمَشْرِقِ

(١) ديوانه ، لوحة ١٩٤ .

(٢) الطرف : القوس الأصل .

(٣) هو هلال بن الحسن بن إبراهيم الصابي ، حفيد أبي إسحاق الصابي . ذكر صاحب كشف
الظنون ٧٩٠ أن ثابت بن مرة الصابي كتب تاريخاً سنة ١٩٠ إلى سنة ٣٦٣ ؛ وذبح ابن أخيه هلال
ابن حسن الصابي ، وانتهى إلى سنة ٤٤٧ ، وذبح ولده غرس النعمة محمد بن هلال ، ولم يتم .

(٤) ديوانه ٤٤٦ (مطبعة نجدة الأخبار) .

أُحِلُّ الضِّمُّ فِي بِلَادِ الْأَعْدَى ^(١) وَبِمِصْرَ الْخَلِيفَةُ الْعَلَوِيَّةُ
مَنْ أَبَوْهُ أَبِي وَمَوْلَاهُ مَوْلَايَ إِذَا ضَامَنِي الْبَعِيدُ الْقَعِيُّ
لَفَّ حِرْقِي بِمِرْقِهِ سَيِّدَا النَّاسِ جَمِيعًا : مُحَمَّدٌ وَعَلِيٌّ

وقال القادر للقيس أبي أحمد : قل لوليك محمد : أي هو ان قد أقام عليه عندنا !
وأي ضمير لقي من جنتنا ! وأي ذل أصابه في مملكتنا ^(٢) ! وما الذي يعمل معه صاحب
مصر لو مضى إليه ؟ أكان يصنع إليه أكثر من صنيعنا ^(٣) ؟ ألم نولّه الثَّغَابَةَ أَلَمْ نولّه المظالم !
ألم نستخلفه على الحرمين والحجاز وجعلناه أميرَ الحجيج ! فهل كان يحصل له من صاحب
مصر أكثر من هذا ! ما نفلته كان يكون - لو حصل عنده - إلا واحداً من أبناء الطالبين
بمصر . فقال القيس أبو أحمد : أما هذا الشعر فتعال نسمعه منه ، ولأربابنا بخطه ، ولا يبعد
أن يكون بعض أعدائه تحله إياه ؛ وعزاه إليه ، فقال القادر : إن كان كذلك ؛ فلتكتب
الآن محضراً يتضمن القَدَحَ في أسباب ولاية مصر ، ويكتب محمد خطه فيه . فكتب ^(٤)
محضراً بذلك ، شهد فيه جميع مَنْ حضر المجلس ؛ منهم القيس أبو أحمد وابنه الرضى ،
وحمل المحضر إلى الرضى ليكتب خطه فيه ، تحله أبوه وأخوه ، فامتنع من سطر ^(٥)
خطه ، وقال : لا أكتب ، وأخاف دماء صاحب مصر ، وأنكر الشعر ، وكتب خطه ،
وأقسم فيه أنه ليس بشعره ؛ وأنه لا يعرفه . فأجبره أبوه على أن يكتب ^(٦) خطه في
المحضر ، فلم يفعل ، وقال : أخاف دماء المصريين وغيلتهم لي ، فإنهم معروفون بذلك ،
فقال أبوه : يا عجبا ! أتخاف مَنْ بينك وبينه مائة فرسخ ، ولا تخاف مَنْ بينك وبينه
مائة ذراع ! وحلف ألا يكلمه ؛ وكذلك للرضى ، فعلا ذلك ثقة وخوفاً من القادر ،

(١) الفيوان : « ألبس القدر في ديار الأعادى » .

(٢) ب : « في مملكتنا » . (٣) ب : « ضيقتنا » .

(٤) ب : « فكتب محضر » ، بالبناء للجهول .

(٥) ب : « تطير » . (٦) ب : « سطر » .

وتسكيناً له . ولما انتهى الأمر إلى القادر سكت على صوته أضمره ، وبعد ذلك بأيام عرّفه عن النقابة ، وولاهما محمد بن عمر الهرسابي^(١) .

• • •

وقرأت محطّ محمد بن إدريس الحليّ الفقيه الإمامي ، قال : حكى أبو حامد أحمد بن محمد الإسفرايينيّ الفقيه الشافعيّ ، قال : كنت يوماً عند نضر الملك أبي غالب محمد بن خلف وزير بهاء الدولة ، وابنه سلطان الدولة ، فدخل عليه الرضى أبو الحسن ، فأعظمه وأجّله ورفع من منزلته ، وخطى ما كان بيده من الرقاع والقصص ، وأقبل عليه بمحادثته إلى أن انصرف ، ثم دخل بعد ذلك المرتضى أبو القاسم رحمه الله ؛ فلم ينظمه ذلك التعظيم ، ولا أكرمه ذلك الإكرام ، وتشاعل عنه رقايع يترجوها ، وتوقيعات يوقع بها ، فجلس قليلاً ، وسأله أمراً ففضاه ، ثم انصرف .



قال أبو حامد : فتقدّمتُ إليه وقبّلتُ له : أصلى الله الوزير ! هذا المرتضى هو الفقيه المتكلم صاحب المتنون ، وهو الأمثل والأفضل منهما ؛ وإنا أبو الحسن شاعر . قال : فقال لي : إذا انصرف الناس وخلا المجلس أجبتك من هذه للسّاعة .

قال : وكنت مجيئاً على الانصراف ، فجاءني أمرٌ لم يكن في الحساب ، فدعت الضرورة إلى ملازمة المجلس إلى أن تمّوض الناس واحداً فواحداً ، فلما لم يبق إلا غلامته وحجّابه ، دما بالطعام ، فلما أكلنا وغسل بدبه وانصرف عنه أكثر غلامته ، ولم يبق عنده غيري قال لخادم : هات الكتابين اللذين دفعتهما إليك منذ أيام ، وأمرتك أن تجعلهما في السّفط^(٢) للفلاني . فأحضّرهما ، فقال : هذا كتاب الرضى ، اتصل بي أنه قد ولد له ولد ، فأخذتُ إليه ألف دينار ، وقلت له : هذه للنقابة ، فقد جرت العادة أن يحيل الأصدقاء

(١) الهرسابي معسوب إلى نهر ساب ، فوق واسط يوم (بالوت) .

(٢) السّفط بالضم ، كالجوالق .

إلى أخلائهم وذوي مودتهم مثلاً هذا في مثل هذه الحال ؛ فردّها وكتب إلى هذا الكتاب
فاقرأه . قال : قراءته ، وهو اعتذار عن الرد ، وفي حُكته : إنا أهل بيت لا نطلع على
أحوالنا قابلة غريبة ؛ وإنما مجازنا يتولّين هذا الأمر من ناسنا ، ولئن تمّ يأخذن أجره ،
ولا يقبلن صلّة ؛ قال : فهذا هذا .

وأما المرتضى فإننا كنا قد وزعنا وقتنا على الأملاك بسادور يا تقسيطاً بصرفه في حق
قوة النهر المعروف بنهر عيسى ، فأصاب من كمال شريف المرتضى بالناحية المعروفة بالدهرية
من التقسيط عشرون درهماً ، كتبتها دينار واحد ، قد كتب إلى منذ أيام في هذا المعنى
هذا الكتاب ، فاقرأه . قراءته ؛ وهو أكثر من مائة سطر ، يتضمن من الخسوع والخشوع
والاستئالة والهمز والطلب والسؤال في إحاطة هذه الفرائض المذكورة عن أملاكه المشار إليها
ما يطول شرحه .

في حق المرتضى

قال نحر الملك : فأيتها ترى أولى بالمعظيم والتبجيل ؟ هذا العالم المتكلم الفقيه الأوحد
ونفسه هذه النفس ، أم ذلك الذي لم يشهر إلا بالشعر خاصة ، ونفسه تلك النفس ! قلت :
وفق الله تعالى سيدنا الوزير ، فما زال موثقاً ، والله ما وضع سيدها الوزير الأمر إلا في موضعه ،
ولا أحله إلا في محله . وقت فاصرفت .

وتوفّي الرضوي رحمه الله في المحرم من سنة أربع وأربعمائة ، وحضر الوزير نحر الملك
وجميع الأعيان والأشراف والقضاة جنازته والصلاة عليه ، ودفن في داره بمسجد الأنباريين
بالكرخ ، ومضى أخوه المرتضى من جرّعه عليه إلى مشهد موسى بن جعفر عليهما السلام ؛
لأنه لم يستطع أن ينظر إلى تابوته ودفنه ، وصلى عليه نحر الملك أبو غالب ، ومضى بنفسه
آخر النهار إلى أخيه المرتضى بالمشهد الشريف الكاظمي ، فالزمه بالعود إلى داره .

ومما رثاه به أخوه المرتضى الأبيات المشهورة التي من جعلتها^(١) :

بالرجال لِفَجْعةٍ جَذَمْتُ يدي ووددت لو ذهبت على براشي^(٢)
مازلت آتِي ورَدَها حقِّي أَنتَ^(٣) لخصوتها في بعض ما أَمَا سَاسِ
وَمَطَلْتُهَا زَمَنًا فَلَمَّا صَمَمْتُ لَمْ يَشْهَدْ مَطْلِي وَطُولُ مِكَاسِ
لَهُ عُمُرُكَ مِنْ قَصْرِ طَاهِرٍ وَلَرَبِّ عُمُرٍ طَالِ بِالْأَدْناسِ

وحدثني غفار بن معدن العلوئي الموسوي رحمه الله ، قال : رأى للعبد أبو عبد الله محمد ابن النعمان الفقيه الإمام في منامه كأن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم دخلت عليه وهو في مسجده بالكرك ، ومعها ولداها : الحسن والحسين عليهما السلام ، صغيرين ، فسلمتهما إليه ، وقالت له : هاتهما الفقه . فأتبه متمجبا من ذلك ، فلما أمالي النهار في صبيحة تلك الليلة التي رأى فيها الرزاق دخلت إليه السجدة فاطمة بنت الناصر ، وحولها حواريتها ، وبين يديها ليباها محمد المرتضى وعلي المرتضى صغيرين ، فقام إليها وسلم عليها ، فقالت له : أيتها الشيخ ، هذان ولداي قد أحضرتكما لتعلمهما الفقه ، فبكى أبو عبد الله وقص عليها للنام ، وتولى تعليمهما الفقه^(٤) ، وأنعم الله عليهما ، وفتح لهما من أبواب العلوم والفضائل ما اشتهر عنهما في آفاق الدنيا ، وهو باق ما بقي الدهر^(٥)

(١) ب : التي من جهة مرتبة : وما أتته عن ا .

(٢) ديوانه ١٣١ : ٢ .

(٣) الديوان : مازلت أحذر وردها .

(٤) ملاحظة من ب .

(٥) وانظر ترجمة الشريف الرضي أيضا في أخبار المحمدين من الشعراء ٨٨ - ٨٩ ، وإنباء الرواة ٣ : ١١٤ - ١١٥ ، وتاريخ ابن الأثير ٧ : ٢٨٠ ، وتاريخ بغداد ٢ : ٧٤٦ - ٧٤٧ ، وتاريخ ابن الفداء ٢ : ١٤٥ ، وتاريخ ابن كثير ١٢ : ٣ - ٤ ، وابن حنكاش ٢ : ٢ - ٤ ، ودمية القصر ٧٣ - ٧٥ ، وروصات الحسان ٥٧٣ - ٥٧٩ ، وشذرات الذهب ٣ : ١٨٢ - ١٨٤ ، وعبود التواريخ (وفيات ٤٠٦) ، ولسان البیان ٥ : ١٤١ ، ومرآة الجنان ٣ : ١٨ - ٢٠ ، وللتظم لابن الجوزي (وفيات ٤٠٦) ، والنجوم الزاهرة ٤ : ٢٤٠ ، والرواي بالوفيات ٢ : ٣٧٤ - ٣٧٩ ، وبقية الدهر ٣ : ١١٦ - ١٣٥ . وله أيضا ترجمة في مقدمة كتابه المهارات النبوية (طبع بغداد) منقولة عن كتاب : تأسيس الشيعة الكرام لقون الإسلام ، بخط السيد حسن صدر الدين .

« الأقدم » ، وهذا كله إطالة وتصحيح للرمان من غير فائدة ؛ ولو أخذنا بشرح^(١) مثل ذلك لوجب أن تشرح لفظة « أما » المفتوحة ، وأن تذكر الفصل بينها وبين « إما » المكسورة ، وتذكر : هل المكسورة من حروف العطف أولا ؟ ففيه خلاف ، وتذكر هل المفتوحة مركبة أو مفردة ؟ ومهملة أو عاملة ؟ وتفسر معنى قول الشاعر :

أَبَا خُرَاشَةَ أَمَّا كُنْتَ ذَا نَفَرٍ فَإِنْ قَوْمِي لَمْ تَاكُلْهُمْ الضَّبُعُ^(٢)

بالفتح ؛ وتذكر « نَعْدُ » لم ضُمَّتْ إِذَا قَطَعْتَ عَنْ الإِضَافَةِ ؟ ولم تَضَعْتَ هَا هُنَا حَيْثُ أَضِيفَتْ ؟ ونخرج عن المعنى الذى قصدناه من موضوع الكتاب إلى فنون أخرى قد أحكمها أربابها .

وبتدبى الآن فنقول : قال لى إمام من أئمة اللغة فى زماننا : هو الفِخَارُ ، بكسر الفاء ، قال : وهذا مما ينطأ فيه الحاشية فيفتحونها ، وهو غير جائز ، لأنه مصدر « فَاخِر » ، وفاعل يحى . مصدره على « قِبال » بالكسر لا غير ، نحو : قَاتَلْتُ قِتَالًا ، وَنَازَلْتُ نِزَالًا ، وَخَاصِمْتُ خِصَامًا ، وَكَأَلْتُ كِفَافًا ، وَصَارَعْتُ صِرَاعًا ، وَعِنْدِي أَنَّهُ لَا يَبْعَدُ أَنْ تَكُونَ الْكَلِمَةُ مَفْتُوحَةً الْفَاءَ ، وَتَكُونَ مَصْدَرٌ « فَخَر » لَا مَصْدَرٌ « فَاخِر » ، فَقَدْ جَاءَ مَصْدَرُ التَّلَاقِ - إِذَا كَانَ عَيْنُهُ أَوْ لَامُهُ حَرْفَ حَلْقٍ - عَلَى « قِبال » ، بِالْفَتْحِ ، نَحْوُ تَمَحَّجَ تَمَاحًا ، وَذَهَبَ ذَهَابًا ؛ اللَّهُمَّ إِلَّا أَنْ يُنْقَلَ ذَلِكَ عَنْ شَيْخٍ أَوْ كِتَابٍ مَوْثُوقٍ بِهِ قَلِيلًا مَرِيحًا ، فَتَزُولَ الشُّبُهَةُ . وَالْمِصَمُّ : جَمْعُ عِصْمَةٍ ، وَهُوَ مَا يَتَصَمُّ بِهِ . وَالْفَارُّ : الْأَعْلَامُ ، وَاحِدُهَا مَنَارَةٌ ، يَفْتَحُ الْمِصَمُّ . وَالْمُنَاقِيلُ : جَمْعُ مُنْقَالٍ ، وَهُوَ مَقْدَارُ وَزْنِ الشَّيْءِ ، تَقُولُ : مُنْقَالُ حَبَّةٍ ، وَمُنْقَالُ قِيرَاطٍ ، وَمُنْقَالُ دِينَارٍ ؛ وَلَيْسَ كَأَنْ تَقْلَهُ الْعَامَّةُ أَنَّهُ اسْمٌ لِلدِّينَارِ خَاصَّةً ؛ فَقَوْلُهُ : « مُنَاقِيلُ الْفَصْلِ » ، أَيْ زِيَّاتُ الْفَضْلِ ، وَهَذَا مِنْ بَابِ الِاسْتِمَارَةِ . وَقَوْلُهُ : « تَكُونُ إِزَاءُ لِفَضْلِهِمْ » ، أَيْ مُقَابِلَةٌ لَهُ . وَمُكَافَأَةٌ ، بِالْهَمْزِ ، مِنْ كَافَأْتُهُ أَيْ حَارَيْتُهُ ، وَكِفَاءٌ ، بِالْهَمْزِ وَالْمَدِّ ، أَيْ تَغْلِيظًا .

(١) كَذَا لى ج ، وهو الصواب ، ولى نقل الأصول : « لفرح » .

(٢) البيت لى لى بن مرفاس السلى ، وأبو خراطة كبة خلف بن ندية - (اللسان ٨ : ١٨٣) .

وخوى النجم ، أى سقط . وطينة الكرم ؛ أصله . وسلافة الجذ فرعه . والوسيل : جمع وسيلة وهو ما يُتقرب به ، ولو قال : « وسيلاً إلى جنانه » لكان حسناً ، وإتاما قصد الإغراب ، على أننا قد قرأناه كذلك فى بعض النسخ . وقوله : « ومكافأة لعملم » إن أراد أن يعمله قريبة « لفضلم » كان مستحباً عند من يريد البديع ، لأن الأولى ساكنة الأوسط ، والأخرى متحركة الأوسط ، وأما من لا يقصد البديع كالكلام القديم فليس يستفتح . وإن لم يُرَدْ أن يحصلها قريبة بل جعلها من حشو السجعة الثانية ، وجعل القرينة « وأصلهم » ، فهو جائز ، إلا أن السجعة الثانية تطول جداً . ولو قال عوض « لعملم » ، « لفضلم » لكان حسناً .



قال الرضى رحمه الله :

فإنى كنت فى عنوان السيرة ، وقصاصة المعنى ، ابتدأت تأليف كتاب فى خصائص الأئمة عليهم السلام ، يشتمل على محاسن أخبارهم ، وجواهر كلامهم ، حدانى عليه غرض ذكرته فى صدر الكتاب ، وجعلته أمام الكلام . وفرغت من انحصارنى التى تحمى أمير المؤمنين علياً ، صلوات الله عليه ، وعاقبت عن إتمام بقية الكتاب مهاجرات الأيام ، ومطاللات الزمان . وكنت قد بوبت ماخرج من ذلك أبواباً ، وفصلته فصولاً ، فجاء فى آخرها فصل يتضمن محاسن ما نقل عنه عليه السلام ؛ من الكلام القصير ، فى الواعظ والحكم والأمثال والآداب ؛ دون الخطب الطويلة ، والكتب البسطة ؛ فاستعنت جماعة من الأصدقاء ما اشتمل عليه الفصل لتقدم ذكره ، متعجبين بهدائيه ، ومتعجبين من نواحيه ؛ وسألونى عند ذلك أن أبدأ بتأليف كتاب يحوى على مختار كلام أمير المؤمنين عليه السلام فى جميع فنونه ، ومنشآت غصونه ، من خطب وكتب ، ومواعظ وأدب ؛ علماً أن ذلك يتضمن من عجائب البلاغة ، وغرائب الفصاحة ، وجواهر العربية ، وثواب الكلم الدينية والذهابية ؛ ما لا يوجد مجتمعاً فى كلام ، ولا مجموع الأطراف

في كتاب ؛ إذ كان أمير المؤمنين عليه السلام مَشْرَع النِّصَاحَةِ ومَوْرِدَهَا ، وَمَنْشَأَ
الْبَلَاغَةِ ومَوْرِدَهَا ؛ ومنه عليه السلام ظَهَرَ مَكْنُونُهَا ، وعنه أَخِذَتْ قَوَائِنُهَا ، وعلى
أَمْلِيَّتِهِ حَدَا كُلُّ قَائِلٍ خَطِيبٍ ، وبِكَلَامِهِ اسْتَعَانَ كُلُّ وَاغِظٍ بَلِيغٍ ؛ ومع ذلك فقد
سَبَقَ وقَصُرُوا ، وتَقَدَّمَ وتَأَخَّرُوا ؛ لأنَّ كَلَامَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ الْكَلَامُ الَّذِي عَلَيْهِ مَنَّةٌ مِنَ
الْعِلْمِ الإِلَهِيِّ ، وفيهِ عِبْقَةٌ مِنَ الْكَلَامِ النَّبَوِيِّ .

• • •

الشرح :

عُتِفَوا نَ السَّنَ : أوَّلَهَا . ومُحَاجَزَاتُ الْأَيَّامِ : مَحَامِلُهَا . وَمُحَاطَلَاتُ الزَّمَانِ : مَدَافِعَاتُهُ .
وقوله : «مَعْجِبِينَ» ثم قال : و «مَتَعِّبِينَ» «فَر» مَعْجِبِينَ « من قولك : أعجِبَ فلان
بِرَأْيِهِ وبِنَفْسِهِ فهو مَعْجَبٌ سِمْمَا ، وَالْأَمْرُ الْمَعْجَبُ بِالْعَمَلِ ؛ وَلَا يَكُونُ ذَلِكَ إِلَّا فِي الْمُسْتَعْسَنِ ،
و «مَتَعِّبِينَ» من قولك : تَعَجَّبْتُ مِنْ كَيْدِهِ ، وَالْأَمْرُ الْمَعْجَبُ . وقد يَكُونُ فِي الشَّيْءِ
يُسَعِّسُ وَيُسْتَضِجُ وَيَتَهَوَّلُ مِنْهُ وَيَسْتَرْبُ ؛ ومُرَادُهُ هَا تَهَوَّلُ وَالْإِسْتَرْابُ ؛ ومن ذلك
قول أبي تمام :

أَبَدْتُ أَمْسِي إِذْ رَأَيْتُنِي تُخْلِصُ الْقَصَبَ وَآلَ مَا كَانَ مِنْ عُجْبٍ إِلَى مَعْجَبٍ ^(١)
يريد أنها كانت مَعْجَبَةً بِهِ أَيَّامَ الشَّبَابِ لِحُسْنِهِ ؛ فَلَمَّا شَابَ انْقَلَبَ ذَلِكَ التَّعْجِبُ عَجَبًا ؛
إِمَّا اسْتِقْبَاحًا لَهُ أَوْ تَهَوُّلًا مِنْهُ وَاسْتَرْابًا . وفي بعض الروايات : «مَعْجِبِينَ بِبِدَائِعِهِ» ،
أَيَّ أَنَّهُمْ يَسْجُبُونَ غَيْرَهُمْ . والنَّوَاصِعُ : الْخَالِصَةُ . وَثَوَاقِبُ الْكَلَمِ : مُضِيئَاتُهَا ؛ وَمِنْهُ الشَّهَابُ
الْقَاطِبُ . وَحَذَا كُلُّ قَائِلٍ : اقْتَنَى وَاتَّبَعَ . وقوله : «مَنَّةٌ» يَقُولُونَ : عَلَى فَلَانٍ مَنَّةٌ مِنْ
جَمَالٍ ؛ مِثْلُ قَوْلِكَ : شَيْءٌ ، وَكَأَنَّهُ هَاهُنَا يَرِيدُ ضَرْوً وَصِفًا . وقوله : «عِبْقَةٌ» أَيَّ رَائِحَةٍ ،

(١) ديوانه ١ : ١١٥ ؛ مطلع قصيدة يمدح فيها الحسن بن سهل . الخلس ، من قولهم : أحلَسَ رَأْسَهُ
إِذَا صَارَ فِيهِ يَاسٌ وَسَوَادٌ . وَالْقَصَبُ : جَمْعُ قَصَةٍ ؛ وَهِيَ خَشَلَةٌ مِنَ الشَّجَرِ تَجْمَلُ كَثِيفَةً الْقَصَبَةَ الدَّالِقَةَ .
(من شرح الديوان) .

ولو قال عوض « العلم الإلهي » : « الكتاب الإلهي » لكان أحسن .

• • •

قال الرضي رحمه الله :

فاجتنبهم إلى الابتداء بذلك ، علماً بما فيه من عظيم النفع ، ومنشور الذكر ،
ومذخور الأجر . واعتمدت به أن أتينا من عظيم قدر أمر المؤمنين عليه السلام في
هذه الفضيلة ، مصافة إلى المحاسن الدائرة ، والمصائب الجمة ، وأنه اقترن ببلوغ غايتها من
جميع السلف الأولين ، الذين إنما يؤثر عنهم منها القليل النادر ، والشاذ الشارد ؛
فأما كلامه عليه السلام فهو البحر الذي لا يساجل ، والجم الذي لا يحاقل ، وأردت أن
يسوع لي التمثل في الاضمار به صلوات الله عليه بقول الفرزدق :

أولئك آهائي فحشني عنهم
بما أحققنا بأجرير المجاميع

• • •

السنخ :

المحاسن الدائرة : الكثيرة ، مال دائر ، أي كثير ، والجمة مثله . ويؤثر عنهم أي
يحكي وينقل ، قلته آثراً ، أي حاكياً . ولا يساجل ، أي لا يكاتر ، أصله من النزح
بالسجل ، وهو الدلو الملي^(١) ، قال :

مَنْ يُسَاجِدُنِي بِسَاجِلٍ مَاجِدًا يَمْلَأُ الدَّلْوَ إِلَى عَقْدِ الْكَرْبِ^(٢)

وبروي : « وبساحل » ، مأخوذ ، من ساحل البحر وهو طرفه ، أي لا يشابه في
بُعْد ساحله . ولا يحاقل ، أي لا يفاخر بالكثرة ، أصله من الحقل ، وهو الامتلاء ،
والمخافة : المفاخرة بالامتلاء ، ضرع حافل ، أي ممتلئ .

(١) الدلو ، تذكر وتؤنث .

(٢) الفضل بن عباس بن عصة بن أبي لهب ، لقمان ١٣ : ٣٤٦ ، ونقل عن ابن بري : « أصل
المساجلة ، أن يستقي سائبان مخرج كل واحد منهما في سجلة مثل ما يخرج الآخر ، فأيهما سلك فقد
غلب » فضرته العرب أصلاً للمفاخرة .

والفرزدق ، همام بن غالب بن صمصمة التميمي . ومن هذه الأبيات ^(١) :

ومنا الذي اختير الرجال سماحةً وجُوداً إذا هبّ الرياحُ الرماحُ ^(٢)

ومنا الذي أحيا الوثبةَ وقالهً وعمرؤ ؛ ومنا حاجبُ والأفارعُ ^(٣)

ومنا الذي قاد الجيادَ على الوجاهِ ^(٤) بنجران حنّى صُبّته الترائعُ

ومنا الذي أعطى الرسولَ عطيةً أسارى تميمٍ والميسونُ هوامعُ

الترائعُ : السكرام من الخيل . يعني غزاة الأفرع بن حاس قبل الإسلام بنى تغلب بنجران ، وهو الذي أعطاه الرسولُ يوم حنين أسارى تميم .

ومنا غداةَ الرّوعِ فرسانُ غارةٍ إذا منعتْ بعد الرّجاجِ الأشاجعُ ^(٥)

ومنا خطيب لا يعلب وحامِلٌ ^(٦) أغر إذا التفت عليه المجمعُ ^(٧)

— أي إذا مُدّت الأصابعُ بعد الرّجاجِ ^(٨) لها ؛ لأنها رماح قصيرة . وحامل ، أي حاملُ الدّهات —

تميم شعبة بن جابر

(١) من قبضته القصيدة جرير إلى أوله :

ذَكَرْتُ وَصَالَ الْبَيْعِ وَالشَّيْبُ شَايِعُ وَدَارُ الصَّبَا مِنْ عَهْدِهِنْ بَلَّاقِعُ

وهما في النفاث ٦٨٥ — ٧٠٥ ؛ ومختلف ترتيب القصيدة هنا عن ترتيبها هناك .

(٢) رواية النفاث : « منا الذي اختير » ؛ يحدّث الواو ؛ وهو ما يسنّى بالحرم ؛ فتصوّف القاء من « صول » ؛ في أول البيت من القصيدة . واسطر جرّ غالب بن صمصمة أبو الفرزدق ، مع عمير بن قيس الهذلي وطلحة بن قيس بن عاصم النخعي في الأعالي ١٩ : « (طبة الساسي) .

(٣) الذي أحيا الوثبة ؛ هو حنّ صمصمة بن ناجية بن عقال ، وغالب أبوه ، وعمرؤ بن عمرو بن عفس ، والأفارع : الأفرع وفراس ابنا حابس بن عقال ؛ واسطر أبحار هؤلاء جميعاً في شرح النفاث . (٤) الوجاه : المفا .

(٥) منعت ، يريد ارتفعت بالسيوف بعد الطمان بالرمح . والأشاجع : عصب ظان الكلب . ولى القديوان « قبان غارة » .

(٦) قوله : « خطيب » يعني شعبة بن عقال بن صمصمة . والحامل ، يعني عبد الله بن الحكيم بن الله من بني حوى بن سفيان بن جاشم ، الذي حلّ الحملات يوم المريد حين قتل سمود بن عمرو التميمي . وكان يقال له القرن . والأغر من الرجال : المروء ، كما يعرف القريش بمرته في الخيل ؛ يقول : فهو معروف في السكرم والجود . (من شرح النفاث) .

أولئك آباي فحيي بينهم إذا جمعنا بأجسريد الجامع
 بهم أعل ما حملني دارم^(١) وأصرع أقراني الذين أصرع
 أخذنا بأفقي السماء عليكم لنا قراها والنجوم الطوالع^(٢)
 قواجمها حتى كليب تبي كان أباه نهل أو نجاشع^(٣)

• • •

قال الرضوي رحمه الله :

ورأيت كلامه عليه السلام يدور على أقطاب ثلاثة: أولها الخطب والأوامر، وثانيها
 الكتب والرسائل، وثالثها الحكم والمواعظ؛ فأجمعت خوفين الله سبحانه على الابتداء
 باختيار محاسن الخطب، ثم محاسن الكتب، ثم محاسن الحكم والأدب، مفرقاً
 لكل صنف من ذلك باباً، ومفصلاً فيما أورثها، ليكون مقدمة لاستدراك مآلها
 بشذ عن عاجل، ويقع إلى آجل، وإذا جاء شيء من كلامه الخارج في أثناء حوار،
 أو جواب سؤال، أو غرض آخر من الأغراض في غير الأنحاء التي ذكرتها، وقررت
 القاعدة عليها، تسبته إلى التيق الأبواب به، وأشدّها ملازمة لمرّضه. وربما جاء فيها اختاره
 من ذلك فصول غير متسقة، ومحاسن كليم غير منتظمة، لأنّي أورد الشكك واللمع،
 ولا أقصد التثالي والنسق.

البيان :

قوله : « أجمعت على الابتداء » ، أي عزمت . وقال القطب الراوندي : تقديره :
 أجمعت عازماً على الابتداء ، قال : لأنه لا يقال إلا أجمعت الأمر ، ولا يقال : أجمعت
 على الأمر ، قال سبحانه : ﴿ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ ﴾^(١) .

(١) القافض : « ما عتق مجاشع »

(٢) قراها : الشمس والقمر ، ضلب الذكر مع صاحبه إلى إقامة البيت .

(٣) سورة يونس ٧١ .

هذا الذي ذكره الرواندي خلاف نص أهل اللغة ؛ قالوا : أجمت الأمر ، وصل الأمر ؛ كلمة جائز ، نص صاحب " الصحاح " (١) على ذلك .

والخاص : جمع حسن ، على غير قياس ، كما قالوا : اللامع والذاكر (٢) ؛ ومثله القامح . والحوار ، بكسر الحاء ، مصدر حاورته ، أى خاطبته ، والأنحاء : الوجوه والقاصد . وأشدّها ملاحظة لفرضه ، أى أشدّها إصراراً له ونظراً إليه ، من لحت الشيء ؛ وهذه استعارة . يقال : هذا الكلام يلمح الكلام الفلاني ، أى يشابه ؛ كأن ذلك الكلام يلمح ويُبصر من هذا الكلام .

• • •

قال الرضى رحمه الله :

وَمِنْ مَجَائِزِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمَّا انْفَرَدَ بِهَا ، وَأَمَرَ لِلشَّارِكَةِ فِيهَا ؛ أَنْ كَلَامَهُ الْوَارِدَ فِي الزَّهْدِ وَاللَّوَاهِظِ ، وَالْتَّذَكُّرِ وَالزَّوْاجِرِ ؛ ~~إِلَّا تَلَمُّهُ الشَّائِلُ~~ ، وَفَكَرَ فِيهِ الْمَفْكَرُ (٣) ، وَخَلَعَ مِنْ قَلْبِهِ أَنَّهُ كَلَامٌ مِثْلُهُ ، عَمَّنْ عَظُمَ قَدْرُهُ وَقَدَّرَ أَمْرُهُ ؛ وَأَحَاطَ بِالرَّقَابِ مُلْسَكُهُ ، لَمْ يَمْرُضْهُ الشُّكُّ فِي أَنَّهُ كَلَامٌ مَنْ لَا حِظَّ لَهُ فِي غَيْرِ الزَّهَادَةِ ، وَلَا شُغْلَ لَهُ بِمِيرِ السَّيَادَةِ ، قَدْ قَبَحَ فِي كِسْرِ يَتَرٍ ، أَوْ اقْطَعَ إِلَى (٤) سَفْحِ جَبَلٍ ، لَا يَسْمَعُ إِلَّا حَسَّهُ ، وَلَا يَرَى إِلَّا نَفْسَهُ ؛ وَلَا يَكَادُ يَرْقَنُ بِأَنَّهُ كَلَامٌ مَنْ يَتَمَسَّسُ فِي الْحَرْبِ ، مُصْلِحًا سَيْفَهُ ، فَيَقْطَعُ الرَّقَابَ ، وَيُجَدِّلُ الْأَبْطَالَ ، وَيَسُودُّ بِهِ يَنْطَفُ دِمَا ، وَيَقْطُرُ مَهْجًا ؛ وَهُوَ مَعَ تِلْكَ الْحَالِ رَاهِدُ الزَّهَادِ ، وَبَدَلُ الْأَبْدَالِ . وَهَذِهِ مِنْ فِضَائِلِهِ الْمَجِيئَةِ ، وَخَصَائِصِهِ الْقَطِيفَةِ ، الَّتِي تَجَمُّعُ بِهَا بَيْنَ الْأَضْدَادِ ، وَأَلْفِ بَيْتِ الْأَشْقَاتِ ، وَكَثِيرًا مَا أَذَاكِرُ الْإِخْوَانِ بِهَا ، وَأُسْتَخْرَجُ مِنْهَا مَعْجَبُهُمْ مِنْهَا ؛ وَهِيَ مَوْضِعُ الْمِيزَةِ بِهَا (٥) ، وَالْمِفْكَرَةِ فِيهَا .

(١) الصحاح ٣ : ١١٩٨ ب : ذ : للذاكر ، وما أنبته عن أ .

(٢) ب : ذ : للتفكير ، وما أنبته عن أ .

(٣) مخطوطة التهجد : ذ : في سفح .

(٤) كلمة ذ بها : ساقطة من ب ؛ وهي في أ

(٥) - شرح نهج البلاغة - أول (

التَّنَجُّحُ :

قَبَعَ التَّنَجُّحُ قَبْعَ قُبُوعًا ، إِذَا أُدْخِلَ رَأْسُهُ فِي جِلْدِهِ ، وَكَذَلِكَ الرَّجُلُ إِذَا أُدْخِلَ رَأْسُهُ فِي قَبْعِهِ ؛ وَكُلٌّ مِمَّنْ انْزَوَى فِي جُبُرٍ أَوْ مَكَانٍ ضَيِّقٍ قَدْ قَبَعَ . وَكَبَّرَ الْبَيْتُ : جَانِبُ الْخِيَاءِ . وَنَفَعَ الْجَبَلُ : أَسْفَلُهُ ، وَأَصْلُهُ حَيْثُ يَنْفَعُ فِيهِ الْمَاءُ . وَيَقَطُّ الرِّقَابَ : يَقْطَعُهَا عَرَضًا - لَا طَوْلًا كَمَا قَالَ الرَّائِدِيُّ - وَإِنَّمَا ذَلِكَ الْقَدْ ، قَدَدَتُهُ طَوْلًا ، وَقَطَعَتْهُ عَرَضًا . قَالَ ابْنُ فَارِسٍ صَاحِبُ " الْمَجْمَلِ " : قَالَ ابْنُ عَائِشَةَ : كَانَتْ ضَرَبَاتٌ عَلَى عَلَيْهِ السَّلَامِ فِي الْحَرْبِ أَبْكَارًا ، إِنْ أَهْلَى قَدْ ، وَإِنْ اعْتَرَضَ قَطٌّ . وَيُجَدَّلُ الْأَبْطَالُ : يُنْقِصُهُمْ عَلَى الْجِدَالَةِ ، وَهِيَ وَجْهُ الْأَرْضِ . وَيَنْطَفُ دَمًا : يَقْطُرُ . وَالْأَبْدَالُ : قَوْمٌ صَالِحُونَ لَا تَحْمِلُوا الْأَرْضَ مِنْهُمْ ، إِذَا مَاتَ أَحَدُهُمْ أَبْدَلَ اللَّهُ مَكَانَهُ آخَرَ ، قَدْ وَرَدَ ذَلِكَ فِي كَثِيرٍ مِنْ كُتُبِ الْحَدِيثِ .

كَانَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ذَا أَخْلَاقٍ مُتَضَادَّةٍ :

فَنَهَا مَا قَدْ^(١) ذَكَرَهُ الرُّضِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ ، وَهُوَ مَوْضِعُ التَّعَجُّبِ ؛ لِأَنَّ الْغَالِبَ عَلَى أَهْلِ الشَّجَاعَةِ وَالْإِقْدَامِ وَالْمَخَامَرَةِ وَالْجُرْأَةِ أَنْ يَكُونُوا ذَوِي قُلُوبٍ قَاسِيَةٍ ، وَفَتَلَكٍ وَتَعَرُّدٍ وَجَبَرِيَّةٍ ، وَالْغَالِبَ عَلَى أَهْلِ الزُّهْدِ وَرَفْضِ الدُّنْيَا وَهَجْرَانِ مِلَادِهَا وَالِاشْتِمَالِ بِمَوَاعِظِ النَّاسِ وَتَخْوِيفِهِمُ الْمَادَّةَ وَتَذَكِيرِهِمُ الْمَوْتَ ، أَنْ يَكُونُوا ذَوِي رِقَّةٍ وَلِينٍ ، وَضَعْفِ قَلْبٍ ، وَخَوَرٍ طَبَعٍ ؛ وَهَاتَانِ حَالَتَانِ مُتَضَادَّتَانِ ، وَقَدْ اجْتَمَعَتَا لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ .

وَمِمَّا أَنَّ الْغَالِبَ عَلَى ذَوِي الشَّجَاعَةِ وَإِرَاقَةِ الْمَاءِ أَنْ يَكُونُوا ذَوِي أَخْلَاقٍ سَبْعِيَّةٍ ، وَطَبَاعٍ حَوْشِيَّةٍ ، وَغَرَاثِزٍ وَحْشِيَّةٍ ، وَكَذَلِكَ الْغَالِبُ عَلَى أَهْلِ الزُّهَادَةِ وَأَرْبَابِ الْوَعظِ وَالتَّذَكُّيرِ وَرَفْضِ الدُّنْيَا أَنْ يَكُونُوا ذَوِي انْقِبَاضٍ فِي الْأَخْلَاقِ ، وَغُبُوسٍ فِي الْوُجُوهِ ، وَغِيَارٍ مِنَ النَّاسِ

(١) كَلِمَةٌ دَلَّ عَلَى سَاطِعَةٍ مِنْ ب .

واستيعاش ؛ وأمير المؤمنين عليه السلام كان أشجع الناس وأعظمهم إراقة دمه ، وأزهد الناس وأبعدهم عن ملاذ الدنيا ، وأكثرهم وعظماً وتذكيراً بأيام الله ومثلآله ، وأشدّهم اجتهاداً في العبادة وآداباً لنفسه في المعاملة . وكان مع ذلك ألطف العالم أخلاقاً ، وأسفرهم وجهاً ، وأكثرهم بشراً ، وأوفاهم هشاشة ، وأبعدهم عن اقتباس موحش ، أو خلق فافر ، أو نجهم مباحده ، أو غلظة وفضاطة تنير معها خس ، أو يحكدر معها قلب . حتى عيب بالله عابة ؛ ولما لم يجدوا فيه مضراً ولا مطنناً تعسّقوا بها ، واعتمدوا في التغير عنه عليها .

• وَتِلْكَ شَكَاةٌ ظَاهِرَةٌ عَنْكَ عَارُهَا ^(١) •

وهذا من محابيه وغرائبه اللطيفة .

ومنها أن العالب على شرفاء الناس ومن ^{هو} من أهل بيت الولاية والرياسة أن يكون ذا كبر وتب وعلو وتنظر ؛ خصوصاً إذا أُضيف إلى شرفه من جهة النسب شرفه من جهات أخرى ؛ وكان أمير المؤمنين عليه السلام في مباحص الشرف ومعدنه ومعانيه ، لا يشك عدوّ ولا صديق أنه أشرف خلق الله نسباً بعد ابن عمه صلوات الله عليه ، وقد حصل له من الشرف غير شرف النسب جهات كثيرة متعددة ، قد ذكرنا بعضها ، ومع ذلك فكان أشدّ الناس تواضعاً لصغير وكبير ، وألينهم عريكة ، وأسمحهم خلقاً ، وأبعدهم عن الكبر ، وأعرفهم بحق ، وكانت حاله هذه في كلّ زمانه : زمان خلافته ،

(١) • الشكاة توضع موضع العيب واتهم ؛ وعبر رجل عبد الله بن الزبير بأمه ؛ فقال ابن الزبير :

• وَتِلْكَ شَكَاةٌ ظَاهِرَةٌ عَنْكَ عَارُهَا •

أراد أن يسميه إياه بأن أمه كانت ذات الطاقين ليس بار . ومعنى قوله : « ظاهر عنك عارها » ، أي نائب ، أراد أن هذا ليس عاراً يترق به ؛ وأنه يفتخر بنفسه ؛ لأنها إنما سميت ذات الطاقين ، لأنه كان لها طاقان تحمل في أحدهما الزاد إلى أبيها وهو مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في النار وكانت تنطق بالطاق الآخر ، وهي أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنها . . الامان : (١٩ : ١٧١) ، وديوان المذلين (١ : ٢١) ، وهذا عجز بيت لأن ثوب الفضل ، وسدرة :

• وَعَبَّرَهَا الرَّاشُونَ أَنِّي أَحَبُّهَا •

والزمان الذي قبله ، لم تنبئه الإمرة ، ولا أحالت خلقه الرئاسة ، وكيف تُحيل الرئاسة خلقه وما زال رئيسا ! وكيف تُفتر الإمرة سببته وما برح أميرا لم يستغذ بالخلافة شرقا ، ولا اكتسب بها زينة ! بل هو كما قال أبو محمد الله أحمد بن حنبل : ذكر ذلك الشيخ أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي في تاريخه المعروف " بالمنتظم " : " مذاكروا عند أحد خلافة أبي بكر وعلي وقالوا فأكثرُوا ، فرفضه إياهم ، وقال : قد أكثرتم ! إن عليا لم تره الخلافة ؛ ولكنه زانها . وهذا الكلام دال بفحواه ومنهوه على أن غيره ازدان بالخلافة وتمت قصته ، وأن عليا عليه السلام لم يكن فيه قصص يحتاج إلى أن يتم بالخلافة ؛ وكانت الخلافة ذات قص في نفسها ، فتم قصها بولايته إليها .

ومنها أن المالب على نوى الشجاعة وتغل الأضس وإراقة الدماء أن يكونوا قليل المصع ، بيدي الفؤ ؛ لأن أكبادهم واغرة ، وفلواتهم متجهة ، والقوة المضبية عندهم شديدة ، وقد علت حال أمير المؤمنين عليه السلام في كثرة إراقة الدم وما عنده من الحلم والصفح ، ومناوبة هوى النفس ، وقد رأيت فله يوم الجمل ؛ وقد أحسن ميهيار في قوله ^(١) :

حَتَّى إِذَا دَارَتْ رَحَى بَيْنِهِمْ	عَلَيْهِمْ وَسَبَقَ السِّيفُ الْمَذَلَّ
عَانُوا بِمَقْرِ مَا جَدَّ مَمُودٌ	لِلْمَقْرِ حَمَلٌ لَمْ عَلَى الْعِلَلِ
فَنَجَّتِ الْبُقْيَا عَلَيْهِمْ مَنْ نَجَا	وَأَكَلَ الْحَدِيدُ مِنْهُمْ مَنْ أَكَلَ
أَطَلَتْ بِهِمْ أَرْحَامُهُمْ فَلَمْ يُطْعَ	تَأْتِرَةُ الْقَبِيضِ وَلَمْ يَشْفِ الْغُلَّلُ

ومنها أنا ما رأينا شجاعاً جواداً قط ؛ كان عبد الله بن الزبير شجاعاً وكان أبخل الناس ، وكان الزبير أبوه شجاعاً وكان شحيحاً ؛ قال له عمر : لو وليتها لظلت تُلَامِلُ الناس

(١) من قصيدة في ديوانه ٣ : ١٠٩ - ١١٦ يذكر فيها مناب الإمام علي وما من به من أعدائه .

في البطحاء على الصاع ولدت . وأراد على - عليه السلام أن يحجر على عبد الله بن جعفر لبيذره
للل ، فاحتال لنفسه ، فشارك الزبير في أمواله وتجاراته ؛ فقال عليه السلام : أما إنه قد لاذ
بملاذ ؛ ولم يحجر عليه . وكان طلحة شجاعاً وكان شعيباً ، أمسك عن الإغراق حتى خلف
من الأموال ما لا يأتي عليه الحضر . وكان عبدُ الملك شجاعاً وكان شعيباً ، يُضرب به
للث في الشح ، وسمي رشح الحجر لبعده . وقد علت حال أمير المؤمنين عليه السلام
في الشجاعة والسخاء كيف هي ؛ وهذا من أواجبه أيضاً عليه السلام .

• • •

قال الرضى رحمه الله :

وربما جاء^(١) في أثناء هذا الاختيار اللفظ المردد ، ولحق للكثرة ؛ والمذرف في ذلك أن
روايت كلامه تختلف اختلافاً شديداً ؛ فربما تتفق الكلام المختار في رواية فنقل على
وجهه ، ثم وجد بعد ذلك في رواية أخرى موضوعاً غير وضعه الأول ؛ إما بزيادة عبارة ،
أو بلفظ أحسن عبارة ؛ فنقصي الحال أن يبادر ؛ استظهاراً للاختيار ، وغيره على عقائل
الكلام . وربما بعد العهد أيضاً بما اختير أولاً ؛ فأعيد بعضه سهواً ونسياناً ، لا قصداً
أو اعتماداً . ولا أدعي مع ذلك أنني أحيط بأقطار جميع كلامه عليه السلام ؛ حتى لا يشذ
حتى منه شاذ ، ولا يند ناد ، بل لا أريد أن يكون القاصر حتى فوق الواقع إلى ، والحاصل
في ريبتي دون الخارج من يدي ؛ وما على إلا بذل الجهد ، وبلاغة الوسع ، وعلى الله
سبحانه نفع السبيل ، وإرشاد الدليل .

ورأيت من بعد تسمية هذا الكتاب بـ "سج البلاغة" ؛ إذ كان يفتح للناظر
فيه أبوابها ، ويقرّب عليه طلابها ، وفيه حاجة العالم والتعلم ، وبنية البليغ
والزاهد ، ويمضي في أثناءه من عجيب الكلام في التوحيد والعدل ، وتنزيه الله سبحانه
وتعالى عن شبه الخلق ، ما هو بلال كل غلة ، وشفاء كل علة ، وجلّاء كل شبهة . ومن الله
استمد التوفيق والعصمة ، وأنجز للتدبير والمعونة ، واستمده من خطأ الجنان قبل خطأ

اللسان ، ومن زلة الكلام قبل زلة القدم ، وهو حسي ونعم الوكيل .

الشرح :

في أثناء هذا الاختبار : تضاعفه ، واحدها رثي كمدق وأغذاق . والفيرة ، بالفتح والكسر خطأ . وعقائل الكلام : كرائه ، وعقيلة الحى : كريمة ، وكذلك عقيلة الذود . والأقطار : الجوانب ، واحدها قطر . والتاد : التفرد ؛ نداء البعير يند . الرجة : عروة الحبل يجعل فيها رأس البهيمة . وقوله : « وعلى الله نهج السبيل » ، أى إباتته وإيضاحه ، نهجت له نهجاً . وأما اسم الكتاب فـ « نهج البلاغة » ، والنهج هنا ليس بمصدر ، بل هو اسم للطريق الواضح فيه . والطلاب ، بكسر الطاء : الطلب . والبغية : ما يبتغى . ويلال كل غلة ، بكسر الباء : ما يبل به الحملى ، ومنه قوله : انضجوا الرحم بيلالها ، أى صلحوا بصلتها وندوها^(١) ، قال أبو نؤاس :

كأنى حلوت الشعر حين يلدته صفصغرة مماء ينس بيلالها^(٢)

وإنما استاذ من خطأ أبلان ليل نطقاً اللسان ؛ لأن خطأ أبلان أعظم وأخش من خطأ اللسان ، ألا ترى أن اعتقاد الكفر بالقلب أعظم عقاباً من أن يكفر الإنسان بلسانه وهو غير معتقد للكفر بقلبه ؛ وإنما استاذ من زلة الكلام قبل زلة القدم ؛ لأنه أراد زلة القدم الحقيقية ؛ ولا ريب أن زلة القدم أهون وأسهل ؛ لأن العاثر يستقبل من عثرته ، وذات الزلة تجده ينهض من صراحته ؛ وأما الزلة باللسان فقد لا تستقال عثرتها ، ولا ينهض صريحها ، وطالما كانت لا شوى^(٣) لها ، قال أبو تمام :

يا زلة ما لو قيم شر مضرها وزلة الراى تنسى زلة القدم^(٤)

(١) السند بل ، وفي الطبعة الأولى فأنضجوا ، تحريف .

(٢) يهجو الحكم بن مروان بن زياد ، ديوانه ١٠٠ ، والسان ١٣ : ٦٧ ، ١٨ : ٢١٠ ، وحلا الرجل القى . يملوه ، أعطاه ليل ، أى جل الشعر حلوا له مثل الطاء .

(٣) لا شوى لها ، أى لا يرب لها ، قال الكيث :

أجيبوا رقى الأكس النطاسى واحذروا مظنة الرضف التى لا شوى لها

(٤) ديوانه ٣ : ١٩٤ ، وروايته : « باعثة ما ولتم » .

باب الخطيب والأوامر



قال الرضى رحمه الله :

باب المختار من خطب أمير المؤمنين صلوات الله عليه وآله

ویدخل فی ذلك المختار من كلامه الجارى مجرى الخطب ، فی المقامات المحصورة
والمواقف للذكورة ، والمخطوب الواردة

الشيخ :

المقامات : جمع مقامة ، وقد تكون المقامة المجلس والنادى الذى يجمع إليه الناس ،
وقد يكون اسماً للجماعة ، والأول أليق ما هنا . « المحصورة » : أى التى قد حضرها الناس .
ومنذ الآن نبتدى بشرح كلام أمير المؤمنين عليه السلام ، ونحمل ترجمة الفصل الذى
روى شرحه « الأصل » : « إذا أنهينا قلنا : » « الشرح » ، فذكرنا ما عندنا فيه ، وبالله التوفيق .

• • •

(١)

الأصل :

فمن خطبة له عليه السلام يذكر فيها ابتداء خلق السماء والأرض وخلق آدم :
الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَا يَبْلُغُ مِدْحَتَهُ الْقَائِلُونَ ، وَلَا يَحْصِي نِعْمَاهُ الْعَادُونَ ،
وَلَا يُؤَدِّي حَقَّهُ الْمُجْتَهِدُونَ ؛ الَّذِي لَا يُدْرِكُهُ بُعْدُ الْيَمِّ ، وَلَا يَنَالُهُ غَوْصُ
الْفِطَنِ . الَّذِي لَيْسَ لِحِفَّتِهِ حَدٌّ مَحْدُودٌ ، وَلَا لِنَتِّ مَوْجُودٍ ، وَلَا وَقْتُ مَعْدُودٍ .
وَلَا أَجَلٌ مَعْدُودٌ ؛ فَطَرَ الْخَلَائِقَ بِقُدْرَتِهِ ، وَشَرَّ الرِّبَاحَ بِرِشْقَتِهِ ، وَوَدَّ
بِالصُّخُورِ مَيْدَانَ أَرْضِهِ .

الثناء :

الذي عليه أكثر الأدباء والتسكّمين أن الحمد والمدح أخوان ، لا فرق بينهما ، تقول : سجدتُ زيداً على إنعامه ، ومدحته على إنعامه ، وسجّته على شجاعته ، ومدّخته على شجاعته ؛ فهما سواء ، يدحلان فيما كان من فعل الإنسان ، وفيما ليس من فعله ، كما ذكرناه من المثاليين ، فأما الشكر فأحصى من المدح ، لأنه لا يكون إلا على النعمة خاصّة ؛ ولا يكون إلا صادراً من مُسمّ عليه ، فلا يجوز عندهم أن يقال : شكر زيد عمراً لنعمة أنعمها عمرو على إنسان غير زيد .

إن قيل : لا احتمال لحلاف ذلك ؛ لأنهم يقولون : حضرنا عند فلان فوجدناه يشكر الأمير على معرفته عند زيد ، قيل : فذلك إنما يصح إذا كان إنعام الأمير على زيد واجباً سرور فلان ، فيكون شكرُ إنعام الأمير على زيد شكراً على السرور الداخل على قلبه بالإنعام على زيد ، وتكون لفظة « زيد » التي استعبرت ظاهراً لاستناد الشكر إلى مستأها كناية لا حقيقة ، ويكون ذلك الشكر شكراً باعتبار السرور المذكور ، ومدحاً باعتبار آخر ، وهو التناذرة على ذلك الجليل والثناء الواقع بحمسه .

ثم إن هؤلاء التسكّمين الذين حكينا قولهم يزعمون أن الحمد والمدح والشكر لا يكون إلا بالبيان مع انطواء القلب على الثناء والتعظيم ، فإن استعمل شيء من ذلك في الأفعال بالجوارح كان مجازاً ، وبقي البحث عن اشتراطهم مطابقة القلب للسان ؛ فإن الاستعمال لا يساعدهم ، لأن أهل الاصطلاح يقولون لمن مدح غيره ، أو شكره رياء ومهمة ؛ إنه قد مدحه وشكره وإن كان منافقاً عندهم . ونظير هذا للوضع الإيمان ، فإن أكثر التسكّمين لا يطلقونه على مجرد النطق اللساني ، بل يشترطون فيه الاعتقاد القلبي ، فأما

أن يقصروا به عليه كما هو مذهب الأشعرية^(١) والإمامية^(٢) ، أو تؤخضه أمور أخرى وهي فعل الواجب وتجنب القبيح كما هو مذهب المعتزلة^(٣) ، ولا يخالف جمهور المتكلمين في هذه المسألة إلا الكرامية^(٤) فإن المدافق عندهم يسمى مؤمناً ، ونظروا إلى مجرد الظاهر ، فعملوا النطق السابق وحده إيماناً .

وللدخلة : هيئة المدح ، كالركبة ، هيئة الركوب ، والجلطة هيئة الجلوس^(٥) ؛ وللمعنى مطروق جداً ، ومنه في الكتاب العزيز كثير ، كقوله تعالى : ﴿ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا ﴾^(٦) وفي الأثر النبوي : « لا أحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك » ، وقال الكتاب^(٧) من ذلك ما يطول ذكره ، فمن جيد ذلك قول بعضهم : الحمد لله على نعمته التي منها إقدارنا على الاجتهاد في تحصيلها ، وإن عجزنا عن إحصائها وعدّها . وقالت الحنساء بنت عمرو بن الشريد :

فَمَا بَلَمْتَ كَفُّ أَمْرِي مُتَبَاوِلَ سَهْلِ الْمَجْدِ إِلَّا وَالَّذِي نِلْتَ أَطْوَلَ^(٨)

- (١) الأشعرية : هم أصحاب أبي الحسن علي بن إسماعيل الأشعري ، النسب إلى أبي موسى الأشعري ، وهي جماعة الصغانية ، الذين يشتقون قهراً إلى الصفات الأربعة ، كالتعلم والفطرة والحياة وغيرها . وانظر الكلام عليهم في الملل والنحل للشهرستاني ١ : ٨٥ - ٩٤ .
- (٢) الإمامية : هم القائلون بإمامة علي رضي الله عنه بعد النبي عليه السلام ، وهم فرق متعددة ذكرهم الشهرستاني في الملل والنحل ١ : ١٤٤ - ١٥٤ .
- (٣) المعتزلة ويسمون أصحاب العدل والتوحيد ، أسس أيضاً الكلام عليهم ، وتعداد فرقهم في المصدر السابق ١ : ٤٩ - ٧٨ .
- (٤) الكرامية : هم أصحاب أبي عبد الله محمد بن كرام ؛ عدم الشهرستاني من جماعة الصغانية ؛ لأنهم كانوا ممن يشتقون الصفات ؛ إلا أنهم انتهوا إليها من التصميم والتعجيب ، الملل والنحل ١ : ٩٩ - ١٠٤ .
- (٥) ١ : « كالركبة والجلطة هيئة الركوب والجلوس » .
- (٦) سورة إبراهيم ٣٤ ، النحل ١٨ .
- (٧) ب : « في الكتاب » ؛ وكذا « في » مفقودة .
- (٨) ديوانها ١٨٤ ؛ والرواية هناك .

فَمَا بَلَمْتَ كَفُّ أَمْرِي مُتَبَاوِلَ سَهْلِ الْمَجْدِ إِلَّا حَيْثُ مَا نِلْتَ أَطْوَلَ
وَمَا بَلَغَ الْمَهْدُونَ فِي الْقَوْلِ مِذْحَةً وَلَا صِغَةً إِلَّا الَّذِي فِيكَ أَفْضَلُ

ولا حَبْرُ الثُّنُونِ فِي الْقَوْلِ مِدْحَةٌ وَإِنْ أَطْنَبُوا إِلَّا وَمَا فِيكَ أَفْضَلُ

• • •

ومن مستحسن ما وقت عليه من تعظيم الباري عزّ جلاله بلفظ ^(١) « الحمد » قول
بعض الفضلاء في خطبة أرجوزة عليه :

الْحَمْدُ لِلَّهِ بِقَدْرِ اللَّهِ لَا قَدْرَ وَشِعِ الْعَبْدِ ذِي الْقَنَاءِ
وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي بَرَهَانُهُ أَنْ لَيْسَ شَيْءٌ لَيْسَ فِيهِ شَأْنُهُ
وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي مَنْ يُشْكِرُهُ فَإِنَّمَا يُشْكِرُ مَنْ يُصَوِّرُهُ

وأما قوله : « الذي لا يدركه » ، فريد أن همّ النظار وأصحاب الفكر وإن حلت
وبعدت فإنها لا تدركه تعالى ، ولا تحيط به وهذا حق ، لأن كل متصور فلا بد أن
يكون محسوساً ، أو متخيلاً ، أو موجوداً من غير النفس ، والاستقراء يشهد بذلك .
مثال المحسوس التّوَاد والحسوسة ؛ مثال التخيّل إسان بطير ، أو بحر من دم . مثال
للوجود من فطرة النفس تصور الآم واللذة . ولما كان الباري سبحانه خارجاً عن هذا
أجمع ^(٢) لم يكن متصوراً .

فأما قوله : « الذي ليس لصفته حد محدود » ، فإنه يعني بصفته هاهنا كنهه وحقيقته ،
يقول : ليس لكنهه حد فيعرف بذلك الحد قياساً على الأشياء المحدودة ؛ لأنه ليس بمركب ،
وكل محدود مركب .

ثم قال : « ولا نمت موجود » أي ولا يدرك ^(٣) بالرسم ؛ كما تدرك الأشياء
برسومها ؛ وهو أن تعرف بلازم من لوازمها ، وصفة من صفاتها .

ثم قال : « ولا وقت معدود » ، ولا أجل معدود ، فيه ، إشارة إلى الردّ على من قال : إننا

(٢) ب : « جيبا » .

(١) ١ : « بقطلة » .

(٣) ب : « لا يدرك » ، من غير واو .

نعم كنه الباري سبحانه لا في هذه الدنيا بل في الآخرة ؛ فإن القائلين برؤيته في الآخرة يقولون : إنا نعرف حينئذ كنهه ، فهو عليه السلام ردّ قولهم ، وقال : إنه لا وقت أبداً على الإطلاق تُعرّف فيه حقيقته وكنهه ، لا الآن ولا بعد الآن ؛ وهو الحق ، لأننا لو رأيناه في الآخرة وعرفنا كنهه لتشخص تشخصاً يمنع من حمله على كثيرين ، ولا يتصور أن يتشخص هذا الشخص إلا ما يُشار إلى جهة ، ولا جهة له سبحانه . وقد شرحت هذا الموضع في كتابي المروف بـ « زيادات النقيضين »^(١) ، ويست أن الرؤية المزعمة عن الكيفية التي يزعمها أصحاب الأشعرية لا بدّ فيها من إثبات الجهة ، وأنها لا تعمى بحرى العلم ؛ لأن العلم لا يُشخص العلوم ، والرؤية تشخص المراتب ، والتشخيص لا يمكن إلا مع كون الشخص ذا جهة .

واعلم أن من الإحاطة المذكورة في الكتاب العزيز في مواضع ، منها قوله تعالى : ﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا ﴾^(٢) ، ومنها قوله تعالى : ﴿ يَتَقَلَّبُ إِلَيْكَ النَّصْرُ خَاسِتًا وَهُوَ حَسِيرٌ ﴾^(٣) ، وقال بعض الصحابة : المعز عن درك الإدراك إدراك ؛ وقد غلا محمد بن هانٍ فقال في مملوحه المعز أبي نعيم سعد بن منصور العلوي :

أَتَبَعْتَهُ فَيَكْزِي حَقٌّ إِذَا بَلَّغْتَ غَايَتَهَا بَيْنَ تَصَوُّبٍ وَتَضَعِيدٍ^(٤)
رَأَيْتُ مَوْضِعَ بَرْهَانٍ يُلَوِّحُ وَمَا رَأَيْتُ مَوْضِعَ تَكْثِيفٍ وَتَعْمِيدٍ^(٥)

وهذا مدح يليق بالخالق تعالى ، ولا يليق بالخلق .

وفاًما قوله : « فطر الخلائق ... » إلى آخر الفصل ؛ فهو تقسيم مشتق من الكتاب العزيز ، فقوله : « فطر الخلائق بقدرته » من قوله تعالى : ﴿ قَالَ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ

(١) كذا في ج ، وفي ب : « النقيضين » وفي أ : « زيادات التصدير » ، ولم أذكره على ذكره في

كتب التراسيم والتهلوس .

(٢) سورة طه ١١٠

(٣) سورة الملك ٤

(٤) الميوان : « برهان بين » .

(٥) ديوانه ٢١٠ .

وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا^(١) ، وقوله : « ونشر الرياح برحمته » من قوله : (يُرْسِلُ
الرِّيحَ تَشْرَاءَ بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ^(٢)) .

وقوله : « ووتد بالصخور ميدان أرضه » ، من قوله : (وَالْجِبَالِ أَوْتَادًا^(٣)) .
والبُيُوتَانِ : التحريك والتموج .

فأما القطب الراوندي رحمه الله فإنه قال إنه عليه السلام أخبر عن نفسه بأول هذا
الفصل أنه يحمده الله ، وذلك من ظاهر كلامه ، ثم أمر غيره من غوى كلامه أن يحمده
الله ، وأخبر عليه السلام أنه ثابت على ذلك مدة حياته ، وأنه يحب على المكلفين ثبوتهم عليه
ما بقوا ؛ ولو قال : « أحد الله » لم يعلم جميع ذلك . ثم قال : والحمد أعم من الشكر ؛
والله أخص من الإله . قال : فأما قوله : « الذي لا يبلغ مدحته القائلون » ؛ فإنه أظهر
المعبر عن القيام بواجب مدائحه ، فكيف بمعامله ! وللمنى أن الحمد كل الحمد ثابت
للمعبود الذي حققت العبادة له في الأول ، واستحقها حين خلق الخلق ، وأتم بأصول
الثناء التي يستحق بها العبادة .

ولتأمل أن يقول : إنه ليس في غوى كلامه أنه أمر غيره أن يحمده الله ، وليس
بفهم من قول بعض رعية الملك لميره منهم : العظمة والجلال لهذا الملك أنه قد أمرهم
بتعظيمه وإجلاله . ولا أيضاً في الكلام ما يدل على أنه ثابت على ذلك مدة حياته ،
وأنه يحب على المكلفين ثبوتهم عليه ما بقوا .

ولا أعلم كيف قد وقع ذلك للراوندي ؛ فإن زعم أن العقل يقتضي ذلك لحق ؛ ولكن

(٢) سورة الأعراف ٥٧ ، وهي قراءة أهل

(١) سورة الشعراء ٢٤ .

الحرمين وأبي عمرو (الجامع لأحكام القرآن ٧ : ٢٢٩) . (٣) سورة النبا ٧

ليس مستفاداً من الكلام ، وهو أنه ^(١) قل : إن ذلك موجود في الكلام .

فأما قوله : لو كان قال : أحد الله لم يعلم منه جميع ذلك ؛ فإنه لا فرق في انتفاء دلالة « أحد الله » على ذلك ودلالة « الحمد لله » ، وهما سواء في أنها لا بدلان على شيء من أحوال غير القائل ، فضلاً عن دلالتها على شئ ذلك ودوامه في حق غير القائل .

وأما قوله : الله أحسن من الإله ، فإن أراد في أصل اللمة ؛ فلا فرق ، بل الله هو الإله وفُتِحَ سد حذف الهمزة ، هذا قول كافة البصريين ، وإن أراد أن أهل الجاهلية كانوا يطلقون على الأصنام لفظة « الآلهة » ، ولا يسمونها « الله » حق ، وذلك طائد إلى عرفهم واصطلاحهم ، لا إلى أصل ^(٢) اللمة والاشتقاق ؛ ألا ترى أن الغاية في العرف لا تطلق على القصة ، وإن كانت في أصل اللمة دالة ؟

فأما قوله : قد أظهر المعبر عن القيام بالواجب مدانته فكيف بمعامده ! فكلام يقتضي أن المدح غير الحمد ، ومعنى لا يصرف في قائلين وأيضاً فإن الكلام لا يقتضي المعبر عن القيام بالواجب ، لا من المادح ولا من المحامد ؛ ولا فيه نمرض لذكر الوجوب ، وإنما نفي أن يبلغ القائلون مدحته ، لم يقل غير ذلك .

وأما قوله : الذي حقت العبادة له في الأزل واستحقها حين خلق الخلق ، وأنهم بأصول النعم ؛ فكلام ظاهره متناقض ، لأنه إذا كان إنما استحقها حين خلق الخلق ، فكيف يقال : إنه استحقها في الأزل ! وهل يكون في الأزل مخلوق يستحق عليه العبادة !

واعلم أن التكلمين لا يطلقون على البارئ سبحانه أنه مبدئ الأزل أو مستحق العبادة في الأزل إلا بالقوة لا بالفعل ^(٣) ، لأنه ليس في الأزل مكلف بمبدء تعالى ، ولا أنعم على أحد في الأزل بنعمة يستحق بها العبادة ، حتى إنهم قالوا في الأثر الوارد : « بتقديم

(٢) سالفة من ب .

(١) ب : « وهو إنما » .

(٣) أ : « ولا بالفعل » .

الإحسان : إن معناه أن إحسانه متقادِم العهد، لا أنه قديم حقيقة ، كما جاء في الكتاب العزيز : ﴿ حَقُّ عَادَةٍ كَالْمَرْجُونِ الْقَدِيمِ ﴾ ^(١) ، أي الذي قد توالى عليه الأزمنة المتطاولة.

• • •

ثم ^(٢) قال الراوندي : والحد والمدح يكونان بالقول والفعل ، والألف واللام في « القائلون » لتعريف الجنس ، كنهما في الحد . والبلوغ : للشارفة ، يقال : بلغت المكان إذا أشرفت عليه ؛ وإذا لم تشرف على حده تعالى بالقول فكيف توصل إليه بالفعل ؟ والإله : مصدر بمعنى المألوه .

ولقائل أن يقول : الذي معناه أن التعظيم يكون بالقول والفعل وبترك القول والفعل ، قالوا : فن قال لغيره : يا عالم قد عظمه ومن ظم لغيره فقد عظمه ، ومن ترك مدته رجله بحضرة غيره فقد عظمه ، ومن كفت غريب لسانه عن غيره فقد عظمه . وكذلك الاستعفاف والإهانة تكون بالقول والفعل وبتركها حسب ما قدمنا ذكره في التعظيم .

فأما الحد والمدح فلا وجه لكونهما بالفعل ، وأما قوله : إن اللام في « القائلون » لتعريف الجنس ؛ كما أنها في الحد كذلك فعجيب ؛ لأنها للاستفراق في « القائلون » لا شبهة في ذلك كالمؤمنين والمؤمنين ، ولا يتم المعنى إلا به ؛ لأنه للمبالغة ، بل الحق المحض أنه لا يبلغ مدحته كل القائلين بأسرهم . وجعل اللام للجنس ينقص عن هذا المعنى إن أراد بالجنس للمهود ، وإن أراد الجنسية العامة ، فلا نزاع بيننا وبينه ، إلا أن قوله : « كما أنها في الحد كذلك » يمنع من أن يحمل كلامه على الحمل الصحيح ؛ لأنها ليست في الحد للاستفراق ، يبين ذلك أنها لو كانت للاستفراق لما جاز أن يُحمد رسول الله صلى الله عليه وآله ولا غيره من الناس ، وهذا باطل .

(١) سورة يس ٣٩

(٢) كلمة « ثم » ساقطة من ١ .

وأيضاً فإنها لفظ واحد مفرد معروف بلام الجنس ، والأصل في مثل ذلك أن يفيد الجنسية المطلقة ، ولا يفيد الاستفراق ، فإن جاء منه شيء للاستفراق ، كقوله : « **إِنَّ** الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ **لَئِي خُسْرٍ** »^(١) ، وأهلك الناس الله ربهم والدينار ، فعاز ، والحقيقة ماذا كرمته . فأما قوله : **البلوغ للشارفة** ؛ يقال : **بلغت للكان** إذا أشرفت عليه . فالأجود أن يقول : **قالوا** : **بلغت للكان** ؛ إذا شارفته ؛ وبين قولنا : « **شارفته** » ، و « **أشرفت عليه** » فرق . وأما قوله : « **وإذا لم يشرف على حمله** » بالقول فكيف يصل إليه بالفعل ؟ ، فكلام مبني على أن الحمد قد يكون بالفعل ، وهو خلاف ما يقوله أرباب هذه الصناعة . وقوله : **والإله مصدر بمعنى للألوه** كلام طريف ؛ أما أولاً ، فإنه ليس بمصدر ؛ بل هو اسم ، كوجار لضع ورسار لشهر^(٢) ، وهو اسم جنس كالرحل والفرس ، يقع على كل معبود بحق أو باطل ، ثم غلب على المعبود بالحق ، كالحم اسم لكل كوكب ثم غلب على الثريا ، والسنة : اسم لكل عام ثم غلب على عام القحط . وأظنه رحمه الله لما رآه « **فعلاً** » ظن أنه مصدر كاللجساد والجذاد وغيرهما . وأما ثانياً ؛ فلأن للألوه صيغة « **مفعول** » وليست صيغة مصدر إلا في العاظ نادرة ، كقولهم : « **ليس له مفعول** » ولا مجلود ، ولم يسمع « **مألوه** » في اللغة ، لأنه قد جاء : **أله** الرجل إذا دهش ونجبر ؛ وهو فعل لازم لا يبنى منه « **مفعول** » .

• • •

ثم قال الرواندي : وفي قول الله تعالى : « **وَإِنْ تَعَدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا** » ، بلفظ الإفراد ، وقول أمير المؤمنين عليه السلام : « **لا يحصى نعماء المادون** » بلفظ الجمع . سرّ عجيب ، لأنه تعالى أراد أن نعمة واحدة من نعمة لا يمكن العباد عدّ وجوه كونها نعمة ، وأراد أمير المؤمنين عليه السلام أن أصول نعمة لا تحصى لكثرتها ، فكيف تعدّ

(٢) السرار : بالفتح والكسر : آخر ليلة من العشر

(١) سورة العصر ١

وجوه فروع نعماته ا وكنذك في كون الآية واردة بلفظة « إن » الشرطية ، وكلام أمير المؤمنين عليه السلام على صيغة الخبر ، تحت لطيفة عجيبة ؛ لأنه سبحانه يريد أنكم إن أردتم أن تعدوا نعمة لم تعدوا على حصرها ، وعلى عليه السلام أخبر أنه قد أنعم النظر ، فلم أن أحداً لا يمكنه حصر نعمة تعالى .

ولقاتل أن يقول : الصحيح أن المفهوم من قوله : « وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ الْجَنَسُ » كما يقول القائل : أنا لا أجحد إحسانك إلي ، وامتنانك علي ، ولا يقصد بذلك إحساناً واحداً ، بل جنس الإحسان .

وما ذكره من الفرق بين كلام الباري وكلام أمير المؤمنين عليه السلام غير بين ، فإنه لو قال تعالى : وإن تعدوا نعم الله وقال عليه السلام : ولا يحصى نعمته العادون ، لسكان كل واحد منهما ساداً منذ الآخر .

أما اللطيفة الثانية فنفي ظاهره أيضاً ولا يلحظ ؛ لأنه لو انعكس الأمر ؛ فكان القرآن بصيغة الخبر وكلام علي عليه السلام بصيغة الشرط ، لكان مناسباً أيضاً ، حسب مناسباته ، والحال بعكس ذلك ، اللهم إلا أن تكون قرينة السجدة من كلام علي عليه السلام تنبؤ عن لفظة الشرط ، وإلا ففي حدفت القرينة السجدة عن وهمك لم تجد فرقاً ؛ ونحن نمود بالله من التستف والتعريف^(١) الداعي إلى ارتكاب هذه المغالاة المفكرة .

• • •

ثم قال الراوندي : إنه لو قال أمير المؤمنين عليه السلام : « الذي لا يعد نعمة المحاسبون » لم نحصل للبالغة التي أرادها بمبارته ؛ لأن اشتقاق الحساب من الحسبان ؛ وهو الظن . قال : وأما اشتقاق العدد من العد ؛ وهو لاء الذي له مادة ، والإحصاء : الإطاقة ؛ أحصيته ، أي أطقته : صدير الكلام : لا يطيق عدته نعماته العادون ؛ ومعنى ذلك

(١) التجرب : وكوب الأمر من غير مرو .

أَن مدائحهم تعالى لا يُشْرِف على ذكرها الأنبياء والمرسلون ؛ لأنها أكثر من أن تعدّها الملائكة المقربون ، والكرام الكاتبون .

ولقائل أن يقول : أما الحاسب فليس مشتقاً من الحِساب بمعنى الظن ؛ كما توهمه ، بل هو أصل برأسه ؛ ألا ترى أن أحدهما حَيْت أَحْسَب ، والآخر حَسِبْتُ أَحْسَب وأَحْسَب بالفتح والضم ؛ وهو من الألفاظ الأربعة التي جاءت شاذة . وأيضاً فإن « حَيْت » بمعنى ظننت يتعدى إلى مفعولين لا يمحوز الاقتصار على أحدهما ، و « حَسِبْتُ » من العدد يتعدى إلى مفعول واحد . ثم يقال له : وَقَبْ أَنْ « الحاسبين » لو قالها مشتقة من الظن لم تحصل البالغة ، بل البالغة كادت تكون أكثر ؛ لأن النعم التي لا يحصرها الطائفة بظنونه أكثر من النعم التي لا يمدّها التألم بعلمه .

وأما قوله : العدد مشتق من اليد ^{وهو الماء الذي له مادة} ، فليس كذلك ، بل هما أصلان . وأيضاً لو كان أحدهما مشتقاً من الآخر ^{لوحين} أن يكون اليد مشتقاً من العدد ؛ لأن المصادر هي الأصول التي يقع الاشتقاق منها ؛ سواء أ كان للشتق فعلاً أو اسماً^(١) ، ألا تراهم قالوا في كتب الاشتقاق : إن الصَّرْب : الرجل الخفيف ؛ مشتق من الصَّرْب ، أي السير^(٢) في الأرض للاشياء ، قال الله تعالى : ﴿ لَا يَسْتَطِيعُونَ صَرْبًا فِي الْأَرْضِ ﴾^(٣) ، لجعل الاسم مفعولاً ومشتقاً من المصدر .

وأما الإحصاء فهو الحصر والعَدّ وليس هو الإطاقة كما ذكر ؛ لا يقال : أحصيت الحجر ، أي أطلقت حمله .

وأما ما قال إنه معنى الكلمة فطريف ؛ لأننا عليه السلام لم يذكر الأنبياء ولا

(١) كذا عطف أو بعد همزة التسوية ؛ قال ابن هشام : وقد أولع الفقهاء وغيرهم بأن يقولوا : سواء أ كان كذا أو كذا ، والصواب العطف بأم . للمعنى ١ : ٣٩ .
(٢) كذا في ج .
(٣) سورة البقرة ٢٧٣ .

للاسكّة ، لا مطابقة ولا تضامًا ولا التزامًا ، وأى حاجة إلى هذا التقدير الطريف الذى لا يشمر الكلام به ! ومراعاة عليه السلام ؛ وهو أن نفسه جلّت لكثرتها أن يُخصّصها مادّما ، هو نقيّ لطلق العادّين من غير فرض لعادّ مخصوص .

قال الراوندى : فأما قوله : « لا يدركه بُعدُ الهم » ؛ فالإدراك هو الرؤية والنيل والإصابة ، ومعنى الكلام : المحدث الذى ليس بجسم ولا عرض ؛ إذ لو كان أحدهما لآه الرايون إذا أصابوه ؛ وإنما خصّ « بُعدُ الهم » بإسناد نقي الإدراك « وغوّص الفطن » بإسناد نقي النيل لفرض صحيح ؛ وذلك أن الثنوية^(١) يقولون بقدم النور والظلمة ، وينهتون النور جهة الملوّ والظلمة جهة السفل ، ويقولون : إن العالم يمتزج منهما ، فردّ عليه السلام عليهم بما جناه : إن النور والظلمة جسمان ، والأجسام محدّثة ، والبارئ تعالى قديم .

و قد سبق في شرحه

ولتأمل أن يقول : إنه لم يجرّ للرؤية ذكر في الكلام ؛ لأنه عليه السلام لم يقل : الذى لا تدركه العيون ولا الحواس ، وإنما قال : « لا يدركه بُعدُ الهم » ، وهذا يدلّ على أنه إنما أراد أن العقول لا تحيط بكنهه وحقيقته .

وأبصارًا فلو سلمنا أنه إنما نقي الرؤية ، لسكان لحاج أن يحاجّه فيقول له : هبّ أن الأمر كما تزعم ، أأست تريدُ بيان الأمر الذى لأجله خصّصَ بُعدُ الهم بنقي الإدراك ، وخصّصَ غوّصَ الفطن بنقي النيل ؛ وقلت : إنما قسّمَ هذا التقسيم لفرض صحيح ، وما رأيتك أوضحت هذا الفرض ؛ وإنما حكيت مذهب الثنوية ، وليس يدلّ مذهبهم على وجوب تخصيص بُعدُ الهم بنقي الإدراك دون نقي النيل ، ولا يوجب تخصيص غوّصَ الفطن

(١) الثنوية : هم أصحابه الاثنى الأريين ؛ يرمون أن النور والظلمة أريان قديمان . الصهرستانى

بنى النيل دون نقي الإدراك، وأكثر ما في حكاية منزههم أنهم يزعمون أن النقي العالم :
النور والظلمة ، وما يجسمان ؛ وأمير المؤمنين عليه السلام يقول : لو كان صانع العالم جسماً
لرُئي ، وحيث لم يُرَ لم يكن جسماً ؛ أي شيء في هذا مما يدل على وجوب ذلك التقسيم
والتمحيص الذي زعمت أنه إنما خصصه وقتبه لفرض صحيح !

• • •

ثم ^(١) قال الراوندي : ويجوز أن يقال : البعدُ والموسم مصدران هاهنا بمعنى الفاعل ،
كقولهم : فلان عدل ، أي عادل ، وقوله تعالى : ﴿ إِن أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا ﴾ ^(٢) ،
أي غائراً ، فيكون للمعنى : لا يدركه العالم البعيد لهم فكيف الجاهل ! ويكون المقصد
بذلك الرد على من قال : إن محمداً صلى الله عليه وآله رأى ربه ليلة الإسراء ؛ وإن يونس
عليه السلام رأى ربه ليلة هبوطه إلى قعر البحر .

ولفائل أن يقول : إن المصدر الذي جاء بمعنى الفاعل ألقاظ مطبوعة ، لا يجوز القياس
عليها ، ولو جاز لما كان المصدر هاهنا بمعنى الفاعل ؛ لأنه مصدر مضاف ، والمصدر المضاف
لا يكون بمعنى الفاعل . ولو جاز أن يكون المصدر للمضاف بمعنى الفاعل لم يجر أن يحمل كلامه
عليه السلام على الرد على من أثبت أن البريء سبحانه مرئي ؛ لأنه ليس في الكلام نقي
الرؤية أصلاً ، وإنما غرض الكلام نقي مقولته سبحانه ، وإن الأفكار والأفكار لا تحيط
بكمه ، ولا تتغل غوصية ذاته ، جئت عظمة !

• • •

ثم قال الراوندي : فأما قوله : « الذي ليس لصفته حدٌ محدود ، ولا نعت موجود ،
ولا وقت محدود ، ولا أجل محدود » ، فالوقت : تحرك الفلك ودورانها على وجهه ، والأجل :

(١) كلمة « ثم » سابقة من ١ .

(٢) سورة الملك ٣٠ .

مدة الشيء ؛ ومعنى الكلام أن شكرى لله تعالى متعدد عند تجديد كل ساعة ، ولهذا أبدل هذه الجملة من الجملة التى قبلها وهى الثانية ، كما أبدل الثانية من الأولى .

ولفائل أن يقول : الوقت عند أهل النظر مقدار حركة الفلك ، لا نفس حركته ، والأجل ليس مطلق الوقت ، ألا تراهم يقولون : جئتك وقت العصر ، ولا يقولون : أجل العصر ! والأجل عدم هو الوقت الذى يعلم الله تعالى أن حياة الحيوان تبطل فيه ، مأخوذ من أجل الفئتين ، وهو الوقت الذى يحمل قضاؤه فيه .

فأما قوله : ومعنى الكلام أن شكرى متعدد لله تعالى فى كل وقت ، ففساد ، ولا ذكر فى هذه الألفاظ للشكر ، ولا أعلم من أين خطر هذا للراوتدى ! وظنه أن هذه الجمل من باب البديل غلط ، لأنها صفت ، كقول : واحتقنها صفة بعد أخرى ، كما تقول : مررت بزيد العالم ، الطريف ، الشاعر

و قد سبى • • • • •

قال الراوتدى : فأما قوله : « الذى ليس لصنعه حدة » ، فظاهره إثبات الصفة له سبحانه ، وأصحابنا لا يثبتون لله سبحانه صفة ، كما يثبتها للأشعية ؛ لكنهم يحملونه على حال ، أو يعملونه متميزاً بذاته ؛ فأمر المؤمنين عليه السلام بظاهر كلامه - وإن أثبت له صفة - إلا أن من له أسس كلام العرب يعلم أنه ليس بإثبات على الحقيقة وقد سألنى سائل فقال : ها هنا كلمتان ؛ إحداهما كفر ، والأخرى ليست بكفر ؛ وهما : لله تعالى شريك غير بصير . ليس شريك الله تعالى بصيراً ، فأيهما كلمة الكفر ؟ فقلت له : القصيدة الثانية ؛ وهى « ليس شريك الله تعالى بصيراً » كفر ؛ لأنها تتضمن إساءة الشريك ، وأما الكلمة الأخرى ، فيكون معناها لله شريك غير بصير ؟ بهمزة الاستفهام للقذرة المحذوفة .

ثم أخذ في كلام طويل يبحث فيه عن الصفة والمعنى ، ويُبطل مذهب الأشعرية بما يقوله المتكلمون من أمثالنا ، وأخذ في توحيد الصفة : لِمَ جاء وكيف يدلّ نفي الصفة الواحدة على نفي مطلق الصفات ؟ وانتقل من ذلك إلى الكلام في الصفة الخامسة التي أثبتّها أبو هاشم ^(١) ؛ ثم خرج إلى مذهب أبي الحسين ^(٢) ، وأطال جداً فيها لا حاجة إليه ^(٣) .
ولقائل أن يقول : الأمر أسهل مما تظنّ ، فإننا قد بينّا أن مراده نفي الإحاطة بكنهه ، وأيضاً يمكن أن يجعل الصفة هاهنا قول الوصف ، فيكون المعنى : لا ينتهي الوصف إلى حدٍّ إلّا وهو قاصر عن النعت ، جلالاته وعظمته ، حلت قدرته .

فأما القضيتان اللتان سأله السائل ههنا فاصواب غير ما أجاب به فيهما ، وهو أن القضية الأولى كفر ، لأنها صريحة في إثبات الشريك ، والثانية لا تقتضي ذلك ، لأنه قد ينفي قول الشريك بصيراً على أحد وجهين : ^(١) لأنّ هناك شريكاً لكنه غير بصير ؛ لأنّ الشريك غير موجود ، وإذا لم يكن موجوداً لم يكن بصيراً ؛ فإذا كان هذا الاعتبار الثاني مراداً لم يكن كفراً ، وصار كالآثر المنقول : « كان مجلس رسول الله صلى الله عليه وآله لا تؤثر هفواته » ؛ أي لم يكن فيه هفوات فتؤثر وتحكي ، ^(٢) وليس أنه كان ^(٣) المراد في مجله هفوات إلّا أنها لم تؤثر .

قال الراوندي : فإن قيل : تركيب هذه الجملة يدلّ على أنه تعالى فطر الخليفة قبل خلق السموات والأرض .

(١) هو أبو هاشم عبد السلام بن أبي علي الجاني ؛ وانظر ص ٩ من هذا الجزء
(٢) هو أبو الحسين محمد بن علي بن الطبيب المصري ؛ وانظر ص ٩ من هذا الجزء
(٣) ميم : « فيه » (٤ - ١) ب : « وليس المراد أنه لدكان » .

قلنا : قد اختلف في ذلك قهيل : أول ما يحسن منه تعالى خلقه ذاتا حية ، يخلق فيها شهوة المدرك تدركه فتلتذ به ، ولهذا قيل : تقديم خلق الجاد على خلق الحيوان عبث وقبيح . وقيل : لا مانع من تقديم خلق الجاد إذا علم أن علم بعض المكلفين فيها بعد تخلقه قبله لطف له .

ولقائل أن يقول : أنا إلى حيث انتهى به الشرح فليس في الكلام تركيب يدل على أنه تعالى فطر خلقه قبل خلق السموات والأرض وإنما قد يؤم تأمل كلامه عليه السلام فيها بعد شيئا من ذلك ، لما قال : « ثم أبدأ سبحانه فتق الأجواء » ؛ هل أنا إذا تأملنا لم نجد في كلامه عليه السلام ما يدل على تقديم خلق الحيوان ؛ لأنه قبل أن يذكر خلق السماء لم يذكر إلا أنه فطر الخلائق . وثلاثة قال : « أبدأ الخلق » ، ودل كلامه أيضا على أنه نشر الرياح ، وأنه خلق الأرض وهي مضطربة فأرساها بالجبال ؛ كل هذا يدل على كلامه ، وهو مقدم في كلامه على فتق السموات والأرض وخلق السماء ، فأما تقديم خلق الحيوان أو تأخيرها فلم يتعرض كلامه عليه السلام له ، فلا معنى لجواب الراوي وذكروا ما يذكروه المتكلمون من أنه هل يحسن تقديم خلق الجاد على الحيوان أم لا ؟

• • •

الأصل :

أول الذين معرفته ، وكان معرفته التصديق به ، وكما التصديق به توحيده ، وكان توحيده الإخلاص له ، وكان الإخلاص له تقي الصفات عنه ؛ لشهادة كل صفة أنها غير الموصوف ، وشهادة كل موصوف أنه غير الصفة . فمن وصف الله سبحانه فقد قرنه ، ومن قرنه فقد نشأه ، ومن نشأه فقد جزأه ، ومن جزأه فقد جهله ،

وَمَنْ جَهِلَهُ فَقَدْ أَشَارَ إِلَيْهِ ، وَمَنْ أَشَارَ إِلَيْهِ فَقَدْ حَدَّهُ ، وَمَنْ حَدَّهُ فَقَدْ عَدَّهُ ، وَمَنْ قَالَ : « فِيمَ » فَقَدْ ضَمَّنَهُ ، وَمَنْ قَالَ : « عَلَامَ » فَقَدْ أَخْلَى مِنْهُ .

التبنيح :

إنما قال عليه السلام : « أول الدين معرفة » ، لأن التليد باطل ، وأول الواجبات الدينية المعرفة . ويمكن أن يقول قائل : أستم تقولون في علم الكلام : أول الواجبات النظر في طريق معرفة الله تعالى ؛ وتارة تقولون : المقصد إلى النظر ؟ فهل يمكن الجمع بين هذا وبين كلامه عليه السلام ؟

وجوابه أن النظر والمقصد إلى النظر إنما وجبا بالعرض لا بالذات ؛ لأنها وصلة إلى المعرفة ، والمعرفة هي المقصود بالوجود ^{بإسمه} ^{المؤمنين} عليه السلام أراد : أول واجب مقصود بذاته من الدين معرفة الباري سبحانه ؛ فلا تناقض بين كلامه وبين آراء المتكلمين .

وأما قوله : « وكال معرفة التصديق به » ؛ فلأن معرفته قد تكون ناقصة ، وقد تكون غير ناقصة ، فالمعرفة الناقصة هي المعرفة بأن للعالم صانعاً غير العالم ؛ وذلك باعتبار أن الممكن لا بد له من مؤثر ، فمن علم هذا فقط عليم الله تعالى ولكن ناقصاً ، وأما للمعرفة التي ليست ناقصة فإن تعلم أن ذلك للمؤثر خارج عن سلسلة الممكنات ، والخارج عن كل الممكنات ليس بممكن ، وما ليس بممكن فهو واجب الوجود ؛ فمن علم أن للعالم مؤثراً واجب الوجود فقد عرفه عرفاناً أكمل من عرفان أن للعالم مؤثراً فقط ؛ وهذا الأمر الزائد هو الممكن عنه بالتصديق به ؛ لأن أحسن ما يمتاز به الباري عن مخلوقاته هو وجوب الوجود .

وأما^(١) قوله عليه السلام : « وكال التصديق به توحيدُهُ » ، فلأن مَنْ علم أنه تعالى واجبُ الوجود مصدّق بالبارئ سبحانه ، لكن ذلك التصديق قد يكون ناقصاً ، وقد يكون غير ناقص ؛ فالتصديق الناقص أن يقتصر على أن يعلم أنه واجبُ الوجود فقط ، والتصديق الذي هو أكل من ذلك وأتمّ هو العلمُ بتوحيده سبحانه ، باعتبار أن وجوب الوجود لا يمكن أن يكون لثنتين ؛ لأن فرض واحِدٍ الوجود يُفْضِي إلى عموم وجوب الوجود لهما وامتنياز كل واحد منهما بأمر غير الوجوب المشترك ؛ وذلك يُفْضِي إلى تركيبهما وإحراجهما عن كونهما واحِدٍ الوجود ؛ فن علم البارئ سبحانه واحداً ، أي لا واجب الوجود إلا هو يكون أكل تصديقاً ممن لم يعلم ذلك ؛ وإنما اقتصر على أن صانع العالم واجب الوجود فقط .

وأما قوله : « وكال توحيدِهِ الإخلاصُ له » ؛ فالمراد بالإخلاص له ما هنا هو نفْيُ الجسَمِيَّةِ والعَرَضِيَّةِ ولو ازمها عنه ؛ لأن الجسم مركب ، وكل مركب ممكن ، وواجب الوجود ليس بممكن . وأيضاً فكل عَرَضٍ مفتقر ، وواجب الوجود غير مفتقر ؛ فواجب الوجود ليس بِعَرَضٍ . وأيضاً فكل حَرْمٍ محدث ، وواجب الوجود ليس بِمحدث ، فواجب^(٢) الوجود ليس بِمحرم . وأيضاً فكل حاصل في الجهة ، إما حَرْمٍ أو عَرَضٍ ، وواجب الوجود ليس بِمحرم ولا عَرَضٍ ، فلا يكون حاصل في جهة ؛ فن عرف وحدانية البارئ ولم يعرف هذه الأمور كان توحيدِهِ ناقصاً ، ومن عرف هذه الأمور بعد العلم بوحدانيته تعالى فهو الخالص في عرفانه جلّ اسمه ، ومعرفة تكون أتمّ وأكل .

وأما قوله : « وكالُ الإخلاص له نفْيُ الصفات عنه » ، فهو تصريحٌ بالتوحيد الذي تذهب إليه المعتزلة ، وهو نفْيُ المعاني القديمة^(٣) التي تُنسبها الأشعرية وغيرهم ، قال عليه السلام :

(٢) ب : « واجب » .

(١) ب : « قالاً » .

(٣) ا : « القديمة » .

« لشهادة كل صفة أنها غير الموصوف ، وشهادة كل موصوف أنه غير الصفة » ؛ وهذا هو دليل المعتزلة بعينه ، قالوا : لو كان علماً بمعنى قديم ؛ لكان ذلك المعنى إما هو أو غيره ، أو ليس هو ولا غيره . والأول باطل ؛ لأننا نعقل ذاته قبل أن نعقل أو نتصور له علماً ؛ والمتصور مُنْأَيِّر لما ليس بمتصور . والثالث باطل أيضاً ، لأن إثبات شيئين : أحدهما ليس هو الآخر ولا غيره ، معلوم فسادُه ببدئية العقل ، فتعین القسم الثاني وهو مُحال ، أما أولاً فيإجماع أهل الملة ، وأما ثانياً فلما سبق من أن وجوب الوجود لا يجوز أن يكون لشيئين ؛ فإذا عرفت هذا فاعرف أن الإخلاص له تعالى قد يكون ناقصاً وقد لا يكون ، فالإخلاص الناقص هو العلم بوجوب وجوده ، وأنه واحد ليس بجسم ولا عرض ، ولا ^(١) يصح عليه ما يصح على الأجسام والأعراض والإخلاص الكامل هو العلم بأنه لا تقوم به المعاني القديسة ، مصافاً إلى تلك العلوم السابقة ؛ وحينئذ تتم المعرفة بكل .

ثم أكرر أمير المؤمنين عليه السلام هذه الإشارات الإلهية بقوله : « فَمَنْ وَصَفَ اللَّهَ سَبَّحَاتِهِ فَقَدْ قَرَّبَهُ » ، وهذا حق ؛ لأن الموصوف يقارن الصفة ، والصفة تقارنه . قال : « ومن قرَّنه فقد ثنَّاه » ، وهذا حق ، لأنه قد أثبت قديمين ، وذلك محض التثنية .

قال : « ومن ثنَّاه فقد جزَّأه » ؛ وهذا حق ، لأنه إذا أطلق لفظه الله تعالى على الذات والعلم القديم فقد جعل مستى هذا اللفظ وثأدته متجربة ، كإطلاق لفظ « الأسود » على الذات التي حلَّها سواد .

قال : « ومن جزَّأه فقد جهله » ؛ وهذا حق ، لأن الجهل هو اعتقاد الشيء على خلاف ماهو به .

قال : « ومن أشار إليه فقد حدَّه » ؛ وهذا حق ، لأن كل ما أشار إليه فهو محدود ؛

لأنّ المثار إليه لابدّ أن يكون في جهة مخصوصة ، وكلّ ما هو في جهة قلبه حدّ وحلود ؛
أى أقطار وأطراف .

قال : « ومنّ حدّه قد عدّه » ، أى جمعه من الأشياء المحدثّة ، وهذا حقّ ، لأنّ
كلّ محدود محدود في القوآت المحدثّة .

قال : « ومن قال : فيمّ ؟ قد ضلّه » ، وهذا حقّ ، لأنّ من تصوّر أنّه في شيء قد
جمعه إما جسمًا متّصّرًا في مكان ، أو مرصّصًا ساريًا في محلّ ، والمكان متّصّن للتمكّن ،
والمحلّ متّصّن للعرض .

قال : « ومن قال : علام ؟ قد أخطى منه » ، وهذا حقّ ، لأنّ من تصوّر أنّه تعالى
على العرش ، أو على الكرسيّ ، قد أخطى منه غير ذلك للموضع . وأصحاب تلك المقالة يمتنعون
من ذلك ؛ ومرادّه عليه السلام إظهار تناقض قولهم : « وإلا فلو قالوا »^(١) : هب أنا قد أخذنا
منه غير ذلك الموضع ؛ أى محذور بمرئنا إمّا إذا قيل لم يزل خلا منه موضع دون موضع لكان
جسمًا ، ولزم حدوثه ، قالوا : لزوم الحدوث والجسمية إمّا هو من حصوله في الجهة لا من خلوه
بعض الجهات عنه ؛ وأنتم إمّا احتججتم علينا بمجرد خلوه بعض الجهات منه ، فظهر أنّ توجيه
الكلام عليهم إمّا هو إزام لهم ، لا استدلال على فساد قولهم .

•••

فأمّا التقطّب الراوندى فإنه قال في معنى قوله : « نقيّ الصفات عنه » : أى صفات
المخلوقين ، قال : لأنه تعالى عالم قادر ، وله بذلك صفات ، فكيف يجوز أن يقال : لا صفته !
وأيضًا فإنه عليه السلام قد أثبت لله تعالى صفة أولًا ، حيث قال : « الذي ليس لصفته
حدّ محدود » ، فوجب أن يحمل كلامه على ما يبرزه عن المناقضة .

وأبصاراً فإنه قد قال فيما بعد في صفة للملائكة : « إنهم لا يصفون الله تعالى بصفات المصنوعين » ، فوجب أن يحمل قوله الآن : « وكلُّ توحيد في الصفات عنه » على صفات المخلوقين ، محلاً للمطلق على المقيد .

واقائل أن يقول : لو أراد نفى صفات المخلوقين عنه لم يستدل على ذلك بدليل المعربة ، وهو قوله : « لشهادة كل صفة أنها غير للوصوف » ، لأن هذا الاستدلال لا ينطبق على دعوى أنه غير موصوف بصفات المخلوقين ، بل كان ينبغي أن يستدل بأن صفات المخلوقين من لوازم الحسية والعرضية ، والبارئ ليس بحس ولا عرض ، ونحن قد بينا أن مراده عليه السلام إبطال القول بالمعاني القديمة ، وهي المسماة بالصفات في الاصطلاح القديم^(١) ، ولهذا يسمى أصحاب المعاني بالصفائية . فأما كونه قادراً وعالماً فأصحابها أصحاب الأحوال ، وقد بينا أن مراده عليه السلام بقوله : « ليس لصفته حدٌ محدود » ، أي لكيفية وحقيقتها ، ولما كان الملائكة لا تصف البارئ بصفات المصنوعين فلا يقتضى أن يحمل كل موصوف في الصفات على صفات المصنوعين ، لأجل تقييد ذلك في ذكر الملائكة ، وأين هذا من باب حمل المطلق على المقيد ؟ لا سيما وقد ثبت أن التعليل والاستدلال يقتضى ألا يكون المراد صفات المخلوقين .

وقد تكلف الراوندي لتطبيق تعليقه عليه السلام بنى الصفات عنه بقوله : « لشهادة كل صفة أنها غير للوصوف » ، بكلام عجيب ؛ وأما أحكى الفاظه لتعلم ؛ قال : معنى هذا التعليل أن الفعل في الشاهد لا يشابه الفاعل ، والفاعل غير الفعل ؛ لأن ما يوصف به الغير إما هو الفعل أو معنى الفعل ، كالعارض والمقيم ؛ فإن الفهم والصرح كلاهما فعل ، والوصوف بهما فاعل ، والدليل لا يختلف شاهداً وغائباً ؛ فإذا كان تعالى قديماً وهذه الأقسام محدثة كانت معدومة ثم وجدت ، يدل على أنها غير للوصوف بأنه خالقها ومدبرها .

انقضى كلامه . وحكايته نُفِي عن الرد عليه .

ثم قال : « الأول » على وزن « أفل » يستوى فيه الذكر والمؤنث ، إذا لم يكن فيه الألف واللام ، فإذا كانا فيه قيل للمؤنث « الأولى » .

وهذا غير صحيح ، لأنه يقال : كلمت فضلاهن ، وليس فيه ^(١) ألف ولا م ، وكان ينبغي أن يقول إذا كان منكرا مصحوبا بمن استوى المذكر والمؤنث في لفظ « أفل » ، تقول : زيد أفضل من عمرو ، وهند أحسن من دعد .

• • •

الأصل :

كائنٌ لا عن حدث ، موجودٌ لا عن عدم ، مع كل شيء لا عقرانته ، وغير كل شيء لا يمزائلة ، فاعِلٌ لا متعلٍّ الحركات والآلة ، نصيرٌ ؛ إذا لا منتطور إليهِ من خلقهِ ، متوحدٌ ؛ إذا لا سكن يستأين به ، ولا يستوحش لفقدهِ . أنشأ الخلق إنشاءً ، وأتدأه ابتداءً ، بلا روبة أجالها ، ولا تجربة استفادها ، ولا حركة أحدثها ، ولا حمالة نفس اضطرب فيها . أحال الأشياء لأوقاتها ، ولآدم بين محتلعاتها ، وعزز غرائزها ، وألزمها أشباحها ؛ عالمًا بها قبل ابتدائها ، محيطًا بمحدودها وأنتهاها ، عارفاً بقرائنها وأختائها .

• • •

الشرح :

قوله عليه السلام : « كائن » ، وإن كان في الاصطلاح العرفي مقولا على ما ينزه الباري عنه ؛ فراده ^(٢) به المفهوم القموي ؛ وهو اسم فاعل من « كان » ، بمعنى وجد ، كانه قال : موجود غير محدث .

فإن قيل : فقد قال بعده : « موجود لا عن عدم » فلا يبقى بين الكلمتين فرق .
 قيل : بينهما فرق ، ومراعاة بالموجود لا عن عدم هاهنا وجوب وجوده ونفى إمكانه ،
 لأن من أثبت قديماً ممكناً ؛ فإنه وإن نفي حدوثه الزماني فلم ينفِ حدوثه الذاتي ،
 وأمير المؤمنين عليه السلام نفي عن الباري تعالى في الكلمة الأولى الحدوث الزماني ، ونفي
 عنه في الكلمة الثانية الذاتي . وقولنا في الممكن : إنه موجود من عدم ، صحيح عند
 التأمل ، لا بمعنى أن عدمه سابق له زماناً ، بل سابق لوجوده ذاتاً ، لأن الممكن يستحق
 من ذاته أنه لا يستحق الوجود من ذاته .

وأما قوله : « مع كل شيء لا بمقارنة » ، فمراده بذلك أنه يعلم العزائيات والسكليات ،
 كما قال سبحانه : ﴿ مَا يَكُونُ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا هُوَ رَاسِيَهُمْ ﴾^(١) .

وأما^(٢) قوله : « وغير كل شيء لا بمزايلة » ، لأن العبرين في الشاهد هاهنا رايل
 أحدهما الآخر وبإيه مكان أو زماناً ، ~~بجعل بيان الوجودات مبينة منزلة~~
 عن المكان والزمان ، فصدق عليه أنه غير كل شيء لا بمزايلة .

وأما قوله : « فاعل لا بمعنى الحركات والآلة » ، لحق ؛ لأن فعله اختراع ، والحكام
 يقولون : إبداع ، ومعنى الكلمتين واحد ؛ وهو أنه يفعل لا بالحركة والآلة كما يفعل
 الواحد منّا ، ولا يوجد شيئاً من شيء .

وأما قوله : « بصير ؛ إذ لا منظور إليه من خفيه » ، فهو حقيقة مذهب أبي هاشم
 رحمه الله وأصحابه ، لأنهم يطلقون عليه في لأزل أنه سميع بصير ، وليس هناك مسموع
 ولا مبصر ، ومعنى ذلك كونه بحالٍ بصير منه إدراك السموعات والمبصرات إذا وجدت ؛

(١) سورة المجادلة ٧

(٢) ١ : « فاعل » .

وذلك يرجع إلى كونه حياً لا آفة به ، ولا يُطلقون عليه أنه سامع مبصر في الأزل ، لأن السامع المبصر هو المدرك بالفعل لا بالقوة .

وأما قوله : « متوحد » ، إذ لا سَكَن يستأس به ، ويستوحش لفقده ، فـ « إذ » هاهنا ظرف ، ومعنى الكلام أن العادة والعرف إطلاق « متوحد » على من قد كان له من يستأنس بقربه ويستوحش ببعده فافرد عنه ، والبارئ سبحانه يطلق عليه أنه متوحد في الأزل ولا موجود سواه ؛ وإذا صدق سلب الموجودات كلها في الأزل صدق سلب ما يؤثر أو يؤثر ؛ فتوحد سبحانه بخلاف توحد غيره .

وأما قوله عليه السلام : « أنا الخلق ، وأبتداء ابتداء » ، فكلمتان مترادفتان على طريقة المصحاء والبلهاء ؛ كقوله سبحانه : ﴿ لَا يَمْتَنُّا فِيهَا نَسَبٌ وَلَا يَمْتَنُّا فِيهَا لُغُوبٌ ﴾^(١) . وقوله : ﴿ لِكُلِّ جَلَلًا مِّثْلُكُمْ بَرَّةً وَمِثْلًا جَا ﴾^(٢) .

وقوله : « بلا روية أجالها » ، والرؤية العكسية ، وأجالها : رددها ؛ ومن رواه : « أجالها » بالحاء ، أراد صرغها . وقوله : « ولا تحرمه استفادها » ، أى لم يكن قد خلق من قبل أجساماً فحصلت له التجربة التي أطاعته على خلق هذه الأجسام .

وقوله : « ولا حركة أحدثها » ، فيه رد على الكرامية الذين يقولون : إنه إذا أراد أن يخلق شيئاً مبادئاً عنه أحدث في ذاته حادثاً ، يسمى الإحداث ، فوقع ذلك الشيء المبادئ من ذلك المسمى المتعدد المسمى إحداثاً .

وقوله : « ولا كرامة نفس اضطرب فيها » ، فيه رد على المحوس والثنوية القائلين بالكرامة ، ولم فيها خبط طويل يذكره أصحاب المقالات ، وهذا يدل على صحة ما يقال : إن أمر المؤمنين عليه السلام كان بعرف آراء المتقدمين والمتأخرين ، ويعلم العلوم كلها ، وليس ذلك ببعيد من فضائله ومناقبه عليه السلام

وأما قوله : « أحال الأشياء لأوقاتها » ، فن رواها : « أحل الأشياء لأوقاتها » ،
فمنه جعل محل كل شيء ووقته كمثل الدين . ومن رواها : « أحال » فهو من قولك :
حال في متن فرسه ، أى وثب ، وأحاله غيره ، أى أوثبه على متن الفرس ؛ مداه بالهمزة ،
وكأنه لما أقر الأشياء في أحيائها وأوقاتها صار كن أحال غيره على فرسه .

وقوله . « ولام بين مختلفاتها » ، أى جعل المختلفات ملثيمات ^(١) ، كما قرن النفس
الروحانية بالجسد الترابي ، جلّت عظمتها .

وقوله : « وقرّر غرائزها » ، المروي بالتشديد ، والفرزة : الطبيعة ، وحمها غرائز ،
وقوله : « غرّزها » ، أى جعلها غرائز ، كما قيل : سبحان من ضوأ الأضواء ، ويجوز أن
يكون من غرّزت الإبرة بمعنى حرست . وقد رأيت في بعض النسخ بالتخفيف .

وقوله : « وألزمها أشباحها » ، الصير للنصوص في « ألزمها » مائد إلى الفرائز ،
أى ألزم الفرائز أشباحها ، أى أشباحها ، جمع شبح ، وهذا حق ؛ لأن كلاً مطروح على
خريزة لازمة ، فالشجاع لا يكون جانياً ولا ينجس ، لا يكون حواذاً ؛ وكذلك كل الفرائز
لازمة لا تغفل .

وقوله : « عالماً بها قبل ابتدائها » ، إشارة إلى أنه عالم بالأشياء فيما لم يزل .
وقوله : « محيطاً بمحدودها وانتهائها » ، أى بأطرافها ونهاياتها .
وقوله : « عارفاً بقرائنها وأحنائها » ، القرائن : جمع قرؤنة ^(٢) ، وهى النفس . والأحناء :
الجوانب ، جمع حنو ، بقول : إنه سبحانه عارف بنفوس هذه الفرائز التى ألزمها أشباحها ،
عارف بمحباتها وسائر أحوالها المتعلقة بها والصادرة عنها .

• • •

(١) ب : « ملثمة » ، وما أثبتته عن .
(٢) ومه قوله أوس بن حجر :
فَلَاقِ امْرَأً مِنْ مَيْدَعَانَ وَأَسْمَحَتْ قَرَوْنَةُ بِالْيَاسِ مِنْهَا قَمْعَجَلًا
أى طابت نفسه بتركها .

فأما القطب الراوندى فإنه قال : معنى قوله عليه السلام : « كائن لا من حدث ، موجود لا من عدم » ، أنه لم يزل موجوداً ، ولا يزال موجوداً ، فهو باقٍ أبداً كما كان موجوداً أولاً ؛ وهذا ليس بجيد ، لأن اللفظ لا يدل على ذلك ولا فيه تعرض بالبقاء فيما لا يزال .

وقال أيضاً : قوله عليه السلام : « لا يستوحش » ، كلام مسأف . ولقائل أن يقول : كيف يكون كلاماً مستأنفاً ، والماء « فى فقه » ترجع إلى « الكن » للذكور أولاً . وقال أيضاً : يُقال : ماله فى الأمر همة ولا كرامة ؛ أى لا يهتم به ، والهمة : التردد ، كالعزم . ولقائل أن يقول : العزم هو إرادة جارية حصلت بعد التردد ، فبطل قوله : إن الهمة هى نفس التردد كالعزم . وأيضاً عند نظامه عليه السلام بالهمة ؛ حكى زرّقان^(١) فى كتاب « القالات » ، وأبو عيسى^(٢) ، والحن بن موسى^(٣) ، وذكره شيخنا أبو القاسم البلخى^(٤) فى كتابه فى القالات . ليس كمن التوبة : أن النور الأعظم اضطربت عزائه وإرادته فى عرو العظمة والإغارة عليها ، فخرحت من ذاته قطعة . وهى الكرامة المضطربة فى نفسه . فخالطت الظلمة غازية لها ، فاقطعتها الظلمة عن النور الأعظم ، وحالت بينها وبينه ، وخرجت كرامة الظلمة غازية للنور الأعظم ، فاقطعتها النور الأعظم من الظلمة ، وبرزها بأجزائه ، وامتزجت كرامة النور بأجزاء العظمة أيضاً ، ثم ما زالت الهمامتان تتقاربان

(١) هو زرّقان النكلم ؛ تلميذ لإبراهيم بن سيار النظام ؛ ولد حكى زرّقان عن النظام أقوالاً فى الفرق بين الفرق ٥٠ - ٥١ ، وذكره السعوى فى التبيين والإشراف ٣٤٢ .

(٢) هو أبو عيسى محمد بن هارون الرزاز ؛ كان من تلاميذ المعتزلة ؛ وله تصانيف فى مدعيهم . تولى سنة ٢٤٧ . لسان الميزان ٥ : ٢١٢ .

(٣) هو أبو محمد الحسن بن موسى النعمنى ؛ من مشكلى الإمامية ؛ وذكره الطوسى فى طائهم ؛ عاش فى القرن الثالث . لسان الميزان ٢ : ٢٥٨ ، رومات الحيات ٣١ ، تنقيح المقال ١ : ٣١٢ .

(٤) هو أبو القاسم عبد الله بن أحمد بن محمود الطخى الكسى ؛ شيخ المعتزلة ، وكان على رأس طائفة منهم يقال لهم الكمية ؛ تولى سنة ٣١٩ . ابن خلكان ١ : ٢٥٢ .

وتتدانيان وهما ممتزجتان ، بأجزاء هذا وهذا ؛ حتى انبني منهما هذا العالم المحسوس . ولهم في الكهامة كلام مشهور ؛ وهي لفظة اصطلاحوا عليها ، واللفظة العربية ما عرفنا فيها استحصال الهامة بمعنى الهمة ، والذي عرفناه الهمة والهمة - بالكسر والفتح - والمهمة ، ونقول ؛ لا تكامل بهذا الأمر ، مبني على الكسر كقطايم ، ولكنها لفظة اصطلاحية مشهورة عند أهلها .



الأصل :

ثُمَّ أُنشِئُ بَعَانَهُ فَتَقَى الْأَجْوَادَ ، وَشَقَّ الْأَرْجَاءَ ؛ وَسَكَّائِكَ الْهَوَاءَ ، فَأَجْرَى^(١) فِيهَا مَاءً مُتَلَطِّعًا تَيَّارُهُ ، مُتَرَاكِمًا زَحَاكِمُهُ^(٢) عَلَى مَتْنِ الرِّيحِ السَّامِقَةِ ، وَالرَّعْزَعِ الْقَاصِدَةِ ، فَأَمْرَهَا يَرُدُّهُ ، وَسُطْحَهَا عَلَى شَدْوٍ^(٣) ، وَفَرْسَهَا إِلَى حَدْوٍ ؛ الْهَوَاءَ مِنْ تَحْتِهَا فَنَيْقٍ ، وَلِلَّاهِ مِنْ فَوْقِهَا دَفِيقٌ . ثُمَّ أُنشِئُ سَهْلًا يَدِيرُهَا اعْتَمَمَ مَبِهَا ، وَأَدَامَ مُرَبَّهَا ، وَأَعْصَفَ بَحْرَاهَا ، وَأَبْمَدَ مَشَاهَا ؛ فَأَمْرَهَا يَصْنِيقُ لِلَّاهِ الزَّخَارَ ، وَلِلْأَرَةِ مَوْجَ الْبَحَارِ ، فَمَخَضَتُهُ تَحْمِلُ السَّيَّاءَ ، وَعَصَفَتُ بِهِ عَصْفًا بِالْفَضَاءِ ؛ تَرُدُّ أَوَّلَهُ عَلَى آخِرِهِ ، وَسَاجِيَهُ عَلَى^(٤) مَا ثَرِيهِ ، حَتَّى عَبَّ غِيَابُهُ ، وَرَمَى بِالرُّبْدِ رُكَاكُمُ ، فَوَقَّعَهُ فِي هَوَاءِ مُنْفَتِحٍ ، وَجَوٍّ مُنْفَتِحٍ ، فَسَوَّى مِنْهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ حَتَّى سَفَلَاهُنَّ مَوْجًا مَكْفُوفًا ؛ وَعَلَيَاكُنَّ سَفَا مَحْفُوفًا ، وَتَمَكَّنَا مَرْفُوعًا ؛ بِبَعْرِ عَمْدٍ بَدْتُمَهَا ، وَلَا دِمَارٍ يَنْتَظِمُهَا^(٥) . ثُمَّ زَيْنَهَا بِزِينَةِ الْكَوَاكِبِ ، وَضِيَاءِ النُّوَاقِبِ ، وَأَجْرَى فِيهَا سِرَاجًا مُسْتَطِيرًا ، وَقَمَرًا مُنِيرًا ، فِي فَلَكٍ دَائِرٍ ، وَسَقْفٍ سَائِرٍ ، وَرَقِيمٍ مَائِرٍ .

(١) ا : « فَأَجَز » ، وكذلك في عطوفة التهج .

(٢) ا : ج : « إِلَى » ، وكذلك في عطوفة التهج .

(٣) ج : « يَنْظِمُهَا » .

الْبَرْخ :

لسائل أن يسأل فيقول : ظاهر هذا الكلام أنه سبحانه خلق الفضاء والسموات بعد خلق كل شيء ؛ لأنه قد قال قبل : « فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ » ، و « وَتَدَّ الْأَرْضُ بِالْجِبَالِ » ، ثم عاد فقال : « أَنْشَأَ الْخَلْقَ إِثْنَاءَ » ، و « وَاتَّعَدَّ اتِّعَادَهُ » ، وهو الآن يقول : « ثُمَّ أَنْشَأَ سَبْعَانَهُ فَتَقَى الْأَجْوَاءَ » ، ولفظة « ثُمَّ » لتراخي !

فالجواب أن قوله ^(١) : « ثُمَّ » هو تعقيب وتراخي ، لا في محركات الباري سبحانه ، بل في كلامه عليه السلام ؛ كأنه يقول : ثم أقول الآن بعد قولي للمقدم : إنه تعالى أنشأ فتق الأجواء . ويمكن أن يقال : إن لفظة « ثُمَّ » هنا تعطي معنى الجمع المطلق كالواو ، ومثل ذلك قوله تعالى : « وَإِنِّي لَسَفَّارٌ إِلَىٰ نَارِكَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَىٰ » ^(٢) .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

واعلم أن كلام أمير المؤمنين عليه السلام في هذا الفصل يشتمل على مباحث : منها : أن ظاهر لفظة أن الفضاء الذي هو الفراغ الذي يحصل فيه الأجسام خلقه الله تعالى ولم يكن من قبل ؛ وهذا يقتضي كون الفضاء شيئاً ؛ لأن المخلوق لا يكون عديمًا محضًا . وليس ذلك بيميد ، فقد ذهب إليه قوم من أهل النظر ، وجعلوه جسمًا لطيفاً خارجاً عن مشابهة هذه الأجسام . ومنهم من جعله مجرداً .

فلن قيل : هذا الكلام يُشير بأن خلق الأجسام في العدم المحض قبل خلق الفضاء ليس بممكن ، وهذا يناق المقل !

قيل : بل هذا هو محض مذهب الحكماء ، فإنهم يقولون : إنه لا يمكن وجود جسم

(١) كذا في أ ، ج ، و ، ب : « فالجواب قوله » .

(٢) سورة طه ٨٢ .

ولأحرکه جسم خارج الفلك الأقصى؛ وليس ذلك إلا لاستعانة وجود الأجسام وحركتها،
إلا في الفضاء .

ومنها : أن الباري - سبحانه - خلق في المصاء الذي أوجده ماء جعله على متن الريح ، فاستقل عليها ، وثبت وصارت مكاناً له ، ثم خلق فوق ذلك الماء ريحاً أخرى سلطها عليه ، فوجده تمويحاً شديداً حتى ارتفع ، نفلق منه السموات . وهذا أيضاً قد قاله قوم من الحكماء ؛ ومن جعلهم تاليس الإسكندراني ؛ وزعم أن الماء أصل كل ^(١) العناصر ؛ لأنه إذا انخمص صار أرضاً ، وإذا لطّف صار هواء ، والهواء يستحيل ناراً ؛ لأنّ النار صفوة الهواء .

ويقال : إن في التوراة في أول السفر الأول كلاماً يناسب هذا ؛ وهو أن الله تعالى خلق جوهرأ ، فنظر إليه نظر الهيبة ، فذابت أحرأوه فصارت ماء ، ثم ارتفع من ذلك الماء بخار كالخان ،^(١) فخلق منه السموات ؛ وظهر نخل وجه ذلك الماء زبد^(٢) ، فخلق منه الأرض ، ثم أرساها بالجبال .

ومنها : أن السماء الدنيا مَوْجٌ مكثوفٌ ، بخلاف السموات الفوقانية . وهذا أيضا قول قد ذهب إليه قوم ، واستدلوا عليه بما نشاهد^(٣) من حركة الكواكب المتغيرة وارتدادها في مرأى^(٤) العين واضطرابها ؛ قالوا : لأن المتغيرة متحركة في أفلاكها ؛ ونحن نشاهدها بالحن البصري ، وبيننا وبينها أجرام الأفلاك الشفافة ، ونشاهدها مرتعدة حسب ارتداد الجسم السائر في الماء ؛ وما ذاك إلا لأن السماء الدنيا ماء متموج ، فارتداد الكواكب

(۱) کلمہ و کلمہ : سابقہ میں ا۔

(۷ - ۴) : مآخذ و مراجع .

(۴) ب : د شامبو .

$$I(t) = I_0 e^{-\lambda t}$$

المشاهدة حقا إنما هو بحسب ارتداد أجزاء الفلك الأدنى. قالوا : فأما الكواكب الثابتة فإننا^(١) لم نشاهدها كذلك ؛ لأنها ليست بمنشعرة كـ ، وأما القمر وإن كان في السماء الدنيا ؛ إلا أن فلك تدويره من جنس الأجرام القوطانية ؛ وليس بمامتدوج كالقفل للمثل التحتاني . وكذلك القول في الشمس .

ومنها : أن الكواكب في قوله : « ثم رتبنا زينة الكواكب » أين هي ؟ فإن اللفظ محتمل ، وينبغي أن يتقدم على ذلك بحث في أصل قوله تعالى : ﴿ إِنَّا زَيْنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةِ الْكَوَاكِبِ • وَحِفْظًا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَارِدٍ ﴾^(٢) !

فنقول : إن ظاهر هذا اللفظ أن الكواكب في السماء الدنيا ، وأنها جعلت فيها حراسة للشياطين من استراق السمع ؛ فمن ذلك صوم ليلك رُجم شهاب ؛ وهذا هو الذي يقتضيه ظاهر اللفظ . ومذهب الحكماء أن السماء الدنيا ليس فيها إلا القمر وحده ؛ وعندهم أن الشهب المنقضة هي آثار تطهر في الليل الأثري الناري الذي تحت فلك القمر ، والكواكب لا ينقض منها شيء ، والواجب التصديق بما في ظاهر لفظ الكتاب العزيز ، وأن يحمل كلام أمير المؤمنين عليه السلام على مطابقته ، فيكون الضمير في قوله : « زيننا » راجعا إلى « سفاهن » ؛ التي قال : « إنها موزج مكثوف » ، ويكون^(٣) الضمير في قوله : « وأجرى فيها » راجعا إلى جملة السموات ؛ إذا وافقنا الحكماء في أن الشمس في السماء الرابعة .

ومنها : أن ظاهر الكلام يقتضي أن خلق السموات بعد خلق الأرض ؛ ألا تراه كيف لم يتعرض فيه لكيفية خلق الأرض أصلا . وهذا قول قد ذهب إليه جماعة من أهل الملة ،

(٢) سورة الصافات ٧٢٦ .

(١) ب : ١ : « فإنما » .

(٣) ا : ١ : « فيكون » .

واستدلوا^(١) عليه بقوله تعالى: ﴿ قُلْ أَتُنْسِكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾^(٢)، ثم قال: ﴿ ثُمَّ أَسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ ﴾^(٣).

ومنها: أن الهواء في قوله: «فرغه في هواء منفثق» والهافى قوله: «فسوى منه سبع سموات» إلى ماذا ترجع؟ فإن آحر المذكورات قبلها «الزبد». وهل يجوز أن تكون السموات مخلوقة من زبد الماء؟ الحق أن الصائر ترجع إلى الماء الذي عبّ عبابه؛ لا إلى الزبد؛ فإن أحدا لم يذهب إلى أن السماء مخلوقة من زبد الماء؛ وإعنا قالوا: إنها مخلوقة من بخاره.

ومنها: أن يقال إن المارئ سبحانه قادر على خلق الأشياء إبداعاً واحتراساً؛ فما الذي اقتضى أنه خلق المخلوقات على هذا الترتيب؟ وهل أوجدها بإيجاد الماء الذي ابتدعه أولاً من غير شيء!

فيقال في جواب ذلك على طريق أصحابنا: لعل لإحبارهم للسكتين بذلك على هذا الترتيب يكون لطفاً بهم^(٤)، ولا يجوز الإحار منه تعالى إلا والمختبر به مطابق للإحبار. فهذا حظ الباحث المصنوية من هذا الفصل.

• • •

ثم شرع في تفسير ألفاظه:

أما الأجواء فجمع جَوٍّ، والجو هنا الفضاء العالي بين السماء والأرض. والأرجاء:

(٢) سورة فصلت ٩.
(٤) كما في ج، وفي أ، ب، د، هـ.

(١) ١: «استدلوا».
(٣) سورة فصلت ١٠.

الجوانب ، واحدها رجا مثل عصا . والسكائك : جمع سُكَاكَة ؛ وهي أعلى الفضاء ، كما قالوا : ذُوَابَةٌ وذَوَائِبُ . والتيار : الموج . والنراكم : الذي يعضه فوق بعض . والزخار : الذي يزخر ، أى يمتد ويرتفع . والريح الزعزع : الشديدة المهبوب ، وكذلك القاصفة ؛ كأنها تُهْلِكُ الناس شدّة مهبوبها . ومعنى قوله : « فأمرها برده » ، أى يئتمه عن المهبوط ؛ لأن الماء ثقيل ، ومن شأن الثقل الهوى . ومعنى قوله : « وسلطها على شدة » أى على وثاقه ؛ كأنه سبحانه لما سلط الريح على منعه من المهبوط ؛ فكأنه قد شده بها وأوثقه ومنعه من الحركة . ومعنى قوله : « وقرنها إلى حده » ، أى جعلها مكاناً له ؛ أى جعل حد الماء المذكور - وهو سطحه الأسفل - مماسطع الريح التى تحمله وتثقله . والفتيق : المفتوق المتبسط . والنفيق : المدفوق . واعتَمَمَ مَرَبَّهَا ، أى جعل مهبوبها عقبا ، والريح المقيم : التى لا تُلْقَحُ سحاباً ولا شعراً ؛ وكذلك كانت تلك الريح المثار إليها ؛ لأنه سبحانه إنما خلقها لتوزيع الماء فقط . وأدام مَرَبَّهَا ، أى ملازمها ، أى بالمكان مثل ألب به ، أى لازمه .

ومعنى قوله : « وعصفت به عصفها بالفضاء » ، فيه ^(١) معنى لطيف ؛ يقول : إن الريح إذا عصفت بالفضاء الذى لا أجسام فيه كان عصفها شديداً لعدم المانع ؛ وهذه الريح عصفت بذلك الماء العظيم عصفاً شديداً ؛ كأنها تمصِفُ فى فضاء لا يمانع لها فيه من الأجسام . والساجى : الساكن . والمائر : الذى يذهب ويحى . وعبَّ عبا به : أى ارتفع أعلاه . ورُكَّامه : تبعه وخصبه ^(٢) . والجوَّ النفيق : الفتوح الواسع . والموج المكفوف : المنوع من السيلان . وعَدَّ يَدْعُمُها : يكون لها دِعامَة . والدُّسار : واحد الدُّسُر وهي المسامير . والتواقب النيرة : المشرقة . وسراجاً مستطيراً ، أى منتشر الضوء ؛ يقال : قد استطار

(٢) ب : « مضجه » .

(١) كلمة « به » ساقطة من باب .

خلاف ما يقوله جمهور العقلاء ، وليس في القرآن العزيز ما يدل على تعدد الأرض إلا قوله تعالى : ﴿ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ ﴾ ^(١) ، وقد أولوه على الأقاليم السبعة . وحديث الصخرة والحوت والبقرة من الخرافات في غالب الظن ، والصحيح أن الله تعالى يُمَكِّنُ السَّكَنَ بنير واسطة جسم آخر .

ثم قال الراوندي : السَّكَاكُ : جمع سُكَاك ، وهذا ^(٢) غير جائز ، لأن «فُعَلَاء» لا يجمع على «فُعائل» ؛ وإنما هو جمع سُكَاكَة ، ذكر ذلك الجوهري ^(٣) .
ثم قال : «وَسَلَطَهَا عَلَى شِدَّةٍ» ، الشدَّة : المدو . ولا يجوز حمل الشدَّة ههنا على المدو ؛ لأنه لا معنى له ، والصحيح ما ذكرناه .



وقال في تفسير قوله عليه السلام : «رَجُلٌ سَفَلَاهُنْ» موجاً مكفوفاً ، أراد تشبيهها بالموج لصعائها واعتلاؤها . فيقال له : إن الموج ليس تعالى ليشته به الجسم العالي ، وأما صفاؤه فإن كل السموات صافية ، فلماذا خص سَفَلَاهُنْ بذلك ؟

ثم قال : ويمكن أن تكون السماء السُفْلَى قد كانت أول ما وجدت موجاً ثم عقدها . يقال له : والسموات الأخر كذلك كانت ، فماذا خص السُفْلَى بذلك ؟

ثم قال : الريح الأولى غير الريح الثابتة ، لأن إحداهما معرفة والأخرى نكرة ؛ وهذا مثل قوله : صم اليوم ، صم يوماً ، فإنه يقتضى يومين .

يقال له : ليست للمعايرة بينهما مستفادة من مجرد التعريف والتذكير ، لأنه لو كان قال

(١) سورة الطلاق ١٢

(٢) ب : « وهو » وما أثبتته من أ

(٣) الصحاح ص ١٥٩١ ، والقى فيه : « والسكك والسكاكة : الهواء الذي يلاقي أعنان السماء » .

عليه السلام : « وحمله على متن ربح عاصفة وزعزع عاصفة ، لكات الريحان : الأول والثانية منسكرتين معاً ، وهما متفايرتان ، وإنما علمنا تفايرهما ، لأن إحداهما تحت الماء والأخرى فوقه ، والجسم الواحد لا يكون في حيتين .

• • •

الأصل :

ثُمَّ فَتَقَ مَا بَيْنَ السَّمَوَاتِ أَلَمًا ، فَلَاهُنَّ طَوَارًا مِنْ مَلَائِكَةٍ ؛ مِنْهُمْ سُبُودٌ لَا يَزْكُون ، وَرُكُوعٌ لَا يَتَعَبُونَ ، وَصَافُونَ لَا يَتَزَايِلُونَ ، وَمُسَبِّحُونَ لَا يَتَأْمُونَ ، لَا يَمُتُّهُمْ نَوْمُ الْعِيُونِ ، وَلَا سَهُوُ الْقَوْلِ ، وَلَا فِتْرَةُ الْأَبْدَانِ ، وَلَا غَفْلَةُ النَّيَّانِ .

وَمِنْهُمْ أَمَنَاءٌ عَلَى وَحْيِهِ ، وَالسَّابِقُونَ إِلَى رُؤُوسِهِ ، وَخَلْقُونَ بِمَقَاصِدِهِ (١) وَأَمْرُهُ . وَمِنْهُمْ الْخَلْقَةُ لِعِبَادِهِ ، وَالْأَدْنَى لِأَوْلِيائِهِ . وَمِنْهُمْ الثَّابِتَةُ فِي الْأَرْضِينَ السُّفْلَى أَقْدَامُهُمْ ، وَالْمَارِقَةُ مِنَ السَّمَاءِ الْمَلِيَّةُ أَعْقَابُهُمْ . وَانْفِجَارُهَا مِنْ الْأَقْطَارِ أَرْكَانُهُمْ ، وَالنَّاسِئَةُ لِقَوَائِمِ الْعَرْشِ أَكْتَافُهُمْ ، نَكِيسَةُ دُونِهِ أَبْصَارُهُمْ ، مُتَلَقِّمُونَ تَحْتَهُ بِأَجْنِحَتِهِمْ ، مَضْرُوبَةٌ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَنْ دُونَهُمْ حُجُبُ الْبَرَزَةِ وَأَسْفَارُ الْقُدْرَةِ ؛ لَا يَتَوَقَّهُونَ رَسْمَهُمُ بِالتَّصْوِيرِ ، وَلَا يُحَرِّوْنَ عَلَيْهِ صِفَاتِ الْمَصْنُوعِينَ ، وَلَا يَحْدُودُهُ بِالْأَمَّاكِيرِ ، وَلَا يُشِيرُونَ إِلَيْهِ بِالنَّطَائِيرِ .

[القول في الملائكة وأقسامهم]

الشرح :

الملك عند المعزلة حيوان نوري ؛ فنه شفاف عادم اللون كالهواء ، ومنه ملون بلون الشمس . والملائكة هم قادرون عالون أحياء يعلمون وقدر وحياة ؛ كالواحد منا ، ومكلفون كالواحد منا ، إلا أنهم معصومون . ولم في كيفية تكليفهم كلام ؛ لأن التكليف

(١) مغلطة التهج : « لفضائه » .

قسماً واحداً ، فأعاد الأقسام الأربعة إلى ثلاثة . وليس بجيد ، لأنه قال : « ومنهم الحفظة » ، فلفظة « ومنهم » تقتضى كون الأقسام أربعة ؛ لأنه بها فصل بين الأقسام . وقال أيضاً : معنى قوله عليه السلام : « لا يشام نوم العيون » يقتضى أن لم نوما قليلا لا يغفلهم عن ذكر الله سبحانه ، فأما الباري سبحانه فإنه لا تأخذه سنة ولا نوم أصلا ، مع أنه حي ، وهذه هي المدحة العظمى .

ولفائل أن يقول : لو ناموا قليلا لكانوا زمان ذلك النوم - وإن قل - فافلين عن ذكر الله سبحانه ؛ لأن الجمع بين النوم وبين الله ذكر مستحيل .

والصحيح أن الملك لا يحوز عليه النوم ، كما لا يحوز عليه الأكل والشرب ؛ لأن النوم من نواع المزاج ، والملك لا مزاج له . ولها مدح الباري بأنه لا تأخذه سنة ولا نوم خارج عن هذا الباب ، لأنه تعالى يصل عليه النوم استعالة ذاتية ، لا يحوز تبدلها ، والملك يحوز أن يخرج عن كونه ملكا ، بأن يخلق في أجزاء جسمه رطوبة ويبوسة ، وحرارة وبرودة ، يحصل من اجتماعها مزاج ، وينبع ذلك المزاج النوم . فاستعالة النوم عليه إنما هي ما دام ملكا ، فهو كقولك : الماء بارد ، أى ما دام ماء ؛ لأنه يمكن أن يستحيل هواء ثم نارا ، فلا يكون باردا ، لأنه ليس حينئذ ماء . والباري جلّت عظمته يستحيل على ذاته أن يتغير ، فاستحال عليه النوم استعالة مطلقة ، مع أنه حي ، ومن هذا إتياء التمدح . وروى أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله : « إن الله خلق الأربعة أصناف : الملائكة ، والشیاطين ، والجن ، والإنس . ثم جعل الأربعة عشرة أجزاء ، فقسمة منها الملائكة وجزء واحد الشیاطين والجن والإنس ، ثم جعل هؤلاء الثلاثة عشرة أجزاء ، فقسمة منها الشیاطين وجزء واحد الجن والإنس ، ثم جعل الجن والإنس عشرة أجزاء ، فقسمة منها الجن وجزء واحد الإنس » .

في الحديث الصحيح : إن الملائكة كانت تصافع همران بن الحصين وتزوره ، ثم انقضدها ، فقال : يا رسول الله ، إن رجلا كانوا يأتونني لم أر أحسن وجوها ، ولا أطيب أرواحا منهم ، ثم انقطعوا . فقال عليه السلام : « أصابك جرح فكننت نكته » ؟ فقال : أجل ، قال : « ثم أظهرته » ؟ قال : أجل ، قال : « أما لو أقت على كتابه لزارتك الملائكة إلى أن تموت » ؟ وكان هذا الجرح أصابه في سبيل الله .

وقال سعيد بن المسيب وغيره : للملائكة ليسوا بذكور ولا إناث ، ولا يتوالدون ولا يأكلون ولا يشربون ، والجن يتوالدون وفيهم ذكور وإناث ويموتون ، والشياطين ذكور وإناث ويتوالدون ، ولا يموتون حتى يموت إبليس .

وقال النبي صلى الله عليه وآله في رواية أبي ذر : « إني أرى مالا ترون ، وأسمع مالا تسمعون ، ألت السماء وحق لها أن تنطق ^(١) فإياها موضع شير إلا وفيه ملك قائم أو راكع أو ساجد واضح جهته لله . والله لو تعلمون ما أعلم لصعكنم قليلا ، ولبيكنم كثيرا ، وما تلهذتم بالنساء على الفراش ، وتخرجن إلى العوات تحارون إلى الله . والله لو ددت إني كنت شعرة نضد ^(٢) .

قلت : ويؤشك هذه الكلمة الأخيرة أن تكون قول أبي ذر .

وانفق أهل الكتب على أن رؤساء الملائكة وأعيانهم أربعة : جبرائيل ، وميكائيل ، وإسرافيل ، وعزرائيل ؛ وهو ملك الموت . وقالوا : إن إسرافيل صاحب الصور وإليه النفخة ، وإن ميكائيل صاحب النبات والطر ، وإن عزرائيل على أرواح الحيوانات ، وإن جبرائيل على جنود السموات والأرض كلها ، وإليه تدبير الرياح ، وهو ينزل إليهم كلهم بما يؤمرون به .

(١) ذكره ابن الأثير في النهاية ١ : ٣٥ ، وقال : « الاطيط : صوت الأتباب ، واليطيط الإبل : أسواتها وحنيها ؟ أي أن كثرة ما فيها من الملائكة قد أقطاها حتى ألت ؟ وهذا مثل وإينان بكثرة الملائكة ؟ وإن لم يكن ثم أطيط ؟ وإنما هو كلام غريب ، أريد به تقرير عطلة الله تعالى .

(٢) نضد : تنطق ؟ وانظر النهاية لابن الأثير ٣ : ١٠٤

وروى أنس بن مالك أنه قيل لرسول الله صلى الله عليه وآله : ما هؤلاء الذين استثنى بهم في قوله تعالى : ﴿ فَصَبَّحُوا مِنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ﴾ (١) فقال : « جبرائيل ، وميكائيل ، وإسرافيل ، وعزرائيل ؛ فيقول الله عز وجل لعزرائيل : يا ملك الموت ، من بقي ؟ وهو سبعائه أعلم - فيقول : سبعائك ربّي ذا الجلال والإكرام ! بقي جبرائيل ، وميكائيل ، وإسرافيل ، وملك الموت ؛ فيقول : يا ملك الموت ، خذ نفس إسرافيل ، فيقع في صورته التي خلق عليها كأعظم ما يكون من الأطوار ، ثم يقول : - وهو أعلم - من بقي يا ملك الموت ؟ فيقول : سبعائك ربّي يا ذا الجلال والإكرام ! جبرائيل وميكائيل وملك الموت ، فيقول : خذ نفس ميكائيل ، فيقع في صورته التي خلق عليها ، وهي أعظم ما يكون من خلق إسرافيل بأضفاف مضاعفة . ثم يقول سبعائه : يا ملك الموت ، من بقي ؟ فيقول : سبعائك ربّي ذا الجلال والإكرام : جبرائيل ، وملك الموت ، فيقول تعالى : يا ملك الموت ، ميت فيموت ، ويبقى جبرائيل - وهو من الله تعالى بالمكان الذي ذكر لكم - فيقول الله : يا جبرائيل ، إنه لا بدّ من أن يموت أحدنا ، فيقع جبرائيل ساجدا يخفق بجناحيه ، يقول : سبعائك ربّي ومحمدك ! أنت الدائم القائم الذي لا يموت ؛ وجبرائيل المالك للبيت الثاني ، فيقبض الله روحه ، فيقع على ميكائيل وإسرافيل ، وإن فضل خلقه على خلقهما كفضل الطود العظيم على الغراب (٢) من الغراب . وفي الأحاديث الصحيحة أن جبرائيل كان يأتي رسول الله صلى الله عليه وآله على صورة دحية الكلبي ، وأنه كان يوم بدر على فرس اسمه حيزوم ، وأنه سمع ذلك اليوم صوته : أقدم حيزوم (٣) .

(١) سورة الزمر ٦٨

(٢) الغراب ككف : الحبل الصغير .

(٣) الخبر في اللسان (حزم) ؛ وفيه : « أراد أنهم بالحيزوم ؛ فحذف حرف النباء ، والياء فيه

« زائدة » .

والكروبيون^(١) عند أهل الله سادة لللائكة ، كجبرائيل وميكائيل . وعند الفلاسفة أن سادة لللائكة هم الروحانيون - يصنون المقول الفعالة وهي الفارقة للعالم الجسماني للسلوبة التعلق به ، لا بالحول ولا بالتدبير . وأما الكروبيون فدون الروحانيين في المرتبة وهي أغنى الأفلاك المدبرة لها ، الجارية منها مجرى غوسنا مع أجسامنا .

ثم هي على قسمين : قسم أشرف وأعلى من القسم الآخر ، فالقسم الأشرف ما كان نفساً ناطقة غير حائلة في جرم الفلك ، كأغسنا بالنسبة إلى أبداننا . والقسم الثاني ما كان حالاً في جرم الفلك ، ويمر ذلك مجرى القوى التي في أبداننا ، كالخس المشترك والقوة الباصرة .



الأصل :

منها في صفة خلق آدم عليه السلام :

ثُمَّ جَعَلْنا مِنْ عَظْمِها نَافِثَةً ، وَنَسَخِناها ، وَنُفِثَناها بِالنَّاهِ
حَتَّى خَلَقَنا ، وَلَاطِها بِالْبَلَةِ حَتَّى لَزَبَتْ ، فَجَعَلْنا مِنْها صُورَةَ ذَاتِ أَضْياءَ ، وَوُجُوهٍ
وَأَعْضاءَ ، وَفُصُولٍ أَجْداها حَتَّى اسْتَسْكَنْتْ ، وَأَصْلَها حَتَّى صَلَّصَتْ ، لَوَقْتِ
مَعْدُودٍ ، وَأَجَلٍ مَعْلُومٍ .

ثُمَّ نَفَخَ فِيها مِنْ رُوحِهِ فَفُتِلَتْ^(٢) إِنساناً ذَا أَذْهانٍ يُحِيلُها ، وَفِكرٍ يَقْصِرُ
بِها ، وَجَوارِحَ يَحْتَدِمُها بِوَأَدَواتٍ يُحَلِّها ، وَمَعْرِقةٍ يَحْرِقُ بِها بَيْنَ الْحَقِّ وَالْباطِلِ ،
وَالْأَذْواقِ وَالْمَشامِ ، وَالْأَلْوانِ وَالْأَجناسِ ، مَمْجُونا بِطِماةِ الْأَلْوانِ الْمُخْتَلِفَةِ ،

(١) الكروبيون ، مخففة الزاء - على ما نقله صاحب القاموس - : هم أقرب اللائكة إلى حلة العرش ؛
وأصله من الكرب وهو القرب ؛ قال أمية :

ملائكة لا يفترون عبادة كروبيّة منهم ركوعٌ وسُجودٌ

(٢) مغلطة التهج : « فتلّت » .

«وَالْأَشْيَاءِ الْمُؤْتَلِفَةِ»^(١)، وَالْأَضْدَادِ التَّعَادِيَةِ، وَالْأَخْلَاطِ الْمُتَبَايِنَةِ، مِنَ الْحُرِّ وَالْبَرْدِ،
وَالْيَبَةِ وَالْجُمُودِ، وَالسَّاءَةِ وَالشَّرُورِ.

وَأَسْتَأْذَى اللَّهُ سُبْحَانَهُ الْمَلَائِكَةَ وَدِيْنَهُ لَدَيْهِمْ، وَعَهْدَ وَصِيَّتِهِ إِيْلَيْهِمْ، فِي الْإِذْمَانِ
بِالسُّجُودِ لَهُ، وَالْخُضُوعِ لِتَكْرِيمَتِهِ، فَقَالَ لَهُمْ: ﴿أَسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ﴾^(٢)
وَقَبِيْلَهُ: أَعَادَتْهُمْ أَطْلِيْعُهُ، وَغَلَبَتْ عَلَيْهِمُ الشَّقْوَةُ، وَتَمَرَّزُوا بِحَقِيقَةِ النَّارِ، وَأَسْتَوْهَنُوا
خَلْقَ الصَّلَاحِ، فَأَعْطَاهُ اللَّهُ الْغِيْرَةَ اسْتِحْقَاقًا لِلسُّخْطَةِ، وَاسْتِثْنَاءً مَا لِلْبَيْلَةِ، وَإِنْجَازًا
لِلْعِدَّةِ، فَقَالَ: ﴿قَالَتْ مِنَ الْمُنْظَرِينَ • إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ﴾^(٣)

• • •



الْمَسْرُوحُ :

الْحَزَنُ : مَا غَلِظَ مِنَ الْأَرْضِ . وَسَبَّحَهَا : تَطَهَّرَهَا . وَسَنَّا بِالْمَاءِ ، أَيْ تَلَسَّسَهَا ، قَالَ :
ثُمَّ خَاصَرْتُهَا إِلَى الْقَضِيَةِ الْخُلْفَةِ ~~فَرَأَى نَفْسِي فِي مَرْمَرٍ مَسْنُونٍ~~^(٤)
أَيْ عَمَلَسَ . وَلَا طَلَهَا ، مِنْ قَوْلِهِمْ : طَلْتُ الْخَوْضَ بِالطَّلِينِ ، أَيْ سَلَطْتُهُ وَطَلَيْتُهُ بِهِ . وَالْبَلَّةُ
بَفَتْحِ الْبَاءِ ، مِنَ الْبَلَلِ . وَلَزَبَتْ ، بِفَتْحِ الزَّيِّ ، أَيْ التَّصَقَّتْ وَثَبَّتْ . فَجَبَلْ مِنْهَا ،
أَيْ خَلَقَ . وَالْأَحْنَاءُ : الْجَوَانِبُ ، جَمْعُ حِنْوٍ . وَأَصْلُهَا : جَلَّهَا صَلَاةً ، أَيْ صَلَّيْنَا مَتِينًا .
وَصَلَّصْتُ : يَبْسُ ، وَهُوَ الصَّلَاحُ . وَبِحَنْدَمِهَا : يَجْعَلُهَا فِي مَآرِبِهِ وَأَوْطَارِهِ كَالْخُدَمِ الَّذِينَ
تُسْتَعْمَلُونَ وَتُسْتَعْدَمُهُمْ . وَأَسْتَأْذَى الْمَلَائِكَةَ وَدِيْنَهُ : طَلَبَ مِنْهُمْ أَدَاءَهَا . وَالْخُضُوعُ :
الْخُضُوعُ . وَالشَّقْوَةُ ، بِكسر الشَّيْنِ ، وَفِي الْكِتَابِ الْمَعْرِيزُ : ﴿رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا

(١ - ١) تَكَلُّفٌ مِنْ غَطْلُوْلَةِ التَّهَجُّجِ

(٢) سُورَةُ مَعَارِجٍ ٣١ : ٨٠ ، ٨١ .

(٣) سُورَةُ الْقُرَةِ ٣١ : ٣٤ .

(٤) لَعْنَةُ الرَّحْمَنِ بْنِ حَبَّانَ بْنِ ثَابِتٍ ، فِي آيَاتٍ يَشْبِهُ بِهَا بِرْمَلَةُ مَعَاوِيَةَ ؛ كَمَا أَنَّ سَابِيحَ الْهَاسِ
١٧ : ٨٨ ؛ وَقَالَ مِنْ ابْنِ بَرِّي أَنَّهَا تَرَوَى لِأَبِي دَعْبَلٍ .

(٥ - ٧ - شرح نهج الملافة - أول)

يَقُولُونَ ﴿١﴾ . واستَوْهَتُوا : عدَّوه واهنا ضعيفا . والنَّظِيرَةُ : بفتح النون وكسر الظاء : الإمهال والتأخير .

فأما معاني الفصل فظاهرة ، وفيه مع ذلك مباحث :

منها أن يقال : اللام في قوله : « لوقت معدود » بماذا تتعلق ؟

والجواب ، أنها تتعلق بمعنوف تقديره : « حتى صلصلت كائنة لوقت » ، فيكون الجار والمحرور في موضع الحال ، ويكون معنى الكلام أنه أصلها حتى يبت وجئت معدة لوقت معلوم ، فنفتح حينئذ روحه فيها . ويمكن أن تكون اللام متعلقة بقوله : « فجبل » أي جبل وخلق من الأرض هذه الجنة لوقت ، أي لأجل وقت معلوم ، وهو يوم القيامة .



ومنها أن يقال : لماذا قال : « من حرزل الأرض وسهلها ، وعدبها وسبعها » ؟

والجواب ، أن المراد من ذلك أن يكون الإنسان مركبا من طباع مختلفة ، وفيه استعداد للخير والشر ، والحسن والصح .

• • •

ومنها أن يقال : لماذا أخر فتح الروح في جنة آدم مدة طويلة ، فقد قيل : إنه بقى

طينا تشاهده لللائكة أربعين سنة ، ولا يطمون ما المراد به ؟

والجواب ، يجوز أن يكون في ذلك ^(٢) لطف لللائكة ، لأنهم تذهب ظنونهم في ذلك ^(٣) كل مذهب ، فصار كإنزال للنشابات الذي تحصل به رياضة الأذهان وتخريجها ، وفي ضمن ذلك يكون القطف . ويجوز أن يكون في إخبار ذرية آدم بذلك فيما بعد لطف بهم ^(٤) ، ولا يجوز إخبارهم بذلك إلا إذا كان الخبر عنه حقا .

(٢ - ٣) ساقط من ١ .

(١) سورة « المؤمنون » ١٠٦ .

(٢) ب : « لهم » .

ومنها أن يقال : ما المعنى بقوله : « ثُمَّ نَفَخَ فِيهَا مِنْ رُوحِي » ؟
الجواب ، أن النفس لما كانت جوهرًا مجردًا ، لا متعيزة ولا حالة في التمييز حسن
لذلك نسبتها إلى الباري ، لأنها أقرب إلى الانساب إليه من الجنانيات ^(١) . ويمكن أيضًا
أن تكون لشرفها مضافة إليه ، كما يقال : يد الله ، لكعبة وأما النفخ فعبارة عن إفاضة
النفس على الجسد ، ولما كان نفخ الريح في الوعاء عبارة عن إدخال الريح إلى جوفه ، وكان
الإحياء عبارة عن إفاضة النفس على الجسد ، ويستلزم ذلك حلول القوى والأرواح في الجنة
باطنا وظاهراً ، سُمي ذلك نفخاً مجازاً .

• • •

ومنها أن يقال : ما معنى قوله : « مَعْرُوفًا بِطِبْعَةِ الْأَلْوَانِ الْمُخْتَلِفَةِ » ؟
الجواب ، أنه عليه السلام قد فسر ذلك بقوله : « من الحر والبرد ، والبلّة والجود » ،
يعني الرطوبة واليبوسة ؛ ومراده بذلك المراجع الذي هو كيفية واحدة حاصلة من كيفيات
مختلفة ، قد انكسر بعضها ببعض . وقوله : « مَعْرُوفًا » صفة « إنسانا » . والألوان المختلفة ،
يعني الضروب والفنون ، كما تقول ^(٢) : في الدار ألوان من الفاكهة .

• • •

ومنها أن يقال : ما المعنى بقوله : « وَاسْتَأْذَى لِلْمَلَائِكَةِ وَدِيبَتِهِ لَدَيْهِمْ » ؟ وكيف كان
هذا العهد والوصية بينه وبينهم ؟
الجواب ، أن العهد والوصية هو قوله تعالى لم : « إِنِّي خَالِقٌ نَشْرًا مِنْ طِينٍ • فَإِذَا
سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ » ^(٣) .

• • •

(١) يقال : حنى الرجل وجهه ، أى حده .

(٢) ١ : « كما يقال » .

(٣) سورة ص ٧١ ، ٧٢ .

ومنها أن يقال : كيف كانت شُبهة إبليس وأصحابه في التمرّز بخلق النار ؟
الجواب ، لما كانت النار مشرقة بالقدات والأرض مظلمة ، وكانت النار أشبه بالنور ،
والنور أشبه بالمجردات ، جعل إبليس ذلك حجة احتج بها في شرف عنصره على غُتصر
آدم عليه السلام ، ولأن النار أقرب إلى الفلك من الأرض ، وكل شيء كان أقرب
إلى الفلك من غيره كان أشرف ، والبارئ تعالى لم يعتبر ذلك ، وفعل سبحانه ما يعلم
أنه للصلحة والصواب .

• • •

ومنها أن يقال : كيف يجوز السجود لغير الله تعالى ؟
والجواب ، أنه قيل : إن السجود لم يكن إلا لله تعالى ، وإنما كان آدم عليه السلام قنط.
ويمكن أن يقال : إن السجود لله على وجه السيادة ، ولمره على وجه التكرمة ؛ كما سجد
أبو يوسف وإخوته . ويجوز أن يُعْلَب الأحوال والأوقات في حسن ذلك وقبحه .

• • •

ومنها أن يقال : كيف جاز على ما تضمنه من حكمة البارئ أن يسلط إبليس على
المكلفين ؛ أليس هذا هو الاستفاد الذي تأبونه وتمنعونه ؟

والجواب ، أما الشيخ أبو علي رحمه الله فيقول : حدث للفسدة ما وقع عند الفساد ،
ولولا لم يقع مع تمكن المكلف من الفعل في الحالتين ، ومن فسد بدعاء إبليس لم يتحقق فيه
هذا الحدث ، لأن الله تعالى علم أن كل من فسد عند دعائه ، فإنه يفسد ، ولو لم يدعه .

وأما أبو هاشم رحمه الله ، فيحدث للفسدة^(١) بهذا الحدث أيضا ، ويقول : إن في الإتيان
بالطاعة مع دعاء إبليس إلى القبيح مشقة زائدة على مشقة الإتيان بها ، ولم يدع إبليس إلى

القييح ، فصار الإتيان بها مع اعتبار دهاء إبليس إلى خلافها خارجاً عن الحدّ للذكور ،
وداخلها في حيز التمسك الذي لو فرضنا ارتفاعه لما صحّ من المكلف الإتيان بالفعل ، ونحن
قلنا في الحدّ مع ثمّ كمن المكلف من الإتيان بالفعل في الحائث .



ومنها أن يقال : كيف جاز للحكيم سبحانه أن يقول لإبليس : ﴿إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ﴾
إلى يوم القيامة ! وهذا إغراء بالقيح ، وأنتم تمنعون أن يقول الحكيم لزيد : أنت لا تموت
إلى سنة ، بل إلى شهر أو يوم واحد ، لما فيه من الإغراء بالقيح ، والمزم على التوبة قبل
انقضاء الأمد .

والجواب ، أن أصحابنا قلوا : إن البرى تعالى لم يقل لإبليس : إني منظر لك إلى يوم
القيامة ؛ وإنما قال : ﴿إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ﴾ ، وهو عبارة عن وقت موته واخترامه ،
وكل مكلف من الإنس والجن منظر إلى يوم الوقت المعلوم على هذا التفسير ، وإذا^(١)
كان كذلك لم يكن إبليس عالماً أنه يبقى لأبد ، فلم يكن في ذلك إغراء له^(٢) بالقيح .
فإن قلت : فما معنى قوله عليه السلام : « وإيجازاً لبيدة » ؟ أليس معنى ذلك أنه قد
كان وعده أن يبقيه إلى يوم القيامة !

قلت : إنما وعده الإنظار ، ويمكن أن يكون إلى يوم القيامة وإلى غيره من الأوقات ،
ولم يبين له ، فهو تعالى أنجز له وعده في الإنظار للطلق ، وما من وقت إلا ويجوز فيه أن
يُختَرَم إبليس^(٣) فلا يحصل الإغراء بالقيح . وهذا الكلام عندنا ضعيف ، ولنا فيه نظر
مذكور في كتبنا الكلامية .



(٢) كلمة « له » ساطعة من أ .

(١) : « فلان » .

(٣) كلمة « إبليس » ساطعة من ب .

الأصل :

ثُمَّ أَشْكَنَ آدَمَ دَارًا أَرْضَهُ فِيهَا عَيْشَتُهُ ، وَأَمَّنَ فِيهَا مَحَلَّتُهُ ، وَحَذَرَهُ
إِبْلِيسَ وَعَدَاوَتَهُ ، فَأَعْتَرَهُ عَدُوُّهُ فَكَاسَهُ عَلَيْهِ بِذِكْرِ الْقَامِ ، وَمَرَاقَةِ الْأُيُورِ ، فَبَاعَ
الْيَقِينَ بِشَكِّهِ ، وَالْعَزِيمَةَ بِوَهْنِهِ ، وَأَسْفَدَلَ بِالْجَدَلِ وَجَلًا ، وَبِالْاعْتِزَازِ نَدَمًا .
ثُمَّ بَسَطَ اللَّهُ سَبْعَانَهُ لَهُ فِي تَوْبَتِهِ ، وَلَقَاهُ كَلِمَةً رَحْمَتِهِ وَوَعْدَهُ التَّوَدُّ إِلَى
جَنَّتِهِ ؛ فَأَهْبَطَهُ إِلَى دَارِ الْبَلِيَّةِ ، وَتَنَاسَلَ الْقَارِيَةُ .



التلخيص :

أما الألفاظ فظاهرة ، وللمعاني إظهار وفيها ما يسأل عنه .

فنها أن يقال : الفاء في قوله عليه السلام : « فأهبطه » ، تقتضي أن تكون التوبة على
آدم قبل هبوطه من الجنة .

والجواب ، أن ذلك أحد قولَي التفسيرين ، وبعضه قوله تعالى : ﴿ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ
فَنَزَلْنَاهُ مِنْهَا فَتَنَّبَاهُ رَبُّهُ فَتَنَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى » قَالَ أَهْبَطْنَا مِنْهَا ^(١) ، فجعل الهبوط بعد
قبول التوبة .

ومنها أن يقال : إذا كان تعالى قد طرد إبليس من ^(٢) الجنة لما أبى السجود ،
فكيف توصل إلى آدم وهو في الجنة حتى استنزله عنها بتعصين أكل الشجرة له ؟
الجواب ، أنه يجوز أن يكون إنما مُنِعَ من دخول الجنة على وجه التقريب والإكرام ،

(١) سورة طه ١٢١ - ١٢٢

(٢) كما في ج ، وفي أ ، ب : « من الجنة » .

كدخول الملائكة ، ولم يمنع من دخولها على غير ذلك الوجه ، وقيل : إنه دخل في جوف الحية ، كما ورد في التفسير .

ومنها أن يقال : كيف اشتبه على آدم الحال في الشجرة المنهى عنها بخالف النهى ؟
الجواب ، أنه قيل له : لا تقرها هذه الشجرة ؛ وأريد بذلك نوع الشجرة ، فحمل آدم النهى على الشخص ، وأكل من شجرة أخرى من نوعها .

ومنها أن يقال : هذا الكلام من أمير المؤمنين عليه السلام نصريح بوقوع المعصية من آدم عليه السلام ؛ وهو قوله : « فباع اليقين بشكك ، والعزيمة بوفته » ، فما قولكم في ذلك ؟

الجواب ، أما أصحابنا فإنهم لا يمتنعون من إطلاق المعصيان عليه ، ويقولون : إنها كانت صغيرة ، وعدم أن الصفات جائزة على الأنبياء عليهم السلام . وأما الإمامية فيقولون : إن النهى كان نهياً تنزيهياً لا نهياً تحريمياً ، لأنهم لا يميزون على الأنبياء العاطل والخطأ ، لا كبيراً ولا صغيراً ، وظواهر هذه الألفاظ تشهد بخلاف قولهم .



[اختلاف الأقوال في ابتداء خلق البشر]

واعلم أن الناس اختلفوا في ابتداء خلق البشر كيف كان ، فذهب أهل الملل من المسلمين واليهود والنصارى إلى أن مبدأ البشر هو آدم ، الأب الأول عليه السلام .
وأكثر ما في القرآن العزيز من قصة آدم مطابق لما في التوراة .
وذهب طوائف من الناس إلى غير ذلك :

أما الفلاسفة ، فإنهم زعموا أنه لا أول لنوع البشر ولا لغيرهم من الأنواع .
وأما الهند ، فمن كان منهم على رأى الفلاسفة فقله ما ذكرناه . ومن لم يكن منهم

على رأى الفلاسفة ويقول محدث الأقسام لا يُثبت آدم ، ويقول : إن الله تعالى خلق الأفلاك وخلق فيها طباعاً محرّكة لها بذاتها ، فها تحرّكت - وحشوها أجسام لاستعالة الخلاء - كانت تلك الأجسام على طبيعة واحدة ، فاختلفت طبائعها بالحركة الفلكية ، فكان القريب من القلب المتحرك أسخن وألطف ، والبعيد أبرد وأكثف . ثم احتلّطت العناصر ، وتكوّنت منها المركّبات ، ومنها تكوّن نوع البشر كما يكوّن النود في الفاكهة واللحم ، واللبق في البطائح والمواضع المغنة ، ثم تكوّن بعض البشر من بعض بالتوالد ، وصار ذلك قانوناً مستمراً ، ونُسبَ التخليق الأول الذى كان بالتولد^(١) . ومن الممكن أن يكون بعض البشر في بعض الأراضى القاصية مخلوقاً بالتولد^(٢) ، وإنما انقطع التولد ، لأن الطبيعة إذا وجدت لتكوّن طريقاً استغنت به عن طريق ثان .

وأما الجحوس فلا يعرفون آدم ، ولا نوحاً ، ولا ساماً ، ولا حاماً ، ولا يافث . وأول متكوّن عديم من البشر البشر محمد^(٣) المسمى « كيومرث » ، ولقبه « كوشاه » ، أى ملك الجبل ، لأن « كو » هو الجبل بالفتاوية ، وكان هذا البشر في الجبال . ومنهم من يسميه « كلشاه » أى ملك الطين ، و « كل » اسم الطين ؛ لأنه لم يكن حينئذ بشر ليملكهم . وقيل : تفسير « كيومرث » : حتى مطلق ميت . قالوا : وكان قدرزق من الحسن ما لا يقع عليه بصر حيوان إلا وبهت وأغمى عليه ، ويزعمون أن مبدأ تكوّنهِ وحدوثه أن يزدان - وهو الصانع الأول عديم - أفكر^(٤) في أمر أهرمن ، - وهو الشيطان عديم - فكرة أوجبت أن عرق جبينه ، فسح العرق ورى به ، فصار منه كيومرث . ولم خبط طویل في كيفية تكوّن « أهرمن » من فكرة « يزدان » أو من إعجابه بنفسه ، أو من توحّشه ، وبينهم خلاف في قِدَم « أهرمن » ، وحدوثه لا يليق شرحه بهذا الموضع^(٥) .

(١) كذا في ج ، وفي بقى الأصول : « التولد » .

(٢) أفكر ولسكر بالشدید ، بمعنى .

(٣) ب : « البعير » .

(٤) انظر المصاحفة ١٤ .

ثم اختلفوا في مدة بقاء كيومرث في الوجود ، فقال الأكثرون : ثلاثون سنة . وقال الأقلون : أربعون سنة . وقال قوم منهم : إن كيومرث مكث في الجنة التي في السماء ثلاثة آلاف سنة ، وهي : ألف الحمل ، وألف الثور ، وألف الجوزاء . ثم أهبط إلى الأرض فساكن بها آمنا مطمئنا ثلاثة آلاف سنة أخرى ، وهي : ألف السرطان ، وألف الأسد ، وألف النملة .

ثم مكث بعد ذلك ثلاثين أو أربعين سنة في حرب وخصام بينه وبين أهرمن حتى هلك ^(١) .

واختلفوا في كيفية هلاكه ، مع اتفاقهم على أنه هلك قتلاً ، فالأكثرون قالوا : إنه قتل اسماً لأهرمن يُسمى خزورة ، فاستغاث أهرمن منه إلى يزدان ، فلم يجد بداً من أن يقامه به حفظاً لليهود التي بينه وبين أهرمن ، فقتله بين أهرمن . وقال قوم : بل قتله أهرمن في صراع كان بينهما ، فصره فيه أهرمن ، وعلاه وأكله ^(٢) .

وذكروا في كيفية ذلك الصراع أن كيومرث كان هو القاهر لأهرمن في بادئ الحال ، وأنه ركب وجعل يطوف به في العالم إلى أن سأل أهرمن : أي الأشياء أخوف له وأهلها عنده ؟ فقال له : باب جهنم ، فلما بلغ به أهرمن إليها جعج به حتى سقط من فوقه ، ولم يستمسك ، فملاه وسأله عن أي الجهات يبتدىء به في الأكل ، فقال : من جهة الرُّجُل لَأَكون ناظراً إلى حُسن العالم مدة ما ، فاشتد أهرمن فأكله من عند رأسه ، فبلغ إلى موضع الخصى وأوعية اللين من الصلب ، فقطر من كيومرث قطرتاً نطقت على الأرض ، فنبت منها ريستان ^(٣) في جبل ياصطخر يعرف بجبل دام داذ ؛ ثم ظهرت على تينك الرِّيستانين الأعضاء البشرية في أول الشهر التاسع ، وتمت في آخره ، فتصور منها بشران : ذكر وأنثى ، وهما « ميشى » ، « وميشانه » ، وهما بمنزلة آدم وحواء عند اللئيين . ويقال لهما أيضاً : « ملهى » و « ملهياه » ، ويسميهما مجوس خوارزم : « مرد » و « مردانه » ،

(١) انظر الشاعامة ١٤

(٢) الرياس ، بالكسر : نبت له عالج فصة خضراء ، عراض الورق ، طعمها حامض مع قبح ، ينبت في الجبال ذات الثلوج والبلاد الباردة من غير زرع . المنجد ١٢٣

وزعموا أنها مكثا خمسين سنة مستغنيين عن الطعام والشراب ، متعمين غير متأذيين بشيء إلى أن ظهر لهما أهرمن في صورة شيخ كبير ، فحملهما على التناول من فواكه الأشجار وأكل منها ، وهما بهما بهيمة شيطانية ، فأكلا منها حينئذ ، فوقما في البلايا والنشور ، وظهر فيهما الخرس حتى تزوجا ، وولدا لهما ولد فأكله جرساً ، ثم أتى الله تعالى في قلبهما رافةً ، فولد لهما بعد ذلك ستة أبطن : كل بطن ذكر وأتى ، وأسمائهم في كتاب أبستا - وهو الكتاب الذي جاء به زرادشت - معروفة ، ثم كان في البطن السابع « سيامك » و « فرواك » ، فتزوجا ، فولد لهما الملك المشهور الذي لم يعرف قبله ملك وهو « أرشهنج » ، وهو الذي حلف جده كيومرث ، وعقد له الناج ، وجلس على السرير ، وبنى مدينتي بابل والنجف .



فهذا ما يذكره الجوس في مبدأ الحلي

تفسير سورة

[تصويب الزنادقة إبليس لامتناعه عن السجود لآدم]

وكان في الملبين - ممن يرى بالزندقة - من يذهب إلى تصويب إبليس في الامتناع من السجود ، ويفضله على آدم ، وهو شار بن برد للرهث ^(١) ، ومن الشعر المنسوب إليه :

النَّارُ مُشْرِقَةٌ وَالْأَرْضُ مُظْلِمَةٌ وَالنَّارُ مَبْعُودَةٌ مَذْكَاتِ النَّارِ ^(٢)

(١) في اللسان : « سمى بذلك لرحمته كانت له في سره في أدبه » . والرهث جمع رهشة ، وهي ماعلق في الأذن من قرط ونحوه . وروى صاحب الأمان ، وأما سمى للرهث بقوله :

قُلْتُ رِيمٌ مَرَقَتْ سَاحِرُ الطَّرَفِ وَالنَّظَرُ
لَسْتُ وَاقِعٌ نَائِلِي قُلْتُ أَوْ يَنْتَلِبُ الْقَدَرُ
أَنْتَ إِذَا رُمْتَ وَصَلْنَا قَانِجٌ ، هَلْ تُدْرِكُ الْقَمَرُ ۝

(٢) الأغانى ٣ :

وكان أبو الفتوح أحمد بن محمد المزالي الواعظ^(١)، أخو أبي حامد محمد بن محمد بن محمد
المزالي الفقيه الشافعي، قاصدا لطيفا وواعظا مفرها، وهو من خراسان من مدينة طوس،
وقدم إلى بغداد، ووعظ بها، وسلك في وعظه مسلكا منكرا، لأنه كان يتمسك بإبليس،
ويقول: إنه سيد الموحدين، وقال يوما على المنبر: من لم يعلم التوحيد من إبليس فهو
زنديق، أمر أن يسجد لغير سيده فأبى:

وَلَسْتُ نَصَارِعَ إِلَّا إِلَيْكُمْ وَأَمَّا غَيْرُكُمْ حَاشَا وَكَلَّا

وقال مرة أخرى: لما قال له موسى: «أرني» فقال: «ن^(٢)» قال: هذا
شفك^(٣)، تصطبى آدم ثم تسود وجهه، وتخرجه من الجنة، وتدعوى إلى الطور، ثم
تُشت بن الأعداء هذا عملك بالأحباب^(٤)، فكيف تصنع بالأعداء^(٥)!

وقال مرة أخرى وقد ذكر إبليس على المنبر: لم يدر ذلك للسكين أن أظاير
الفضاء إذا حكت أدمت، وأن في القدر إذا رمت أصمت. ثم قال: لسان حال آدم
يفشد في قصته وقصة إبليس:

وَكُنْتُ وَلِيًّا فِي صُورٍ مِنَ السَّوَى فَلَمَّا تَوَافَيْتَا تَبَّتْ وَزَلَّتْ

وقال مرة أخرى: التقى موسى وإبليس عند حَقْبَةِ الطور، فقال موسى: يا إبليس،
لِمَ لم تسجد لآدم؟ فقال: كَلَّا، ما كنت لأسجد لبشر، كيف أوحده ثم ألفت^(٦)
إلى غيره! ولكنك أنت يا موسى سألت رؤيتك ثم نظرت إلى الجبل، فأنا أصدق
ملك في التوحيد.

(١) ذكره ابن الجوزي في الجزء التاسع من المتظم من ٢٦٠: ص ٥٢٠ وفيات سنة ٥٢٠، وقال عنه:
«الغالب على كلامه التخليط ورواية الأحاديث للوصوعة والمسكيات الفارغة والمعاني القاسدة» وقد طعن
عنه كثير من ذلك. وذكره أيضاً ابن حجر في لسان الميزان ١: ٢٩٣.

(٢) يشير إلى قوله تعالى في قصة موسى من سورة الأعراف ١٤٣: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا
وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ نَرَا فِي...﴾.

(٣) المتظم: «شأنك».

(٤) المتظم: «الأخبار».

(٥) المتظم ٩: ٢٦٩.

وكان هذا النمط في كلامه يتفق على أهل بغداد ، وصار له بينهم صيت مشهور واسم كبير . وحكى عنه أبو الفرج بن الجوزي في " التاريخ " أنه قال على المنبر : معاشر الناس ، إني كنت دائماً أدعوكم إلى الله ، وأما اليوم أحذركم منه ، والله ما شئت الزناير إلا في حبه ، ولا أدبت الجزية إلا في عشقه .

وقال أيضا : إن رجلا يهوديا أدخل عليه لُسْم على يده ، فقال له : لا تُسَلِّم ، فقال له الناس : كيف تمنعه من الإسلام ؟ فقال : احموه إلى أبي حامد - يعني أخاه - ليعلمه « لا » ^(١) : لا الملقين . ثم قال : وعلم أنظرون أن قوله : « لا إله إلا الله » منشور ولايته إذا منشور عزله ^(٢) . وهذا نوع نعرفه الصوفية بالملوك والشُّطَح .

ويروى عن أبي يزيد البسطامي ^(٣) منه كثير .
ومما يتفق بما نحن فيه ما رويته عن قوله :

فَمِنْ آدَمَ إِلَى الْفِتْنَةِ : شَوْشَ إِبْلِيسَ لَوْلَا كَأ
فَتَتَّكِلُ الْكُلَّ وَالْكُلَّ : مَعَ الْفِتْنَةِ يَهُوَا كَأ

ويقال : أول من قاس إبليس ، فأخطأ في القياس وعلك بخطئه . ويقال : إن أول حمية وعصية ظهرت عصية إبليس وحميته .

• • •

[اختلاف الأقوال في خلق الجنة والنار]

فإن قيل : فما قول شيوخكم في الجنة والنار ؟ فإن المشهور عنهم أنهما لم يُخلقا وسيخلقان

(١) في المتن : « يعني : لا إله إلا الله » .

(٢) عبارة المتن : « أقنوا عزله » . قال ابن الجوزي بعد أن أورد هذه الحكايات : « لقد أدهشني قاضي هذا المذهب في بغداد وهي دار العلم ، ولقد حضر مجلسه يوسف الهذلي ، فقال : مدد كلام هذا شيطاني لأرباني ، ذهب دينه ودينها لا يبقى له » .

(٣) هو أبو يزيد طبرستان بن عيسى ؟ تولى سنة ٢٦١ . طبقات الصوفية للمصنف ٦٧ .

عند قيام الأجسام ، وقد دل القرآن العزيز ، ونطق كلام أمير المؤمنين عليه السلام في هذا الفصل بأن آدم كان في الجنة وأخرج منها .

قيل : قد اختلف شيوخنا رحمهم الله في هذه المسألة ، فمن ذهب منهم إلى أنها غير مخلوقين الآن يقول : قد ثبت بدليل للسمع أن سائر الأجسام تعدم ولا يبقى في الوجود إلا ذات الله تعالى ، بدليل قوله : ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ﴾ ^(١) ، وقوله : ﴿ هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ ﴾ ^(٢) ، فلما كان « أولا » بمعنى أنه لا جسم في الوجود معه في الأزل وجب أن يكون « آخر » ، بمعنى أنه لا يبقى في الوجود جسم من الأجسام معه فيما لا يزال ، وبآيات كثيرة أخرى . وإذا كان لا بد من عدم سائر الأجسام لم يكن في خلق الجنة والنار قبل أوقات الجزاء فائدة ؛ لأنه لا بد أن ينفيا مع الأجسام التي تنقضي يوم القيامة ، فلا يبقى مع خلقهما من قبل معنى . ويحتمل أن الآيات التي دلت على كون آدم عليه السلام كان في الجنة وأخرج منها ، على بستان من بساتين الدنيا . قالوا : والمهبوط لا يدل على كونهما في السماء لجواز أن يكونا في الأرض ، إلا أنهما في موضع مرتفع عن سائر الأرض .

وأما غير هؤلاء من شيوخنا فقالوا : إنهما مخلوقان الآن ، وأعترفوا بأن آدم كان في جنة الجزاء والثواب ، وقالوا : لا يبعد أن يكون في إخبار المكلفين بوجود الجنة والنار لطف لم في التكليف ، وإنما يحسن الإخبار بذلك إذا كان صدقا ، وإنما يكون صدقا إذا كان خيرا على ما هو عليه .

[القول في آدم والملائكة أيهما أفضل]

فإن قيل : فما الذي يقوله شيوخكم في آدم والملائكة : أيهما أفضل ؟

قيل : لا خلافة بين شيوخنا رحمهم الله أن الملائكة أفضل من آدم ومن جميع الأنبياء

عليهم السلام ، ولو لم يدل على ذلك إلا قوله تعالى في هذه القصة : ﴿ إِلَّا أَنْ تَكُونُوا مَلَائِكَةً أَوْ تَكُونُوا مِنَ الْخَالِدِينَ ﴾ ^(١) ، لكنى .

وقد احتج أصحابنا أيضا بقوله تعالى : ﴿ لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ ﴾ ^(٢) ، وهذا كما تقول : لا يستنكف الوزير أن يظلمنى ويرفع من منزلى ولا الملك أيضا . فإن هذا يقتضى كونك أرفع منزلة من الوزير . وكذلك قوله : ﴿ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ ﴾ ، يقتضى كونهم أرفع منزلة من عيسى . وما احتجوا به قولهم : إنه تعالى لما ذكر جبريل ومحمد عليهما السلام في معرض المدح ، مدح جبريل عليه السلام بأعظم مما مدح به محمد عليه السلام ، قال : ﴿ إِنَّهُ قَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ • ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَشْكُونٍ • مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ • وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ • وَقَدْ رَآهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ • وَمَا هُوَ عَلَى الْعَيْبِ بِصِيبٍ ﴾ ^(٣) . فالمدح الأول لجبريل والثانى لمحمد عليهما السلام ، ولا معنى لتفاوت ما بين المدحين .

فإن قيل : فهل كان إبليس من الملائكة أم من نوع آخر ؟ قيل : قد اختلف في ذلك فمن قال : إنه من الملائكة احتج بالاستثناء في قوله : ﴿ فَجَعَلَ الْمَلَائِكَةَ كُلَّهُمْ مُسَبِّحِينَ • إِلَّا إِبْلِيسَ ﴾ ^(٤) ، وقال : إن الاستثناء من غير الجنس خلاف الأصل . ومن قال : إنه لم يكن منهم احتج بقوله تعالى : ﴿ إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ ﴾ ^(٥) .

وأجاب الأولون عن هذا فقالوا : إن الملائكة يطلق عليهم لفظ الجن لا جنتانهم واستنارهم عن الأعين . وقالوا : قد ورد ذلك في القرآن أيضا في قوله تعالى : ﴿ وَجَعَلُوا بَيْنَهُ

(٢) سورة النساء ١٧٢ .
(٤) سورة الحجر ٢٩ ، ٣٠ .

(١) سورة الأعراف ٧٠ .
(٣) سورة التكاوير ١٩ - ٢٤ .
(٥) سورة الكهف ٥٠ .

وَيَبَيِّنَ الْيَنْفِرَ تَبَيَّنَ^(١) ، والجنة هاهنا الملائكة ، لأنهم قالوا : إن الملائكة بيات الله ،
بدليل قوله : (أَمَّا أَنتُمْ كَمْ بِكُنتُمْ بِالْبَيْنِ وَأَتَّخَذَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنَاثًا)^(٢) ، وكُتِبَ
التفسير تشتمل من هذا على ما لا نرى الإطالة بذكره .

• • •

فأما القطب الراوندي فقال في هذين الفصلين في تفسير العاظمين اللغوية : العذب من
الأرض ما يَنْبِت ، والسَّبَخ : ما لا يَنْبِت ؛ وهذا غير صحيح ، لأن السَّبَخ يُنْبِت النخل ،
فيلزم أن يكون عَذْبًا على تفسيره .

وقال : فحَبَّلَ منها صورة ، أى خلق خلقًا عظيمًا . ونظرة « حَبَّل » في اللغة تدل على
« خلق » سواء كان المخلوق عظيمًا أو غير عظيم .
وقال : الوصول : جمع وصل ، وهو المص ، وكل شيء اتصل بشيء فإينها وصالته .
والفصول : جمع فصل وهو الشيء المنفصل ، وثوبًا عن فاء في كعب اللمة أن الوصول هو المص ،
ولا قيل هذا .

وقوله بعد ذلك : وكل شيء اتصل بشيء فإينها وصالته لا معنى لذكره بعد ذلك
التفسير . والصحيح أن مراده عليه السلام أظهر من أن يُتَكَلَّفَ له هذا التكلف ، ومراده
عليه السلام أن تلك الصورة ذات أعضاء متصلة كعظم الساق أو عظم الساعد ، وذات
أعضاء منفصلة في الحقيقة ، وإن كانت متصلة بروابط خارجة عن ذواتها كاتصال الساعد
بالرُّفُق واتصال الساق بالقُفْد .

ثم قال : يقال : استخدمته لنفسى ولغيرى ، واخدمته لنفسى خاصة ، وهذا مما لم
أعرفه ، ولعله نقله من كتاب .

ثم قال : والإذعان : الاقبياد ، والخضوع : الخضوع ؛ وإنما كرر الخضوع بعد الإذعان لأن الأول يُفيد أنهم أمروا بالخضوع له في السجود ، والثاني يُفيد ثباتهم على الخضوع لشكرته أبداً .

وقائل أن يقول : إنه لم يكرر لفظة « الخضوع » ، وإنما ذكر أولاً الإذعان ، وهو الاقبياد والطاعة ، ومعناه أنهم سجدوا ، ثم ذكر الخضوع الذي معناه الخضوع ، وهو بمعنى معنى غير المعنى الأول ،^(١) لأنه ليس كل ساجد خاضعاً بقلبه ، فقد يكون ساجداً بظاهره دون باطنه . وقول الروايدى : أفاد بالثاني ثباتهم على الخضوع له لشكرته أبداً تفسير لا يدل عليه اللفظ ، ولا معنى للكلام .

ثم قال : قبيل إبليس نسله ، قال تعالى : ﴿ إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ ﴾^(٢) ، وكل جيل من الإنس والجن قبيل . والصحيح أن قبيله نوعه ، كما أن النشريقيل كل بشرى ، سواء كانوا من ولده أو لم يكونوا . وقد قيل أيضاً : كل جماعة قبيل وإن اختلفوا ، نحو أن يكون بعضهم روماً وبعضهم زنجياً ، وبعضهم عرباً ، وقوله تعالى : ﴿ إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ ﴾ لا يدل على أنهم نسله .

وقوله بعد : « وكل جيل من الإنس والجن قبيل » يقتضيه دعواه أن قبيله لا يكون إلا نسله .

ثم تكلم في المعاني فقال : إن القياس الذي قاسه إبليس كان باطلاً ، لأنه ادعى أن النار أشرف من الأرض ، والأمر بالمعكس ؛ لأن كل ما يدخل إلى النار ينقص ، وكل ما يدخل التراب يزيد . وهذا عجيب أفقنا نرى الحيوانات الميتة إذا دُفنت في الأرض تنقص أجسامها ، وكذلك الأشجار المدفونة في الأرض ؛ على أن التحقيق أن المحترق بالنار والبالى بالتراب لم تعدم أجزاؤه ولا بمعها ، وإنما استحالت إلى صور أخرى .

ثم قال : ولما علمنا أن تقديم المنفول على المناضل قبيح ، علمنا أن آدم كان أفضل من اللامسكة في ذلك الوقت وفيما بعده .

ولقائل أن يقول : أليس قد سجد بعقوب لهوسف عليه السلام ! أفيدل ذلك على أن يوسف أفضل من يعقوب ! ولا يقال : إن قوله تعالى : ﴿ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الرَّشِيِّ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا ﴾ ^(١) ؛ لا يدل على سجد الوالدين ؛ فعمل الصبيح يرجع إلى الإخوة خاصة ، لأننا نقول : هذا الاحتمال مدفوع بقوله : ﴿ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ ﴾ ^(٢) ، وهو كناية عن الوالدين .

وأبصار قد بينا أن السجود إما كان لله سبحانه ، وأن آدم كان قبله ، والقبلة لا تكون لأفضل من الساجد إليها ، ألا ترى أن الكلمة ليست أفضل من النبي عليه السلام !



الأصل :

سورة يوسف

وَأَصْلَافُ سُبْحَانَهُ مِنْ وَلَدِهِ أَنْبِيَاءُ أَخَذَ عَلَى الْوَحْيِ مِيثَاقَهُمْ ، وَكَلَّمَ الرُّسُلَ أَمَّا تَهُمْ ، لَمَّا بَدَّلَ أَكْثَرُ خَلْقِهِ مَعْدَهُ اللَّهُ إِلَيْهِمْ ، فَجَهِلُوا حَقَّهُ ، وَاتَّخَذُوا الْأَنْدَادَ مَعَهُ ، وَأَجْنَاكُهُمُ الشَّيَاطِينُ عَنْ مَمَرِّتِهِ ، وَأَفْتَقَطْنَهُمْ عَنْ عِبَادَتِهِ ، فَبَقِيَ فِيهِمْ ^(٣) رُسُلُهُ ، وَوَاتَرَ إِلَيْهِمْ أَنْبِيَاءُهُ ، لِيَسْتَأْذِنُوهُمْ مِيثَاقَ فِطْرَتِهِ ، وَيُذَكِّرُوهُمْ مَنَسِيَّ بَعْتِهِ ، وَيَحْتَجِبُوا عَلَيْهِمْ بِالتَّبْلِيغِ ، وَيُثَبِّرُوا لَهُمْ دَفَائِنَ الْقَوْلِ ، وَيُزَكِّوهُمْ آيَاتِ الْمَقْدِرَةِ ؛ مِنْ سَقْفِ غَوَقِهِمْ مَرْفُوعٍ ، وَمِهَادِ تَحْتِهِمْ مَوْصُوعٍ ، وَمَعَايِشَ تُحْيِيهِمْ ، وَأَجَالٍ تُفْنِيهِمْ ، وَأَوْصَابٍ تُهَرِّمُهُمْ ، وَأَحْدَاثٍ تَتَابَعُ عَلَيْهِمْ .

وَلَمْ يُخَلِّ اللَّهُ سُبْحَانَهُ خَلْقَهُ مِنْ نَبِيٍّ مُرْسَلٍ ، أَوْ كِتَابٍ مُنْزَلٍ ، أَوْ حُجَّةٍ لَازِمَةٍ ،

(٢) سورة يوسف ٤

(١) سورة يوسف ١٠٠

(٣) مظلومة النج : ٤ إليهم .

أَوْ تَحْجِزَ قَائِمَةً : رُسُلٌ لَا تَقْصُرُ بِهِمْ قِلَّةُ عَدَدِهِمْ ، وَلَا كَثْرَةُ الْمَكْذُوبِينَ لَهُمْ ، مِنْ
سَابِقِ مَعْنَى لَهُ مَنْ بَعْدَهُ ، أَوْ غَايِرِ عَرَفَهُ مَنْ قَبْلَهُ .

الْبَيِّنَاتُ :

اجتاتهم الشياطين : أدارتهم ؛ تقول : اجتال فلان فلانا ، واجتاله عن كذا
وعلى كذا ، أى أداره عليه ، كأنه يصرِّفه تارة هكذا وتارة هكذا ، يُحَسِّنُ لَهُ فَعْلَهُ ،
وَيُفْرِغُهُ بِهِ .

وقال الراوندى : اجتاتهم : عَدَلْتُهُمْ بِهِمْ ؛ وليس شىء .
وقوله عليه السلام : « وَأَمَّا إِلَيْهِمْ أَسْمَاءُ » ، أى عندهم وبين كل بيّتين فترة ، وهذا
بما تَنَلَّطَ فِيهِ الْعَلَمَةُ فَتَنَلَّتْهُ كَمَا ظَنَنَّا الرَّاَوْنِدِيَّ أَنَّ الْمُرَادَ بِهِ الْمَرَادِفَةُ وَالْمُتَابَعَةُ . وَالْأَوْصَابُ :
الأمراض . وَالْعَابِرُ : الْبَاقِي .

وَيُسْأَلُ فِي هَذَا الْفَصْلِ عَنْ أَشْيَاءَ :

مِنْهَا ، عَنْ قَوْلِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ : « أَحَدٌ عَلَى الْوَحْيِ مِثْلَهُمْ » .
وَالْجَوَابُ ، أَنَّ الْمُرَادَ أَخَذَ عَلَى آدَاءِ الْوَحْيِ مِثْلَهُمْ ، وَذَلِكَ أَنَّ كُلَّ رَسُولٍ أُرْسِلَ
فَأُخِذَ عَلَيْهِ آدَاءُ الرِّسَالَةِ ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى : « يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ
وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ مِمَّا بَلَّغْتَ رِيسَالَتهُ » ^(١) .

وَمِنْهَا أَنْ يُقَالَ : مَامَعْنَى قَوْلِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ : « لَيْسَتْ أَدْوَمُ مِثْلَاقِ فِطْرَتِهِ » ؟ هَلْ هَذَا

إشارة إلى ما يقوله أهل الحديث في تفسير قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ ، وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ ۖ ﴾ ^(١) ؟

والجواب ، أنه لا حاجة في تفسير هذه اللفظة إلى تصحيح ذلك الخبر ، ومراده عليه السلام بهذا اللفظ أنه لما كانت المعرفة به تعالى أداة التوحيد والمعدل مركززة في العقول ، أرسل سبحانه الأنبياء أو بعضهم ، ليؤكدوا ^(٢) ذلك المركز في العقول . وهذه هي الفطرة المشار إليها بقوله عليه السلام : « كل مولود يولد على الفطرة » .

ومنها أن يقال : إلى ماذا يشير بقوله : « أو حجة لازمة » ؟ هل هو إشارة إلى ما يقوله الإمامية ، من أنه لا بد في كل زمان من وجود إمام معصوم ؟

الجواب ، أنهم يفسرون هذه اللفظة بذلك ، ويمكن أن يكون المراد بها حجة العقل . وأما القطب الراوندي ، فقال في قوله عليه السلام : « واصطفى سبحانه من ولده أنبياء » : الولد يقال على الواحد والجمع ، لأنه مصدر في الأصل ، وليس بصحيح ، لأن الماضي « فعل » بالفتح ، والمفتوح لا يأتي مصدره بالفتح ، ولكن « فعلاً » مصدر « قيل » بالكسر ، كقولك : ولّيتُ عليه ولهاً ، وولّحت المرأةً ورحاً .

ثم قال : إن الله تعالى بعث يونس قبل نوح ، وهذا خلاف إجماع المفسرين وأصحاب السير .

ثم قال : وكل واحد من الرسل والأئمة كان يقوم بالأمر ، ولا يردعه عن ذلك قلة عدد أوليائه ، ولا كثرة أعدائه ؛ فيقال له : هذا خلاف قولك في الأئمة المعصومين ، فإنك تجيز عليهم التقية وترك القيام بالأسس إذا كثرت أعداؤهم .

وقال في تفسير قوله عليه السلام : « من سبق سُمي له من بعده » ، أو غابر حرقه

مَنْ قَبْلَهُ : كان من اللطف الأنبياء الضممين وأوصيائهم ، أن يعرفوا الأنبياء المتأخرين وأوصيائهم ، فرفهم الله تعالى ذلك ، وكان من اللطف بالتأخرين وأوصيائهم أن يعرفوا أحوال الضممين من الأنبياء والأوصياء ، فرفهم الله تعالى ذلك أيضاً ، فم اللطف لجميعهم .
ولقائل أن يقول : لو كان عليه السلام قال : «أو غير عرف من قبله» لكان هذا التفسير مطابقاً ، ولكنه عليه السلام لم يقل ذلك ، وإنما قال : «عرفه من قبله» وليس هذا التفسير مطابقاً لقوله : «عرفه» . والصحيح أن المراد به : من نبي سابق عرف من يأتي بعده من الأنبياء ، أي عرفه الله تعالى ذلك ، أو نبي غير نبي عن عليه من قبله ، وبشر به كإشارة الأنبياء بمحمد عليه السلام .



الأصل :

حَلَّى ذَٰلِكَ نَسَلِ الْقُرُونُ ، وَنَمَشَتْ الْأُمُورُ ، وَتَلَقَّتِ الْأَبَاءُ ، وَخَلَفَتِ الْأَبْنَاءُ ؛
إِلَى أَنْ بَشَّ اللَّهُ سُبْحَانَهُ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ لِإِنجَازِ عِدَّتِهِ ، وَإِنْتَامِ^(١)
لَبُوءِهِ ، تَأْخُودًا عَلَى النَّبِيِّينَ مِيقَاتُهُ ، مَشْهُورَةً مِيقَاتُهُ ، كَرِيمًا مِيلَادُهُ وَأَهْلُ الْأَرْضِ
يَوْمَئِذٍ يَلَلٌ مُتَفَرِّقَةٌ ، وَأَهْوَاءٌ مُنْذِرَةٌ ، وَطَرَائِقُ مُشْتَقَّةٌ ، بَيْنَ مَشْرِئِ اللَّهِ بِخَلْقِهِ ،
أَوْ مُلْجِدٍ فِي أَسْمِهِ ، أَوْ مُشِيرٍ إِلَى غَيْرِهِ ؛ فَهَدَاهُمْ بِهِ مِنَ الضَّلَالَةِ ، وَأَقْدَمَهُمْ بِمَكَائِهِ
مِنَ الْجَهَالَةِ .

ثُمَّ اخْتَارَ سُبْحَانَهُ لِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ لِقَاءَهُ ، وَرَضِيَ لَهُ مَا عِنْدَهُ ،
وَأَكْرَمَهُ^(٢) مِنْ دَارِ الدُّنْيَا ، وَرَغِبَ بِهِ عَنْ مَقَامِ الْبُلُوْءِ ؛ فَقَبَّضَهُ إِلَيْهِ كَرِيمًا ، وَخَلَفَتْ
فِيكُمْ مَا خَلَفَتْ الْأَنْبِيَاءُ فِي أَسْمَاءِهَا - إِذْ لَمْ يَنْزُكُوا عَنْ هَمَلٍ بِفَسِيرٍ طَرِيقٍ وَاضِحٍ ،

(٢) مخطوطة التهج : « فأكرمه » .

(١) مخطوطة التهج : « ونعام » .

وَلَا عِلْمَ قَائِمٍ - كِتَابَ رَبِّكُمْ ، مُبَيَّنًا ^(١) حَلَالَهُ وَحَرَامَهُ ، وَفَرَائِضَهُ وَفَضَائِلَهُ ، وَنَاسِخَهُ وَمَنْسُوخَهُ ، وَرُخَصَهُ وَعَرَائِضَهُ ، وَخَاصَّهُ وَعَامَّهُ ، وَغَيْرَهُ وَأَمْثَالَهُ ، وَمُرْسَلَهُ وَتَحْدُودَهُ ، وَنُحْكَمَهُ وَمُنَاسِبَهُ ؛ مُفَسَّرًا بَحْلَهُ ، وَمُيَبَّنًا غَوَامِضَهُ ؛ بَيْنَ مَاخُودٍ مِيثَاقٍ عَلَيْهِ ، وَمَوْسَعٍ عَلَى الْعِبَادِ فِي جَهْلِهِ ، وَبَيْنَ مُثَبَّتٍ فِي الْكِتَابِ قَرَضُهُ ، وَمَعْلُومٍ فِي الشَّيْءِ نَسْخُهُ ، وَوَاجِبٍ فِي الشَّيْءِ أَخْذُهُ ، وَمُرَخَّصٍ فِي الْكِتَابِ تَرْكُهُ ، وَبَيْنَ وَاجِبٍ لَوْفَتِهِ ، وَزَائِلٍ فِي مُسْتَقْبَلِهِ . وَمُبَايِنٌ بَيْنَ تَحَارِيمِهِ ، مِنْ كَبِيرٍ أَوْعَدَ عَلَيْهِ نِيرَانَهُ ، أَوْ صَغِيرٍ أَرَادَ لَهُ غُرْرَانَهُ . وَبَيْنَ مَقْبُولٍ فِي أَذْنَاهُ ، وَمَوْسَعٍ فِي أَنْفَاهُ .



البُيُوعُ :

قوله عليه السلام : « نَسَلْتُ الْقُرُونِ » ، وَلَيْتَ . وَالْجَاهُ فِي قَوْلِهِ : « لِإِنْجَازِ حَدِيثِهِ » رَاجِعَةً إِلَى الْبَارِئِ سُبْحَانَهُ . وَالْجَاهُ فِي قَوْلِهِ : « وَأَتَمَّامِ نَبِيِّتِهِ » ، رَاجِعَةً إِلَى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ . وَقَوْلُهُ : « أَخُوذُ عَلَى الْبَيِّنِ مِيثَاقَهُ » ، قِيلَ : لَمْ يَكُنْ نَبِيًّا قَطُّ إِلَّا وَبُشِّرَ بِمِثْقِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، وَأَخِذَ عَلَيْهِ تَعْظِيمُهُ ؛ وَإِنْ كَانَ بَعْدُ لَمْ يَوْجَدْ .
فَأَمَّا قَوْلُهُ : « وَأَهْلُ الْأَرْضِ يَوْمَئِذٍ يَلِلُّ مُتَفَرِّقَةً » ، فَإِنَّ الْعُلَمَاءَ يَذْكُرُونَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بَعَثَ وَالنَّاسَ أَصْنَافَ شَيْءٍ فِي أَدْيَانِهِمْ : يَهُودَ ، وَنَصَارَى ، وَمَجُوسَ ، وَصَائِبُونَ ، وَعَبَدَةَ أَصْنَامَ ، وَفَلَاسِفَةً ، وَزَنَادِقَةً .

[الْقَوْلُ فِي أَدْيَانِ الْعَرَبِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ]

فَأَمَّا الْأُمَّةُ الَّتِي بَعَثَ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فِيهَا فَهِيَ الْعَرَبُ ؛ وَكَانُوا أَصْنَافًا شَتَّى ،

(١) ب : : : لَيْسَ بِهِ .

فمنهم معطلة ، ومنهم غير معطلة .

فأما المعطلة منهم ، فبعضهم أنكر الخالق والبعث والإعادة ، وقالوا ما قال القرآن العزيز عنهم : ﴿ مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْدِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ ﴾ ^(١) ، ففعلوا الجامع لم الطبع ، والهلك لم الدهر . وسفهم اعترف بالخالق سبحانه وأنكر البعث ، وهم الذين أخبر سبحانه عنهم قوله : ﴿ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴾ ^(٢) . ومنهم من أفر بالخالق ونوع من الإعادة ، وأنكروا الرسل وعبدوا الأصنام ، وزعموا أنها شفعاء عند الله في الآخرة ، وحججوا لها ، ونحروا لها الهدى ، وقرَّبوا لها القرَّبان ، وحلَّلوا وحرموا ، وهم جمهور العرب ، وهم الذين قال الله تعالى عنهم : ﴿ وَقَالُوا مَا لِهَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَنْشَى فِي الْأَحْزَانِ ﴾ ^(٣) .

فمن نطق شره بإنكار البعث ببعضهم يرى قتلى بدر ^(٤) :

فَمَآذَا بِالْقَلْبِ قَلِيبٌ يَذِيرُ ^(٥) مِنَ الْفَقِيَّاتِ وَالْقَوْمِ الْكِرَامِ ^(٦)
وَمَاذَا بِالْقَلْبِ قَلِيبٌ يَذِيرُ ^(٧) مِنَ الشَّيْزِ نَكَلُّ السَّامِ ^(٨)
أَيُنْجِرُنَا أَيْنُ كِبْشَةٍ أَنْ سَنَحْيَا ^(٩) وَكَيْفَ حَيَاةُ أَصْدَاءِ وَهَامِ ^(١٠)
إِذَا مَا الرَّأْسُ زَالَ بِمَنْكِبَيْهِ ^(١١) فَقَدْ شَبَعَ الْأُنَيْسُ مِنَ الطَّعَامِ ^(١٢)
أَيَقْتُلِي إِذَا مَا كُنْتُ حَيًّا ^(١٣) وَتُحْيِيْنِي إِذَا رَمَتْ عِظَامِي ^(١٤)

(١) سورة الجاثية ٢٤ . (٢) سورة يس ٢٨ . (٣) سورة الفرقان ٧

(٤) سيرة ابن هشام ٢ : ٤٠٠ مع اختلاف في الرواية وترتيب الأبيات وعددها ، ونسبها إلى شداد ابن الأسود .

(٥) ابن هشام :

• من الفقِيَّاتِ والشُّرْبِ الْكِرَامِ •

والقلب : الثر .

(٦) البيت في اللسان ٧ : ٢٣٠ ، ورواه : « ينزل بالسام » ، وقال في شرحه : الشيزى : شجر يتخذ منه الجعان ؟ وأراد بالجعان أربابها الذين كانوا يطعمون فيها ، وقلوا بعد وألقوا في القلب ، فهو يرثيهم ، وسمى الجفان عيزى باسم أصلها .

وكان من العرب من يعتقد التماسخ وتنفل الأرواح في الأجساد ، ومن هؤلاء أرباب الهامة ، التي قال عليه السلام عنهم : « لا عدوى ولا هامة ولا صقر »^(١) . وقال ذو الأصبع :

يَا عَمْرُو إِنْ تَدَّعَ شَيْئِي وَمَنْعَصِي أَضْرِبَكَ حَيْثُ تَقُولُ الْهَامَةُ أُسْقُونِي^(٢)
وقالوا : إن ليلي الأخيلية لما سلت على قبر نوبة بن الحمير خرج إليها هامة من القبر صائحة ، أفزعت ناقها ، فوقعت^(٣) بها فانت ، وكان ذلك تصديق قوله :

وَلَوْ أَنَّ كَلِيلَ الْأَخِيلِيَّةِ سَلَّمَتْ عَلَى وَدُونِي جَنْدَلٌ وَصَفَائِحُ^(٤)
لَسَلَّمْتُ تَسْلِيمَ الْبَشَاشَةِ أَوْ زَقَا إِلَيْهَا صَدَى مَنْ جَابِ القَبْرِ صَائِحُ
وكان نوبة ولي في أيام بني أمية .

وكانوا في عبادة الأصنام مختلفين ، فبعضهم من يجعلها مشاركة للبارئ تعالى ، ويطلق عليها لقطة الشريك ، ومن ذلك قولهم في التلبية : لَيْتَكَ اللَّهُمَّ لَشْرِيكَ لَكَ ، إلا شريكاً هو لك ، تملكه وما ملك . ومنهم من لا يطلق عليها لفظ الشريك ، ويعملها وسائل وذرائع إلى الخالق سبحانه ، وهم الذين قالوا : « مَا تَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُوهُمْ إِلَى أَفْئِدَتِنَا »^(٥) .

وكان في العرب مشيئة ومحنة ، منهم أمية بن أبي الصلت ، وهو القائل :
مِنْ فَوْقِ عَرْشِ حَالِسٍ قَدْ حَطَّرِجًا كَتَمَهُ إِلَى كَرْسِيِّ الْمَنْصُوبِ
وكان جمهور عبدة الأصنام ، فكان وَدْ لَكَلْبٍ بِدُومَةِ الْحَدَلِ ، وَسَوَاعٍ لِهَذَيْلٍ ،

(١) كانت العرب ترعى أن في الطل حبة يبدال لها العمر ، نصيب الإنسان إذا جاع وتؤديه . نهاية ابن الأثير ٢ : ٢٢٦ .

(٢) من قصيدة فضلية ، الفضليات ١٦٣ .

(٣) وقعت بها ، أي سقطت عنها فانت

(٤) ديوان الحماسة لأبي تمام - بصرح التبريزي ٣ : ٢٦٧ . والصنائع : الحجارة العراص تكون على القبور .

(٥) سورة الزمر ٣ .

وَنَسْرَ لِحِثِهِ ، وَيَفُوتُ لِهَذَانِ ، وَاللَّاتِ لَتَحْقِيفِ بِالطَّائِفِ ، وَالْعَزْمَى لِكِنَانَةِ وَقْرِيشِ
وَبَعْضُ بَنِي سُلَيْمٍ ، وَمِثْلُ لَفْتَانِ وَالْأَوْسِ وَالْخَزْرَجِ ، وَكَانَ هُبَلُ قُرَيْشٍ خَاصَّةً عَلَى ظَهْرِ
الْكَعْبَةِ ، وَأَسَافٌ^(١) وَنَائِلَةٌ عَلَى الصَّغَا وَالرَّوَّةِ . وَكَانَ فِي الْعَرَبِ مَنْ يَمِيلُ إِلَى الْيَهُودِيَّةِ ، مِنْهُمْ
جَمَاعَةٌ مِنَ التَّبَايَةِ وَمُلُوكُ الْيَمَنِ ، وَمِنْهُمْ نَصَارَى كُنِيَ تَغْلِبَ وَالْمَبَادِيثُ رَهْطُ عَدِيِّ بْنِ
زَيْدٍ ، وَنَصَارَى تَجْرَانِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ كَانَ يَمِيلُ إِلَى الصَّابِئَةِ وَيَقُولُ بِالنَّجُومِ وَالْأَنْوَاءِ .

فَأَمَّا الَّذِينَ لَبِسُوا بِمِطْلَةً مِنَ الْعَرَبِ فَالْقَلِيلُ مِنْهُمْ ، وَهَمُّ الْمُنَافِقِينَ أَصْحَابُ
الْوَرَعِ^(٢) وَالنَّعْرَجِ عَنِ الْقَبَائِحِ ، كَمُبْدِ اللَّهِ وَعَبْدِ الْمَطْلَبِ وَابْنِ أَبِي طَالِبٍ ، وَزَيْدُ بْنُ حَمْرٍو
ابْنُ نُفَيْلٍ ، وَقُسَّ بْنُ سَاعِدَةَ الْإِلَادِيَّ ، وَهَامِرُ بْنُ الْقُرَيْبِ الْمَدَنِيَّ ، وَجَاعَةُ غَيْرُهُمْ لَا .
وَعَرَضْنَا مِنْ هَذَا الْعَصْلِ بَيَانَ قَوْلِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ : « بَيْنَ مِثْبَ اللَّهِ بِحَلْقِهِ أَوْ مُلْحَدِيٍّ اسْمُهُ »

وغير هذا من هذا الفصل بيان قوله عليه السلام
إلى غير ذلك ، وقد ظهر بما شرحناه .

ثم ذكر عليه السلام أن عمداً صلى الله عليه وآله خلف في الأمة بعده كتاب الله تعالى
طريقاً واضعاً ، وعلماً قائماً ، والعلم للنار يُهتدى به .
ثم قسم ما بينه عليه السلام في الكتاب أقساماً :

فمنها حلاله وحرامه ؛ فالْحَلَالُ كالنِّكَاحِ ، والحرام كالزَّنا .

ومنها فضائله وفرائضه ، فالفضائل النوافل ، أى هي فضلة غير واجبة كركعتي الصبح وغيرها ، والفرائض كفريضة الصبح .

وقال الزاوندى : الفضائل هاهنا : جمع فضيلة ، وهى الدرجة الرفيعة ؛ وليس بصحيح ،
الا تراه كيف جعل القرائن فى مقابلتها وقسما لها ، فدل ذلك على أنه أراد التوافق !

(۶) آیات و اسانف : کباب و کتاب .

(٢) : في اليوم ٤

ومنها ناسخه ومنسوخه ، فالناسخ كقوله : ﴿ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ ﴾ ^(١) ، وللنسخ كقوله : ﴿ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ ﴾ ^(٢) .

ومنها رخصه وعزاه ، فالرخص كقوله تعالى : ﴿ فَمَنْ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ ﴾ ^(٣) والعزائم كقوله : ﴿ فَأَعْلَمَ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ﴾ ^(٤) .

ومنها خاصة وعامة ، فالخاص كقوله تعالى : ﴿ وَأَمْرًا مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسًا لِلنَّفْسِ ﴾ ^(٥) ، والعامة كالإلحاق بالدقة على الأحكام العامة لسائر المكلفين كقوله : ﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ ﴾ ^(٦) . ويمكن أن يراد بالخاص السموات التي يراد بها الخصوص كقوله : ﴿ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ ^(٧) ، وبالعامة ما ليس بخصوصاً ، بل هو على عمومته كقوله تعالى : ﴿ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ ^(٨) .

ومنها عبرة وأمثلة ، فالعبر كقصة أصحاب الفيل ، وكالآيات التي تتضمن النكال والعذاب النازل بأمر الأنبياء ^{عليهم السلام} ، والأمثال كقوله : ﴿ كَسَلِيَ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا ﴾ ^(٩) .

ومنها مرسله ومحدوده ، وهو عبارة عن اللطيف والقيّد ، وسمى للقيّد محدوداً وهي لفظة فصيحة حدّاً ، كقوله : ﴿ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ ﴾ ^(١٠) ، وقال في موضع آخر : ﴿ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ ﴾ ^(١١) .

ومنها محكمه ومشابهه ، فمحكمه كقوله تعالى : ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾ ^(١٢) ، والمشابهه كقوله : ﴿ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ ^(١٣) .

ثم قسم عليه السلام الكتاب قسمه ثانية ، فقال : إن منه ما لا يبع أحداً جهه

- | | |
|------------------------|------------------------|
| (١) سورة التوبة . | (٢) سورة البقرة ٢٥٦ . |
| (٣) سورة المائدة ٣ . | (٤) سورة محمد ١٩ . |
| (٥) سورة الأحزاب ٥٠ . | (٦) سورة البقرة ١١٠ . |
| (٧) سورة النمل ٢٣ . | (٨) سورة البقرة ٢٨٦ . |
| (٩) سورة البقرة ١٧ . | (١٠) سورة المجادلة ٣ . |
| (١١) سورة النساء ٩٢ . | (١٢) سورة الإخلاص ١ . |
| (١٣) سورة القيامة ٢٣ . | |

ومنه ما يسع الناس جهله ؛ مثال الأول قوله : ﴿ أَفَلَا يَأْتِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامِ ﴾ ^(١) ،
ومثال الثاني : ﴿ كَيْفَ يَكُونُ ﴾ ^(٢) .

ثم قال : ومنه ما حكمه مذكور في الكتاب منسوخ بالسنة ، وما حكمه مذكور في
السنة منسوخ بالكتاب ؛ مثال الأول قوله تعالى : ﴿ فَأَمَّا كُوفٌ فِي الْبُيُوتِ حَتَّى يَتَوَفَّاهُنَّ
الْمَوْتُ ﴾ ^(٣) ؛ نسخ عمامته عليه السلام من رجم الزاني المحصن . ومثال الثاني صوم
يوم عاشوراء ، كان واجبا بالسنة ثم نسخ صوم شهر رمضان الواجب بنسخ الكتاب .
ثم قال : « وبين واجب بوقت ، وزائل في مستقبله » ، يريد الواجبات
الموقفة كصلاة الجمعة ، فإنها تحب في وقت مخصوص ، ويسقط وجوبها في مستقبل
ذلك الوقت .

ثم قال عليه السلام : « ومباين بين محارمه » الواجب أن يكون « ومباين »
بالرفع لا بالجر ، فإنه ليس معطوفاً على ما قبله ، لأنني أني جميع ما قبله يستدعي الشيء
وضده ، أو الشيء وخفيضه ؛ وقوله : « ومباين بين محارمه » لا نقيض ولا ضده ، لأنه
ليس القرآن العزيز على قسرين : أحدهما مباين بين محارمه والآخر غير مباين ، فإن ذلك
لا يجوز ، فوجب رفع « مباين » ، وأن يكون خبر مبتدأ محذوف . ثم فسر ما معنى المباينة
بين محارمه ، فقال : إن محارمه تنقسم إلى كبيرة وصغيرة ، فالكبيرة أوعد سبحانه عليها
بالعقاب ، والصغيرة مفعورة ؛ وهذا نص مذهب المعتزلة في الوعيد .

ثم عدل عليه السلام عن تقسيم المحارم المشابينة ، ورجع إلى تقسيم الكتاب فقال :
« وبين مقبول في أدناه ، وموسع في أفصاه » ، كقوله : ﴿ فَأَقْرَهُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ ﴾ ^(٤)
فإن القليل من القرآن مقبول ، والكثير منه موسع مرخص في تركه .



الأصل :

وَفَرَضَ عَلَيْكُمْ حَجَّ بَيْتِهِ الْحَرَامِ، الَّذِي جَعَلَهُ قِبْلَةً لِلْأُمَمِ، بِرُدُونِهِ وَرُودِ الْأُمَمِ، وَيَوَلُّوْنَ إِلَيْهِ وَلَهُ الْحَمَامُ. وَجَعَلَهُ سُبْحَانَهُ عَلَامَةً لِتَوَاصُعِهِمْ لِعَظَمَتِهِ، وَإِذْ عَانِيَهُمْ لِعِزَّتِهِ. وَأَخْتَارَ مِنْ خَلْقِهِ شُمَاعًا أَجَابُوا إِلَيْهِ دَعْوَتَهُ، وَصَدَّقُوا كَلِمَتَهُ، وَوَقَفُوا مَوَاقِفَ أَنْبِيَائِهِ، وَتَشَبَّهُوا بِمَلَائِكَةِ الْمُطِيفِينَ بِمَرْشَدِهِ، يُحْمِزُونَ الْأَرْبَاحَ فِي مَتَجَرِّ عِبَادَتِهِ، وَيَتَسَادَرُونَ عِنْدَهُ مَوْعِدَ مَغْفِرَتِهِ. جَعَلَهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لِلْإِسْلَامِ عَلَمًا، وَلِلْعَالَمِينَ حَرَمًا، وَفَرَضَ حَقَّهُ، وَأَوْجَبَ حُجَّتَهُ^(١)، وَكَتَبَ عَلَيْكُمْ وَفَادَتَهُ، فَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَرَفَعْنَا عَلَى النَّاسِ حِسَابَ الْبَيْتِ مَنْ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ عَلِيمٌ﴾^(٢).



الشرح :

وَقَدْ شَبَّهَ بِهِ سَائِرَ

الوَلَه : شدة الوجد ؛ حتى يكاد العقل يذهب ، وَلَه الرجل يَوَلُّهُ وَلَهَا . ومن روى :
« يَأْمُونُ إِلَيْهِ وَلَوْ الْحَمَامُ » فتره بشي آخر ، وهو : يَكْفُونَ عليه كُفُوفُ الْحَمَامِ . وأصل
« أَلَه » عُبِدَ ، ومنه الإله ، أي المعبود . ولما كان الكُفُوفُ على الشيء كالعبادة لِمُلَازِمَتِهِ وَالِاسْتِطَاعِ
إِلَيْهِ قِيلَ : أَلَه فلان إلى كذا ، أي عكف عليه كأنه يعبده . ولا يجوز أن يقال : « يَأْمُونُ
إِلَيْهِ » في هذا الموضع بمعنى « يَوَلُّوْنَ » ، وأن أصل الهمزة الواو كإسره الراويدي ؛ لأن
« فَعُولًا » لا يجوز أن يكون مصدرًا من قِيلَت بالكسر ، ولو كان « يَأْمُونُ » هو
« يَوَلُّوْنَ » ، كان أصله « أَلَه » بالكسر ، فلم يجوز أن يقول : « وَلَوْ الْحَمَامُ » ، وأما
ما فسرناه نحن فلا يمتنع أن يكون الوله مصدرًا ، لأن « أَلَه » مفتوح ، فصار كقولك :
دخل دخولا . وبقى الفصل غني عن التفسير .

(١) مخطوطة التهجد : « فرض حجه ، وأوجب حقه » .

(٢) سورة آل عمران ٩٧ .

[فصل في فضل البيت والكعبة]

جاء في الخبر الصحيح أن في السماء بيتاً يطوف به الملائكة طواف البشر بهذا البيت اسمه الشراح ، وأن هذا البيت تحته حل خط مستقيم ، وأنه المراد بقوله تعالى : ﴿ وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ ﴾ ^(١) ، أقسم سبحانه به لشرفه ومنزلته عنده ، وفي الحديث : إن آدم لما قضى مناسكه ، وطاف بالبيت لقية الملائكة ، فقالت : يا آدم ؛ لقد حججنا هذا البيت قبلك بالقي عام .

قال مجاهد : إن الحاج إذا قدموا مكة استقبلتهم للملائكة ، فسلموا على ركباني الإبل ، وصالحوا ركباني الحمار ، واعتقروا اللبنة اعتناقاً .

من سنة السلف أن يستقبلوا الحاج ، ويطلبوا من أعينهم ويسألونهم الهدايا لهم ، ويبادروا ذلك قبل أن يتدسوا بالذنوب والآثام .

وفي الحديث : « إن الله تعالى قد وعد هذا البيت أن يحججه في كل سنة ستمائة ألف ، فإن ^(٢) نقصوا أعتهم الله بالملائكة ، وإن الكعبة تحشر كالمروس المزفوفة ، وكل من حجها متعلق بأستارها يسعون حولها ، حتى تدخل الجنة فيدخلون معها . »

وفي الحديث : « إن من الذنوب ذنوباً لا يكفرها إلا الوقوف بعرفة . » وفيه : « أعظم الناس ذنباً من وقف بعرفة فظن أن الله لا يغفر له . »

عمر بن ذر الهمداني : لما قضى مناسكه أسند ظهره إلى الكعبة وقال مودعاً للبيت : مارلنا نخل إليك عروة ، وشدت إليك أخرى ، ونصعد لك أكفة ، ونهبط أخرى ، ونحفظنا أرض ، وترفعنا أخرى ، حتى أتيناك . فليت شمرى بم يكون منصرفنا ؟ أبذنس محظور ، فأعظم بها من نعمة ! أم بسمل مردود فأعظم بها من مصيبة ! فيا من له خرجنا ، وإليه

قصدا ، وبجرمه أنحنأ ، ارحم . يا معلى الوفاء بينناك ، فقد أثبتناك بها معرأة جلودها ،
ذابلة أسنمتها ، نقيبة^(١) أحفاها . وإن أعظم الرزية أن ترجع وقد اكتفتنا الخيبة . اللهم
وإن للزائر حقاً فاجعل حقنا عليك غفران ذنوبنا ، فإنك جواد كريم ، ماجد لا يفتصك
نائل ، ولا ييخذك سائل .

ابن جريج : ما ظننت أن الله ينفع أحداً بشعر عمر بن أبي ربيعة ، حتى كنت باليمن ،
فسمتُ مُنشداً يُنشد قوله :

بِاللهِ قَوْلًا لَهُ فِي غَمٍّ مُتَقَبِّرٍ مَاذَا أَرَدْتَ بِطُولِ لُكْثٍ فِي الْيَمَنِ^(٢)
إِنْ كُنْتَ حَاوِلْتَ دُنْيَا أَوْ ظَفِرْتَ سِهَا^(٣) فَا أَخَذْتَ بِتَرْكِ الْحَيِّجِّ مِنْ ثَمَنِ

غركنى ذلك على ترك اليمن ، والعروج إلى مكة ، فخرجت فحجبت .

سمع أبو حازم امرأة حاجبة ترفث^(٤) في كلامها ، فقال : يا أمة الله ، ألت حاجبة ألا
تتقين الله ؟ ففرت من وجه صبيح ، ثم قالت له : أنا من اللواتي قال فيهن العرجي^(٥) :

أَمَاطَتْ رِجَاءَ الْكُرْ عَنْ حُرٍّ وَجْهَهَا وَرَدَّتْ عَلَى الْحَسَدِ بِنِ بَرِّقٍ مَهْلَهَا
مِنْ اللَّاءِ لَمْ يَخْصُجْنَ يَبِينِينَ حَبَّةً وَلَكِنْ لِيَقْتُنَّ السَّيْرَى الْمَعْقَلَا

فقال أبو حازم : فأنأ أسأل الله ألا يذب هذا الوجه بالنار ، فبلغ ذلك سعيد بن
المسيب ، فقال : رحم الله أبا حازم لو كان من عباد^(٦) المراق ، لقال لها : اعزبي بأعدوة
الله ! ولكنه ظرف نساك الحجاز^(٧) .

(١) نقيبة ، من قلب الصير ، إذا رقت أسنانه .

(٢) ديوانه ٧٨٤ ، والعتة : اللطام . (٣) الهوى : أو عنت بها .

(٤) الرث : القبح في القول . (٥) جميع الأصول عمر بن أبي ربيعة ، والصواب أنها العرجي
وهما من قصيدة في ديوانه ٧١ - ٧٥ ، مطبعا .

وَأَتْنِي خَضِيبَ الرَّأْسِ كَحَمْرَتِ مِزْرِي وَقَدْ عَمِدْتَنِي أَسْوَدَ الرَّأْسِ مُنْبِلَا

ولسبما إليه أبو الفرج في الأغانى ١ : ١٠٤ (طبعة دار الكتب) .

(٦) الأغانى ٢ : من بعض قصائد . (٧) ولكنه ظرف عاد أهل الحجاز .

[فصل في الكلام على السجع]

واعلم أن قوماً من أرباب علم البيان عابوا السجع ، وأدعوا خطب أمير المؤمنين عليه السلام في جملة ما عابوه ؛ لأنه يقصد فيها السجع ، وقالوا : إن الخطب الخالية من السجع والقرآن والفواصل ، هي خطب العرب ، وهي المستحسنة الخالية من التكلف ، كخطبة النبي صلى الله عليه وآله في حجة^(١) الوداع ، وهي :

الحمد لله ، محمد و نبيته ، ونستعمره وننوب إليه ، وموذاً لله من شرور أنفسنا ، وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل الله فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله .

أوصيكم عباد الله بتقوى الله ؛ وأحسبكم على العمل بطاعته ، واستفتح الله بالتدنى هو خير . أما بعد ، أيها الناس ، اسمعوا مني أين لكم ، فإن لا أدرى ، لعل لا ألقاكم بعد عامي هذا ، في موقفي هذا .

أيها الناس ؛ إن دماءكم وأموالكم عليكم حرام إلى أن تلقوا ربكم ، كحرمة يومكم هذا ، في شهركم هذا ، في بلدكم هذا . ألا أهل بلّمت ؟ اللهم أشهد .

من كانت عنده أمانة فليؤدها إلى من ائتمنه عليها . وإن ربا الجاهلية موضوع^(٢) ، وأول ربا أبداً به ربا العباس بن عبد المطلب ، وإن دماء الجاهلية موضوعة ، وأول دم أبداً به دم آدم^(٣) بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب ، وإن مآثر الجاهلية موضوعة فغير

(١) البيان : « والحجة : المرة الواحدة » وهو من الشواذ ؛ لأن القياس بالفتح .

(٢) الخطة في سيرة ابن هشام ٢ : ٣٥٠ ، والبيان والتهذيب ٧ : ٣١ ، والطبري ٣ : ١٦٨ ، وإحسان القرآن للباقلائي ١٩٨ ، والنفذ ٤ : ٥٧ ، وابن الأثير ٧ : ٢٠٥ .

(٣) يقال : وضعت الدين والجريمة عنه ونحوهما ، إذا أسقطته .

(٤) كذا في به ، وهو يوافق ما ذكره السهيلي ، قال : اسمه آدم ، وكان مسترضاً في هذيل ، وقيل : اسمه تمام ؛ وكان سبب قتله حرب كانت بين قبائل هذيل ، فقاتلوا فيها بالحجارة ، فأصاب الطفل حبر وهو محبوب بين البيوت . وفي « عامر » ، وهو يوافق ما في البيان والتهذيب والنفذ ؛ وفي الطبري والباقلائي : « دم ابن ربيعة بن الحارث » .

السُّدَانَةُ وَالسَّقَايَةُ^(١) . وَالْعَمْدُ^(٢) قَوْدٌ ، وَشِبْهُ الْعَمْدِ مَا قُتِلَ بِالصَّوِّ وَالْحَجَرِ ، فِيهِ مَائَةٌ بَعِيرٌ ، فَمَنْ أَزْدَادُ فُهِرٍ مِنَ الْجَاهِلِيَّةِ .

أَيُّهَا النَّاسُ ، إِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ يَلِسَ أَنْ يُبْهَكَ بِأَرْضِكُمْ هَذِهِ ، وَلَكِنَّهُ قَدْ رَضِيَ أَنْ يُطَاعَ فِيهَا سِوَى ذَلِكَ فَمَا تَحْضَرُونَ مِنْ أَعْمَالِكُمْ .

أَيُّهَا النَّاسُ ، إِنَّمَا النَّسِيءُ^(٣) زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ ، يُصَلِّ بِهَ الذِّينَ كَفَرُوا ، يَحْيِلُونَهُ عَامًا ، وَيَحْرُمُونَهُ عَامًا ، وَإِنَّ الزَّمَانَ قَدْ اسْتَدَارَ كَهَيْئَتِهِ يَوْمَ خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ ، وَإِنْ عِدَّةُ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ ، مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ، ثَلَاثَةٌ مَعْوَالِيَاتٌ وَوَاحِدٌ قَرْدٌ : ذُو الْقَعْدَةِ وَذُو الْحِجَّةِ وَمَحْرَمٌ وَرَجَبٌ ، الَّذِي بَيْنَ مُجَادَى وَشُمْبَانَ ، أَلَا هَلْ بَلَغْتَ !

أَيُّهَا النَّاسُ ، إِنْ لَسَّائِكُمْ عَلَيْكُمْ حَقٌّ ، وَلَكُمْ عَلَيْهِنَّ حَقٌّ ، فَعَلَيْهِنَّ أَلَا يَوْطِئَنَّ فُرْشَكُمْ غَيْرُكُمْ ، وَلَا يَدْخُلَنَّ بِيُوتَكُمْ لِحَبَابِ نَسْكَرْهُنَّ إِلَّا بِإِذْنِكُمْ ، وَلَا بِأَتَيْنَ بِقَاحِشَةٍ ! فَإِنْ قَعَلْنَ قَدْ أَذِنَ^(٤) لَكُمْ أَنْ تَهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَتَضْرِبُوهُنَّ ، فَإِنْ انْتَهَيْنَ وَأَطْلَعَكُمْ فَعَلَيْكُمْ كَسُونَهُنَّ وَرَزَقْنَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ، فَإِنَّمَا النَّسَاءُ عِنْدَكُمْ هَوَانٌ^(٥) لَا يَمْلِكُنَّ لَأَنْفُسِهِنَّ شَيْئًا ، أَحْذَرْتُمُوهُنَّ بِأَمَانَةِ اللَّهِ ، وَاسْتَعْلَمْتُمْ فُرُوجَهُنَّ بِكَلِمَةِ اللَّهِ ، فَاتَّقُوا اللَّهَ فِي النَّسَاءِ وَاسْتَوْصُوا بِهِنَّ خَيْرًا .

(١) السُّدَانَةُ : خِدْمَةُ الْكَمَةِ ، بِنْتِجِ السِّبِّ وَكُسْرُهَا . وَالسَّقَايَةُ : مَا كَانَتْ قَرِيشٌ لِنَفْسِهِ الْحَاجَّاجُ مِنَ الزَّيْتِ لِلنَّبُودِ فِي الْمَاءِ .

(٢) الْقَوْدُ : الْقَتْلُ ، أَيْ مِنْ قَتْلِ مُتَعَدٍّ يَقْتُلُ .

(٣) النَّسِيءُ : تَأْخِيرُ حَرَمَةٍ شَهْرًا إِلَى آخَرٍ ؛ وَذَلِكَ أَنَّ الْعَرَبَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ كَانُوا إِذَا جَاءَ شَهْرٌ حَرَامٌ وَمِنْ عَارِبُونَ أَهْلُوهُ وَحَرَمُوا مَكَانَهُ شَهْرًا آخَرَ ، فَيَحْتَرِمُونَ الْحَرَمَ وَيَحْرِمُونَ صَفْرًا ، فَإِنْ احْتَاجُوا أَهْلُوهُ وَحَرَمُوا رَيْبًا الْأَوَّلَ ، وَهَكَذَا حَتَّى اسْتَدَارَ التَّحْرِيمُ عَلَى شُهُورِ السَّنَةِ كُلِّهَا ، وَكَانُوا يَحْتَرِمُونَ فِي التَّحْرِيمِ عِجْدَ الْعَمْدِ لِاخْتِصَاصِهِ الْأَشْهُرَ لِلْعَوَةِ ؛ وَأَوَّلُ مَنْ أَحْدَثَ ذَلِكَ حَنَاطَةُ بْنُ عَمْرِو بْنِ الْكَثَّانِي . وَانْظُرْ نَسِيرَ الْأَلُوسِيِّ (٤) : أَحَدٌ ، بِالْفَتْحِ : أَبَاحُ .

٣٠٥ : ٣

(٥) هَوَانٌ : أَسِيرَاتُ .

أيها الناس ، إنما للؤمنون إخوة ، ولا يحمل لأمري ما أخيه إلا على طيب نفس .
ألا هل بلغت اللهم اشهد !

ألا لا تترجموا بعدي كفاراً يضرب بعضهم رقاب بعض ، فإنني قد تركت فيكم ما إن أخذتم به لم تفلحوا ؛ كتاب الله ربكم . ألا هل بلغت ؟ اللهم اشهد .

أيها الناس ، إن ربكم واحد ، وإن أباكم واحد ؛ كلكم لأدم وآدم من تراب ؛
إن أكرمكم عند الله أتقاكم ، وليس لعربي على عجمي فضل إلا بالتقوى ، ألا قليلاً من
الشاهد العائب .

أيها الناس ، إن الله قسم لكل وارث نصيبه من التراث ، ولا تجوز وصية في أكثر
من الثلث ، والوفد للفرار والفرار للحرق . من أذى إلى غير أبيه ، أو تولّى غير مواليه فهو
ملعون ، لا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً^(١) . والسلام عليكم ورحمة الله عليكم .

•••

واعلم أن المسح لو كان عيباً لكان كلام الله سبحانه عيباً لأنه مسجوع ، كونه
ذو فواصل وقرائن ؛ وبكفي هذا القدر وحده مبطلاً لمذهب هؤلاء . فأما خطبة رسول الله
صلى الله عليه وآله هذه فإنها وإن لم تكن ذات مسجع ؛ فإن أكثر خطبه مسجوع ،
كقوله : إن مع العزّ ذللاً ، وإن مع الحياة موتاً ، وإن مع الدنيا آخرة ، وإن لكل نبى حساباً ،
ولكل حسنة ثواباً ، ولكل سيئة عقاباً ، وإن على كل شيء رقيباً ، وأنه لا بد لك
من قرين يُدفن معك هو حي وأنت ميت ؛ فإن كان كريماً أكرمك ، وإن كان ثيباً
أسلكك ، ثم لا يعثر إلا معك ، ولا تبحث إلا معه ، ولا تسأل إلا عنه ، فلا تجعله إلا صالحاً
فإنه إن صلح أنست به ، وإن قسد لم تسرحش إلا منه ، وهو عليك .

فأكثر هذا الكلام مسجوع كما تراه ، وكذلك خطبه الطوال كلها . وأما كلامه

(١) أي لا يقبل منهم شيء ، وأصل العدل أن يقتل الرجل الرجل ، والصرف : أن يتصرف من الدم
إلى أخذ الدية .

التقصير ، فإنه غير مسجوع ، لأنه لا يحمل السج ، وكذلك التقصير من كلام أمير المؤمنين عليه السلام .

فأما قولهم : إن السج يدل على التكلف ، فإن للذموم هو التكلف الذي تظهر سماحه وثقله السامعين ؛ فأما التكلف للتعصن ، فأى عيب فيه ؛ ألا ترى أن الشرقة لا بد فيه من تكلف إقامة الوزن ؛ وليس لطاعن أن يطمئن فيه بذلك .

واحتج عايد السج بقوله عليه السلام لبعضهم منكر أعليه : « استجنا كسج الكهان » ، ولولا أن السج منكرنا أنكر عليه السلام سجع الكهان وأمثاله . فيقال لهم : إنما أنكر عليه السلام السج الذي يسج الكهان أمثاله ، لا السج على الإطلاق ، وصورة الواقعة أنه عليه السلام أمر في الجنين بفرقة ^(١) ، قال قائل : أدي من لا شرب ولا أكل ، ولا نطق ولا استهل ؛ ومثل هذا بطل ^(٢) . فأنكر عليه السلام ذلك ، لأن الكهان كانوا يحكمون في الجاهلية بألفاظ مسجوعة كقولهم نجة برة ، في إجليل شهر . وقولهم : عبد المسيح ، على جبل مشيع ^(٣) ، ورؤيا الوزدان ، وارتجاس الإيوان ؛ ونحو ذلك من كلامهم . وكان عليه السلام قد أبطل الكهانة والتنجيم والسحر ، ونهى عنها ، فلما سمع كلام ذلك القائل أعاد الإنكار ؛ ومراده به تأكيده تحريم الميل على أقوال الكهنة . ولو كان عليه السلام قد أنكر السج لما قاله ، وقد يتنا أن كثيراً من كلامه مسجوع ، وذكرنا خطبته .

ومن كلامه عليه السلام المسجوع خبر ابن مسعود رحمه الله تعالى ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : « استحيوا من الله حق الحياء » ، قلنا : إنا نستحي يا رسول الله من الله تعالى ، فقال : « ليس ذلك ما أمرتكم به » ، وإنما الاستحياء من الله أن تحفظ الرأس

(١) المرة : ما بلغ ثمة نصف عشر الدية من العبد والإماء . انظر النهاية لابن الأثير (١ : ١٥٥) .
(٢) الطل : حذر الدم . (٣) جبل مشيع : جاد مسرع .

وما دعى ، والبطن وما حوى ، وتذكر للوث والليل ، ومن أراد الآخرة ترك زينة
الحياة الدنيا .

ومن ذلك كلامه المشهور لما قدم للديانة عليه السلام أول قدمه إليها : « أيها الناس ،
أفشوا السلام ، وأطعموا الطعام ، وصلّوا الأرحام ، وصلّوا بالليل والناس نيام ، تدخلوا
الجنة بسلام » .

وعوّذ الحسن عليهما السلام ، فقال : « أعيذك من الهامة ، والسامة ، وكل عين لامة » ؛
وإنما أراد « ملّة » ، فقال : « لامة » لأجل السجع .
وكذلك قوله : « ارجعن مأزورات ، غير مأجورات » ؛ وإنما هو « موزورات » ، بالواو .



مكتبة آية الله العظمى

ومن خطبة له عليه السلام بعد انصرافه من صفين :

صِفِّين : اسم الأرض التي كانت فيها الحرب ، والنبون فيها أصلية ، ذكر ذلك صاحب " الصحاح " ^(١)؛ فوزُّها على هذا « فِئيل » كفتيق ، وخَيْر ، وصِرْبِع ، وظَلِيم ، وظَلِيل .



فإن قيل : فاشتقاقه مما ذا يكون ؟

قيل : لو كان اما لحوان لا يمكن أن يكون من صفن الفرس - إذا قام على ثلاث وأقام الرابعة على طرف الحافر - بصفين بالكسر ، فتقولوا : لو من صفن القوم ، إذا صفوا أقدامهم لا يخرج بعضها من بعض ^(٢) .

فإن قيل : أيمن أن يشتق من ذلك وهو اسم أرض ؟

قيل : يمكن على تصف ، وهو أن تكون تلك الأرض لما كانت مما تصفين فيها الخليل ، أو تصطف فيها الأقدام ؛ سميت صِفِّين .

فإن قيل : أيمن أن تكون للنون رائدة مع الياء ، كما هي في « غيلين » و « عفرين » ؟

قيل : لو جاء في الأصل « صِف » ، بكسر الصاد لا يمكن أن تقوم الزيادة ، كالزيادة

(١) الصحاح ، ٢١٥ ؛ أي أنه ذكرها في مادة «صفن» .

(٢) ١ : « من بعض » .

في غُثْل ، وهو ما يُفْتَسَل به ، نحو الخيطي وغيره ، قثيل : غثلين ، لما يسيل من صديد
أهل النار ودمائهم ، وكثرة زيادة في غير وهو الخبيث الداهي^(١) ، قثيل : عثرين ، لما سدة
بسيها . وقيل : عثريت الداهية ، هكذا ذكروه .

وقائل أن يقول لم : أليس قد قاتلوا للأسد : عَثَرَتِي ، بفتح العين ، وأصله العِثْرُ ،
بالكسر ، فقد بان أنهم لم يراعوا في اشتقاقهم وتصريف كلامهم الحركة المخصوصة ،
ولما يراعون الحرف ، ولا كل الحروف ، بل الأصل منها ؛ فغير ممتنع على هذا عندنا
أن تكون الياء والنون زائدين في « صئين » .

وصفين : اسم غير منصرف فتأبث والتعريف ، قال^(٢) :

إِنِّي أُدِينُ بِمَا دَانَ الرَّسُولُ يَوْمَ الْحَرْبِ مِنْ قَتْلِ السَّحَابِ^(٣)
وَالَّذِي دَانَ يَوْمَ النَّهْرِ لَيْسَتْ بِهِ شَارِكَةٌ كَفَّهُ كُفِّي بِصَفِينَا
تَلَّكَ الدَّمَاءَ مَعًا يَا رَبِّي لِي عَنِّي سَهْمًا مَعِي مِثْلَهَا آمِينَ آمِينَ

• • •

الأصل :

أَتَحَدُّهُ اسْتِغْنَاءً لِنِعْمَتِهِ ، وَاسْتِغْنَاءً لِعِزَّتِهِ ، وَاسْتِغْنَاءً مِنْ مَغْصِبَتِهِ . وَأَسْتَعِينُهُ
فَاقَّةً إِلَى كِفَايَتِهِ ؛ إِنَّهُ لَا يَهْلُ مِنْ هَدَاهُ ، وَلَا يَشِلُّ مِنْ عَادَاهُ ، وَلَا يَفْتَقِرُ مِنْ
كَفَّاهُ ؛ فَإِنَّهُ أَرْجَحُ مَا وَدِّنَ ، وَأَفْضَلُ مَا خَرِنَ . وَأَشْهَدُ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ^(٤) وَحْدَهُ
لَا شَرِيكَ لَهُ^(٥) ، شَهَادَةٌ مُتَمَنِّعَةٌ إِحْلَاصُهَا ، مُتَمَنِّعَةٌ مُصَاصُهَا ، تَمَسَّكُ بِهَا أَبَدًا

(١) يقال : رجل داه وداهية ؛ بمعنى .

(٢) هو السيد الحميري ؛ والآيات ينسبها إليه في الكامل ٧ : ١٧٧ — بشرح الرصم .

(٣) الحربة : موضع بالبصرة ؛ كانت عنده واحة الخيل ؛ ذكره ياقوت ؛ واستشهد بالبيت ، ول

الأصول : « الحربة » ، بالماء ؛ تصحيف . ول الكامل : « يوم النخيلة » .

(٤ - ٥) ، سابق من ا ، وعطوفة التهج .

مَا أَبْقَانَا ، وَتَذِيرُهُمَا لِأَهَاوِيلِ مَا يَلْقَانَا ؛ فَفِيهَا عَزِيمَةُ الْإِيمَانِ ، وَفَائِضَةُ الْإِحْسَانِ ،
وَمَرَّةُ الرَّحْمَنِ ، وَتَذِيرَةُ الشَّيْطَانِ .



البَيِّنَاتُ :

وَال ، أَيْ نَجْمًا ، يَنْتَل . وَلِلْصَّاحِبِ : حَالِمُ الشَّيْءِ . وَالْفَائِضَةُ : الْحَاجَةُ وَالْفَقْرُ .
الْأَهَاوِيلُ : جَمْعُ أَهْوَالٍ ، وَالْأَهْوَالُ : جَمْعُ هَوَلٍ ، فَهُوَ جَمْعُ الْجَمْعِ ، كَمَا قَالُوا : أَنْعَامٌ وَأَنْعَامٌ .
وَقِيلَ : أَهَاوِيلُ أَصْلُهُ نَهَاوِيلٌ ، وَهِيَ مَا يَهْوِلُ مِنْ شَيْءٍ ، أَيْ يَرَوْعُكَ ، وَإِنْ جَازَ هَذَا فَهُوَ
بَعِيدٌ ، لِأَنَّ التَّاءَ قَدْ أَنْ تَبْدَلَ هَمْزَةً . وَالْعَزِيمَةُ : الثَّيْبَةُ الْمُقَطَّوعَةُ عَلَيْهَا ، وَتَذِيرَةُ الشَّيْطَانِ ،
أَيْ تَذِيرُهُ ، أَيْ تَبْعُهُ وَتَعَارُفُهُ .

وَقَوْلُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ : « اسْتِنَامًا » ، وَ« اسْتِغْلَامًا » ، وَ« اسْتِمَاعًا » ؛ مِنْ لَطِيفِ الْكُنْيَةِ
وَبَدِيعِهَا ، فَبَعَثَانِ مَنْ خَصَّهُ بِالْفَضَائِلِ الَّتِي لَا تَقْبَلُ الْكُنْهَ الْفَصَحَاءُ إِلَى وَصْفِهَا ، وَجَعَلَهُ
إِمَامٌ كُلِّ ذِي عِلْمٍ ، وَقُدُوةً كُلِّ صَاحِبِ نَيْصِيئَةٍ .
وَقَوْلُهُ : « فَإِنَّهُ أَرْجَحُ » ، الْمَاءُ عَائِدَةٌ إِلَى مَا دَلَّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ : « أَحَدُهُ » ، بِمَنْزِلَةِ الْحَدِّ ،
وَالْفِعْلُ يَدُلُّ عَلَى الْمَصْدَرِ ، وَتَرْجِعُ الضَّمَاةُ إِلَيْهِ كَقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ بَلْ هُوَ شَرٌّ ^(١) » وَهُوَ
ضَمِيرُ الْبَخْلِ الَّذِي دَلَّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ : ﴿ يَبْخُلُونَ ^(١) » .



[باب لزوم ما لا يلزم وإيراد أمثلة منه]

وَقَوْلُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ : « وَرَيْنَ وَخَرْنَ » ، يَلْزُمُ الزَّيْ ، مِنْ الْبَابِ الْمُسَمَّى لَزُومَ مَا لَا
يَلْزُمُ ، وَهُوَ أَحَدُ أَنْوَاعِ الْبَدِيعِ ، وَذَلِكَ أَنَّ تَكُونُ الْحُرُوفُ الَّتِي قَبْلَ الْفَاصِلَةِ حُرُفًا وَاحِدًا ؛ هَذَا

(١) - سوره آل عمران ١٨٠ ، وَالْآيَةُ بِمِثْلِهَا ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا آتَاهُمْ اللَّهُ مِنْ
فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ » .

في التشديد ، وأما في النظم فإن تساوى الحروف التي قبل الروى مع كونها ليست بواجبة التساوى ، مثال ذلك قول بعض شعراء الحماسة ^(١) :

بَيْضَاهُ بِأَكْرَهَا النَّعِيمُ فَصَافَهَا بِلَبَاقَةٍ قَادَتْهَا وَأَجَبَهَا ^(٢)
حَبَبَتْ تَحِيَّتَهَا قَلْتُ لِمَا حَبَى مَا كَانَ أَكْثَرَهَا لَنَا وَأَقْلَمَا
وَإِذَا وَجَدْتُ لَهَا وَسَاوِسَ سَلْوَةٍ شَفَعَ الضَّمِيرُ إِلَى الْفَوَادِ فَسَلَمَهَا ^(٣)

الآثار كيف قد لزم اللام الأولى من اللامين اللذين صاروا حرفا مشددا ! فالثاني منهما هو الروى ، واللام الأول القدى قبله التزام مالا يلزم ؛ فلو قال في القصيدة : وصلها ، وقبلها ، وفعلها ، لجاز .

واحتزنا نحن بقولنا : « مع كونها ليست بواجبة التساوى » عن قول الراجز ، وهو من شعر الحماسة أيضا :

وَفَيْشَةٍ لَيْسَتْ كَهَذِي الْفَيْشِ ^(٤) قَدْ مُلِثَتْ مِنْ تَرْقِي وَعَلِيشِ ^(٥)
إِذَا بَدَتْ قَلْتَ أَمِيرُ الْجَيْشِ مَنْ ذَاقَهَا يَعْرِفَ طَعْمَ الْعَيْشِ

فإن لزوم الياء قبل حرف الروى ليس من هذا الباب ، لأنه لزوم واجب ، ألا ترى أنه لو قال في هذا الرجز : البطش والفرش والمرش لم يجز ، لأن الردف ^(٥) لا يجوز أن يكون حرفا خارجا عن حروف العلة . وقد جاء من اللزوم في الكتاب العزيز مواضع

(١) من أبيات أربعة ؛ أولها :

إِنَّ أَلْسِي زَعَمْتُ فَوَادِكَ مَلَهَا خُفِيتَ هَوَاكَ كَمَا خُلِفْتَ هَوَى لَهَا

ومى في الحماسة - بصرح للرزوق ١٢٣٥ ، وأما الثاني (١ : ١٥٦) من ٥ - برسبة ، ونقل التبريزي عن أبي ريش أنها لمروة بن أذية .

(٢) أدقها وأحطها ، أى آتى بها دققة العين والأنف والثر والمصر ، حيلة الساق والفتخ والصدر .

(٣) الحماسة : • شَفَعَ الضَّمِيرُ لَهَا إِلَى فَسَلَمَهَا •

(٤) ديوان الحماسة - بصرح التبريزي ٤ : ٣٤٠ .

(٥) الردف عند العروضيين ، هو حرف لين أو مد قبل الروى يحصلان به .

ليست بكثيرة ، فنها قوله سبحانه : ﴿ فَتَكُونُ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا ۚ قَالَ أَرَأَيْتَ أَنْتَ عَنْ آيَاتِي يَا إِبْرَاهِيمَ إِنْ لَمْ تُنْفِتْهُ لَأَرْجُحَنَّكَ وَاتَّخِذَنَّكَ مِنِّي مَلِيًّا ۚ ﴾^(١) ، وقوله تعالى : ﴿ وَلَكِنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ ۚ قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُمْ بِالْوَعِيدِ ﴾^(٢) ، وقوله : ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۚ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴾^(٣) ، وقوله : ﴿ وَالطُّورِ ۚ وَكِتَابٍ مَسْطُورٍ ﴾^(٤) ، وقوله : ﴿ بِكَاثِرِينَ وَلَا يَجْنُونَ ۚ أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَتَنَبَّئُ بِرَبِّ السَّمَوَاتِ ﴾^(٥) ، وقوله : ﴿ فِي سِدْرٍ مَخْضُودٍ ۚ وَطَلْحٍ مَبْثُودٍ ﴾^(٦) ، وقوله : ﴿ فَإِنْ أَنْتَهُمْ قَالُوا فَأَنَّى يُبَيِّنُ اللَّهُ لِمَا يَمْكُورُونَ بَصِيرٌ ۚ وَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَوْلَاكُمْ نِعَمَ الْمَوَلَّىٰ وَنِعَمَ النَّصِيرُ ﴾^(٧) ، والظاهر أن ذلك غير مقصود قصد .

وبما ورد منه في كلام العرب أن لقيط بن جذارة تزوج ابنة قيس بن خالد الشيباني فأحبته ، فلما قُتِلَ عنها تزوجت غيره ، فبَكَتْ نَدَى لقيطاً ، فسألتها عن حُبِّها له ، فقالت : أذكره وقد خرج تارة في يوم دَجْنٍ ، وقد طَلَبْتُ وشرب الخمر ، وطرد بقرأ ، فصرع بعضها ، ثم جاءني وبه نَضْحُ دَمٍ وهَيَّيرٌ ، فَمَضَى خَمَةً ، وَشَمَقَ شَمَةً ، فليتنى كنت ميتة ثم . وقد صنع أبو العلاء المعري كتاباً في اللزوم من نظمه ، فأتى فيه بالجميل والردى .

وأكثره متكلف ، ومن جيله قوله :

لَا تَطْلُبِينَ بَالَةَ لَكَ حَالَةٌ قَلَمُ الْبَلِيغِ بَنِي حَظَرٍ مِغْزَلٌ^(٨)
سَكَنَ السَّامَكَانِ السَّاءِ كَلَامُهَا هَذَا لَهُ رَمَحٌ وَهَذَا أَعْزَلُ

• • •

الأصل :

وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ، أَرْسَلَهُ بِالْأَيِّنِ الشَّهُورِ ، وَالْقَلَمِ الْمَأْثُورِ ،

- | | |
|--------------------------|--|
| (١) سورة مريم ٤٤ ، ٤٥ | (٢) سورة في ٢٧ ، ٢٨ |
| (٣) سورة الطلق ١ ، ٢ | (٤) سورة الطور ١ ، ٢ |
| (٥) سورة الطور ٢٩ ، ٣٠ | (٦) سورة الواقعة ٢٨ ، ٢٩ |
| (٧) سورة الأفعال ٣٩ ، ٤٠ | (٨) لم يرد اليحسان في نسخ الترويات ، ونسبها إليه ابن |
- خليليات (١ : ٣٣) ، وابن الوردى ، وصاحب مرآة الجنان ، وابن كثير (حوادث ٤٤٩) ، وعذرت الذهب ٣ : ٢٨١ ، وتقديم ابن بكر لابن حجة ٤٣٥ ، ولابن خلكان : « لك ربة » .

وَالْكِتَابِ الْمُسْتَوْرِ ، وَالتَّوْرِ السَّاطِعِ ، وَالْعَبَاءِ الْأَمِيرِ ، وَالْأَمْرِ الْمَادِعِ ؛ إِذَا حَتَّ
لِلشُّبَّاتِ ، وَأَحْبَجَا جَا بِالْبَيِّنَاتِ ، وَتَحْذِيرًا بِالْآبَاتِ ، وَتَحْذِيرًا بِالْمَثَلَاتِ ، وَالنَّاسُ
فِي فِتْنٍ أُنْجِزَ فِيهَا حَبْلُ الدِّينِ ، وَتَزَعَزَعَتْ سَوَارِي الْيَقِينِ ، وَاخْتَلَفَ النَّجْرُ ،
وَنَشَتْ الْأَمْرُ ، وَضَاقَ الْمَخْرَجُ ، وَغَمِيَ الْمَعْدَرُ ؛ فَالْهَدَى خَامِلٌ ، وَالْمَسَى شَامِلٌ .
عَصَى الرَّحْمَنُ ، وَنَصَرَ الشَّيْطَانُ ، وَخَدِلَ الْإِيمَانُ ، فَاهْبَارَتْ دَعَائِمُهُ ، وَتَكَرَّرَتْ
مَعَالِيهِ ، وَدَرَسَتْ سُبُلُهُ ، وَغَفَتْ شُرُكُهُ . أَطَاعُوا الشَّيْطَانَ فَلَسَكُوا مَسَالِكَهُ ،
وَوَرَدُوا مَنَاهِلَهُ ؛ يَهِيمُ سَارَتْ أَعْلَامُهُ ، وَقَامَ لَوَاؤُهُ . فِي فِتْنٍ دَاسَتْهُمْ بِأَخْفَافِهَا ،
وَوَطِئَتْهُمْ بِأُظْلَافِهَا ، وَقَامَتْ عَلَى سَنَابِكِهَا ، فَهَمُّ فِيهَا تَائِهُونَ حَائِرُونَ ، جَاهِلُونَ
مَقْتُونُونَ ، فِي خَيْرِ دَارٍ وَشَرِّ جِيرَانٍ ؛ لَقَوْمُهُمْ سُوءٌ ، وَكَلْمُهُمْ دُمُوعٌ ؛ بِأَرْضٍ
عَالِيهَا مُلْحَمٌ ، وَجَاهِلِيهَا مُكْرَمٌ .



وَقَدْ تَقَرَّرَ شَيْءٌ مِنْ

الْبَيِّنَاتِ :

قوله عليه السلام : « وَالْعِلْمَ الْمَأْتُورَ » ، يجوز أن يكون عَنَى به القرآن ؛ لأنَّ المأْتُورَ
المحكى ، والعلم ما يُهْتَدَى به ، والمتكلمون بسون للمعجزات أعلاماً . ويجوز أن يريدَ
به أحدَ معجزاته غير القرآن ؛ فإنها كثيرة ومأْتورة ، ويؤكد هذا قوله بعد :
« وَالْكِتَابِ الْمُسْتَوْرِ » ، فدلَّ على تفايرهما ، ومن يذهب إلى الأول يقول : المراد بهما
واحد ، والثانية تأكيد الأولى على قاعدة الخطابة والكتابة .

والصَّادِعُ : المظاهر الجلي ، قال تعالى : « فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ »^(١) ، أى أظهره ولا تخفه .
وَالْمَثَلَاتِ ؛ بفتح الميم وضم التاء : العقوبات ، جمع مَثَلَةٌ ؛ قال تعالى : « وَاسْتَجِيبُوا نَدَاءَ
السَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ وَقَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمُ الْمَثَلَاتُ »^(٢) .

وَأُنْجِزَ : انقطع . والسَّوَارِي : جمع سارية ، وهى الدعامة يدعم بها السقف . والنَّجْرُ :

الأصل ، ومنه النجار . واهارت : تساقطت . والشرك : الطرائق ، جمع شرك . والأخاف للإبل ، والأخلاف للبقر والمعز .

وقال الراوندي في تفسير قوله : « خير دار ، وشر جيران » : خير دار : الكوفة .
وقيل : الشام ؛ لأنها الأرض المقدسة ، وأهلها شر جيران ، يعنى أصحاب معاوية . وعلى
التفسير الأول يعنى أصحابه عليه السلام

قال : وقوله : « نومهم سهود » ، يعنى أصحاب معاوية لا ينامون طولا ، القيل ، بل يرتبون
أمره . وإن كان وصفا لأصحابه عليه السلام بالكوفة - وهو الأقرب - فالمعنى أنهم خائفون
يسهرون ويكون قلة موافقهم إياه ؛ وهذا شكاية منه عليه السلام لهم .
وكلهم دموع ، أى غاما ، فإنه إذا تم ~~المرء~~ المرء ملك عينيه .

ولقاتل أن يقول : لم يجر فيما تقدم ذكر أصحابه عليه السلام ولا أصحاب معاوية ،
والكلام كله في وصف أهل الجاهلية قبل بعث محمد صلى الله عليه وآله . ثم لا يخفى على هذا
التفسير من الركابة والفجاجة ، وهو أن يريد بقوله : « نومهم سهود » ، أنهم طوال الليل
يرتّبون أمر معاوية ، لا ينامون ، وأن يريد بذلك أن أصحابه يكون من خوف معاوية
وعساكره ، أو أنهم يكون غافا ؛ والأمر أقرب من أن يتمحل له مثل هذا .

ونحن نقول : إنه عليه السلام لم يخرج من صفة أهل الجاهلية ، وقوله : « في خير دار »
 يعني مكة ، و « شرّ جيران » ، يعني قريشا ، وهذا لفظ النبي صلى الله عليه وآله حين حَكَّى
 بالمدينة حالة كانت في مبدأ البعثة ، فقال : « كنت في خير دار » و « شرّ جيران » . ثم
 حَكَّى عليه السلام ماجرى له مع عُقبة بن أبي مُعَيْط ، والحديث مشهور .

وقوله : « نومهم سهود ، وكلهم دموع » مثل أن يقول : جودهم بخل ، وأمنهم خوف ، أى لو استباحهم محمد عليه السلام النوم لجادوا عليه بالسهود عوضا عنه ، ولو استبداهم الكحل لكان كلهم الدموع .

ثم قال : « بأرض طالمها مُلجَم » ، أى من عرف صدق محمد صلى الله عليه وآله وآمن به في ثقية وخوف . « وجاهلها مكرَم » ، أى من جحد نبوته وكذبه في عز ومنعة . وهذا ظاهر .

• • •

الأصل :

ومنها - ولبنى آل النبي صلى الله عليه :

مَمْ مَوْضِعُ سِرِّهِ ، وَتَجَا أَمْرِهِ ، وَعَيْتَةُ عَلَيْهِ ، وَمَوْتِلُ حُكْمِهِ ، وَكُهُوفُ كُتُبِهِ ، وَجِبَالُ دِينِهِ . يَوْمَ أَقَامَ انْحِنَاءَ ظَهْرِهِ ، وَأَذْهَبَ ارْتِمَادَ فَرَائِصِهِ .

التلخيص :

الجبأ : ما تلجى إليه ، كالوذر ما تلجى به . والموتل : ما ترجع إليه : يقول : إن أمر النبي صلى الله عليه وآله - أى شأنه - ملجى إليهم بمرحلته مودع عندهم ؛ كالشوب يودع العيبة . وحكمه - أى شرعه - يرجع ويؤول إليهم . وكتبه - يعنى القرآن والسنة - عندهم ، فهم كالكهوف له ، لا محتواهم عليه . وم جبال دينة لا يتحللون عن الدين ؛ أو أن الدين ثابت بوجودهم ؛ كما أن الأرض ثابتة بالجبال ، ولولا الجبال لمادت بأهلها .

والهاء في « ظهروه » ترجع إلى الدين ، وكذلك الهاء في « فرائصه » والفرائص : جمع فريصة ، وهى الهمة بين الجنب والكشف لا تزال ترتعد من الهابة .

• • •

الأصل :

ومنها في المتأخرين :

زَرَعُوا النُّجُورَ ، وَسَقَوْهُ الرُّرُورَ ، وَحَصَدُوا الثُّبُورَ ، لَا يُغَاسُ بِآلِ مُحَمَّدٍ حَسَلُ أَقَّةٍ عَلَيْهِ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ أَحَدٌ ، وَلَا يُسَوَّى بِهِمْ مَنْ جَرَتْ نِسْبَتُهُمْ عَلَيْهِ أَبَدًا . هُمْ أَسَاسُ الدِّينِ ، وَهَذَا الْيَقِينِ ، إِلَيْهِمْ تَبَيُّهُ الْعَالِي ، وَبِهِمْ يُلْعَقُ

التالي ، وَلَهُمْ خَصَائِصُ حَقِّ الْوِلَايَةِ ، وَفِيهِمُ الْوَصِيَّةُ وَالْوَرَاثَةُ . الْآنَ إِذْ رَجَعَ الْحَقُّ إِلَى أَهْلِهِ ، وَقِيلَ إِلَى مُنْتَقِلِهِ .

الْبَرْخُ :

جعل ماقلوه من القبيح بمنزلة زرع ررعوه ، ثم سقوه ، فالذي زرعه الفجور ، ثم سقوه بالغرور ؛ والاستمارة واقعة موقعها ، لأن ثماريهم وماسكت إليه نفوسهم من الإمهال، هو الذي أوجب استمرارهم على القناعم التي واقعوها، فكان ذلك كأيستى الزرع، ويربى بالماء ويستحفظ .

ثم قال : « وَحَصَدُوا الثُّبُورَ » ، أي كانت نتيجة ذلك الزرع والسقى حصاداً ماهو الهلاك والمطب .

وإشارته هذه ليست إلى المنافقين كما ذكرنا في رحمة الله ، وإنما هي إشارة إلى مَنْ تَغَلَّبَ عَلَيْهِ ، وَجَعَدَ حَقَّهُ كَمَاوِيَّةً وَمَغْشَوَةً . سَوَّلَ الرَّضَى رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى عَرَفَ ذَلِكَ وَكَفَى عَنْهُ .

ثم عاد إلى الثناء على آل محمد صلى الله عليه وآله ، فقال : « هُمْ أَصُولُ الدِّينِ ، إِلَيْهِمْ يَفِي الْعَالِي ، وَهُمْ يُلْحَقُ التَّالِي » ؛ جعلهم كقنْبٍ يسير في فلاة ، فالعالي منه أي الفارط المتقدم ، الذي قد غلا في سيره يرجع إلى ذلك القنْبِ إذا خاف عدواً ، ومن قد تخلف عن ذلك القنْبِ فصار تالياً له يلتحق به إذا أشفق من أن يُتَحَطَّفَ .

ثم ذكر خصائص حق الولاية ، والولاية : الإمرة ؛ فأما الإمامية فيقولون : أراد نص النبي صلى الله عليه وآله عليه وعلى أولاده . ونحن نقول : لهم خصائص حق ولاية الرسول صلى الله عليه وآله على الخلق .

ثم قال عليه السلام : « وَفِيهِمُ الْوَصِيَّةُ وَالْوَرَاثَةُ » ، أما الوصية فلا ريبَ عندنا أن علياً عليه السلام كان وصي رسول الله صلى الله عليه وآله ، وإنْ خالف في ذلك مَنْ هو منسوب

مدنا إلى العناد ، ولنا نفى بالوصية النعم والخلافة ، ولكن أموراً أخرى لعلها - إذا
ليحت - أشرف وأجل .

وأما الوراثة فالإمامية يحيلونها على ميراث المال والخلافة ، ونحن نحملها على
وراثة العلم .

ثم ذكر عليه السلام أن الحق رجع الآن إلى أهله ؛ وهذا يقتضى أن يكون فيما قبل
في غير أهله ، ونحن نتأول ذلك على غير ما ذكره الإمامية ، ونقول : إنه عليه السلام
كان أولى بالأمر وأحق ، لا على وجه النص ، بل على وجه الأفضلية ، فإنه أفضل البشر
بعد رسول الله صلى الله عليه وآله ، وأحق بالخلافة من جميع المسلمين ؛ لكنه ترك حقه لما
عليه من الصلحة ، وما تفرس فيه هو وللشؤون من اضطراب الإسلام ، وانتشار الكلمة ،
لمسد العرب له ، وضئهم عليه . وحاز من كان أولى شيء فتركه ثم استرجعه أن يقول :
« قد رجع الأمر إلى أهله » .

وأما قوله : « وانتقل إلى منتقله » ، فيه مصاف محذوف ، تقديره : « إلى موضع منتقله » ،
والمنتقل بفتح القاف : مصدر بمعنى الانتقال ، كقولك : لي في هذا الأمر مضطرب ، أى
اضطراب ، قال :

قَدْ كَانَ لِي مُضْطَرَبٌ وَاسِعٌ فِي الْأَرْضِ ذَاتِ الطُّولِ وَالْعَرْضِ ^(١)
وتقول : ما معتدك ؟ أى ما اعتقادك . قد رجع الأمر إلى نصابه ، وإلى اللوضع الذى
هو على الحقيقة للوضع الذى يجب أن يكون انتقاله إليه .

فإن قيل : ما معنى قوله عليه السلام : « لا يقاس بآل محمد من هذه الأمة أحد ،
ولا يسوى بهم من جرت نصبتهم عليه أبداً » ؟

قيل : لا شبهة أن للنعم أهل وأشرف من للنعم عليه ، ولا ريب أن محمداً صلى الله

(١) ديوان الحماسة ١ : ٢٨٧ - بصرح الرزولي ، من آيات نسبها إلى خطاب بن اللؤلؤ ، واسمه في
التبريزي : « سلطان بن اللؤلؤ » .

عليه وآله وأهله الأذنين من بنى هاشم - لاسيما علياً عليه السلام - أنتموا على الخلق كافة بنعمة لا يقدر قدرها، وهي الخطا إلى الإسلام والهداية إليه ، فحمد صلى الله عليه وآله وإن كان هدى الخلق بالدعوة التي قام بها بلسانه وبلده ؛ ونصرة الله تعالى له بملائكته وتأييده ، وهو السيد للتبوع ، والمصطفى للتعجب الواجب الطاعة ، إلا أن "علي" عليه السلام من الهداية أيضاً - وإن كان ثانياً لأوّل ، ومصلياً على إثر سابق - مالا يُحمد ، ولولم يكن لإجهاده بالسيف أولاً وثانياً ، وما كان بين الجهادين من نشر العلوم وتفسير القرآن وإرشاد العرب إلى ما لم تكن له فاهمة ولا متصورة ، لكفى في وجوب حقّه ، وسبوغ نصته عليه السلام .

فإن قيل : لا ريب في أن كلامه هذا تبرّض عن تقديم عليه ، فأى نعمة له عليهم ؟ قيل : نعمتان : الأولى منها الجهاد عنهم وهم قاعلون ، فإن من أنصف علم أنه لولا سيف عليّ عليه السلام لأصطلم المشركون ؛ من أشار إليه وغيرهم من المسلمين ، وقد علت آثاره في بدر ، وأحد ، والخندق ، وخيبر ، وحنين ؛ وأن الشرك فيها قمر فاه ، فلو أن سده بسيفه لآلتهم للمسلمين كافة - والثانية علمه التي لولاها لحكم بغير الصواب في كثير من الأحكام ، وقد اعترف عمر له بذلك ، والخبر مشهور : «لولا عليّ لهلك عمر» .

ويمكن أن يخرج كلامه على وجه آخر ؛ وذلك أن العرب تفصل القبيلة التي^(١) منها الرئيس الأعظم على سائر القبائل ، وتفصل الأدنى منه سباً ، فالأدنى على سائر آحاد تلك القبيلة ؛ فلئن بنى دارم يفتخرون بحاجب وإخوته ، وزرارة أبيهم على سائر بنى تميم ، ويسوغ الواحد من أبناء بنى دارم أن يقول : لا يقاسُ بيني دارم أحد من بنى تميم ، ولا يستوى بهم من جرت رياستهم عليه أمداً ؛ ويعنى بذلك أن واحداً من بنى دارم قد رأس على بنى تميم ؛ فكذلك لما كان رسول الله صلى الله عليه وآله رئيس الكل ،

والنعم على الكل ، جاز لواحد من بنى هاشم ؛ لا سيما مثل علي عليه السلام أن يقول هذه الكلمات .

واعلم أن عليا عليه السلام كان يدعى التقدم على الكل ، والشرف على الكل ، والنسبة على الكل ، وابن عمه صلى الله عليه وآله ، وبنيته ، وبأبيه أبي طالب ، فإن من قرأ علوم الشير عرف أن الإسلام لولا أبو طالب لم يكن شيئا مذكورا .

وليس لقائل أن يقول : كيف يقال هذا في دين تكفل الله تعالى بإظهاره ، سواء كان أبو طالب موجودا أو معدوما ؟ لأننا نقول : فيبني على هذا ألا يمدح رسول الله صلى الله عليه وآله . ولا يقال : إنه هدى الناس من الضلالة ، وأتقدم من الجاهالة ، وإن له حق على المسلمين . وإنه لولاه لما عبد الله تعالى في الأرض ، وألا يمدح أبو بكر ، ولا يقال : إن له أثرا في الإسلام ، وإن عهد الرحمن وسعدا وطلحة وعثمان وغيرهم من الأولين في الدين اتبعوا رسول الله صلى الله عليه وآله لاتباعه له ، وإن له بدا غير مجعولة في الإغياق واشتراء المذنبين واعتاقهم ، وإنه لولاه لاستمرت الردة بعد الوفاة ، وظهرت دعوة مسيلة وطليلة ؛ وإنه لولاه لما كانت الفتوح ، ولا جهزت الجيوش ، ولا قوى أمر الدين بعد ضعفه ، ولا انتشرت الدعوة بعد خولها .

فإن قلتم في كل ذلك : إن هؤلاء يُحْمَلُونَ وَيُثَنَّى عَلَيْهِمْ ؛ لأن الله تعالى أجرى هذه الأمور على أيديهم ، ووقفهم لها ، والفاعل بذلك بالحقيقة هو الله تعالى ؛ وهؤلاء آلة مستعملة ، ووسائط تجري الأفعال على أيديها ، فخدمهم والثناء عليهم ، والاعتراف لهم إنما هو باعتبار ذلك .

قيل : لكم في شأن أبي طالب مثله ^(١) .

واعلم أن هذه الكلمات؛ وهى قوله عليه السلام: «الآن إذ رجع الحق إلى أهله...»، إلى آخرها يبعدُ عندى أن تكون مقولة عقيب انصرافه عليه السلام من صُنَيْن، لأنه انصرف عنها وقتئذ مضطرب الأمر، منتشر الحبل؛ بواقعة الصعكيم، ومكيدة ابن العاص، وماتم لمعاوية عليه من الاستظهار، وما شاهد في عسكره من الخذلان. وهذه الكلمات لا تقال في مثل هذه الحال، وأخلق بها أن تكون قيلت في ابتداء بيئته، قبل أن يخرج من المدينة إلى البصرة، وأن الرضى رحمه الله تعالى نقل ما وجد، وحكى ما سمع، والغلط من غيره والوهم سابق له. وما ذكرناه واضح.

• • •

[ماورد في الوصاية من الشعر]

ومارويناه من الشعر المقول في صدر الإسلام المنصن كونه عليه السلام وصى رسول الله قول عبدا لله بن أبى سفيان بن الحارث بن عبد المطلب:

وَمَنَا عَلَى ذَاكَ صَاحِبُ حَبِيرٍ وَصَاحِبُ بَذْرِ يَوْمِ سَالَتْ كِتَابُهُ
وَصَى النَّبَى الْمُصْطَفَى وَابْنُ عَمِّهِ فَمَنْ ذَا يَدَايْنِهِ وَمَنْ ذَا بُحَارِبُهُ !
وقال عبد الرحمن بن جُمَيْل :

لَمَعْرَى لَقَدْ بَايَسْتُ ذَا حَفِيفَةٍ عَلَى الدِّينِ، مَعْرُوفَ الْعَفَافِ مُوقِفًا
عَلِيًّا وَصَى الْمُصْطَفَى وَابْنُ عَمِّهِ وَأَرْتَلُ مَنْ صَلَّى أَخَا الدِّينِ وَالنُّقَى
وقال أبو الهيثم بن التيهان - وكان بدريًا :

قُلْ لِلزَّيْبِ وَقُلْ لَطَلْعَةِ إِنَّا نَحْنُ الَّذِينَ شَمَرْنَا الْأَبْصَارُ
نَحْنُ الَّذِينَ رَأَتْ قَرِيشٌ فَعَلْنَا يَوْمَ الْقَلِيبِ أُولَئِكَ الْكَفَّارُ
كُنَّا شَمَرَ نَبِينَا وَذُلُّهُ يَغْدِبُهُ مِنَ الرُّوحِ وَالْأَبْصَارُ

إنَّ الرُّمَى إِمَامُنَا وَوَلِيَّنَا بَرَّحَ الْخَفَاءَ وَبَاحَتِ الْأَسْرَارَ^(١)
 وقال عمر بن حارثة الأنصاري ، وكان مع محمد بن الحنفية يوم الجمل ، وقد لاه
 أبوه عليه السلام لما أمره بالحملة ففأعس :

أَبَا حَسَنِ أَنْتَ فَصْلُ الْأُمُورِ يَبِينُ بِكَ الْجَمْلُ وَالْحَرَمُ
 جَمَعْتَ الرِّجَالَ عَلَى رَايَةٍ بِهَا ابْنُكَ يَوْمَ الْوَعَى مُقْتَمُ
 وَلَمْ يَنْكُصِ الرَّهْ مِنْ خِيفَةٍ وَلَكِنْ تَوَالَتْ لَهُ أَسْهُمُ
 فَقَالَ رَوْبِدَا وَلَا تَسْجَلُوا فَإِنِّي إِذَا رَشَقُوا مُقْسِدُ
 فَأَجْلَسَهُ وَالْفَقْ عَجْمُ عَمَّا يَكْرَهُ الْوَجِلَ الْمُحِمْ
 سَمِيَ النَّبِيُّ وَشَبَّهَ الرُّمَى بِحَارِثَةِ لَوْهَمَا الْعَتَمُ
 وقال رجل من الأزد يوم الجمل



هَذَا عَلَى وَهْوِ الرُّمَى بِأَحْلَى يَوْمِ النَّجْوَةِ النَّبِيُّ
 وقال هذا بمدي اللؤلؤ وَعَاةُ وَايَعٍ وَنَيْسِ الثَّقِي
 وخرج يوم الجمل عَلَامٌ مِنْ بَنِي صَبَّةٍ شَابٌ مُعَلِّمٌ^(٢) مِنْ عَسْكَرِ عَائِشَةَ ، وَهُوَ يَقُولُ :
 نَحْنُ رَبِّي صَبَّةٌ أَعْدَاءُ عَلَى ذَلِكَ الَّذِي يُعْرِفُ قَدَمًا بِالرُّمَى
 وَقَارِيسُ الْحَيْلِ عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ مَا أَمَّا عَنْ فَضْلِ عَلَىِّ بِالْعَيْ
 لَكُنْفَى أَنْتَى ابْنُ عَفَّانَ الثَّقِي إِنَّ الْوَلِيَّ طَالِبُ ثَارَ الْوَلِي
 وقال سعيد بن قيس الخنداني يوم الجمل - وكان في عسكر علي عليه السلام :
 أَيْةُ حَرْبٍ أُضْرِمَتْ نِيرَانُهَا وَكُسِرَتْ يَوْمَ الْوَعَى مُرَائُهَا^(٣)

(١) برح الخفاء ، أى ظهر ما كان خائفاً وانكشف ، مأخوذ من براح ؛ وهو البارز الصاهر .
 (٢) اللعلم ، بكسر اللام ، الذى علم مكانه في الغرب بعلامة أعلمها .
 (٣) للرآن ؛ الرماح الصلبة القدنة ، واحده رمانة .

قُلْ لِلْوَمِيِّ أَقْبَلْتُ قَطْعَانَهَا فَادْعُ بِهَا تَكْفِيكَهَا هَذَاهَا
• مُمْ بَنُوها وَمُمْ إِنْخَوَانَهَا •

وقال زياد بن ليلى الأنصارى يوم الجمل - وكان من أصحاب علي عليه السلام :
كَيْفَ تَرَى الْأَنْصَارِيَّ يَوْمَ الْكَلْبِ إِنَّا أَنَاسٌ لَا نُبَالِي، مَنْ عَطِبَ
وَلَا نُبَالِي فِي الْوَمِيِّ مَنْ غَضِبَ وَإِنَّمَا الْأَنْصَارُ جِدَّةٌ لَا لَيْبَ
هَذَا عَلَيَّ وَإِنْ عَبْدَ الطَّيِّبِ تَصْرَعُ الْيَوْمَ عَلَى مَنْ قَدْ كَذَبَ
• مَنْ يَكْتِيبُ الْبُيْنَ فَلَسَا اكْتَسَبَ •

وقال حُجْر بن عدى الكندى في ذلك اليوم أيضا :

يَارَبَّنَا سَلِّمْ لَنَا عَلَيْنَا هُم لَمْ الْبَرَكَ الْمَغِيَا
الْمُؤْمِنَ لِلْوَحْدِ الْقَهْدِ لَا حِطْلَ الرَّأْيِ وَلَا غَوِيَا
بَلْ هَادِيًا مَوْفَقًا مَهْدِيًا وَأَحْفَظُهُ رَبِّي وَأَحْفَظُ النَّبِيَا
فِيهِ فَقَدْ كَانَ لَهُ وَلِيَا ثُمَّ ارْتَضَاهُ بِعَدَّةٍ وَحِيَا

وقال غزيمة بن ثابت الأنصارى، ذو الشهادتين - وكان بذريًا سفي يوم الجمل أيضا :

ليس بين الأنصار في جَعَةِ الْحَرِّ ب وبين العداة إلا الطمانُ
وقراع الكماة بالقُصْبِ البية من إذا ما تَحَطَّمُ الْكُرَانُ
خادعها نستجيب فليس من الخز رج والأوس باطن جَبَانُ
ياومى النبي قد أجلت الحر ب الأعادي وسارت الأخطانُ
واستقامت لك الأمور سوى الش ام وفي الشام يظهر الإذعانُ
حسبهم مارأوا وحسبك مِنَّا هَكَذَا نَحْنُ حَيْثُ كُنَّا وَكَانُوا

وقال خزيمه أيضا في يوم الجمل :

أعاشَ نَحْلٌ عَنْ عَلِيٍّ وَعَبِيهِ
وصى رسول الله من دون أهله
وحسبك منه بعض ما سلمته
إذا قيل ما ذا عبت منه رقيبته
وليس سماه الله قاطرة دما
لذلك وما الأرض الفضاء بمائدة

وقال ابن بديل بن ورقاء الخراعي يوم الجمل أيضا :

يا قومُ للخطبة المظنى التي حدثت
الفاصل الحکم بالتقوى إذا صيرت
تلك القبائل أحماسا لأسداس^(١)
حرب الوصي وما للعرب من أمي

وقال عمرو بن أحيحة يوم الجمل في خطبة الحسن بن علي عليه السلام بعد خطبة عبد الله

ابن الزبير :

حسن الخير بأشبه أبيه قمت فينا مقام خير خطيب
قمت بالخطبة التي صدع الله بها عن أهلك أهل المبوب
وكشمت القناع فأنصح الأمر وأصنحت فاسدات القلوب
لست كابن الزبير بلج في القو ل وطأ طأ عنان قسلي مريب
وأبي الله أن يقوم عسا ق م به ابن الوصي وابن النجيب
إن شخصا بين النبي - لك الخير - وبين الوصي غير مشوب

(١) يقال لمن يظهر شيئا ويريد غيره : حرب أحاسا لأسداس . والحس والندس : من أظماء الإبل ، والأصل فيه أن الرجل إذا أراد سفرا بعيدا هوذا إبله أن تنرب لها ، ثم سدسا ، حتى إذا أخذت في السير صبرت عن اللاء . (بحر الأمثال ١ : ٤١٨) .

وقال زحر بن قيس الجعفي يوم الجمل أيضاً :

أضربُكُمْ حتَّى تُقرُّوا لعلَّ خَيْرِ قُرَيْشٍ كُلِّهَا بَعْدَ النَّبِيِّ
مَنْ زَانَهُ اللَّهُ وَسَمَّاهُ الْوَصِيَّ إِنَّ الْوَلِيَّ حَافِظٌ ظَهَرَ الْوَلِيَّ
• كما النوى تابع أمر النوى •

ذكر هذه الأشعار والأراجيز بأجمعها أبو مخنف لوط بن يحيى ^(١) في كتاب وقعة
الجمل . وأبو مخنف من المحدثين ، وعن يرى صحة الإمامة بالاختيار ، وليس من الشيعة
ولا معبوداً من رجالها .



ومما روينا من أشعار صفيين التي تتضمن تسميته عليه السلام بالوصي ما ذكره نصر
ابن مزاحم ^(٢) بن يسار المتقري في كتاب صفيين وهو من رجال الحديث ، قال نصر
ابن مزاحم : قال زحر ^(٣) بن قيس الجعفي :

فَصَلِّ الْإِلَهَ عَلَى أَحَدٍ رَسُولِ الْمَلِكِ تَمَامِ النِّعَمِ
رَسُولِ الْمَلِكِ وَمِنْ بَعْدِهِ حَلِيفَتَا الْقَائِمِ لِلدَّعْوَةِ
عَلِيًّا عَيْنَتْ وَصِيَّ النَّبِيِّ مُجَالِدٌ عَنْهُ غَوَاةَ الْأُمَمِ

قال نصر : ومن الشعر المنسوب إلى الأشعث بن قيس ^(٤) :

أَتَانَا الرَّسُولُ رَسُولُ الْإِمَامِ ^(٥) فَسُرَّ بِمُقْدَمِهِ الْمُسْلِمُونَ
رَسُولُ الْوَصِيِّ وَصِيَّ النَّبِيِّ لَهُ السَّبْقُ وَالْفَضْلُ فِي التَّوْحِيدِ

(١) هو لوط بن يحيى بن سعيد بن مخنف بن سليم الأرمي ؛ كان راوية أخبار وصاحب تصانيف في
الفتوح وحروب الإسلام ، توفي سنة ١٥٧ . مجمل الأدباء ١٧ : ٤١ ، الفهرست ٩٣ .

(٢) ذكره ابن حجر في لسان الميزان ٦ : ١٥٧ ؛ وقال : إنه توفي سنة ٢١٢ .

(٣) زحر ، خطه صاحب القاموس بفتح الزاي وسكون الميم الهبة ؛ وانقضى في كتاب صفيين ص ٢٧ ،
أنها لجزير بن عبد الله البجلي ، ضمن قصيدة أبيات .

(٤) كتاب صفيين ٢٧ . (٥) صفيين : رسول علي .

ومن الشعر للنسوب إلى الأشعث أيضا :

أَنَا رَسُولُ رَسُولِ الْوَسْىِ عَلَى الْهَيْذْبِ مِنْ هَاشِمٍ ^(١)
 وَزِيرُ النَّبِيِّ وَخُوَيْرُهُ وَخَيْرُ الْبَرِيَّةِ وَالْعَالَمِ ^(٢)
 قَالَ نَصْرُ بْنُ مُزَاهِمٍ : مَنْ شَرَّ أَمِيرٍ لِلْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي صِفَتِهِ :
 بِأَعْيَابٍ لَقَدْ سَمِعْتُ مُنْكَرًا كَذِبًا عَلَى اللَّهِ يُشِيبُ الشَّعْرَ ^(٣)
 مَا كَانَ يَرْضَى أَحَدٌ لَوْ أَخْبَرَا أَنْ يَقْرَأُوا وَصِيَّتَهُ وَالْأُبْتَرَا
 شَانِي الرَّسُولِ وَالْمَعِينِ الْأَخْزَرَا ^(٤) إِنْ إِذَا لَوْتُ دَنَا وَحَضَرَا ^(٥)
 كَثُرَتْ ثَوْبِي وَدَهَوْتُ قَنْبَرَا : قَدَّمْ لِي وَأَنْ لَا تَوَخَّرْ حَذَرَا
 لَا يَدْفَعُ الْحَذَارُ مَا قَدْ قُدِّرَا ^(٦) لَوْ أَنَّ عِنْدِي بَابُ حَرْبٍ جَتَعَرَا
 أَوْ حِزَّةُ الْقَرَمِ الْهَمَامِ الْأَرْحَمَا وَأَنْ قَرِيشَ نَحْمَ لَيْلٍ ظَهَرَا

(١) كتاب صغين ٢٨

(٢) كتاب صغين : ٥ وخير البرية في القلم : ٤٨ (٣) كتاب صغين ٤٨ : وبه هذا البيت :

• يَسْتَرِقُّ السَّمْعَ وَيَبْشَى الْبَصَرَ •

(٤) كفاي ١ ، وفي كتاب صغين ، ول ب ، الأخورا ، وبه هناك :

كِلَاهُمَا فِي جُنْدِهِ قَدْ عَسَّكَرَا قَدْ بَاعَ هَذَا دِينَهُ فَأَفْجَرَا
 مَنْ ذَا يَدُنِيَا بَيْتَهُ قَدْ خَيْرَا بِمَلِكٍ يَضُرُّ أَنْ أَصَابَ الظُّمَرَا

(٥) ١ : ٥ وأحضرا .

(٦) كتاب صغين : ٥ لن يدفع ، وبه :

لَمَّا رَأَيْتِ السَّوْتَ مَوْتًا أَحْمَرَا عَيَّاتُ هَمْدَانَ وَعَيَّوَا خَيْرَا
 حَيٌّ يَمَانٍ يُعْظِمُونَ أَنْظَرَا قِرْنٌ إِذَا نَاطَعَ قِرْنًا كَثَرَا
 قُلْ لَا بِنَ حَرْبٍ لَا تَدِبُ أَنْظَرَا أُرْوِدُ قَلِيلًا أَبْدِيكَ الضُّجْرَا
 لَا تَحْسَبْنِي بَابَ حَرْبٍ عَمْرَا وَسَلِّ يَنَا بَدْرًا مَعًا وَخَيْرَا
 كَانَتْ قُرَيْشٌ يَوْمَ بَدْرٍ جَزَرَا إِذْ وَرَدُوا الْأَمْرَ فَذَمُّوا الصَّدْرَا

وقال جرير بن عبد الله البجلي : كتب بهذا الشعر إلى شرحبيل بن السمط
الكندي ، رئيس اليمانية من أصحاب معاوية :

نَصَحْتُكَ يَا بْنَ السَّمَطِ لَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَذَلِكَ فِي الدُّنْيَا مِنَ الدُّنْيَا مِنْ بَدَلٍ (١)
وَلَا تَكُ كَالْجُرْجِيِّ إِلَى شَرِّ عَابَةٍ قَدْ خَرِقَ السَّرْبَالُ وَلَسْتَنُوقِي الْجُلُ
مَقَالَ ابْنِ هَمْدٍ فِي عِلَى عَصِيَّةٍ وَقَدْ فِي صَدْرِي ابْنُ أَبِي طَالِبٍ أَجَلٌ (٢)
وَمَا كَانَ إِلَّا لَأَزِمًا قَمَرًا بَيْنَهُ إِنْ أَنْ آتَى عُمَانٌ فِي يَمِّهِ الْأَجَلُ
وَمَنْ رَسُولُ اللَّهِ مِنْ دُونِ أَهْلِهِ وَفَارِسُ الْحَامِي بِهِ يُضْرَبُ اللَّثْلُ (٣)
وقال النعمان بن مجلان الأنصاري (٤) :

كَيْفَ الضَّرْفُ وَالْوَسِيُّ إِمَامُنَا لَا كَيْفَ إِلَّا عَصِيَّةٌ وَتَحَاذِلَا
لَا تَنْتَبِهُنَّ عَقُولُكُمْ ، لَا خَيْرَ فِي مَنْ لَمْ يَكُنْ عِنْدَ الْبَلَابِلِ عَاقِلَا
وَذَرُّوا مَعَاوِيَةَ النَّوِيَّ وَتَابِعُوا دِينَ الْوَسِيِّ لِمَعْدُوهِ أَجَلَا (٥)
وقال عبد الرحمن بن ذؤيب الأسدي :

إِلَّا أَبْلَغُ مَعَاوِيَةَ بْنَ حَرْمٍ فَذَاكَ لَا تَهْتِكُ إِلَى الضَّرَابِ (٦)
فَإِنْ تَسَلَّمَ وَتَبَقَّ الدَّهْرُ يَوْمًا زُرْتُكَ بِمَحْضَرِ عَدَدِ الْقَرَابِ
بِقُودِهِمُ الْوَسِيُّ إِلَيْكَ حَتَّى يَرُدَّكَ عَنْ ضَلَالٍ وَارْتِيَابِ
وقال المفيرة بن الحارث بن عبد اللطيف :

يَا عُصْبَةَ الْمَوْتِ صَبْرًا لَا يَهْوُلُكُمْ جَيْشُ ابْنِ حَرْمٍ فَإِنَّ الْحَقَّ قَدْ ظَهَرَ (٧)
وَأَيُّهَا أَنْ مَنْ أَضْحَى يُخَالِفُكُمْ أَضْحَى شَقِيًّا وَامْتَسَى نَفْسَهُ خَيْرًا

(١) كتاب صين س ٥٣ ، ٥٤ ، ورواها هناك : شرحبيل بن السمط .

(٢) صين : « وقال ابن همد » . (٣) صين : « وفارسه الأول » .

(٤) صين س ٤١٥ ، وفيه : « النصر بن مجلان » .

(٥) صين : « كعادته عاجلا » . (٦) صين ١٣٤ .

(٧) صين ٤٣٧ ، وفيه : « بالشرطة الحيرة » .

فِيكُمْ وَصَى رَسُولُ اللَّهِ قَائِدُكُمْ وَصِيْرُهُ وَكِتَابُ اللَّهِ قَدْ نُشِرَا

وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ^(١) :

وَصَى رَسُولُ اللَّهِ مِنْ دُونِ أَهْلِهِ وَفَارِسُهُ إِنْ قِيلَ هَلْ مِنْ مُتَازِلٍ أ

فَدُونَكُمْ إِنْ كُنْتَ تَبْعِي مَهْجِرًا أَشْمَ كَتَمَلُ السَّيْفِ عَيْرَ حَلَّاحِلٍ ^(٢)

وَالْأَشْمَارُ الَّتِي تَحْتَضِنُ هَذِهِ الْكَلِمَةَ كَثِيرَةٌ جَدًّا ، وَلَكِنَّا ذَكَرْنَا مِنْهَا مَا هُنَا بَعْضُ

مَا قِيلَ فِي هَذَيْنِ الْجُزْأَيْنِ ، فَأَمَّا مَا عَدَاهَا فَإِنَّهُ يَحِلُّ عَنْ الْحَصْرِ ، وَيُعْظَمُ عَنِ الْإِحْصَاءِ

وَالْعَدِّ ، وَلَوْلَا خَوْفُ اللَّالَةِ وَالْإِسْجَارِ ، لَدَكَّرْنَا مِنْ ذَلِكَ مَا يَمْلَأُ أَوْرَاقًا كَثِيرَةً .



(١) صفين : ٤٧٤ ، ونسبها إلى الفضل بن عباس .

(٢) عير القوم : سيدهم ؛ والحلال بالفتح : جمع حلال ، بالضم ، وهو الشجاع .

— ٣ —

ومن خطبة له وهي المعروفة بالشقشقية^(١) :

الأصل :

أَمَّا وَاللَّهِ لَقَدْ تَقَمَّعَهَا ابْنُ أَبِي قُحَافَةَ^(٢) ، وَإِنَّهُ لَيَمْلِكُ أَنْ يَحْلِيَ مِنْهَا مَحَلُّ
الْقُطْبِ مِنَ الرُّحَا ؛ يَتَعَدَّرُ عَلَى السَّيْلِ ، وَلَا يَرُقُّ إِلَى الْقَلْبِ . فَسَدَلَتْ دُونَهَا ثَوْبًا ،
وَطَوَيْتُ عَنْهَا كَشْعًا ، وَطَعِفْتُ أَرْقِي بَيْنَ أَنْ أُصُولَ بِيَدِ جَدَّاءَ ، أَوْ أُصْبِرَ عَلَى طَخِيَةِ
عَمِيَاءَ ، يَهْرَمُ فِيهَا الْكَبِيرُ ، وَيَنْبِثُ فِيهَا الصَّغِيرُ ، وَيَكْدَحُ فِيهَا مُؤْمِنٌ^(٣) حَتَّى
يَلْقَى رَبَّهُ ؛ فَرَأَيْتُ أَنَّ الصَّبْرَ عَلَى هَاتَا أَحْيَى وَأَقْبَرَتْ^(٤) وَفِي الْعَيْنِ قَدَى ، وَفِي الْخَلْقِ
شَجَا . أَرَى تَرَأَى نَهْمًا .



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الشرح :

سَدَلَتْ دُونَهَا ثَوْبًا ، أَيْ أَرَخَيْتُ ، يَقُولُ : صَرَبْتُ بَيْنِي وَبَيْنَهَا حِجَابًا ؛ فَقَالَ الزَّاهِدُ
فِيهَا ، الرَّاهِبُ عَنْهَا . وَطَوَيْتُ عَنْهَا كَشْعًا ، أَيْ قَطَعْتُهَا وَصَرَمْتُهَا ؛ وَهُوَ مِثْلُ ، قَالُوا :
لَأَنْ مَنْ كَانَ إِلَى جَانِبِكَ الْيَمْنِ مِثْلًا فَطَوَيْتُ كَشْعَكَ الْإِسْرَ فَقَدْ يَلَّتْ عَنْهُ ، وَالْكَشْحُ :
مَا بَيْنَ الْخَاصِرَةِ وَالْجَنْبِ . وَعِنْدِي أَنَّهُمْ أَرَادُوا غَيْرَ ذَلِكَ ، وَهُوَ أَنَّ مَنْ أَجَاعَ نَفْسَهُ فَقَدْ
حَلَوَى كَشْعَهُ ، كَمَا أَنَّ مَنْ أَكَلَ وَشَبِعَ فَقَدْ مَلَأَ كَشْعَهُ ، فَكَأَنَّهُ أَرَادَ أَنْ أَجْعَلَ
نَفْسِي عَنْهَا ، وَلَمْ أَقْصِهَا . وَلِلْيَدِ الْجَدَّاءِ بِالْقَدَالِ لِلْمَهْمَةِ ، وَبِالْقَدَالِ لِلْمَعْجَةِ ، وَالْحَاءُ لِلْمَهْمَةِ مَعَ
الْقَدَالِ الْمَعْجَةِ ، كَلَّةٌ بِمَعْنَى الْمَقْطُوعَةِ . وَالطَّخِيَةُ : قِطْعَةٌ مِنَ اللَّحْمِ وَالسَّحَابُ . وَقَوْلُهُ :
« عَمِيَاءَ » ، تَأْكِيدٌ لِقِلَامِ الْحَالِ وَأَسْوَدَادُهَا ؛ يَقُولُونَ : مَفَارَةُ عَمِيَاءَ ، أَيْ يَصْنَعُ فِيهَا الدَّلِيلَ .

(١) غطولة النهج : « الشقشقية والمقصود » . (٢) غطولة النهج : « فلان » .

(٣) غطولة النهج : « المؤمن » .

ويكده : يسعى ويكده مع مشقة ، قال تعالى : ﴿ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا ﴾ ^(١) وهاتا ، عمى هذه ، « ها » للتنبيه ، و « تا » للإشارة ، ومعنى « تا » ذى ، وهذا أحجى من كذا أى أليق بالحجا ، وهو العقل .

• • •

وفى هذا الفصل من باب البديع فى علم البيان عشرة ألقاظ :
أولها : قوله : « لقد قمصها » ، أى جعلها كالقميص مشتملة عليه ، والضمير للخلافة ، ولم يذكرها للعلم بها ، كقوله سبحانه : ﴿ حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ ﴾ ^(٢) ، وكقوله : ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴾ ^(٣) ، وكقول حاتم :
أَمَاوِيٌّ مَا يُغْنِي السُّرَّاءَ عَنِ الْفَقْرِ إِذَا حَشَرَجَتْ يَوْمًا وَضَاقَ بِهَا الصَّدْرُ ^(٤)
وهذه اللمعة مأخوذة من كتاب الله تعالى فى قوله سبحانه : ﴿ وَلِيَّاسُ اتَّقُوهُ ﴾ ^(٥) وقول النابغة ^(٦) :

تَسْرِبَلٌ مِرْبَالًا مِنَ النَّصْرِ وَأَرْتَدَى عَلَيْهِ بِمَعْصِرٍ فِي الْكَرْيَةِ قَاصِلٍ
الثانية : قوله : « ينحدر على السيل » ، بمعنى رفعة منزلته عليه السلام ، كأنه فى ذروة جبل أو بفأح مشرف ، ينحدر السيل عنه إلى الوهاد والفيضان ، قال الهذلي :
وَهَيْطَاءُ بَكُورٍ فِيهَا الزَّلِيلُ وَيَنْحَدِرُ السَّيْلُ عَنْهَا انْحِدَارًا ^(٧)

الثالثة : قوله عليه السلام : « وَلَا يَرْقَى إِلَى الطَّيْرِ » ، هذه أعظم فى الرفعة والعلو من التى قبلها ، لأن السيل ينحدر عن الراية والمهبة ، وأما تندر رقى الطير فربما يكون للقلال الشاحقة جدًا ، بل ما هو أعلى من قلال الجبال ، كأنه يقول : إني لعلو منزلى كمن فى السماء التى يستحيل أن يرقى الطير إليها ، قال أبو الطيب :

فَوْقَ السَّمَاءِ وَفَوْقَ مَا طَبَّعُوا إِذَا أَرَادُوا غَايَةَ زَلُّوا ^(٨)

(١) سورة الانشقاق ٦

(٢) سورة الرحمن ٢٦

(٣) سورة الأعراف ٢٦

كأن ديوانه ٣ : ٨٢

(٨) ديوانه ٣ : ٣١٠

(٢) سورة م ٣٢

(٤) ديوانه ١١٨

(٦) كذا فى الأصول ، والصواب أنه لا يى تمام ،

(٧) عبطاء : مهتمة . والزليل : الزلل .

وقال حبيب :

مَكَارِمُ لَجَّتْ فِي عُلُوِّ كَأَمَّا تَحَاوِلُ ثَارًا عِنْدَ بَعْضِ الْكَوَائِبِ^(١)

الرابعة : قوله : « سَدَلْتُ دُونَهَا ثَوْبًا » ، قد ذكرناه .

الخامسة : قوله « وَطَوَيْتُ » ، « أَكْشَعًا » قد ذكرناه أيضًا .

السادسة : قوله : « أَصُولُ يَدِي جَذَاءٌ » ، قد ذكرناه .

السابعة : قوله : « أَصْبِرْ عَلَى طَعْنَةِ عِمَاءٍ » قد ذكرناه أيضًا .

الثامنة : قوله : « وَفِي الْعَيْنِ قَذَى » ، أى صبرت على مضض كما يصبر الأرمد .

التاسعة : قوله : « وَفِي الْخَلْقِ شَعًا » وهو ما يعترض في الخلق . أى كما يصبر من

مَنْ بِأَمْرِ هُوَ بِكَابِدِ الْخَلْقِ .

العاشرة : قوله : « أَرَى تَرَانِي نَهْيًا » ، كفى عن الخلافة بالتراث ، وهو للوروث

من المال .

مرآة المحققين كتاب تزيينهم بسدود

• • •

فأما قوله عليه السلام : « إِنْ عَمِلَ مِنْهَا مَحَلَّ الْقُطْبِ مِنَ الرِّيحِ » ، فليس من هذا النمط

الذى نحن فيه ، ولكنه تشبيه محض ، خارج من باب الاستمارة والتوسع ؛ بقول : كما أن

الرياح لا تدور إلا على القطب ، ودورانها بغير قطب لا ثمرة له ولا فائدة فيه ، كذلك ينسحب

إلى الخلافة ، فإنها لا تقوم إلا به ، ولا يدور أمرها إلا على .

هكذا فسروه . وعندى أنه أراد أمرا آخر ، وهو أنى من الخلافة فى الصميم ، وفى

وَسَطِهَا وَيُحْبَوِّحُهَا ، كما أن القطب وسط دائرة الرياح ، قال الراجز^(٢) :

(١) ديوانه ١ : ٢١٧

(٢) هو حمير بن عطية ، ديوانه ٢٠ : ١٠٠ ؛ والأبيات أيضا فى الكامل ٢ : ١١٢ ، ٣ : ١٩١ ،
بهولها فى الحكم بن أيوب بن أبى عقيل التميمي ؛ ابن عم الحجاج ، وكان طامه على البصرة .

على قِلاصٍ مثل خيطان السلم^(١) إذا قَطَعْنَ علماً بَدَأَ عِلْمٌ^(٢)
 حتى أَمْنَحَلَهَا إلى باب الْحَكْمِ^(٣) خليفة الحجاج غير التَّهَمِ
 • في سُرَّةِ الجَدِّ وَبُحْبُوحِ الْكَرَمِ^(٤) •

وقال أُمَيَّةُ بن أَبِي العَتَلَتِ لِعبد الله بن جُدْعَانَ :

فَلَمَّتْ مِنْهَا بِالْبَطَا حِرَّ وَحَلَّ غَيْرُكَ بِالْظُّوَاهِرِ^(٥)
 وأما قوله : « يَهْرَمُ فِيهَا الْكَبِيرُ ، وَيَشِيبُ فِيهَا الصَّغِيرُ » فيمكن أن يكون من
 باب الحقائق ، ويمكن أن يكون من باب المحازات والاستعارات ؛ أما الأول فإنه يعني به
 طولَ مدة ولاية المتقدمين عليه ، فإنها مدة يهرم فيها الكبير ، ويشيب فيها الصغير .
 وأما الثاني فإنه يعني بذلك صعوبة تلك الأيام ، حتى إن الكبير من الناس يكاد يهرم
 لصعوبتها ، والصغير يشيب من أهوالها . كقولهم : هذا أمر يشيب له الوليد ؛ وإن لم يشب
 حل الحقيقة .

(١) القِلاص : جمع قِلاص ؛ وهي الثافة القنبية . والخيطان : جمع خوط ؛ وهو الصن الناعم . والسلم :
 شجر ، واحدة سلمة .
 وهذه في رواية الديوان :

قَدْ طُوِبَتْ بِطُونِهَا عَلَى الْأَدَمِ بَمَدِّ انْقِضَاجِ الْبُذْنِ وَالْعَمْرِ الزَّيْمِ

(٢) هذه في رواية الديوان :

• فَهِنَّ بِمَحْنًا كَمُصِلَاتِ انْقِلَابِ

(٣) رواية الديوان :

• حَتَّى تَنَاهَيْنِ إِلَى بَابِ الْحَكْمِ

(٤) رواية الديوان :

• فِي ضَيْضِ الْجَدِّ وَبُؤَابُؤِ الْكَرَمِ

(٥) البطاح : بطرمة ، والظواهر : علما ؛ واليتمن : المسان ؛ ١ : ١٩٧ منسوب إلى كعب بن جهم : هذه الرواية :

فَعَلَمْتُ مُنْتَلَجَ الْبَطَا حِرَّ وَحَلَّ غَيْرُكَ بِالْظُّوَاهِرِ

واعلم أن في الكلام تقديمًا وتأخيرًا ، وتقديره : ولا يرق إلى الطير ، فطفت أرثى
بين كذا وكذا ، فأيت أن الصبر على هاتما أحجى فسدلت دونهما ثوبا ، وطويت عنها
كشعا ، ثم « فصبرت وفي العين قذى » ؛ إلى آخر القصة ، لأنه لا يجوز أن يسدل دونها ثوبا
ويطوى عنها كشعا ، ثم يطفق يرثى بين أن يبايذه أو يصير ؛ ألا ترى أنه إذا سدل
دونها ثوبا ، وطوى عنها كشعا فقد تركها وصرمها ، ومن يترك ويصرم لا يرثى
في المنايضة والتقديم والتأخير طريق لا حب ، وسبيل مهيع في لغة العرب ، قال سبحانه :
﴿ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا ۖ قَيِّمًا ﴾ ^(١) ، أي أنزل على
عبدك الكتاب قَيِّمًا ، ولم يجعل له عوجًا ، وهذا كثير .

وقوله عليه السلام : « حَقٌّ يَلْقَى رَبَّهُ » بطوق والإسكان ، كما جاءت في الرواية في
قوله سبحانه : ﴿ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ ﴾ ^(٢) بالرفع أيضا .

[نسب أبي بكر وبنده من أخبار أبيه]

ابن أبي قحافة للشار إليه ، هو أبو بكر ، واسمه القديم عبد الكعبة ، فنام رسول الله
صلى الله عليه وآله عبد الله . واحتلفوا في « عتيق » ، قيل : كان اسمه في الجاهلية ، وقيل :
بل سماه به رسول الله صلى الله عليه وآله . واسم أبي قحافة عثمان ، وهو عثمان بن عامر بن
عمرو بن كعب بن سعد بن تميم بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب . وأمه ابنة عم أبيه ،
وهي أم الخير بنت صخر بن عمرو بن كعب بن سعد . أسلم أبو قحافة يوم الفتح ، جاد به
ابنته أبو بكر إلى النبي صلى الله عليه وآله ، وهو شيخ كبير رأسه كاللثام ^(٣) البيضاء ،
فأسلم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : « غَيَّرُوا شَيْبَتَهُ » .

(٢) سورة البقرة ٨

(١) سورة الكهف ١٠١

(٣) أورده الخبر ابن الأثير في النهاية (١ : ١٢٩) : « أن بآب قحافة يوم الفتح وكان رأسه ثامنا .
وهو : « هو لبت أبيض الزهر والثر ، يشبه به الذهب . وليل : هي شجرة تبيض كأنها الثلج » .

ووليّ ابنة الخلافة وهو حيّ منقطع في بيته ، مكثوف عاجز عن الحركة ، فسمع ضوضاء الناس ، فقال ، ما الخبر ؟ فقالوا : وليّ ابنك الخلافة ، فقال : رضيت بنو عبد مناف بذلك ؟ قالوا : نعم ، قال : اللهم لا مانع لما أعطيت ، ولا معطي لما منعت . ولم يل الخلافة من أبوه حيّ إلا أبو بكر وأبو بكر عبد الكريم ^(١) الطائع لله ، وليّ الأمر وأبوه للطيع حيّ ، خلع نفسه من الخلافة ، وعهد بها إلى ابنة . وكان المنصور يسمي عهد الله بن الحسن بن الحسن ^(٢) أبا قعافة تهكّأ به ، لأن ابنة ^(٣) محمد ادعى الخلافة وأبوه حيّ .

ومات أبو بكر وأبو قعافة حيّ ، فسمع الأصوات فسال ، قيل : مات ابنك ، فقال : رزء جليل . وتوفي أبو قعافة في أيام عمر في سنة أربع عشرة للهجرة ، وعمره سبع وتسعون سنة ، وهي السنة التي توفي فيها نوفل بن الحارث بن عبد المطلب بن هاشم ^(٤) .



إن قيل : يئسوا لنا ما عندكم في هذا الكلام ؟ أليس مرعته دالاً على تنظيم القوم ونسبتهم إلى اغتصاب الأمر ؟ فاقولكم في ذلك ! إن حكمت عليهم بذلك فقد طمأن فيهم ، وإن لم تحكموا عليهم بذلك فقد طمأن في التنظيم للتسكّم عليهم ! قيل : أما الإمامية من الشيعة فتجري هذه الأنفاظ على ظواهرها ، وتذهب إلى أن النبي صلى الله عليه وآله نصّ على أمير المؤمنين عليه السلام ، وأنه غضب حقّه

(١) أصيب الطيع لله بالعالم ، وثا قوى عليه وتكل لسانه ، خلع نفسه . ويومئ لولاه الطائع ؟ وكان ذلك في سنة ٣٦٤ . الضري من ٢٥٣ (٢) كان عهد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب ، شيخ بني هاشم في وقته ، والمقدم فيهم . وانظر أخاره في مقاتل الطالبين من ١٢٩-١٨٥ .

(٣) كان علماء آل أبي طالب يرون في عهد بن عبد الله بن الحسن أنه النفس الزكية ؟ وكان أفضل أهل بيته في علمه بكتاب الله وحطه له ، مع فقهه في الدين وشجاعته وجرده وبأسه وكل أمر يجعل مثله . وانظر ترجمته وأخاره في مقاتل الطالبين من ٢٣٢ - ٢٩٩ .

(٤) هو ابن عم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ؟ له حجة ؟ ، وكان أسلم من أبي هاشم ؟ حتى من محبة حرة والعباس . الإمامة ٦ : ٢٥٨ .

وأما أصحابنا رحمهم الله ؛ فليهم أن يقولوا : إنه لما كان أمير المؤمنين عليه السلام هو الأفضل والأحق ، وعدل عنه إلى من لا يساويه في فضل ، ولا يوازيه في جهاد وعلم ؛ ولا يماثله في شؤدد وشرف - ساع إطلاق هذه الألفاظ ، وإن كان من وسم بالخلافة قبله عدلاً تقياً ، وكانت يمينه يميناً صحيحة ؛ ألا ترى أن البلد قد يكون فيه قهبران ؛ أحدهما أعلم من الآخر بطبقات كثيرة ، فيجعل السلطان الأقص علماً منهما قاضياً ، فيتوجد الأهل^(١) ويتألم ، وينفث أحياناً بالشكوى ، ولا يكون ذلك طمعاً في القاضى ولا تنسيقاً له ، ولا حُكماً منه بأنه غير صالح ، بل للعدول عن الأحق والأولى ؛ وهذا أمر مركوز في طباع البشر ، ومحبول في أصل الفريضة والنفطرة ؛ فأصحابنا رحمهم الله ، لما أحسنوا الفن بالصعابة - وحلوا ما وقع منهم على وجه الصواب ، وأنهم نظروا إلى مصلحة الإسلام ، وخافوا فتنة لا تقتصر على ذهاب الخلافة فقط ، بل وتغشى إلى ذهاب النبوة والملة ، فسدكوا عن الأفضل الأشرف الأحق ، إلى قاضٍ آخر دونهم في قدره - احتاجوا إلى تأويل هذه الألفاظ الصادرة عن مقتدوه في الجلالة والرفعة قريباً من منزلة النبوة ، فتأولوها بهذا التأويل ، وحلوا على التألم للعدول عن الأولى .

وليس هذا بأبعد من تأويل الإمامية قوله تعالى : ﴿ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى ﴾^(٢) ، وقولهم : معنى « عصى » أنه عدل عن الأولى ، لأن الأمر بترك أكل الشجرة كان أمراً على سبيل النذب ، فلما تركه آدم ، كان تاركاً للأفضل والأولى ، فسمى طاعياً باعتبار مخالفة الأولى ، وحلوا « غوى » على « خاب » لاهل النواية بمعنى الضلال . ومعلوم أن تأويل كلام أمير المؤمنين عليه السلام وتحملة على أنه شكاً من تركهم الأولى أحسن من تحل قوله تعالى : ﴿ وَعَصَى آدَمُ ﴾ على أنه ترك الأولى .

(١) ب : « الأعظم » ، والأجود ما أتت به من أ

(٢) سورة طه ١٢١

إن قيل : لا تخلو الصعابة إماماً أن تكون عدلت عن الأفضل لملة ومانع في الأفضل أولاً لمانع ؛ فإن كان لا مانع كان ذلك عقداً للمفضول بالهوى ، فيكون باطلاً ، وإن كان لمانع - وهو ما تذكرونه من خوف الفتنة ، وكون الناس كانوا يبخسون عليها عليه السلام ويمسّدونه - فقد كان يجب أن ينذرهم أمير المؤمنين عليه السلام في العلول منه ، ويعلم أن المقد لغيره هو الصلحة للإسلام ، فكيف حسن منه أن يشكّوكم بمثل ذلك ؛ ويتوجد عليهم !

وأيضاً ، فاسمى قوله : « فطعنت أرتى بين أن أصول بيد جدّاء » ، على ما تأولتم به كلامه ؛ فإن تارك الأولى لا يصل عليه بالحرب أ

قيل : يجوز أن يكون أمير المؤمنين عليه السلام لم يطلب على ظنه ما علب على ظنون الصعابة من الشغب وثوران الفتنة ، والظنون تختلف باختلاف الأمارات ، ورب إنسان يطلب على ظنه أمر يطلب على ظن غيره بخلافه . وأما قوله : « أرتى بين أن أصول » ، فيجوز أن يكون لم يقن به حيل الحرب ، بل حيل الجدال والناظرة ؛ يبين ذلك أنه لو كان جاد لم وأظهر مافي نفسه لم ، فربما خصموه بأن يقولوا له : قد غلب على ظنوننا أن الفساد يعلم وبصاغم إن وليت الأمر ، ولا يجوز مع غلبة ظنوننا ذلك أن نسلم الأمر إليك ، فهو عليه السلام قال : طعنت أرتى بين أن أذكر لم فضائل عليهم ، وأحاجهم بها ، فيجيبوني بهذا الضرب من الجواب - الذي يصير حجتى به جدّاء ^(١) مقطوعة ، ولا قدرة لي على تشبيهها ونصرتها - وبين أن أصير على ما نيت به ، ودفعت إليه .

إن قيل : إذا كان عليه السلام لم يطلب على ظنه وجود الملة والمانع فيه ، وقد استراب الصعابة وشكاهم لمدولم عن الأفضل الذي لا علة فيه عنده فقد سلمتم أنه ظلم الصعابة ، ونسبهم إلى غصب حقه ، فما الفرق بين ذلك وبين أن يستظلمهم لخالفه النص ؟ وكيف

هربتم من نسبته لم إلى الظلم لدفع النص ، ووقعت في نسبته لم إلى الظلم لخلاف الأولى من غير علة في الأولى ، ومعلوم أن مخالفة الأولى من غير علة في الأولى كشارك النص ، لأن العقد في كلا الوصعين يكون قاسداً

قيل : الفرق بين الأسرين ظاهر ، لأنه عليه السلام لو نسبهم إلى مخالفة النص لوجب وجرد النص ، ولو كان النص موجوداً لكانوا فساقاً أو كفاراً لمخالفته ، وأما إذا نسبهم إلى ترك الأولى من غير علة في الأولى ، فقد نسبهم إلى أمر يذهبون فيه خلاف ما يدعى عليه السلام ، وأحد الأسرين لازم ؛ وهو إما أن يكون ظنهم صحيحاً أو غير صحيح ، فإن كان ظنهم هو الصحيح فلا كلام في المسألة ، وإن لم يكن ظنهم صحيحاً كانوا كالمجاهدين إذا ظن وأخطأ فإنه ممدور ، ومخالفة النص [أمير] خارج عن هذا الباب ؛ لأن مخالفة غير ممدور بحال ، فافترق المحلان .



[مرض رسول الله صلى الله عليه وآله وأمره أسامة بن زيد على الجيش]

لما مرض رسول الله صلى الله عليه وآله مرض الموت ، دعا أسامة بن زيد بن حارثة ، فقال : سر إلى مقتل أبيك ^(١) ، فأوطنيهم الخيل ، فقد ولّيتك على هذا الجيش ، وإن أظفرك الله بالعدو ، فأقل اللبث ، وبث العيون ، وقدم الطلائع . فلم يبق أحد من وجوه المهاجرين والأنصار إلا كان في ذلك الجيش ؛ منهم أبو بكر وعمر ، فحكّم قوم وقالوا : يستعمل هذا الملام على جلة المهاجرين والأنصار ! فنصب رسول الله صلى الله عليه وآله لما سمع ذلك ، وخرج عاصباً رأسه ، فصعد النبر وعليه قطيفة ^(٢) فقال : « أيها الناس ، ما مقالة بلمتني عن بمصمكم في تأمير أسامة ! لأن طعنتم في تأميري أسامة ، فقد طعنتم في تأميري أبياء من قبله ، وأيم الله إن كان تخليفاً بالإمارة ، وابنه من ^(٣) بعده تخليق بها ،

(١) قتل زيد بن حارثة بمؤنة ؛ إحدى قرى القاء ؛ وتفصيل الخبر في الطبى ، (حوادث السنة

الثامنة) . (٢) القطيفة : كساء له أهداب (٣) ١ : ٥ وإن ابنه من بعده الخلق بها .

وانهما لمن أحب الناس إلى : فاستوصوا به خيراً ، فإنه من خياركم . ثم نزل ودخل بيته ، وجاء المسلمون يودعون رسول الله صلى الله عليه وآله ، ويعضون إلى عسكر أسامة بالجرف^(١) . وتقبل^(٢) رسول الله صلى الله عليه وآله ، واشتد ما يجده ، فأرسل بعض نساءه إلى أسامة وبعض من كان معه ، يُعلمونهم ذلك ، فدخل أسامة من معسكره . والنبي صلى الله عليه وآله مضور ، وهو اليوم الذي لدوه^(٣) فيه . فتطأ أسامة عليه قبله ، ورسول الله صلى الله عليه وآله قد أسكت فهو لا يتكلم ، فجعل يرفع يديه إلى السماء ثم يضمهما على أسامة ؛ كالداعي له ، ثم أشار إليه بالرجوع إلى معسكره ، والتوجه لما بعثه فيه ، فرجع أسامة إلى معسكره . ثم أرسل نساء رسول الله صلى الله عليه وآله إلى أسامة يأمره بالدخول ، ويقتلن إن رسول الله صلى الله عليه وآله قد أصبح بارئاً ، فدخل أسامة من معسكره يوم الاثنين ، الثاني عشر من شهر ربيع الأول فوجد رسول الله صلى الله عليه وآله مُقيفاً ، فأمره بالخروج وتجميل النفوذ ، وقال : اغد على بركة الله ، وجعل يقول : « أنفذوا بئس أسامة » ، ويكرر ذلك ، فودع رسول الله صلى الله عليه وآله ، وخرج ومعه أبو بكر وعمر ، فلما ركب جاءه رسول أمّ أيمن ، فقال : إن رسول الله صلى الله عليه وآله يموت ، فأقبل ومعه أبو بكر وعمر وأبو عبيدة ، فأتوه إلى رسول الله صلى الله عليه وآله حين زالت الشمس من هذا اليوم ، وهو يوم الاثنين ، وقد مات واقلوا مع بُرَيْدة بن الحَصِيب ، فدخل بالقلواء فركزه عند باب رسول الله صلى الله عليه وآله وهو مُعلق ، وعلى عليه السلام وبعض بني هاشم مشتعلون بإعداد جهازه وعشه ، فقال العباس لعلّ - وهما في الدار : أمّدوا يدك أبايُحك فيقول الناس : هم رسول الله تابع ابن عم رسول الله ؛ فلا يختلف عليك

(١) الجرف : موضع على ثلاثة أميال من المدينة نحو الشام .

(٢) تقبل ، بالكسر : اشتد صرجه .

(٣) يقال : لد المرء ، بالياء المجهول أى قوى بالحدود ؛ بالفتح ؛ وهو من الأدوية ما يسفاه المرء في

في أحد شقي القم ؛ وانظر النهاية لابن الأثير ٣ : ٥٥ ، واللسان ٤ : ٣٩٣

اثنتان ، فقال له : أو يطعمُ يأمُ فيها طامع غيبي ! قال : ستعلم ! فلم يلبثا أن جاءتهما الأخبار بأن الأنصار أقعدت سعداً لتبائنه ، وأن صر جاء بأبي بكر فبائنه ، وسبق الأنصار بالبيعة ، فندم على عليه السلام على تفريطه في أمر البيعة وتهاونه عنها ، وأنشده العباس قول دريد :

أمرتهمُ أمرى بمنعرج اللوى فلم يستبينوا الشصح إلا ضعى الخدي^(١)

•••

وتزعم الشيعة أن رسول الله صلى الله عليه وآله كان يعلم موته ، وأنه سار أبا بكر وعمر في بحث أسامة لتخلو دار الهجرة منهما ، فيصفوا الأمر لعل عليه السلام ، ويباينه من تخلف من المسلمين بالمدينة على مكون وطائفة ، فإذا جاءها الخبر بموت رسول الله صلى الله عليه وآله وبيعه الناس لعل عليه السلام سلم كما من المنازعة والخلاف أبداً ، لأن العرب كانت تلتزم بإتمام تلك البيعة ، وبحسب حاج في بعضها إلى حروب شديدة ، فلم يتم له ما قدر ، وتناقل أسامة بالجيش أياً ، مع شدة حث رسول الله صلى الله عليه وآله على نقضه وخروجه بالجيش ، حتى مات صلى الله عليه وآله وها بالمدينة ، فسبقا علياً إلى البيعة وجري ماجرى .

وهذا عندي غير متقدح ، لأنه إن كان صلى الله عليه وآله يعلم موته ، فهو أيضاً يعلم أن أبا بكر سبى الخلافة ، وما يعلمه لا يحترس منه ؛ وإنما يتم هذا ويصح إذا فرضنا أنه عليه السلام كان يظن موته ولا يعلمه حقيقة ، ويظن أن أبا بكر وعمر يتآلآن على ابن عمه ، ويخاف وقوع ذلك منهما ولا يعلمه حقيقة ، فيحوز إن كانت الحال هكذا أن يتقدح هذا التوهم ، ويتطرق هذا للظن ، كالواحد مناه ولدان ؛ يخاف من أحدهما

(١) ديوان الحاسة - بصرح الرزوقي ٢ : ٨١٤ ، وروايته : « فلم يستبينوا الرشد » .

(١١ - نهج الالفة - أول)

أن يتقلب بعد موته على جميع ماله ، ولا يوصل أخاه إلى شيء من حقه ؛ فإنه قد يخطر له عند مرضه الذي يتخوف أن يموت فيه أن يأمر الولد الخوف جانبه بالسفر إلى بلد بعيد في تجارة يسلمها إليه ، يعمل ذلك طريقاً إلى دفع ثقله على الولد الآخر .

• • •

الأصل :

حَقُّ مَضَى الْأَوَّلِ لِسَبِيلِهِ ، فَأَذَلَّ بِهَا إِلَى ابْنِ الْأَطْلَابِ بَمَدَّةٍ ^(١)
شَدَّانَ مَا يَوْمِي عَلَى كَوْرَهَا وَيَوْمُ حَيَّانَ أَخِي جَابِرٍ
فَمَا صَبَّهَا ! بَيْنَاهُمَا يَسْتَقْبِلُهَا فِي حَيَّانِهِ إِذْ عَقَدَهَا لِأَخَرٍ بَعْدَ وَفَاتِهِ لَشَدَّ مَا نَشَطَرَا
خَرَعَيْنَا أَصْبَرَهَا فِي حَوْرَةٍ خَشَاءَ بَسْطِ كَلْمِهَا ، وَيَحْشُنُ مَشْهَاهَا وَيَكْثُرُ الْمِثَارُ فِيهَا ،
وَالْأَعْدَاؤُ مِنْهَا ، فَصَاحِبُهَا كَرَّ الْكِبَ الْعَمِيَّةِ ، إِنْ أَشْنَقَ لَهَا خَرَمٌ ، وَإِنْ أَسْلَسَ لَهَا
تَقَعَمٌ ، قَسَى النَّاسُ لَعَمْرُ اللَّهِ حَبِطَ وَشَمَاسٌ ، وَتَبَلَّوْنَ وَاعْتَرَاضٌ ، فَصَبَرْتُ عَلَى طَوْلِ
الْمَدَّةِ ، وَشِدَّةِ الْمِحْنَةِ .

• • •

التبريح :

مضى لسبيله : مات ، والسبيل الطريق ، وتقديره : مضى على سبيله ، ونجى اللام
بمعنى « على » كقوله ^(٢) :

• فَعَزَّ صَرِيحاً لِلْبَيْدَيْنِ وَالْقَمَرِ •

وقوله : « فأذلى بها » من قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ ﴾

(١) في غلطوة الحج : « ثم تمثل بقول الأعشى » . وكذلك في حواشي ب .

(٢) جابر بن حني التميمي ، وصدره .

• تَأْوَلَهُ يَارْمُوحَ ثُمَّ اتَّقَى لَهُ •

من قصيدة له مفعلة ٢٠٨-٢١٢ ، والبيت من شواهد النسخ ١ : ٢١٢ ، على وضع اللام موضع « على » .

وَتَذُلُّوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ^(١) أَي تَدْفَعُوهَا إِلَيْهِمْ رِشْوَةً ، وَأَصْلُهُ مِنْ أَدْلَيْتِ الدَّلُو فِي الْبَيْتِ ، أَرْسَلْتَهَا .

فَإِنْ قُلْتُ : فَإِنَّ أَبَا بَكْرٍ إِنَّمَا دَفَعَهَا إِلَى عُمَرَ حِينَ مَاتَ ، وَلَا مَعْنَى لِلرِّشْوَةِ هُنْدُ لِلْوُتِ !
قُلْتُ : لِمَا كَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَرَى أَنَّ الْعُدُولَ بِهَا عَنْهُ إِلَى غَيْرِهِ إِخْرَاجٌ لَهَا إِلَى غَيْرِ
جِهَةِ الْاِسْتِغْنَاءِ شَبَّ ذَلِكَ بِإِدْلَاءِ الْإِنْسَانِ بِمَالِهِ إِلَى الْحَاكِمِ ، فَإِنَّهُ إِخْرَاجٌ لِلْمَالِ إِلَى غَيْرِ
وَجْهِهِ ، فَكَانَ ذَلِكَ مِنْ بَابِ الْاِسْتِمَارَةِ .



[عَهْدُ أَبِي بَكْرٍ بِالْخُلَافَةِ إِلَى عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ]

وَإِنَّ الْخَطَّابَ هُوَ أَبُو حَفْصٍ عُمَرُ الْخَارُوقُ ، وَأَبُوهُ الْخَطَّابُ بْنُ نُفَيْلٍ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيِّ
ابْنِ رِيَّاحٍ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ قُرْطُوبِ بْنِ رَزَاحٍ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ كَعْبٍ بْنِ لُؤَيٍّ بْنِ خَالِبٍ . وَأُمُّ عُمَرَ
حَنْثَمَةُ بِنْتُ هَاشِمٍ بْنِ الْعِمْرَةِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ شُعْبَةَ بْنِ نَحْشَرٍ .

لَمَّا احْتَضَرَ أَبُو بَكْرٍ ، قَالَ لِلْكَاتِبِ اكْتُبْ : هَذَا مَا عَهْدَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَانَ^(٢) ،
آخِرَ عَهْدِهِ بِالْدُّنْيَا وَأَوَّلَ عَهْدِهِ بِالْآخِرَةِ ، فِي السَّاعَةِ الَّتِي يَبْرُزُ فِيهَا الْفَاجِرُ ، وَيُسْلِمُ فِيهَا الْكَافِرُ .
ثُمَّ أَغْنَى عَلَيْهِ فَكُتِبَ الْكَاتِبُ : عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ، ثُمَّ أَتَاقَ أَبُو بَكْرٍ ، فَقَالَ : اقْرَأْ
مَا كُتِبْتَ ، فَقَرَأَ وَذَكَرَ اسْمَ عُمَرَ ، فَقَالَ : أَيْ لَكَ هَذَا ؟ قَالَ : مَا كُنْتُ لَتَعْدُوهُ ، فَقَالَ :
أَصَبْتَ ، ثُمَّ قَالَ : أَنْتُمْ كِتَابُكَ ، قَالَ : مَا أَكْتُبُ ؟ قَالَ : اكْتُبْ : وَذَلِكَ حَيْثُ أَجَالَ رَأْيَهُ
وَأَعْلَلَ فِكْرَهُ ، فَرَأَى أَنَّ هَذَا الْأَمْرَ^(٣) لَا يَصْلُحُ آخِرُهُ إِلَّا بِمَا يَصْلُحُ بِهِ أَوَّلُهُ^(٤) ، وَلَا يَحْتَظِرُهُ
إِلَّا أَفْضَلُ الْعَرَبِ مَقْدَرَةً ، وَأَمْلَكُهُمْ لِنَفْسِهِ ، وَأَشَدَّهُمْ فِي حَالِ الشَّدَةِ ، وَأَسْلَمَهُمْ فِي حَالِ
الْيُسْرِ ، وَأَعْلَمَهُمْ رَأْيَ قَوِيِّ الرَّأْيِ ، لَا يَنْشَاغِلُ بِنِهَايَةِ بَعْضِهِ ، وَلَا يَحْزَنُ لِمَا لَمْ يَنْزِلْ بِهِ ،

(٢) عُثْمَانُ اسْمُ أَبِي قُحَافَةَ .

(١) سُورَةُ الْبَقَرَةِ ١٨٨ .

(٣ - ٤) كُتِبَ فِي ب ، ج وَفِي أ : لَا يَصْلُحُ آخِرُهُ إِلَّا بِمَا أَوَّلُهُ ، يَصْلُحُ .

ولا يستحي من التعلم ، ولا يصغر عند البديهة . قوى على الأمور ، لا يجوز بشيء منها حده عدوانا ولا تقصيرا ، يرصد لما هوأت عتاده من الخنز .

فلما فرغ من الكتاب ، دخل عليه قوم من الصحابة ؛ منهم طلحة ، فقال له ^(١) : ما أنت قاتل لربك غدا ، وقد وليت علينا فظا غليظا ، تفرق منه النفوس ؛ وتنفض عنه القلوب !

قال أبو بكر : أسندوني - وكان مستلقيا - فأسندوه ، فقال لطلحة : أبا الله تخوفني ! إذا قال لي ذلك غدا قلت له : وليت عليهم خيرا أهلك .

ويقال ^(٢) : أصدق الناس فراسة ثلاثة : العزيز في قوله لامرأته عن يوسف عليه السلام : ﴿ وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا ﴾ ^(٣) ، وابنة شعيب حيث قالت لأبيها موسى : ﴿ يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ ﴾ ^(٤) . وأبو بكر وعمر .

في حديث أبي بكر

وروى كثير من الناس أن أبا بكر لما نزل به الموت ^(٥) دعا عبد الرحمن بن عوف ، فقال : أخبرني من عمر ، قال : إنه أفضل من رأيك [فيه] ^(٦) إلا أن فيه غلظة ، فقال أبو بكر : ذلك لأنه برأى رقيقا ، ولو قد أفضى الأمر إليه لترك كثيرا مما هو عليه ، وقد رفقته إذا غضبت على رجل أراى الرضا عنه ، وإذا لبث له أراى الشدة عليه . ثم دعا عثمان بن عفان ، فقال : أخبرني من عمر ، قال : سريره خير من علانيته ^(٧) ، وليس فينا مثله . فقال لما : لا تدكرا عما قلت لكما شيئا ، ولو تركت عمر لما عدوتك يا عثمان ، والخيرة لك ألا تلي من أمورم شيئا ، ولوددت أني كنت من أموركم خلوا ، وكنت فيمن مضى من سلفكم . ودخل طلحة بن عبيد الله على أبي بكر ، قال : إنه بلغني أنك يا خليفة

(٢) ١ : د وقال إنه »

(١) كلمة « له » ساقطة من ب

(٤) سورة القصص ٢٦

(٣) سورة يوسف ٢١

(٥) ساقطة من ب (٦) نسخة من تاريخ الطبري ٣ : ٤٢٨ ، و ج : « أفضل من رأيته » .

(٧) ١ : د « قصر من علانيته »

رسول الله استخلفت على الناس عمر ، وقد رأيت ما يلقي الناس منه وأنت معه ، فكيف به إذا خلا بهم ، وأنت غداً لا يربك ، فبأساك عن رحمتك ! فقال أبو بكر : أجلسوني ، ثم قال : أيا الله تخوفني ! إذا تقيت ربي فسألني ، قلت : استخلفت عليهم خير أهلك . فقال طلحة : أحر خير الناس باخليفة رسول الله ! فاشتد غضبه ، وقال : إني والله ، هو خيرهم وأنت شرهم . أما والله لو وليتك لجلست أهلك في قفاك ، وزفست نفسك فوق قدرها ، حتى يكون الله هو الذي يضمها ! أتبتني وقد دلت عليك ، تريد أن تفتني عن ديني ، وتزبلني عن رأيي ! ثم لا أقام الله رجلك ! أما والله لئن عشت فواق ناقة ، وبلفني أنك غصته فيها ، أو ذكرته بسوء ، لألحقك بمعضات قنة^(١) ، حيث كنتم تستقون ولا تروون ، وترعون ولا تشعرون ، وأنتم بذلك يجحون^(٢) راضون ! فقام طلحة فخرج .



أحضر أبو بكر عثمان وهو يجود بنفسه فأمر أن يكتب عهداً ، وقال : اكتب : بسم الله الرحمن الرحيم . هذا ما عهد عبد الله بن عثمان^(٣) إلى المسلمين . أما بعد ، ثم أوصى عليه ؛ وكتب عثمان : قد استخلفت عليكم عمر بن الخطاب . وأفاق أبو بكر ، فقال : اقرأ قراء ، فكبر أبو بكر ، وسر ، وقال : أراك خفت أن يختلف الناس إن مت في غشيق ! قال : نعم ، قال : جزاك الله خيراً من الإسلام وأهله . ثم أتم العهد ، وأمر أن يقرأ على الناس قريء عليهم . ثم أوصى عمر ، فقال له : إن الله حق بالليل لا يقبله في النهار ، وحقاً في النهار لا يقبله بالليل ، وإياه لا يقبل بافلة مالم تؤد الفريضة ، وإما قلت موازين من اتبع الحق مع ثقله عليه ، وإما حقت موازين من اتبع الباطل خلفته عليه ، إنما أنزلت آية الرخاء مع آية الشدة ، لئلا يرعب المؤمن رغبة يتمنى فيها على الله ما ليس له ، ولئلا

(١) الوصع الذي نزع فيه الإبل الخمس . وقنة : موضع بيته .

(٢) البجع : الفرح والسرور . (٣) الطبري ٣ : ١٦٩ : د أبو بكر من أبي قحافة .

يرهب رهبة يلقى فيها بيده، فإن حفظت وميتى ، فلا يكن فائب أحب إليك من اللوت
ولست معجزة .

ثم توفي أبو بكر .

•••

دعا أبو بكر عمر يوم موته بعد عهده إليه ، فقال: إني لأرجو أن أموت في يومى هذا
فلا تُمَيِّنْ حق تطلب الناس مع الثنى بن حارثة ، وإن تأخرت إلى الليل فلا تصبحن
حق تطلب الناس معه، ولا تشغلنكم مصيبة عن دينكم ، وقد رأيتنى متوفى رسول الله صلى
الله عليه وآله كيف صنعت .

وتوفى أبو بكر ليلة الثلاثاء لثمان بقين من جمادى الآخرة من سنة ثلاث عشرة .

•••

وأما البيت الذى تمثل به عليه السلام ، فإنه للأعشى الكبير ، أعشى قيس . وهو
أبو بصير ميمون بن قيس بن خثعلب من القصيدة التى قالها فى منافرة علقمة بن خلانة
وعامر بن الطفيل ، وأولها :

عَلَّمْ مَا أَنتَ إِلَى عَامِرِ الناقصِ الأوتارِ والوترِ^(١)

يقول فيها :

وَقَدْ أَسْأَلُ أَلْهَمَ إِذْ يَهْتَرِي بِجَسَرَةٍ دَوَسَرَةٍ حَاقِرٍ^(٢)

زِيَاغَةٍ بِالرَّحْلِ خَطَارِكِ تُلَوِّى بِشَرَحَى مَيْسَةٍ قَاتِرٍ^(٣)

— شرخا الرّحل : مقدّم مؤخره ، واللبس : شجر يتخذ منه الرّحال ، ورحل قاتر :

جيد الوقوع على ظهر البحر —

(١) ديوانه ١٠٤ - ١٠٨ ؛ ويقع هذا البيت الخامس عشر منها ، وأولها :

شَاقَتَكَ مِنْ قَتَلَةٍ أَطْلَلُهَا بِالشُّطِّ الْوَتْرِ إِلَى حَاجِرِ

(٢) الجسرة : الناقة السريعة ، والدوسرة : الضحّة . والوتر : الذى لم يحمل ، ولى الديوان : « حين
أعشى » .

(٣) الزياغة : الخنقة فى سيرها . والمطاراة : التى تخطر بذنبها لثاقا .

شَتَانٌ مَا يَوْمِي عَلَى كُورِهَا وَيَوْمُ حَيَّانٍ أَخِي جَابِرُ
أَرْمِي بِهَا الْبَيْدَاءَ إِذْ هَجَرْتُ وَأَسْتَبِينَ الْقُرُو وَالْعَاصِرُ^(١)
فِي مَجْدَلٍ شَيْدٍ بُنْيَانُهُ بَرَزَ عَنْهُ ظَفَرُ الطَّائِرِ

تقول : شَتَانٌ مَا عَمَّا ، وَشَتَانٌ هُمَا ، وَلَا يَجُوزُ : شَتَانٌ مَا بَيْنَهُمَا ، إِلَّا عَلَى قَوْلٍ ضَعِيفٍ .
وَشَتَانٌ : أَصْلُهُ شَتَّ ، كَوَشَكَانَ ذَا حُرُوجًا ، مِنْ وَشَكَ . وَحَيَّانٌ وَجَابِرُ ابْنَا التَّمِيمِ
الْحَفَنِيَّانِ ، وَكَانَ حَيَّانٌ صَاحِبَ شَرَابٍ وَمَعَاقِرَةِ خَمْرٍ ، وَكَانَ تَدِيمُ الْأَعْشَى ، وَكَانَ أَخُوهُ
جَابِرُ أَصْفَرُ سَنَامُهُ ، فَيَقَالُ : إِنْ حَيَّانٌ قَالَ لِلْأَعْشَى : نَسَبْتَنِي إِلَى أَحَى ؛ وَهُوَ أَصْفَرُ
سِنَامِي أَقَالُ : إِنْ الرُّومِيُّ اضْطَرَّنِي إِلَى ذَلِكَ ، فَقَالَ : وَاقِلْهُ لَا نَازِعَتُكَ كَأَسَا أَبَدًا
مَاعَشْتُ . يَقُولُ : شَتَانٌ يَوْمِي وَأَنَا فِي الْمَاجِرَةِ وَالرَّيْحَاءِ ، أُسِيرُ عَلَى كُورِ هَذِهِ النَّاقَةِ وَيَوْمُ
حَيَّانٍ وَهُوَ فِي سَكْرَةِ الشَّرَابِ ، نَاعِمٌ الْبَالُ ، مَرْفَعٌ مِنَ الْأَكْدَارِ وَالْمَشَاقِ . وَالْقُرُو : شِبْه
حَوْضٍ ، يَتَّخِذُ مِنْ جَذَعٍ أَوْ مِنْ شَعِيرٍ يُبْدِي فِيهِ ، وَالْعَاصِرُ : الْقَدَى يَمْتَصِرُ الْعَطْبُ .
وَالْمَجْدَلُ : الْحِصْنُ النَّعِيمُ .

• • •

وشبيه هذا للمعنى قول الفضل بن الربيع في أيام فتنه الأمين يذكر حاله وحال أخيه
الْمَأْمُونِ : إِنَّمَا نَحْنُ^(٢) شَعْبٌ مِنْ أَصْلٍ ، إِنْ قَوَى قَوَيْنَا ، وَإِنْ ضَعُفَ ضَعُفْنَا ؛ وَإِنَّ هَذَا
الرَّجُلَ قَدْ أَلْقَى بِيَدِهِ إِتْقَانَ الْأَمَةِ الْوَكَمَاءِ ، يَشَاوِرُ النِّسَاءَ ، وَيُقَدِّمُ عَلَى الرُّؤْيَا ، قَدْ أَمَكَّنَ
أَهْلَ الْخُسَارَةِ وَاللَّهُوَ مِنْ مَمْعِهِ ، فَهُمْ يَمْنُونَهُ الظَّفَرُ ، وَيَمْدُونَهُ حَقَبَ الْأَيَّامِ ؛ وَالْمَلَاكُ أَسْرَعَ
إِلَيْهِ مِنَ السَّيْلِ إِلَى قِيَعَانِ الرَّمْلِ ، يَنَامُ نَوْمَ الظُّرْبَانِ ، وَيَنْتَبِهُ انْتِبَاهَ الذُّئْبِ ، فَهُوَ بَطْنُهُ
وَفَرْجُهُ ، لَا يَفْكُرُ فِي زَوَالِ نَعْمَةٍ ، وَلَا يُرَوِّى فِي إِمْضَاءِ رَأْيٍ وَلَا مَكِيدَةٍ ، قَدْ شَمَّرَ لَهُ عَبْدُ اللَّهِ

(١) لم يرد هذا البيت في ديوانه ، وهو في اللسان ٢٠ : ٣٤ ، وروايته :

• أَرْمِي بِهَا الْبَيْدَاءَ إِذْ أُعْرِضْتُ •

(٢) التبر بالتفصيل في تاريخ الطبري (حوادث سنة ١٩٦) .

عن ساقه ، وفوق إليه أسدٌ يساهمه ، يرميه على بعد الدار بالحنف النافذ ، وللتوت
القاصد ، قد عبأ له المنايا على متون الخيل ، وناط له البلاء بأسنة الرماح وشيفار السيوف ،
فهو كما قال الشاعر^(١) :

لشنان ما بينى وبين ابن خالد أمية في الرزق الذي الله بقم^(٢)
بقارع أتراك ابن خاقان ليله^(٣) إلى أن يرمى الإصباح لا يتلعم^(٤)
وأخذها حراء كالك رمحها لها أرج من دنها يتنسم^(٥)
فيصبح من طول الطراد وجسه نحيل وأضحى في النسم أصم^(٦)

وأمية للذكور في هذا الشعر ، هو أمية بن عبد الله بن خالد بن أسيد بن أبي العيص
ابن أمية بن عبد شمس ، كان والي خراسان ، وحارب الترك . والشعر للبيهقي .



يقول أمير المؤمنين عليه السلام : شنان بين يوسى في الخلافة مع ما انتقض على
من الأمر ومُنيت به من انتشار الخيل واضطراب أركان الخلافة ، وبين يوم حر
حيث وليها على قاعدة عمدة ، وأركان ثابتة ، وسكون شامل ، فانتظم أمره ، واطرد
حاله ، وسكنت ألامه .

قوله عليه السلام : « فإعجبا » أصله « فإعجبى » ، كقولك : يا غلامى ، ثم قلبوا الياء
ألفا ، فقالوا : يا عجباً ، كقولهم : يا غلاماً ، فإن وقعت وقعت على هاء السكت ، قلت :
يا عجبوا ! ويا غلاماء ! قال : العجب منه وهو يستقبل المسلمين من الخلافة أيام حياته ،
فيقول : أقبلوني ثم يغدوها عند وفاته لآخر ، وهذا يناقض الزهد فيها والاستقالة منها .
وقال شاعر من شعراء الشيعة :

سَلُّوها يومَ السَّقيفةِ أوزا رأَ تخفُّ الجبالَ وهىَ يقالُ

(١) الطبرى : « وتغل بشعر البيهقي » .

(٢) الشعر والنبر في تاريخ الطبرى وابن الأثير (حوادث سنة ١٩٦) مع اختلاف في الرواية وعدد
الآيات وترتيبها . (٣) كذا في الأصول والطبرى ، والوجه ما أثبتته من ابن الأثير .

(٤) ابن الأثير : « لها أرج في دنها حين برسم » وهنا المبت سقط من تاريخ الطبرى .

ثم جاءوا من بعد لها يستقيلو^(١) ن ، وهيئات عثرة لا تقال !

وقد اختلف الرواة في هذه اللفظة ، فكثير من الناس رواها : « أقيلوني قلت بغيركم » ، ومن الناس من أنكر هذه اللفظة ولم يروها ، وإنما روى قوله : « وليكم ولست بغيركم » . واحتج بذلك من لم يشترط الأفضلية في الإمامة . ومن رواها اعتذر لأبي بكر فقال : إنما قال : أقيلوني ، ليثور^(٢) ما في نفوس^(٣) الناس من يمته ، ويحجب ما عندهم من ولايته ، فيعلم مريدكم وكارههم ، ومحبتهم ومبغضهم ؛ فلما رأى النفوس إليه ساكنة ، والقلوب ليهته مذعنة ، استمر على إمارته ، وحكم حكم الخلفاء في رعيته ، ولم يكن منكراً منه أن يعهد إلى من اتصل به خلافة .

قالوا : وقد جرى مثل ذلك لعل^(٤) عليه السلام ، فإنه قال للناس بعد قتل عثمان : دعوني واتموا غيري ، فأنا لكم وزير^(٥) خير مني لكم أميراً . وقال لم : اتركوني ، فأنا كأحدكم ، بل أنا أتممكم وأطوئكم^(٦) لمن وليتموه أمركم . فأبوا عليه وبايعوه ، فكرهاها أولاً ، ثم عهد بها إلى الحسن عليه السلام عند موته .

قالت الإمامية : هذا غير لازم ، والفرق بين الموضعين ظاهر ، لأن علياً عليه السلام لم يقل : إني لا أصلح ، ولكنه كره الفتنة ، وأبو بكر قال كلاماً معناه : إني لا أصلح لها ، لقوله : « لست بغيركم » ، ومن نقي من نفسه صلاحه للإمامة ، لا يجوز أن يعهد بها إلى غيره .

واعلم أن الكلام في هذا الموضع مبنى على أن الأفضلية هل هي شرط في الإمامة أم لا ؟ وقد تكلمنا في شرح " الفرر " لشيخنا أبي الحسين^(٧) رحمه الله تعالى في هذا البحث بما لا يحتمله هذا الكتاب .

(٢) ١ : « قلوب » .

(١) ثور : يبعث .

(٣) هو أبو الحسين محمد بن علي بن الطيب التلعكبري المتوفى سنة ٤٣٦ ، وكتابه « هدر الأئمة » .

ذكره ابن خلكان ١ : ٤٨٧ .

وقوله عليه السلام : « لشد ما نشطرا صرعيا » ، شد ، أصله « شدد » ، كقولك : حب في « حبذا » أصله حب ، ومعنى « شد » صار شديداً جداً ، ومعنى « حب » صار حبيباً ، قال البهري :

شَدَّ مَا أَغْرَبَتْ ظُلُومُ بِهِجَرِي تَمَدَّ وَجَدِي سَهَا وَغَلَّةِ صَدْرِي^(١)

وللنقاد أربعة أحلاف : حيفان قدامان وحيفان آخران ، وكل اثنين منهما شطر . وتشطرا صرعيا اقتسا فاندنهما ونفعهما . والضمير للخلافة ، وتسمى القادمين معا ضرعا ، وتسمى الآخرين معا ضرعا لما كانا - لتعاورهما ، ولكونهما لا يخلبان إلا معا - كشىء واحد .

قوله عليه السلام : « فجعلها في حوزة حشناء » ، أى في جهة صعبة للرام ، شديدة الشكيمة . والكلم : الجرح .



وقوله : « يعلظ » ، من العلس من قال : « كيف قال : « يعلظ كلها » ، والكلم لا يوصف بالغلظ ! وهذا قول فهم بالفصاحة ، ألا ترى كيف قد وصف الله سبحانه العذاب بالغلظ ، فقال : « وَتَحْمِيَّتَاهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ »^(٢) أى متصاعف ، لأن الغليظ من الأجسام هو ما كثف وجسم ، فكان أحرأوه وحواهره متضاعفة ، فلما كان العذاب - أحاذنا الله منه - متضاعفا ، سُمي غليظا ؛ وكذلك الجرح إذا أمن وعمق ، فكأنه قد تصاعف وصار جروحا ، فسمى غليظا .

إن قيل : قد قال عليه السلام « في حوزة حشناء » فوصفها بالخشونة ، فكيف أعاد ذكر الخشونة ثانية فقال : « يَحْنَسُ مِنْهَا » ؟

قيل : الاعتبار مختلف ؛ لأن مراده بقوله : « في حوزة حشناء » أى لا ينال ما عندها ولا يرام ، يقال : إن فلانا خشن الجانب ووعر الجانب ، ومراده بقوله : « يَحْنَسُ مِنْهَا »

تُسْهَا» ، أى تؤذى ونصر وتتكى مَنْ يَمْسُهَا ؛ يعصف جفاء أحلاق الوالى المذكور ونفور طبعه وشدة باذرته .

قوله عليه السلام : « ويكثر العثار فيها ، والاعتذار منها » ، يقول : ليست هذه الجملة جَدَّاداً مَهْمِيعاً ، بل هى كل طريق كثير الحجارة ، لا يزال الناس فيه عاثراً .

وأما « منها » فى قوله عليه السلام : « والاعتذار منها » ، فيمكن أن تكون « مِنْ » على أصلها ، يعنى أن عمر كان كثيراً ما يحكم بالأمر ثم يققه ، ويفنى بالقتها ثم يرجع عنها ، ويستند مما أفق به أولاً . ويمكن أن تكون « مِنْ » هاهنا لتتمليل والتبعية ، أى ويكثر اعتذار الناس عن أفعالهم وحركاتهم لأجلها ، قال :

أَمِنْ رَسْمِ دَارٍ مَرَّتَعٍ وَمَعِيفٍ كَيْفَ مِنْ مَاءِ الشُّوْنِ وَكَيْفُ (١)

أى لأجل أن رسم للربيع واللصيف هذه الدار وكف دمع عينيك !

والصنفة من النوق : مالم تُرْ كَبِرْ ولم تُرْضَ ، إن اشتق لها راكبها بالزام خرم أغصها ، وإن أسلس زمامها تقعم فى الهالك فألقته فى مهوأة أو ماء أو نار ، أو نذت فلم تقف حتى تُردية عنها فهلك .

وأشتق الرجل ناقته ، إذا كفها بالزام ، وهو راكبها ، واللفة للشهوة شتى ، ثلاثية . وفى الحديث : إن طالعة أنشد قصيدةً فما زال شائقاً راحته ، حتى كتبت (٢) . وأشتق البعير نفسه ، إذا رفع رأسه ؛ بعمدى ولا يعمدى ، وأصله من الشناق ، وهو خيط يُشدُّ به قَمُّ القِرْبَةِ .

وقال الرضى أبو الحسن رحمه الله تعالى : إنما قال عليه السلام : أشتق لها ، ولم يقل : « أشتقها » ، لأنه جبل ذلك فى مقابلة قوله : « أسلس لها » وهذا حسن ، فإنهم إذا

(١) وكيف الدمع : سيلانه .

(٢) الخبر فى الفائق ١ : ٦٧٧ ، وقال فى شرحه : « هو أن يجذب رأسها بزمامها ، حتى يمانى قناتها بادمة الرجل ؛ وقد غلبها وأشتقها » .

قصداً الأزواج في الخطابة فعلوا مثل هذا ، قالوا : للمدايا والمشاي ، والأصل الغدوات
جمع غلوة . وقال صلى الله عليه وآله : « ارجعن مأزورات غير مأجورات » ، وأصله
« موزورات » بالواو ، لأنه من الوزر .

وقال الرضى رحمه الله تعالى : وما يشهد على أن أشفق بمعنى « شفق » قول عدي
ابن زيد العبادي :

ساءها ما لها تبين في الأبيدي وإشفاقها إلى الأعناق

قلت : « تبين » في هذا البيت فعل ماض ، تبين بتين تبينا ، واللام في « لها » تعلق
بـ « تبين » . يقول : ظهر لها ما في أيدينا فساءها

وهذا البيت من قصيدة أولها :

لَيْسَ شَيْءٌ عَلَى الْمَتُونِ سَاءٌ خَيْرٌ وَجْهٌ لِلْبَيْعِ انْخِلَاقٌ^(١)

وقد كان زارته بنية له حضرة اسمها هدا ، وهو في الحبس - حبس المعان - ويدها
مغلوتان إلى عنقه ، فأكرت ذلك ، وقالت : ما هذا الذي في يدك وعنقك يا أمّ ! وبكت ،
فقال هذا الشعر . وقبل هذا البيت :

وَلَقَدْ نَحْنِي زِبَارَةٌ ذِي قُرَى نَصِيرٍ لِقُرْبِنَا مُشْتَاقٍ

ساءها ما لها تبين في الأبيدي وإشفاقها إلى الأعناق^(٢)

أي ساءها ما ظهر لها من ذلك . ويروى : « ساءها ما بنا تبين » أي ما بان وظهر ،
ويروى « ما بنا تبين » بالرفع على أنه مصارع .

ويروى « إشفاقها » بالرفع عطفاً على « ما » ، التي هي بمعنى الذي ، وهي فاعلة .

ويروى بالجر عطفاً على « الأبيدي » .

(٢) بعده في رواية الأغاني :

(١) الأغاني ٢ : ١١٦ ، السان (ش) .

فَاذْهَبِي يَا أُمِّمٌ غَيْرَ تَعِيدِ لَا يُؤَاتِي الْعِنَاقُ مَنْ فِي الْوَقَاقِ
وَإِذْهَبِي يَا أُمِّمٌ إِنَّ يَسْأَلُكَ بِنَفْسٍ مِنْ أَرْزَمِ هَذَا الْخَلْقِ

وقال الرضى رحمه الله تعالى أيضا : وروى أن رسول الله صلى الله عليه وآله خطب الناس وهو على ناقه قد شقق لها وهي تقصع بحريتها .

قلت : الجرة : ما يعلو من الجوف وتجزئه الإبل ، والجرة : ما يسل . وتقصع بها : تدفع ، وقد كان للرضى رحمه الله تعالى إذا كانت الرواية قد وردت هكذا أن يحتج بها على جواز « أشقق لها » ، فإن الفعل في الخبر قد عدى باللام لا بنفسه .

قوله عليه السلام : « فَيَنْتَ النَّاسُ » أى يُبَيِّنُ الناس ، قال :

• مُنِيتُ بِزَمْرُودَةٍ كَالْمَصَا • ^(١)

والخط : السير على غير حاذة ، والشماس : الثفار . والتلون : التبديل . والاعتراض : السير لا على خط مستقيم ، كأنه يسير عرضا في غضون سيره طولا ، وإنما يفعل ذلك البعير الجامع الخط . وبعير عرضي : يعترض في مسيره ^(٢) لأنه لم يتم رهاخته ، وفي فلان عرضية ، أى عجرة وصوبة .



[طرف من أخبار عمر بن الخطاب]

وكان عمر بن الخطاب صعبا ، عظيم الهيبة شديد السياسة ، لا يحارب أحدا ، ولا يراقب شريفا ولا مشروفا . وكان أكابر الصحابة يتعاضون ويتفادون من لقاءه ؛ كان أبو سفيان ابن حرب في مجلس عمر ، وهناك زياد ابن سمية وكثير من الصحابة ، فتكلم زياد فأحسن . وهو يومئذ غلام . فقال عمر عليه السلام - وكان حاضرا - لأبي سفيان وهو إلى جانبه : الله هذا الغلام ، لو كان قرشيا لساقي العرب مصاء . فقال له أبو سفيان : أما والله لو عرفت أباي لعرفت أنه من خير أهلك ، قال : ومن أبوه ؟ قال : أنا وضعت والله في رجم أمه ، فقال عمر عليه السلام : فما يمنعك من استلحاقه ؟ قال : أخاف هذا القبر ^(٣) الجالس أن يخرجني على إهابي !

(١) لأبي الطميش الحنفى ذكره أبو تمام الحماسة ١٨٨١ - بترج الرزوقي ، ورواه : « يزيمرودة » ، وقال : هو حيز بجلا الكف ، وبه :

• ألص وأخبت من كندش •

(٢) غير القوم : سيدم .

وقيل لابن عباس لما أظهر قوله في القول^(١) بعد موت عمر - ولم يكن قبل بظهره : هلاقت هذا وعمر حتى ؟ قال : هيته ، وكان امرأ مهابا^(٢) .

واستدعى عمر امرأة ليسألها عن أمر - وكانت حاملا - فليثدة هيته أقت مافي بطنها ، فأجهضت به جنينا ميتا ، فاستنق عمر أكابر الصحابة في ذلك ، فقالوا : لا شيء عليك ، إنما أنت مؤدب ، فقال له علي عليه السلام : إن كانوا راقوك فقد غشوك ، وإن كان هذا جهنم رأيهم فقد أحطنوا ؛ عليك غرة - يعني عتق رقبة - فرجع عمر والصحابة إلى قوله . وعمر هو الذي شد بيته أبي بكر ووقم^(٣) المخالفين فيها فكسر سيف الزبير لما جرده ، ودفع في صدر المقداد ، ووطئ في السقيفة سعد بن عباد ، وقال : اقتلوا سعدا ، قتل الله سعدا ورحم أنف الحباب بن المنذر الذي قال يوم السقيفة : أنا جذيلها^(٤) المحكك ، وعذيقها للرجب . وتوعد من لجأ إلى علي عليه السلام من الهاشميين ، وأخرجهم منها . ولولاه لم يثبت لأبي بكر أمير ، ولأقامت له قاعة .

وهو الذي ساس العمال وأخذ أموالهم في حلاله ، وذلك من أحسن السياسات . وروى الزبير بن بكار ، قال : لما قلد عمر عمرو بن العاص مصر ، بلمه أنه قد صار له مال عظيم من ناطق وصامت^(٥) ، فكتب إليه ، أما بعد : فقد ظهر لي من مالك ما لم يكن في رزقك ، ولا كان لك مال قبل أن أسمع بك ، فأق لك هذا أفواه لو لم يهتني في ذات الله إلا من اختان في مال الله ، لكثرتني ، وانتثر أمري ، ولقد كان عدي من المهاجرين الأولين من هو خير منك ، ولكفي قلدك رجاء غنائك ؛ فاكسب إلى من أين لك هذا المال ، ومجمل .

(١) قول القريض ، وهو أن تريد سهامها ، فبدخل النقصان على أهل الفرائض .

(٢) كفا في أ ، وق ب : « وكان امرأ مهيبا » . (٣) وقم السير : كواه ؛ والمراد أذنه .

(٤) الخاقاني ١ : ١٨٠ ، وخطبة الضير فيه : « منا أمير ومنكم أمير » . الجذيل : تصغير الجندل ، بالكسر ، وهو في الأصل عود يصب للحرب تحكك به فليثنق . والمحكك : الذي كثر به الاحكام حتى صار مملا . والرجب : الدعوم بالرحمة . وهي خشة ذات شصين ؛ قال الرغصري في تفسيره : « إن هو رأى يهتني بالاستضاءة به كثيرا في مثل هذه الحادثة ، وأنا في كثرة التجارب والعلم بملورد الأحوال فيها وفي أمثالها ومصادرها كالنحلة الكثيرة الحمل » .
(٥) قولهم : ماله صامت ولا ناطق . فالناطق : الحيوان والصامت : ما سواه .

فكتب إليه عمرو : أما بعد ، فقد فهمت كتاب أمير المؤمنين ، فأما ما ظهر لي من مال ، فإننا قدمنا بلاداً رخيصة الأسعار ، كثيرة العزو ، نجعلنا ما أصابنا في الفضول التي اتصل بأمير المؤمنين لبؤها ، والله لو كانت حياتك حلالاً ما خنتك ؛ وقد اثبتتني ، فإن لنا أحساباً إذا رجعنا إليها أغنتنا عن حياتك . وذكرت أن عندك من المهاجرين الأولين من هو خير مني ، فإذا كان ذلك فوالله ما دقت لك يا أمير المؤمنين باباً ، ولا فتحت لك قفلاً .

فكتب إليه عمر : أما بعد ، فإنني لست من تسطيرك الكتاب وتشقيقك الكلام في شيء ؛ ولكنكم معشر الأمراء قدتم على عيون الأموال ، ولن تعدموا عذراً ، وإنما تأكلون النار ، وتتمجلون العار ، وقد وجهت إليك محمد بن مسلمة ، فسلم إليه شطر مالك .

فلما قدم محمد صنع له عمرو طعاماً ودعاه فلم يأكل ، وقال : هذه مقدمة الشر ، ولو جئتني بطعام الضيف لأكلت ، فنع عن طعامك ، وأحضر لي مالك ، فأحضره ، فأخذ شطره . فلما رأى عمرو كثرة ما أخذ منه ، قال : لمن الله زماناً صرت فيه عاملاً لسر ، والله لقد رأيت عمر وأباه على كل واحد منهما عبادة قطوانية ^(١) لا تتجاوز ما بيض ^(٢) ركبتيه ، وعلى عنقه حزمة سوط ، والعماس من وائل في مزررات الذهب . فقال محمد : إيهما عنك يا عمرو ؟ فسر والله خير منك ، وأما أبوك وأبوه فإيهما في النار ، ولولا الإسلام لألقيت معثقاً شاة ، بسرك غزرها ، ويسوءك نكوهها ^(٣) . قال : صدقت فاكم على ، قال : أفعل .

قال الربيع بن زياد الحارثي : كنت ^(٤) عاملاً لأبي موسى الأشعري على البحرين

(١) قطوانية : مسونة إلى قطوان ، موضع بالسكونة ، نسب إليه الأكية

(٢) الأبيض : بالي الركة .

(٣) يقال : بكأت الذاقة بكوا ؛ إذا قل لها .

(٤) الجبر في الكامل ١ : ١٥٢ ، ١٥٣ .

فكتب إليه عمر بالقدوم عليه هو وعمله ، وأن يستخلفوا جميعا . فلما قدمنا المدينة أتيت
 يرفاً حاجب عمر ، قلت : يا يرفاً ، مسترشد وابن سبيل ! أى الهيات أحب إلى أمير المؤمنين
 أن يرمى فيها عماله ؟ فأوماً إلى بالخشونة ، فأنخذت خفين مطارقين ^(١) ، ولبست جبّة
 صوف ، ولثت حمامتى على رأسى ، ثم دخلنا على عمر فصفتنا بين يديه ، فصعد بصره فينا
 وصوب ، فلم تأخذ عينه أحداً غيرى ، فدعاني ، فقال : من أنت ؟ قلت : الربيع بن زياد
 الحارثى ، قال : وما تتولى من أعمالنا ؟ قلت : البحرين ، قال : كم ترزق ؟ قلت : ألفا ، قال :
 كثير ، فما تصنع به ؟ قلت : أتقوت منه شيئاً ، وأمود يأتية على أقاربى ، فما فضل
 منهم فلى قراء اللعين ، قال : لا بأس ، ارجع إلى موضعك . فرجعت إلى موضعى من
 الصف ، فصعد فينا وصوب ، فلم تقع عينه إلا على فدعاني ، فقال : كم سنك ؟ قلت :
 خمس وأربعون ، فقال : الآن حيث استحكمت ثم دعا بالطعام ، وأصحابى حديث عهدم
 بلين العيش ، وقد تجمعت له ، فأتى بحزب ^(٢) كسار ^(٣) بغير ، فجعل أصحابى يمافون
 ذلك ، وجعلت آكل فأجيد ، وأنا أظن إليه وهو يحفظى من بينهم ، ثم سبقت يتى
 كلمة تمنيت لها أنى سخطت فى الأرض ، قلت : يا أمير المؤمنين ، إن الناس يحتاجون إلى
 صلاحك ، فلو عمدت إلى طعام ألين من هذا فزجرتى ، ثم قال : كيف قلت ؟ قلت :
 يا أمير المؤمنين ، أن تنظر إلى قوتك من الطعين فيخبز قبل إرادتك لياه بيوم ، ويطبخ
 لك اللحم كذلك ، فتؤتى بالحبز لينا ، وبالحم غريضا . فكن من غريبه ، وقال : أهاهنا
 غرت ^(٤) ؟ قلت : نعم ، فقال : يا ربيع ، إنا لو نشاء للمأنا هذه الرحاب من صلاتى ^(٥) وسبائك ^(٦)
 وصناب ^(٧) ، ولكنى رأيت الله نعى على قوم شهواتهم ، فقال : ﴿ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ

(١) ليس خفين ، مطارقين ، أى طلعين ، واحداً فوق الآخر .

(٢) أ كسار الإبل : أعضاؤها ، واحداً كسر ، بالفتح والكسر .

(٣) غرت : ذهبت ، وفى الأصول : « غربه » تحريف .

(٤) الصلاتى : ما عمل بالنار طيباً وشياً .

(٥) السبائك : ماسك من الذهب ونخل فأخذ خالصه ؛ بنى الحواري ؟ وكانوا يسمون الرقاق السبائك .

(٦) الصناب : صباغ يؤتى به .

فِي حَيَاتِكُمْ أَهْلُنَا» (١)، ثم أمر أبا موسى بإقراري، وأن يستبدل بأصحابي.

أسلم عمر بعد جماعة من الناس، وكان سبب إسلامه أن أخته وبعلها أسلما سرًا من عمر، فدخل إليهما خَبَابُ بن الأَرْت، يعطيهما الدين خفية، فوشى بهما واشى إلى عمر، فجاء دار أخته، فتوارى خَبَابُ منه داخل البيت، فقال عمر: ما هذا بالهينة عندكم؟ قالت أخته: ما هذا حديثًا تحدثناه بيننا. قال: أراكم قد صَبَوْتُمْ! قال خَتَنُهُ: أرايت إن كان هو الحق! فوثب عليه عمر فوجَّهه وطأًا شديدًا، فجاءت أخته فدفسته عنه، فتنفعا بيده، فذمَّي وجهها، ثم نديم ورقه، وجلس واحدا، فخرج إليه خَبَابُ فقال: أبشِرْ يا عمر، فإنِّي أرحو أن تكون دعوة رسول الله لك الية، فإنه لم يزل يدعو منذ الليلة: «اللهم أكرم الإسلام بعمر بن الخطاب أو بصرو بن حنبل». قال: فأنطلق عمرُ مقتدًا لستيقفه حتى أتى دار التي فيها رسول الله صلى الله عليه وآله يومئذ، وهي الدار التي في أصل الصفا، وعلى الباب حمزة وطلحة وناس من المسلمين، فوجَّه القوم من عمر إلا حمزة فإنه قال: قد جاءنا عمر، فإنَّ يرد الله به حيرا يَهْدُهُ، وإنَّ يرد غير ذلك كان قتله علينا هينًا. والنبي صلى الله عليه وآله داخل الدار يوحى إليه - فسمع كلامهم، فخرج حتى أتى عمر، فأخذ بمجامع ثوبه وحائل سيفه، وقال: «مأنت بمنته يا عمر حتى يُنزل الله بك من الإنزى والنكال ما نزل بالوليد بن الميرة. اللهم هذا عمر، اللهم أكرم الإسلام بعمر»، فقال عمر: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا رسول الله.

مرَّ يوما عمر في بعض شوارع المدينة فتداه إنسان: ما أراك إلا تستعمل عتاك، وتعهديهم اليهود، وترى أن ذلك قذا جزاك. كلاً والله، إنك للأخوذ بهم إن لم تتعهدهم،

(١) سورة الأخطاف ٢٠.

(١٢) - عرج نهج البلاغة - أول

قال : ماذا لك ؟ قال : عياض بن غنم يلبس اللين ، ويأكل الطيب ، ويفعل كذا وكذا
 قال : أسألك^(١) ؟ قال : بل مؤدّر ما عليه ، فقال محمد بن مسلمة : الحق بعياض بن غنم
 فأتى به كما تجده ؛ ففرض محمد بن مسلمة حتى أتى باب عياض - وهو أمير على حمص -
 وإذا عليه بوثاب ، فقال له : قل لعياض : على بابك رجل يريد أن يلقاك ، قال : ماتقول ؟
 قال : قل له ما أقول لك ؛ فقام كالمنجب فأخبره ، فعرف عياض أنه أمرٌ حدث ، فخرج
 فإذا محمد بن مسلمة ، فأدخله ، فرأى على عياض قيصا رقيقا ، ورداء لينا ، فقال : إن
 أمير المؤمنين أمرني ألا أقارئك حتى آتية بك كما أجلك . فأقدمه على عمر وأخبره أنه
 وجده في عيش ناعم . فأمر له بمعا وكساء ، وقال : اذهب بهذه النعم ، فأحسن رعيتهما ،
 فقال : الموت أهون من ذلك ، فقال : كذبت ، ولقد كان ترك ما كنت عليه أهون
 عليك من ذلك . ففاق النعم بمعا ، ~~والنعم~~ في عنقه ، فلما بُدِ ردّه ، وقال : أرايت
 إن رددتُك إلى عملك أتصنع خيرا ؟ قال : نعم والله يا أمير المؤمنين ، لا يبلعك متى بعدها
 ما تكره . فردّه إلى عمله ، فلم يبلغه منه بعدها ما ينقمة عليه .

• • •

كان الناس بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله يأتون الشجرة التي كانت بيعة
 الرضوان تحتها فيصلون عندها ، فقال عمر : أراكم أيها الناس رجتم إلى النزي !
 ألا لا أوتي منذ اليوم بأحدٍ عاد لمثلها إلا قتلته بالسيف كما يُقتل للردة ، ثم أمر بها قُطِعت .

• • •

لما مات رسول الله صلى الله عليه وآله ، وشاع بين الناس موته ، طاف عمر على الناس
 قائلا : إنه لم يمّت ، ولكنه غاب عنا كما غاب موسى عن قومه ، وليرجن فليقطعن
 أيدي رجال وأرحلهم يزعمون أنه مات . فعمل لا يمر بأحد يقول إنه مات إلا ويخطه
 ويتوعده ، حتى جاء أبو بكر ، فقال : أيها الناس ، مَنْ كان يعبد محمدا فإن محمدا قد مات ،

(١) السامى هنا : الواشى .

ومن كان بعد ربِّ محمد فإنه حيٌّ لم يمُتْ ، ثم تلا قوله تعالى : ﴿ أَفَأَنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ أَتُحَلِّبُكُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ ﴾ (١) ، قالوا : فوالله لكانَّ الناس ما سمعوا هذه الآية حتى تلاها أبو بكر . وقال عمر : لما سمعته يتلوها هَوَّيْتُ إلى الأرض ، وعلمتُ أن رسولَ الله قد مات .

• • •

لما قتل خالد مالك بن نويرة ونكح امرأته ، كان في عسكره أبو قتادة الأنصاري ، فركب فرسه ، والتحق بأبي بكر ، وحلف ألا يسيرَ في جيش تحت لواء خالد أبداً ، فقصَّ على أبي بكر القصة ، فقال أبو بكر : لقد فشتِ الفتنُ العرب ، وترك خالد ما أمر به ، فقال عمر : إنَّ عليك أن تُقيده بمالك ، فسكت أبو بكر ، وقدم خالد فدخل المسجد وعليه ثياب قد صدَّت من الحديد ، وفي عمامته ثلاثة أسهم ، فلما رآه عمر قال : أريدُ يا عدو الله ! عدوتَ على رجل من المسلمين فقتلته وسكعت امرأته ! أما والله إن أمكنني الله منك لأرجحتك ، ثم تناول الأسهم من عمامته فكسرها . وخالد ساكت لا يردُّ عليه ، ظناً أنَّ ذلك عن أمر أبي بكر ورأيه . فلما دخل إلى أبي بكر وحادثه ، صدقه فيما حكاه وقيل عذره . فكان عمر يحرِّضُ أبا بكر على خالد ويُشير عليه أن يقتل منه بدم مالك ، فقال أبو بكر : إيها يا عمر ! ما هو بأوَّل من أخطأ ، فارفع لسانك عنه . ثم ودَّى مالكا من بيت مال المسلمين .

• • •

لما صالح خالد أهلَ البصرة وكتب بينه وبينهم كتاب الصلح ، وتزوج ابنة بُجاعة ابن مُرارة الخنزي ، وصل إليه كتاب أبي بكر : لعمري يا ابن أمِّ خالد ، إنَّك لفارغ حتى تزوج النساء ، وحولَ حمرتك دماء المسلمين لم تجفَّ بسد ... في كلام أغلظ له فيه ، فقال خالد : هذا الكتاب ليس من عمل أبي بكر ، هذا عمل الأعيسر - يعني عمر - .

عزل هر خالفاً عن إمارة خمس في سنة سبع عشرة ، وأقامه للناس ، وعقله بجماعته ،
وتزع قلنسوته عن رأسه وقال : أعلني ، من أين لك هذا المال ؟ وذلك أنه أجاز الأشعث
ابن قيس بمشيرة آلاف درهم ، فقال : من الأقال والشهتان ، فقال : لا والله ، لا تعمل لي
ملا بعد اليوم ، وشاطره ماله ، وكتب إلى الأمصار بعزله ، وقال : إن الناس فُتتوا به ،
فخفت أن يوكّلوا إليه ، وأحببت أن يعلموا أن الله هو الصانع .

• • •

لما أيسر الهرمزان نُحِل إلى هر من تُستَر إلى المدينة ، ومعه رجال من المسلمين ، منهم
الأحف بن قيس ، وأنس بن مالك ، فأدخلوه المدينة في هيئته وتاجه وكِسوته ، فوجدوا
هر ناعماً في جانب للسيد ، فجلسوا حوله يظنون انتباهه ، فقال الهرمزان : وأين عمر ؟
قالوا : هاهو ذا ؛ قال : أين حرته ؟ قالوا : لا حاجب لهما ولا حارس . قال : فيبني أن يكون
هذا نبياً ، قالوا : إنه يصل يصل إلى كنيسته ~~ولم يتفقوا~~ ، فقال : الهرمزان ؟ قالوا : نعم ؛
قال : لا أكله أولاً يبقى عليه من حليته شيء ، فرموا ما عليه ، وألصقوه ثوباً صفيقاً ، فلما
كلمه هر ، أمر أبا طلحة أن ينتضي سيفه ويقوم على رأسه ، ففعل . ثم قال له : ما عذرك
في قرض الصلح ونكث العهد ؟ وقد كان الهرمزان صالح أولاً ، ثم قرض وغدر . فقال :
أخبرك ، قال : قل ، قال : وأما شديد العطش فاستقي ثم أخبرك . فأحضر له ماء ، فلما
تناوله جعلت يده تُرْعَد ، قال : ماشأ بك ؟ قال : أحاف أن أمدت عني وأنا أشرب فيقتلني
سيفك . قال : لا بأس عليك حتى تشرب ، فالتقى الإناء عن يده ، فقال : ما بالاك ؟
أعيدوا عليه الماء ، ولا تجمعوا عليه بين القتل والعطش ، قال : إنك قد أمدتني ، قال :
كذبت ! قال : لم أكذب ، قال أنس : صدق يا أمير المؤمنين ، قال : ويحك يا أنس !
أنا أومن قاتل مجزأة بن نور والبراء بن مالك والله أتأتيني بالخروج أو لأعاقبك ! قال :
أنت يا أمير المؤمنين قلت : لا بأس عليك حتى تشرب . وقال له ناس من المسلمين

مثل قول أنس ، فقال لهرمزان : وبك ! أتخذه عنى إيا الله لأقلنك إلا أن تسلم ، ثم أوماً إلى أبي طلحة ، فقال الهرمزان : أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله فأمته وأنزه المدينة .

• • •

سأل عمر عمرو بن معد يكرب عن السلاح فقال له : ما تقول في الرمح ؟ قال : أخوك وربما خانك ، قال فالتبيل ؟ قال : رسل المنايا ؛ تحطى ، وتصيب ، قال فالدرع ؟ قال : مشقة للفارس ، متعبة للراجل ، وإياها مع ذلك لحصن حصين ، قال فالنرس ؟ قال : هو للجبن ، وعليه تدور الدوائر ، قال : فالسيف ؟ قال : هناك قارعت أمك الهبل ، قال : بل أمك ، قال : والحقى أضرتني لك ^(١) .



وأول من ضرب عمر بالدرة أم فروة بنت أبي لهافة ، مات أبو بكر فتاح النساء عليه ، وفيهن أخته أم فروة ، فهذه عمر مرارة ، وهن يعالون ، فأخرج أم فروة من يمين ، وعلاها بالدرة ، فهربن وتفرقت .

• • •

كان يقال : درة عمر أهيب من سيف الحجاج . وفي الصحيح : إن نسوة كن هدد رسول الله صلى الله عليه وسلم قد كثر لقطعهن ، فناء عمر فهربن هيبة له ، فقال لهن : بأعديات أنفسهن ، أتتهبن رسول الله ! قلن : نعم ، أنت أغلظ وأفظ .

• • •

وكان عمر يُفتي كثيراً بالحكم ثم ينقضه ، ويفتي بعدة وحلافه ؛ قضى في الجلد مع الإخوة قضايا كثيرة مختلفة ، ثم خاف من الحكم في هذه المسألة فقال : من أراد أن يضعم جرائم جهنم فليقل في الجلد برأيه .

(١) الحقى أضرتني لك ؛ مثل يضرب في أقله عند الحاجة تقول ؛ وورد المثل عرفاني الأصول ، والتصويب من اللباني ١ : ٢٠٥ ، وعيون الأخبار ١ : ١٣٠ ، والطه ١ : ٢١٠ .

وقال مرة : لا يلفني أن امرأة تجاوز صداقها صدق نساء النبي إلا ارتفعت ذلك منها،
فقلت له امرأة : ما جعل الله لك ذلك ، إنه تعالى قال : ﴿ وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا بِهِ شَيْئًا أَتَأْخُذُونَهُ بِهَيْئَتَا وَهَيْئَتَا مُبِينًا ﴾^(١) ، فقال : كل الناس أفعه من عمره،
حتى ربات الحجال ! ألا تعجبون من إمام أخطأ وامرأة أصابت ، فاصات إمامكم ففصلته !

ومر يوما بشاب من فهران الأنصار وهو غلمان ، فاستسقاء ، فحدّث^(٢) له ماء بسبل
فلم يشربه ، وقال : إن الله تعالى يقول : ﴿ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا ﴾
فقال له الفقي : يا أمير المؤمنين ، إنها ليست لك ولا لأحد من هذه القبيلة ، اقرأ ما قبلها :
﴿ وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا ﴾^(٣) ،
فقال عمر : كل الناس أفعه من عمره !

وقيل : إن عمر كان يمسّ الليل ~~بصوت رجل وامرأة في بيت~~ ، فارتاب
فسوّر الحائط ، فوجد امرأة ورَجُلًا ، ~~وَحَدَّثَا بِنُكْحَانِهِمَا~~ ، فقال : يا عدو الله ، أكنت ترى
أن الله يترك وأنت على سمعته ! قال : يا أمير المؤمنين ، إن كنت أخطأت في واحدة
فقد أخطأت في ثلاث ؛ قال الله تعالى : ﴿ وَلَا تَجَسَّوْا ﴾^(٤) ، وقد تحسّست . وقال : ﴿ وَأَنْتُمْ
الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا ﴾^(٥) وقد نسوت ، وقال : ﴿ فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلُّوْا ﴾^(٦) ،
وما سلّمت !

وقال : مُتَمَتِّانِ كَانَتَا عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ وَأَنَا مَحْرُومُهُمَا ، وَمَعَاقِبُ عَلَيْهِمَا : مَتْعَةُ النِّسَاءِ
وَمَتْعَةُ الْحَيْضِ . وهذا الكلام وإن كان ظاهره منكراً فله عندنا مخرج وتأويل ، وقد ذكره
أصحابنا الفقهاء في كتبهم .

(٢) جدح : خلط
(٤) سورة المجرات ١٢
(٦) سورة النور ٦١

(١) سورة النساء ٢٠
(٣) سورة الأحقاف ٢٠
(٥) سورة البقرة ١٨٩

وكان في أخلاق عمر والفاظه جفاءً وغنحية طاهرة، يحسه السامع لها أنه أراد بها ما لم يكن قد أراد، ويتوهم من تحسكي له أنه قصد بها طاهراً ما لم يقصده، فمها الكلمة التي قالها في مرض رسول الله صلى الله عليه وآله، ومعاذ الله أن يقصد بها طاهرها ! ولكنه أرسلها على مقتضى حشونة غريزته ، ولم يتحفظ منها . وكان الأحسن أن يقول : « مضمور » أو « مغلوب بالمرض » ، وحاشاه أن يعنى بها غير ذلك !
ولجفاء الأعراب من هذا العنـ كثير ، سمع سليمان بن عبد الملك أعرابيا يقول في سمة قحط :

رَبُّ الْمَادِ مَا لَنَا وَمَا نَكَا قَدْ كُنْتَ تَغِيثًا فَمَا بَدَا لَكَا

• أَنْزَلَ عَلَيْنَا الْقَطْرَ لَا رَأَى لَكَا •

قال سليمان : أشهد أنه لا أب له ولا صاحبة ولا ولد ، فأحرجه أحسن مخرج ^(١) .
وعلى نحو هذا يحتمل كلامه في حديث الحديبية لما قال للنبي صلى الله عليه وآله : أَلَمْ تَقُلْ لَنَا : سَتَدْخُلُونَهَا فِي الْعَاطِ نَسْكُرُهُ حَكَايَتَهَا، حتى شكاه النبي صلى الله عليه وآله إلى أبي بكر ، وحتى قال له أبو بكر : الزَّمْ بِمَرْزِهِ ^(٢) ، فوافقه إنه لرسول الله .
وعمر هو الذي أعلق على جبلته من الأيهم حتى اضطره إلى مفارقة دار الهجرة ، بل مفارقة دار الإسلام كلها ، وعاد مرتداً داخل في دين النصرانية ، لأجل لطمه لطيماها . وقال جبلة بعد ارتداده متندماً على ما فعل :

تَنَصَّرْتُ الْأَشْرَافُ مِنْ أَجْلِ نَطْمَةٍ وَمَا كَانَ فِيهَا قَوْ صَبَرْتُ لَهَا ضَرَرًا !
فَيَا لَيْتَ أُمِّي لَمْ تَلِدْنِي وَلَيْدَتْنِي رَجَعْتُ إِلَى الْقَوْلِ الَّذِي قَالَهُ هُمَزُ

(١) الخندق الكامل ٧ : ١١٥ - بشرح الرص
(٢) الرزق الأمل : ركاب الرجل ، وفي الكلام استعارة ، والمراد بها : اتبع قوله . وفي اللسان والتهابة : « استمك بفرزه » ، ورواية ابن هشام : « الزم بمرزه » .

الأصل :

حَتَّى إِذَا مَضَىٰ سَبِيلُ ۖ جَعَلَهَا فِي سِتْرٍ زَعَمَ أَنِّي أَحَدُهُمْ ۚ فَيَأْتِيهِ وَلِشُورَىٰ
مَتَىٰ اعْتَرَضَ الرَّبُّ فِي مَعَ الْأَوَّلِ مِنْهُمْ حَتَّىٰ مِيرَتْ أَقْرَنُ إِلَىٰ هَذِهِ النَّظَائِرِ ۚ لَكِنِّي
أَسْتَفْتُ إِذْ أَسْتَفْتُوا، وَطَرْتُ إِذْ طَارُوا، فَصَارَ رَجُلٌ مِنْهُمْ لِيُضْفِيهِ، وَمَالَ الْآخَرَ لِيَصْهَرِهِ،
مَعَ هُنَّ وَهْنٍ .

التبريح :

اللام في « يافقه » مفتوحة ، واللام في « وَلِشُورَى » مكسورة ؛ لأن الأولى للمدح ،
والثانية للمدح إليه ، قال :

يَا لَرَجَالٍ لِيَوْمِ الْأَرْبَعَاءِ أَمَا بِفِكَ يُحَدِّثُ لِي بَعْدَ النَّهْيِ طَرَبًا^(١)

اللام في « للرجال » مفتوحة ، وفي « ليوم » مكسورة . وأسف الرجل ، إذا دخل في
الأمر الذي ، أصله من « أسف الطائر » إذا دنا من الأرض في طيرانه . والضغن : الحقد .
وقوله « مع هن وهن » أي مع لعمري يكن عنها ولا يصريح بذكرها ، وأكثر
ما يتصل ذلك في الشر ، قال^(٢) :

• طَلَّ هَنَوَاتٍ شَرَّهَا مُتَابِعُ •

يقول عليه السلام : إن هر لما طعن جمل الخلافة في سته ، هو عليه السلام أحدم ،
ثم تعجب من ذلك ، فقال : متى اعترض الشك في مع أبو بكر ، حتى أقرن بسد بن أبي
وقاص وعبد الرحمن بن عوف وأمثالهما لكتفى طلبت الأمر وهو موسوم بالأصاغر منهم ،
كما طلبته أولا وهو موسوم بأكابرهم ؛ أي هو حق فلا استنكف من طلبه ، إن كان للنازع
فيه جليل القدر أو صغير اللزلة .

وصفا الرجل بمعنى مال ، الصمو : الميل ، بالفتح والكسر .

(١) لبد الله بن مسلم بن جندب في الكامل ٣ : ٢٧٠ من غير نسبة ، وهو أيضا من أبيات له
رواها تلط في المجالس ٤٧٤ : وهي في مجسم اللسان ١ : ١٣٦ .
(٢) البيت في اللسان (٧٠ : ٧٤٣) من غير نسبة ، وأوله :

• أَرَىٰ ابْنَ تَزَلِي قَدْ جَفَانِي وَمَلَنِي •

[قصة الشورى]

وصورة هذه الواقعة أن عمر لما علمه أبو لؤلؤة ، وعلم أنه ميت ، استشار فيمن يوليّه الأمر بعده ، فأشير عليه بابنه عبدالله ، فقال : لاها الله إنا لا يليها رجلان من ولد الخطاب ! حسب عمر ما حمل ! حسب عمر ما احضب ، لاها الله ! لا تحملها حيا وميتا ! ثم قال : إن رسول الله مات وهو راض عن هذه الستة من قريش : علي ، وعثمان ، وطلحة ، والزبير ، وسعد ، وعبد الرحمن بن عوف ؛ وقد رأيت أن أجعلها شورى بينهم ليختاروا لأنفسهم . ثم قال : إن استخلف فقد استخلف من هو خير مني - يعني أبا بكر - وإن أترك فقد ترك من هو خير مني - يعني رسول الله صلى الله عليه وآله - ثم قال : ادعهم لي ، فدعهم ، فدخلوا عليه وهو ملق على فراشه يمجد بنفسه .

فتنظر إليهم ، فقال : أكلستم بطعم في الليلة مدى ! فوجهوا ، فقال لهم ثانية ، فأجابه الزبير وقال : وما الذي يسعدنا منها ! ولينها أنت تفتت بها مولانا دونك في قريش ولا في السابقة ولا في القرابة .

- قال الشيخ أبو عثمان الجاحظ : وأقبحه لولا علمه أن عمر يموت في مجلسه ذلك لم يقدم على أن يفوه من هذا الكلام بكلمة ، ولا لئن ينس منه بلفظة -

فقال عمر : أفلا أخبركم عن أنفسكم ! قال : قل ، فإننا لو استغفيناك لم نعتنا ، فقال : أما أنت يا زبير فوقع لقيس^(١) ، مؤمن الرضا ، كافر الغضب ، يوما إنسان ، ويوما شيطان ، ولعلها لو أفقت إليك ظلمت يومك تلام بالبطحاء على مدبر من شعير ! أفرأيت إن أفقت إليك ! فليت شعري ، من يكون للناس يوم تكون شيطانا ، ومن يكون يوم تغضب ! وما كان الله ليجمع لك أمر هذه الأمة ، وأنت على هذه الصفة .

ثم أقبل على طلحة - وكان له سبيحا منذ قال لأبي بكر يوم وفاته ما قال في عمر - فقال له : أقول أم أسكت ! قال : قل ، فإنك لا تقول من انطير شيئا ، قال : أما إنني أعرفك منذ أصيبت ! أصيبك يوم أحد والباؤ^(٢) الذي حدث لك ، وقد مات رسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) الومق : الصجر القديم ، والقيس : من لا يستقيم على وجه .

(٢) الباؤ : الكبر والفتور . ونقل صاحب السان من ألفباء : وفي طلحة ماواة .

ساخطا عليك بالكلمة التي قنتها يوم أنزلت آية الحجاب .

قال شيخنا أبو عثمان الجاحظ رحمه الله تعالى : الكلمة المذكورة أن طلحة لما أنزلت آية الحجاب قال بمحضر من نزل عنه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما الذي يفنيه حجابهن اليوم ! وسيوت غدا فسيكحهن . قال أبو عثمان أيضا : لو قال لعمر قائل : أنت قلت : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم مات وهو راض عن الستة ، فكيف تقول الآن لطلحة إنه مات عليه السلام ساخطا عليك للكلمة التي قنتها ! لكان قد رماء بمشاقصه ^(١) ، ولكن من الذي كان يحسر على عمر أن يقول له : دون هذا ، فكيف هذا !

قال : ثم أقبل على سعد بن أبي وقاص فقال : إنا أنت صاحب مقب ^(٢) من هذه اللقائب ، تقاتل به ، وصاحب قنص وقوس ^(٣) وأسهم ، ومارهرة ^(٤) والخلافة وأمور الناس ! ثم أقبل على عبد الرحمن بن عوف فقال : وأما أنت يا عبد الرحمن ، فلو وزن نصف إيمان المسلمين بإيمانك لرجع إيمانك به ، فكيف ليس يصح هذا الأمر لمن فيه ضعف كصفك ، وما زهرة وهذا الأمر ^(٥) . ثم أقبل على علي عليه السلام ، فقال : لله أنت لولا دُعابة فيك ! أما والله لن وليتهم لتعلمتهم على الحق الواضح ، والمحجة البيضاء .

ثم أقبل على عثمان ، فقال : هيبا إليك ! كأي بك قد قدرتك قريش هذا الأمر لحبها إليك ، فحملت بنى أمية وبنى أبي مُعيط على رقاب الناس ، وآثرتهم بالي . فارت إليك عصاية من ذؤبان العرب ، فذبحوك على فراشك ذبحاً . والله لئن فعلوا لتفعلن ، ولئن فعلت ليفعلن . ثم أخذ بخاصيته ، فقال : فإذا كان ذلك فاذكر قولي ! فإنه كائن .

ذكر هذا الخبر كله شيخنا أبو عثمان في كتاب " النهاية " ^(٦) ، وذكره جماعة غيره في باب فراسة عمر . وذكر أبو عثمان في هذا الكتاب عقيب رواية هذا الخبر قال : وروى

(١) الشاقص : جمع مشقص : وهو صل السهم إذا كان طويلا

(٢) المقب : جماعة الخيل . (٣) رهرة : قبيلة سعد بن أبي وقاص .

(٤) في السحوى ٣ : ٢٥٣ أن الجاحظ ألف كتابا في نصرة معاوية بن أبي سفيان .

معمربن سليمان النخعي عن أبيه عن سعيد بن المسيب عن ابن عباس ، قال : سمعت عمر بن الخطاب يقول لأهل الشورى : إنكم إن تعاونتم وتوازرتم وتناصحتم اكتسبوا وأولادكم ، وإن تحاسدتم وتقاعدتم وتدابرتم وتباغضتم ، غلبكم على هذا الأمر معاوية بن أبي سفيان . وكان معاوية حينئذ أمير الشام .

ثم رجع بنا الكلام إلى تمام قصة الشورى . ثم قال : ادعوا إلى أبا طلحة الأنصاري ، فذهوه له فقال : انظر يا أبا طلحة ، إذاعدتم من خفرتي ، فكأن في خمسين رجلا من الأنصار حاملي سيوفكم ، فذهولاء نفر بامضاء الأمر وتمعيله ، واجمعهم في بيت ، وقف بأصعابك على باب البيت ليتشاوروا ويختاروا واحداً منهم ، فإن اتفق خمسة وآبى واحد فاضرب عنقه ، وإن اتفق أربعة وآبى اثنان فاضرب أحدهما ، وإن اتفق ثلاثة وخالف ثلاثة ، فانظر الثلاثة التي فيها عبد الرحمن ، فارجع إلى ما قد اتفقت عليه ، فإن أصرت الثلاثة الأخرى على خلافها فاضرب أحدها ، وإن مضت ثلاثة آباء ولم يتفقوا على أمر ، فاضرب أحدها ، ودع المسلمين يختاروا لأنفسهم .

فلما دُفن عمر ، جمعهم أبو طلحة ، ووقف على باب البيت بالسيف في خمسين من الأنصار ، حاملي سيوفهم ، ثم تكلم القوم ونازعوا ، فأول ما عمل طلحة أنه أشهدهم على نفسه أنه قد وهب حقه من الشورى لعثمان ، وذلك لعلمه أن الناس لا يبدلون به علياً وعثمان ، وأن الخلافة لا تخلص له وهذان موجودان ، فأراد تقوية أمر عثمان وإضافته جانب علي عليه السلام ، بهبة أمر لا انتفاع له به ، ولا تمسك له منه .

فقال الزبير في معارضته : وأما أشهدكم على نفسي أنني قد وهبت حقي من الشورى لعلي ؛ وإنما فعل ذلك لأنه لما رأى علياً قد ضعف وانغزل بهبة طلحة حقه لعثمان ، دخلته حمية النسب ، لأنه ابن عمه أمير المؤمنين عليه السلام ، وهي صفية بنت عبد المطلب ، وأبو طالب خاله . وإنما مال طلحة إلى عثمان لانحرافه عن علي عليه السلام ، باعتبار أنه

تَيْمٍ ، وابنُ عمِّ أبي بكرٍ الصديق ، وقد كان حصلَ في نفوسِ بني هاشم من بني تَيْمٍ حَقٌّ شديدٌ لأجلِ الخلافةِ ، وكذلك صار في صدور تَيْمٍ على بني هاشم ؛ وهذا أمرٌ مركوزٌ في طبيعة البشر ، وخصوصاً طينة العرب وطباعها ، والتعربة إلى الآن تحقق ذلك ؛ فبقى من الستة أربعة .

فقال سعد بن أبي وقاصٍ : وأما قد وهتُ حقِّي من الشورى لابنِ عمِّي عبدالرحمن - وذلك لأنهما من بني زُهرة ، ولعلم سعد أن الأمر لا يتمُّ له - فلما لم يبقَ إلا الثلاثة . قال عبدالرحمن لعليٍّ وعثمان : أَيْسَكَا يُخْرِجُ نَفْسَهُ مِنَ الْخِلَافَةِ ، وَيَكُونُ إِلَيْهِ الْاِخْتِيَارُ فِي الْاِثْنَيْنِ الْبَاقِيَيْنِ ؟ فلم يكلمهما أحدهما ، فقال عبد الرحمن : أشهدُكم أنني قد أخرجتُ نفسي من الخلافةِ على أن أختارَ أحدهما . فقامَا . فبدأ عليٌّ عليه السلام ، وقال له : أبايعك على كتاب الله ، وسنة رسوله ﷺ ، وسهرم الشيعين : أبي بكر وعمر . قال : بل على كتاب الله وسنة رسوله واختيار أبي . فقبل منه إلى عثمان ، عرض ذلك عليه ، فقال : سم ، فعاد إلى عليٍّ عليه السلام ، فأعاد قوله : فقبل ذلك عبد الرحمن ثلاثاً ، فلما رأى أن علياً غير راجع عما قاله ، وأن عثمان يُسِمُّ له ^(١) بالإجابة ، صفق ^(٢) على يد عثمان ، وقال : السلامُ عليك يا أمير المؤمنين ، فيقال : إن علياً عليه السلام قال له : والله ما فعلتها إلا لأنك رجوتَ منه مارجاً صاحبك من صاحبه ، دقَّ الله بينكما عِطْرَ مَنْشَمٍ ^(٣) .

فقبل : ففسد بعد ذلك بين عثمان وعبد الرحمن ، فلم يكلم أحدهما صاحبه حتى مات عبد الرحمن .

(١) أَسَمُّ لَهُ ؟ إِذَا قَالَ جَبِيحاً لِمَنْ .

(٢) يُقَالُ : صَفَّقَ يَدَهُ بِأَلْيَتِهِ وَعَلَى يَدِهِ صَفْقاً ، أَيْ صَرَبَ يَدَهُ عَلَى يَدِهِ .

(٣) قَالَ الْأَسْمَعِيُّ : مَنْشَمٌ ، بِكَسْرِ الشَّيْنِ : اسْمُ امْرَأَةٍ كَانَتْ بِمَكَّةَ عَطْلَرَةً ، وَكَانَتْ خِرَاعَةً وَجَرَمَ إِذَا أَرَادُوا الْقِتَالَ تَطَيَّبُوا مِنْ طَلِيحِهَا ، وَكَانُوا إِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ كَثَرَتْ الْقَتْلُ فِيهَا بَيْنَهُمْ ، فَكَانَ يُقَالُ : أَشَامَ مِنْ عَطْرِ مَنْشَمٍ ؟ فَصَارَ مَثَلًا . صَاحِبُ الْجَوْهَرِيِّ ٢٠٤١٤

ثم نرجع إلى تفسير ألفاظ الفصل :

أما قوله عليه السلام : « فصنا رجل منهم لصيفته » ، فإنه يعني طلعة . وقال القطب الراوندى : يعني سعد بن أبي وقاص ؛ لأنّ علياً عليه السلام قتل أباه يوم بدر . وهذا خطأ فإنّ أباه أبو وقاص ، واسمه مالك بن أبيب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب ؛ مات في الجاهلية حتف أخيه .
وأما قوله : « ومال الآخر لصهره » يعني عبد الرحمن مال إلى عثمان ، لأنّ أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط كانت تحتّه ، وأمّ كلثوم هذه هي أخت عثمان من أمّه أروى بنت كرز .

وروى القطب الراوندى أنّ عمر لما قال : « كونوا مع الثلاثة التي عبد الرحمن فيها ، قال ابن عباس لملىّ عليه السلام : ذهب الأمر منا ، الرجل يريد أن يكون الأمر في عثمان . فقال عليّ عليه السلام : وأنا أعلم ذلك ، ولكني أدخل معهم في الشورى ، لأنّ عمر قد أهانى الآن للخلافة ، وكان قبل ذلك »^(١) يقول : إن رسول الله صلى الله عليه وآله قال : إن النبوة والإمامة لا يمتثلان في بيت ، فإنا^(٢) أدخل في ذلك لأنظير للناس مناقضة فعله لروايته .

الذي ذكره^(٣) الراوندى غير معروف ، ولم يتقلّ عمر هذا عن رسول الله صلى الله عليه ، ولكنه قال لعبد الله بن عباس يوماً : يا عبد الله ، ما تقول منع قومك منك^(٤) ؟ قال : لا أعلم يا أمير المؤمنين ، قال : اللهم غفر ! إن قومك كرهوا أن يجتمع لكم النبوة والخلافة ، فذهبون في السماء بُذخاً وشُخفاً ، ولكم تقولون : إن أبا بكر أراد الإنابة عليكم وهضمكم إكلًا ، لكنه حضره أمر لم يكن عنده أحزم مما فعل ، ولولا رأى أبي بكر

(١) كلمة « ذلك » سائلة من ب .

(٢) ١ : « وأنا » . (٣) ب : « روله » .

(٤) كذا في الأصول ، وربما كانت كلمة « تقول » مضافة ، أو تكون بمعنى الظن . وفي تاريخ الطبري : « أئدري ما منع قومك منك » .

في بعد موته لأعاد أمركم إليكم ، ولو فعل ما هناكم مع قومكم ، إنهم لينظرون إليكم نظر الثور إلى جازره .

فأما الرواية التي جاءت بأن طلحة لم يكن حاضرا يوم الثوري ، فقلت صحت فذو الضنن هو سعد بن أبي وقاص ، لأن أمه حنّة بنت سفيان بن أمية بن عبد شمس ، والصنينة التي عنده على عيب السلام من قبل أخواله الذين قتل صناديدهم ، وتقلد دعاءهم ؛ ولم يُعرف أن عليا عليه السلام قتل أحدا من بني زهرة لينسب الضنن إليه .

•••

وهذه الرواية هي التي اختارها أبو جعفر محمد بن جوير الطبري صاحب " التاريخ " قال : لما طعن عمر^(١) قيل له : لو استخلفت [يا معاوية للزمتين] قال : [من أمتخلف؟]^(٢) لو كان أبو عبيدة حيا لاستخلفته^(٣) وقلت لربي لو سألتني سمعت بيك يقول : « أبو عبيدة أمين هذه الأمة »^(٤) ولو كان سالم موليا أبي حذيفة حيا استخلفته ، وقلت لربي إن سألتني سمعت نبيك عليه السلام يقول : « إن سالما شديد الحب لله » ، فقال له رجل : قل^(٥) عبد الله بن عمر ، فقل : قاتلك الله ! والله ما الله أردت بهذا الأمر [ومحك] كيف استخلف رجلا مبرز من طلاق امرأته إلا أربى لعمري خلافتكم^(٦) ، ما جدتها فأرغب فيها لأحد من أهل بيتي ؛ إن نك خيرا فقد أصبنا منه ، وإن نك شرا^(٧) يُصرف عنا^(٨) . حسب آل عمر أن يحاسب منهم [رجل] واحد ، ويُسأل عن امرأته محمد .

فخرج للناس من عنده ، ثم راحوا إليه فقالوا له : لو عهدت هذا قال : قد كنت أجهت بعد مقاتلي [لكم]^(٩) أن أولي أمركم رجلا هو أحرأكم أن يحملكم على الحق .

(١) تاريخ الطبري ٤ : ٧٧٧ وما بعدها (طبع دار المعارف) مع تصرف واختصار

(٢) تسكعة من تاريخ الطبري (٣) الطبري : « استخلفته »

(٤) الطبري : « أدلك عليه » عبد الله بن عمر . (٥) الطبري : « فإن سألتني ربي قلت . . . »

(٦) الطبري : « إنه أمين هذه الأمة » (٧) الطبري : « أموركم » .

(٨) في الطبري : « فصرفنا آل عمر » .

وأشار إلى عليّ عليه السلام - فرهقنني غشبة ، فرأيت رجلا يدخل جنة [قد غرسها] ^(١) فجعل يقطع كل غصنة ويأنة ؛ فيضتها إليه ، ويصيرها تحت ، تخفت أن احتملها حيا وميتا ، وعلمت أن الله غالب أمره عليكم بالرحمة الذي قال رسول الله عنهم : إنهم من أهل الجنة ، ثم ذكر نخبة : عليا ، وعثمان ، وعبد الرحمن ، والزبير ، وسعدا .

- قال : ولم يذكر في هذا المجلس طلعة ، ولا كان طلعة يومئذ بالمدينة -

ثم قال لم : انهضوا إلى حجرة عائشة فتشاوروا فيها ، ووضع رأسه وقد نزفه الدم ، فقال العباس لمي عليه السلام : لا تدخل معهم ، وارفع نفسك عنهم ، قال : إني أكره الخلاف ، قال : إذن ترى ما تكره ، فدخلوا الحجرة فتناجوا حتى ارتفعت أصواتهم ، فقال عبد الله بن عمر : إن أمير المؤمنين لم يمت بعد ، فقيم هذا القسط وانته عمر ، وسمع الأصوات ، فقال : ليصل بالناس صليب ، ولا يأتين اليوم الرابع من يوم موتي إلا وعليكم أمير ، وليحضر عبد الله بن عمر بن الخطاب ، فقيم هذا القسط وانته عمر ، وسمع الأصوات ، فقال : ليصل بالناس صليب ، ولا يأتين اليوم الرابع من يوم موتي إلا وعبيد الله شريككم في الأمر ، فإن قدم إلى ثلاثة أيام فأحضروه أمركم ، وإلا فأرضوه ، ومن لي برضا طلعة فقال سعد : أنا لك به ، ولن يخالف إن شاء الله تعالى .

ثم ذكر وصيته لأبي طلحة الأنصاري وما حص به عبد الرحمن بن عوف من كونه الحق في الفتنة التي هو فيها وأمره بقتل من يخالف ، ثم خرج الناس فقال علي عليه السلام لقوم معه من بني هاشم : إن أطيع فيكم قومكم من قريش لم تؤمروا أبدا .

وقال العباس : عدل بالأمر عني يا عم . قال : وما عدلك ؟ قال : قرن لي عثمان . وقال عمر : كونوا مع الأكثر ، فإن رضى رجلان رجلا ورجلان رجلا ، فكونوا مع الذين فيهم عبد الرحمن ، فسعد لا يخالف ابن عمه ، وعبد الرحمن صهر عثمان لا يختلفان ، فيوليها أحدهما الآخر ، فلو كان الآخران معي لم يفتنيا شيئا . فقال العباس : لم أدفئك إلى شيء إلا رجعت إلى

مستأخرا بما أكره ، أشرت عليك عند مرض رسول الله صلى الله عليه أن تسأله عن هذا الأمر فيمن هو فأيت ، وأشرت عليك عند وفاته أن تماجل البيعة^(١) فأيت ، وقد أشرت عليك حين سمالك عمر في الشورى اليوم أن ترفع نفسك عنها ، ولا تدخل معهم فيها فأيت ، فاحفظ عني واحدة ؛ كلما عرض عليك القوم الأمر قتل : لا ، إلا أن يولوك . واعلم أن هؤلاء لا يبرحون يدفعونك عن هذا الأمر حتى يقوم لك به غيرك ، وإيم الله لا تناله إلا بشر لا ينفع منه خير . فقال عليه السلام : أما إني أعلم أنهم سيولون عثمان ، وليعدين البدع والإحداث ، ولن يبق لأذكرك ، وإن قتل أو مات ليعداولتها بنو أمية بينهم ، وإن كنت حبا لتجدني حيث تكرهون ، ثم تمثل :

حَلَلْتُ بِرَبِّ الرَّاقِصَاتِ عَشِيَّةً غَدَوْنَ خِطَاةً يَبْتَغُونَ الْحَصْبَا^(٢)

ليختلبن رطم ابن بصر غداة^(٣) يحميها بنو الشداخ ورذا مصلبا

قال : ثم التفت فرأى أبا طلحة الأيماري ، فكره مكانه ، فقال أبو طلحة : لا ترع أبا حسن . فلما مات عمر ودفن وخلوا أنفسهم للمشاورة في الأمر ، وقام أبو طلحة يجمعهم بباب البيت ، جاء عمرو بن العاص والمغيرة بن شعبة ، فجلسا بالباب ، فحصبهما سعد وأقامهما ، وقال : إنما تريدان أن تقولاً حصرنا وكنا في أصحاب الشورى .

فتنافس القوم في الأمر وكثر بينهم الكلام ، فقال أبو طلحة : أنا كنت لأن تدافعوها أخوف مني عليكم أن تنافسوها ! أما والذي ذهب بنفس عمر لا أزيدكم على الأيام الثلاثة التي وقفت لكم ، فاصنعوا ما بدا لكم !

قال : ثم إن عبد الرحمن قال لابن عمه سعد بن أبي وقاص : إني قد كرهتها ، وسأخلع نفسي منها ، لأنني رأيت الليلة رؤضة خضراء كثيرة العشب ، فدخل فخل مارأيت

(٢) الطبري : « فاجتدون » .

(١) الطبري : « الأمر » .

(٣) الطبري : ليختلبن رطم ابن بصر مارأيا ، وابن الأثير ٣ : ٣٦ : « ليختلبن رطم ابن بصر

فارسا » .

أكرم منه ، فركانه منهم لم يلتفت إلى شيء منها حتى قطعها ، لم يخرج ، ودخل بعير يتلوه تابع أثره ، حتى خرج منها . ثم دخل ففعل عبقرى يجر خطامه ، ومضى قصد الأولين ، ثم دخل بعير رابع ، فوقع في الروضة يرتع ويخضم . ولا والله لا أكون الرابع ؛ وإن أحدا لا يقوم مقام أبي بكر وعمر فيرضى للناس عنه .

ثم ذكر خلع عبد الرحمن نفسه من الأمر ، على أن يوليها أفضلهم في نفسه ، وأن عثمان أجاب إلى ذلك ، وأن عليا عليه السلام سكت ، فلما روجع رضى على موثق أعطاه عبد الرحمن ؛ أن يؤثر الحق ، ولا يتبع الهوى ، ولا يخص ذارحم ، ولا يلو الأمة نصبا ، وأن عبد الرحمن رد القول بين علي وعثمان متلوفا ، وأنه خلا بسد تارة ، وبالسور بن غمرة الزهرى تارة أخرى ، وأحبال غمكرة ، وأعمل نظره ، ووقف موقف الحائر بينهما قال : قال علي عليه السلام لسعد بن أبي وقاص : يا سعد ، ﴿ اتقوا الله الذي تسألون به والأرحام ﴾ ، أسألك برحم أبي هذا من رسول الله صلى الله عليه وسلم وبإرحم منى حمزة منك ، ألا تكون مع عبد الرحمن لصيان خيرى .

قلت : رحيم حمزة من سعد ، هي أن أم حمزة هالة بنت أمي بن عبد مناف ابن زهرة ؛ وهي أيضا أم القوهم وحجفل - واسمه الغيرة - والفيذاق أبناء عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف ؛ هؤلاء الأربعة بنو عبد المطلب من هالة ، وهالة هذه هي حمة سعد بن أبي وقاص ؛ فحمزة إذن ابن حمة سعد ؛ وسعد ابن خال حمزة -

قال أبو جعفر : فلما آتى اليوم الثالث تجتمع عبد الرحمن ، واجتمع الناس كافة ، فقال عبد الرحمن : أيها الناس ، أشيروا على في هذين الرجلين . فقال عمر بن ياسر : إن أردت ألا يختلف الناس ، فبايع عليا عليه السلام ، فقال للقداد : صدق عمار ، وإن بايسته عليا سمعنا وأطعنا . فقال عبد الله بن أبي سرح : إن أردت ألا يختلف قريش ،

فبايع عثمان . وقال عبدالله بن أبي ربيعة الخزومي : صدق ، إن بايعت عثمان سمعنا وأطعنا .
 فشم عمار ابن أبي سرح ، وقال له : متى كنت تنصح الإسلام ^(١) ؟
 فحكم بنو هاشم وبنو أمية ، وقام عمار ، فقال : أيها الناس ، إن الله أكرمكم بنبيه ،
 وأعزكم بدينه ، فإني متى تصرفون هذا الأمر عن أهل بيت نبيكم ! فقال رجل من
 بني مخزوم : لقد عدّدت طورك يا بن سمية ، وما أنت وتأمير قريش لأنفسها ! فقال
 سعد : يا عبد الرحمن ، افزع من أمرك قبل أن يفتن الناس . فحينئذ عرض عبد الرحمن
 على علي عليه السلام العمل بيرة الشيخين ، فقال : بل أجهد برأيي . فبايع عثمان بعد
 أن عرض عليه فقال : نعم . قال علي عليه السلام : ليس هذا بأول يوم تظاهرتُم فيه
 علينا ، فصبر جميل والله للثمان على ما تصفون ؛ والله ما وليته الأمر إلا ليرده إليك ،
 والله كل يوم في شأن .



فقال عبد الرحمن : لا يحملن على ذلك سبيلا يا علي . يعني أمر عمر أبا طلحة
 أن يضرب عنق الخوارج . فقام علي عليه السلام فخرج ، وقال : سيبلغ الكتاب أجله ،
 فقال عمار : يا عبد الرحمن ، أما والله لقد تركته ، وإنه من الذين يقضون بالحق وبه
 كانوا يعدلون . فقال للقداد : تافه ما رأيت مثل ما آتى إلى أهل هذا البيت بعد نبيهم ،
 واجبا لقريش ! لقد تركت رجلا ما أقول ولا أعلم أن أحدا أقضى بالعدل ولا أعلم ولا
 أتق منه ! أما والله لو أجد أعوانا ! فقال عبد الرحمن : اتق الله يا قداد ، فإني خائف عليك الفتنة .
 وقال علي عليه السلام : إني لأعلم ما في أنفسهم ؛ إن الناس ينظرون إلى قريش ،
 وقريش تنظر في صلاح شأنها ، فنقول : إن ولي الأمر بنو هاشم لم يخرج منهم أبدا ،
 وما كان في غيهم فهو متداول في بطون قريش .
 قال : وقدم طلحة في اليوم الذي بوجع فيه لعثمان فتلكأ ساعة ، ثم بايع .



وروى أبو جعفر رواية أخرى أطالها ، وذكر خطب أهل الشورى وما قاله كل منهم ، وذكر كلاما قاله علي عليه السلام في ذلك اليوم ، وهو :

الحمد لله الذي اختار محمداً منا نبياً ، وابتعث إلينا رسولا ، فنعن أهل بيت النبوة ، وسعدن الحكمة ؛ أماناً لأهل الأرض ، ونجاة لمن طلب ؛ إن لنا حقاً إن نعمته ، فأخذه ، وإن نعمته نركب أعجاز الإبل وإن طال الشرى ، لو عهد إلينا رسول الله صلى الله عليه وآله عهداً لأفذننا عهده ، ولو قال لنا قولاً لجأنا عليه حتى نموت . لن يسرع أحد قبل إلى دعوة حتى وصله رجم ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم . اسمعوا كلامي ، وغوا منطقي ، عسى أن تروا هذا الأمر بعد هذا الجمع تُنتفضي فيه السيوف ، ومخاض فيه اليهود ؛ حتى لا يكون لكم جماعة ، وحتى يكون بعضكم آئمة لأهل الصلاة وشيعة لأهل الجهاد .



بسم الله الرحمن الرحيم

قلت : وقد ذكر المروئي^(١) في كتاب " الجمع بين الفريقين " قوله : « وإن نعمته نركب أعجاز الإبل » ، وفسره على وجهين :

أحدهما : أن من ركب عَجَزَ البعير بعاني مشقة ، ويقاس جهداً ، فكأنه قال : وإن نعمته نصبر على المشقة ؛ كما يصبر عليها راكبُ عَجَزَ البعير .

والوجه الثاني أنه أراد : تتبع غيرنا ، كما أن راكبَ عَجَزَ البعير يكون رديفاً لمن هو أمامه ، فكأنه قال : وإن نعمته تتأخر وتتبع غيرنا كما يتأخر راكب البعير .

• • •

(١) هو أبو سعيد أحمد بن محمد المروئي ، صنف كتاباً في الجمع بين الفريقين والحدِيث .

وقال أبو حلال العسكري في كتاب "الأوائل" : استجيت دعوة علي عليه السلام في عمان وعبد الرحمن ، فاما ما لا مشاهرين متعددين . أرسل عبد الرحمن إلى عمان بعائيه وقال لرسوله : قل له : لقد وليتك ما وليتك من أمر الناس ، وإن لي لأمورا ما هي لك : شهدت بدرا وما شهدتها ، وشهدت بيعة الرضوان وما شهدتها ، وقررت يوم أحد وصبرت ! فقال عثمان لرسوله : قل له : أما يوم بدر فإن رسول الله صلى الله عليه وآله ردفني إلى ابنته لما بهامن الرض ، وقد كنت خرجت للذي خرجت له ، ولقيته عند منصرفه ، فبشرني بأجر مثل أجوركم ، وأعطاني سهما مثل سهامكم . وأما بيعة الرضوان فإنه صلى الله عليه وآله بعثني استأذن قريشا في دخوله إلى مكة ، فما قيل له : إني أقتل ، بايع المسلمين على الموت لما سمعته عنى ، وقال : إن كان حيا فأنا أبايع عنه ، وصفق بإحدى يديه على الأخرى ، وقال : يا رب خير من يعين عثمان ، فبذلك أفضل أم بد رسول الله صلى الله عليه وآله عليه ! وأما صبرك يوم أحد وفرادى ، فقد كان ذلك ، فأنزل الله تعالى العفو عني في كتابه ، فميرتني بذهب غفره الله لي ، ونسيت من ذنوبك ما لا تدري أغفر لك أم لم يغفر !

لما بنى عثمان قصره طمار^(١) بالزوراء ، وصنع طعاما كثيرا ، ودعا الناس إليه ، كان فيهم عبد الرحمن ، فلما نظر البناء والطعام قال : يا بن عثمان ، لقد صدقنا عليك ما كنا نكذب فيك ، وإنى أستعيز بأقرب من يستك . غضب عثمان ، وقال : أخرجته عنى بإغلام ، فأخرجوه ، وأمر الناس ألا يحال سوء ، فلم يكن يأتيه أحد إلا ابن عباس ، كان يأتيه فيتعلم منه القرآن والقرآن . ومرض عبد الرحمن فعاده عثمان وكلمه فلم يكلمه حتى مات .

• • •

(١) طمار : موضع عند سوق المدينة ، ذكره ياقوت .

الأصل :

إلى أن قام ثالث القوم نافعاً حصني، بين يديه ومعتلّفه، وقام معه بتوابيه
يخضمون مال الله خضم الإبل نبتة الرّبيع ؛ إلى أن انتكث قتله، وأجهز عليه
عمله، وكبت به بطنته .

الشرح :

نافعاً حصني: رافعاً لها، والحصن: ما بين الإبط والكشح، يقال للتكبر: جاء نافعاً
حصني، ويقال لمن امتلأ بطنه طعاماً: جاء نافعاً حصني، ومراده عليه السلام هذا الثاني.
والنتيل: الروث. والمعتلف: موضع الملف؛ يريد أن همه الأكل والرجيع، وهذا من
معضة القدم، وأشد من قول الحطيئة الذي قيل: **لله أهى بيت للعرب:**

دع التّكريم لا ترّحل لبنيها **وأقذ فإبك أنت الطائم الكاسي** (١)
وانضم: أكل بكلّ، التّم: هو ضمّ الحنجر وهو الأكل بأطراف الأسنان. وقيل:
انضمّ أكل الشيء الرطب، والقضم أكل الشيء اليابس؛ وللراد على التفسيرين
لا يختلف، وهو أنهم على قدم عظيمة من النّهم وشدة الأكل وامتلاء الأفواه. وقال
أبو ذرّ رحمه الله تعالى عن أبي أمية: يحصمون ونقص، والموعداً، ولما مضى خصه .
بالكسر، ومثله قضيت .

والنبتة، بكسر النون كالأبواب، تقول: نبت الرطب نباتاً ونبتة. وانتكث قتله:
انتقض؛ وهذه استعارة. وأجهز عليه عمله: تم قتله. يقال: أجهزت على الجريح، مثل
ذقت، إذا أتممت قتله وكبت به بطنته، كبا الجواد، إذا سقط لوجهه. والبطنة: الإسراف
في الشّبع .

• • •

[تَف من أخبار عثمان بن عفان]

وثالث القوم هو عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف،
كنيته أبو عمرو، وأمه أروى بنت كرز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس.

بابه الناس بعد انقضاء الشورى واستقرار الأمر له، وصحّت فيه فِرَاسة عمر، فإنه أوطأ
بني أمية رقاب الناس، وولاهم الولايات وأقطعهم القطائع، وافتتحت إفرقيّة في أيامه،
فأخذ الخمس كلّه فوهه لروان، فقال عبد الرحمن بن حنبل الجعفي:

أخلفُ بالله ربَّ الأنام ما تركَ اللهُ شيئاً سُدَى

ولكن خلقت لسافنة لكي ينسل بك أو تبلى

فإن الأمتين قد بيّنتا منارَ الطريقِ عليهِ الهدى

فما أخذنا درهما غيلة ولا جعلنا دِرهما في هوى

وأعطيت مروان خمسَ الألبان قتيلاً من سفيك ممن سعى

الأميّان : أبو بكر وعمر.

وطلب منه عبد الله بن خالد بن أسيد صِلّة، فأعطاه أربعمائة ألف درهم.
وأعاد الحكم بن أبي العاص، بعد أن كان^(١) رسول الله صلى الله عليه وآله قد سيّره ثم
لم يردّه أبو بكر ولا عمر؛ وأعطاه مائة ألف درهم.

وتصدق رسول الله صلى الله عليه وآله بموضع سوق المدينة بمرف بمهزور على
للسين، فأقطعه عثمان الحارث بن الحكم أخا مروان بن الحكم.

وأقطع مروان فذلك^(٢)، وقد كانت فاطمة عليها السلام طلبتها بعد وفاة أبيها صلوات الله

(١) كلمة دكان : سافطة من م

(٢) فذلك : قرية بالحجاز بينها وبين المدينة يومان؛ أفادها الله على رسوله في سنة سبع صلحا، وذلك
أن النبي صلى الله عليه وسلم لما نزل حير، وفتح حصونها، ومضى إلى مكة، واشتد بهم الحصار،
وأسلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يسألونه أن ينزلهم على الحلاء، ونزل، وبلغ ذلك أهل مكة،
فأرسلوا إلى رسول الله أن يصلحهم على الصف من ثمارهم وأموالهم فأجابهم إلى ذلك؛ فمضى بما لم يوجب
عليه بخيل ولا ركاب، فكانت خالصة لرسول الله صلى الله عليه وسلم. معجم البلدان ٦ : ٣٤٣.

عليه ، تارة باليراث ، وتارة بالنحلة فدُفِنتَ عنها .

وحسب الراعى حول المدينة كلها من مواشى المسلمين كلهم إلا عن بنى أمية .

وأعطى عبد الله بن أبي سرح جميع ما أفاء الله عليه من فتح إفريقية بالمغرب - وهى من طرابلس الغرب إلى طنجة - من غير أن يشرّكه فيه أحد من المسلمين .

وأعطى أبا سفيان بن حرب مائتى ألف من بيت المال ، فى اليوم الذى أمر فيه مروان بن الحكم بمائة ألف من بيت المال ، وقد كان زوجته ابنته أم أمان ، نجاء زيد بن أرقم صاحب بيت المال بالمعاليح ، فوضعا بين يدي عثمان وبكى ، فقال عثمان : أتبكي أن وصلتُ رَحِمِي ! قال : لا ، ولكن أبكى لأنى أظنك أنك أخذتَ هذا المال عوضاً عما كنتَ أنفقته فى سبيل الله فى حياة رسول الله صلى الله عليه وآله . والله لو أعطيتُ مروان مائة درهم لكان كثيراً ، فقال : **ألقى المفتاح** **بأن أرقم** ؛ فإننا ستجد غيرك .

وأناه أبو موسى بأموال من العراق جليلة ، **فقسّمها كلها** **فى بنى أمية** . وأنكح الحارث ابن الحكم ابنته عائشة ، فأعطاه مائة ألف من بيت المال أيضاً بعد صرفه زيد بن أرقم من خزنه .

وانضمّ إلى هذه الأمور أمور أخرى قصها عليه المسلمون ، كتفسير أبى ذر رحمه الله تعالى إلى الرّيدة ؛ وضرب عبد الله بن مسعود حتى كسر أضلاعه ، وما أظهر من الحجاب والعدول عن طريقة عمر فى إقامة الحدود وردّ اللطام ، وكف الأبدى العادية ، والانقلاب لسياسة الرعية ، وختم ذلك ما وجدوه من كتابه إلى معاوية ^(١) بأمره فيه قتل قوم من المسلمين ، واجتمع عليه كثير من أهل المدينة مع القوم الذين وصلوا من مصر لتعديداً أحداثه عليه فقتلوه . وقد أجاب أصحابنا عن المطاعن فى عثمان بأجوبة مشهورة مذكورة فى كتبهم . والذى خول يحسن : إنها وإن كانت أحداثاً ، إلا أنها لم تبلغ المبلغ الذى يستباح به دمه ،

(١) كذا فى جميع الأصول ؛ ويرى الأستاذ مكى السيد جاسم أن الصحيح أن الكتاب الذى وجدوه معه موجه لى عبد الله بن أبى سرح لا إلى معاوية .

وقد كان الواجب عليهم أن يخلعوه من الخلافة حيث لم يستلحوه لها ، ولا يجعلوا بقتله ،
وأمر المؤمنين عليه السلام أبرأ الناس من دمه ، وقد صرح بذلك في كثير من كلامه ؛
من ذلك قوله عليه السلام : والله ما قتلتُ عثمان ولا مالاتُ على قتله .
وصلّى صلوات الله عليه .

الأَجَلُ :

فَمَا رَأَيْتُ إِلَّا وَالنَّاسُ إِلَى كُرْفِ الصُّبْرِ ، يَنْتَالُونَ عَلَى مِنْ كُلِّ جَانِبٍ ،
حَتَّى لَقَدْ وُطِئَ الْحَسَنَانِ ، وَشُقَّ عِطْفَايَ ، مُجْتَمِعِينَ حَوْلِي كَرِيضَةِ الْفَنَمِ . فَلَمَّا
نَهَضْتُ بِالأَمْرِ نَسَكْتُ طَائِفَةً ، وَتَرَقَّتْ أُخْرَى يَوْفَقَ آخَرُونَ ؛ كَأَنَّهُمْ لَمْ يَسْمَعُوا
كَلَامَ اللَّهِ حَيْثُ يَقُولُ : ﴿ نِلْتَ الْهَرَارَ الْآخِرَةَ تَجْمَلُهَا لِذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي
الْأَرْضِ وَلَا فسادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقِينَ ﴾ (١) . بَلَى وَاللَّهِ لَقَدْ تَجَمُّعُوا وَوَعَوْهَا ، وَلَسِيكَمُ
حَلِيَّتُ الدُّنْيَا فِي أَعْيُنِهِمْ ، وَرَأَقَهُمْ زَبْرُجُمَا .

الْبُرْجُ :

كُرْفِ الصُّبْرِ نَحْنُ ، وَبِضَرْبٍ بِهِ لِلتَّلِّ فِي الْأَزْدَحَامِ . وَيَنْتَالُونَ : يَتَنَابَعُونَ مَزْدَحِينَ .
وَالْحَسَنَانِ : الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ . وَالْعِطْفَانِ : الْجَانِبَانِ مِنَ النَّسْكِ إِلَى الْوَرِكِ ؛
وَيُرْوَى « عِطْفَانِ » ، وَالْمُطَفُّ : الرِّدَاءُ وَهُوَ أَشْبَهُ بِالْحَالِ ؛ إِلَّا أَنَّ الرِّوَايَةَ الْأُولَى أَشْهَرُ ؛
وَاللَّفْظُ خُدْشٌ جَانِبِيٌّ لَشِدَّةِ الْأَصْطِكَاكِ مِنْهُمْ وَالزَّحَامِ .

■ ■ ■

وقال القطب الراوندي : الحسنان : إيهاما الرجل ؛ وهذا لا أعرفه .

وقوله : « كريمة الغنم » أى كالقطعة الرابضة من الغنم ، يصف شدة ازدحامهم حوله ، وجثومهم بين يديه .

وقال القطب الراوندى : يصف بلادهم وخصان حقولهم ؛ لأن الغنم توصف بقلة القطنة . وهذا التفسير بعيد وغير مناسب للحال .

فأما الطائفة الناكثة ، فهم أصحاب الجمل ، وأما الطائفة الفاسقة فأصحاب صفين . وسماه رسول الله صلى الله عليه وآله القاسطين . وأما الطائفة المارقة فأصحاب الهرّوان ؛ وأشرنا نحن بقولنا : سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم القاسطين إلى قوله عليه السلام : « ستقاتل بمدى الناكثين ، والقاسطين والمارقين » . وهذا الخبر من دلائل نبوته صلوات الله عليه ، لأنه إخبار صريح بالصعب ، لا يجتنب التوبة والتدليس كما تحمله الأخبار المجتعة ، وصدق قوله عليه السلام : « وللمارقين » قوله أولا فى الخوارج : « يبرقون من الدين كما يبرق السهم من الرمية » ، وصدق قوله عليه السلام « الناكثين » كونهم نكثوا البيعة بأدى بدء ، وقد كان عليه السلام يتلو وقت مبايعتهم له : « فَمَنْ نَكَثَ فَلَيْسَ بِمِنَّا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ »^(١) .

وأما أصحاب صفين ، فإنهم عند أصحابنا رحمهم الله مخلدون فى النار لفسقهم ، فصحّ فيهم قوله تعالى : « وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا »^(٢) .

وقوله عليه السلام : « حلقت الدنيا فى أعينهم » تقول : حلل الشئ فى فى يحلوه ، وحلّ ليعنى يحلّ . والزبرج : الزينة من وثى أو غيره ، ويقال : الزبرج : الذهب .

فأما الآية فمن نذكر بعض ما فيها ، فنقول : إنه تعالى لم يملق الوعد بترك العلوف فى الأرض والفساد ، ولكن بترك إرادتهما ، وهو كقوله تعالى : « وَلَا تَزْكُوا إِلَى الَّذِينَ

ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ ﴿١٦﴾ ؛ خلق الوعيد بالركوب إليهم والليل معهم ، وهذا شديد في الوعيد .

وروى عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال : إن الرجل ليعصيه أن يكون شريك نمله أحسن من شريك نمل صاحبه فيدخل تحت هذه الآية . ويقال : إن عمر بن عبد العزيز كان يرددها حتى قبض .

• • •

الأصل :

أَمَّا الَّذِي فَلَقَ الْحَبَّةَ ، وَبَرَأَ النَّسَةَ ، لَوْلَا حُضُورُ الْحَاضِرِ ، وَفِيَّامُ الْخَبَرِ
بِوُجُودِ النَّاصِرِ ، وَمَا أَخَذَ اللَّهُ عَلَى الْعَمَلِ إِلَّا بِقَارِئِهَا عَلَى كَيْفَةِ ظَالِمٍ ، وَلَا سَفِي
مَظْلُومٍ ، لَا لَقَبْتُ حَبْلَهَا عَلَى غَارِبِهَا ، وَلَسَقَبْتُ آخِرَهَا بِكَأْسِ أُولِيهَا ، وَلَا لَقَبْتُكُمْ
دُنْيَاكُمْ هَذِهِ أَرْهَقَ عِنْدِي مِنْ عَفْطَةِ عَيْنِي بِرَسُولِي

• • •

التبنيح :

فَلَقَ الْحَبَّةَ ، من قوله تعالى : (فَالِقُ الْخَيْبِ وَالْعُيُوتِ) ﴿٣٧﴾ . والنسبة : كل ذي روح من البشر خاصة .

قوله : « لَوْلَا حُضُورُ الْحَاضِرِ » ، يمكن أن يريد به لولا حضور الهممة ؛ فإنها بعد عقدتها تضمن الحاماة عنها ، ويمكن أن يريد بالحاضر مَنْ حَضَرَهُ مِنَ الْجَيْشِ الَّذِينَ يَسْتَعِينُ بِهِمْ عَلَى الْحَرْبِ . وَالْكَفَّةُ بِكَرِ الْكَافِ : مَا يَمْتَرَى الْإِنْسَانُ مِنَ الثَّقَلِ وَالْكَرْبِ عِنْدَ الْإِمْتِلَاءِ مِنَ الطَّعَامِ . وَالسَّقَبُ : الْجُوعُ . وَقَوْلُهُ : قَدْ أَلْقَى فُلَانٌ حَبْلَ فُلَانٍ عَلَى غَارِبِهِ ،

أى تركه تملاً يسرح حيث يشاء من غير وازع ولا مانع ؛ والنفهاء يذكرون هذه اللفظة في كنايةات الطلاق . وعَطْطَة عز : ماتشه من أعضاها ، عَطَطْتُ تَعِطُّ بالكسر ؛ وأكثر ما يستعمل ذلك في النعجة ، فأما العنز فالمستعمل الأشهر فيها « النعطة » بالنون ، ويقولون : ماله عاضط ولا ناضط ، أى نعمة ولا عز . فإن قيل : أيجوز أن يقال النعطة هاهنا الحبة ؟ فإن ذلك يقال في العنز خاصة ، عَطَطْتُ تَعِطُّ . قيل : ذلك جائز ، إلا أن الأحسن والأليق بكلام أمير المؤمنين عليه السلام التفسير الأول ؛ فإن جلالة وسؤدده تقتضى أن يكون ذلك أراد لا الثانى . فإن صح أنه لا يقال في العنطة عَطْطَة إلا للنعجة . قلنا : إنه استعمله في العنز مجازاً .

يقول عليه السلام : لولا وجود من ينهني لا تكاكت الحبال عليها أولاً بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله ، فإن لم أكن حينئذ واجداً لناصر مع كونى مكلفاً ألا أتمكن الظالم من ظلمه . لتركته الخلفاء ، ولرفضها الآن كما رفضها قبل ، ولوجدتم هذه الله تعالى أهن من عَطْطَة عز ؛ وهذا إشارة إلى ما قولنا أصحابنا من وجوب النهي عن النكر عند التمكن .

• • •

الأصل :

قَالُوا : وَقَامَ إِلَيْهِ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ السَّوَادِ عِنْدَ بُلُوغِهِ إِلَى هَذَا الْمَوْضِعِ مِنْ خُطْبَتِهِ ، فَنَاقَلَهُ كِتَاباً فَأَقْبَلَ بِنَظَرٍ فِيهِ ؛ فَلَمَّا فَرَغَ مِنْ قِرَاءَتِهِ قَالَ لَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، لَوْ اطَّرَدْتُ مَقَالَتَكَ مِنْ حَبِثُ أَفْصَيْتَ أَفَقَالَ : هَبْنَاهُ وَإِنْ عَبَسَ ! تِلْكَ شَيْخِيَّةٌ هَدَرَتْ ثُمَّ قَرَّتْ .

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : فَوَافَقَتْهُ مَا أُفِيتُ عَلَى كَلَامٍ قَطُّ كَأَنِّي عَلَى هَذَا الْكَلَامِ أَلَا يَكُونُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ بَلَغَ مِنْهُ حَيْثُ أَرَادَ .

• • •

قوله عليه السلام في هذه الخطبة : « كَرَّا كِبِ الصَّعْبَةِ إِنِ اشْتَقَ لَهَا حَرَمٌ وَإِنْ أَسْلَسَ لَهَا تَقَعَمٌ » يريد أنه إذا شدد عليها في جذب الزمام وهي تنازعته رأسها حرم أنها ، وإن أرخى لها شيئاً مع صموبتها تقعمت به فلم يملكها . يقال : اشتق الناقة إذا جذب رأسها بالزمام فرقه ، وشققها أيضاً ، ذكر ذلك ابن السكيت في " إصلاح المنطق " . وإنما قال عليه السلام : « اشتق لها » ولم يقل « اشتقها » لأنه جمعه في مقابلة قوله : « أسلس لها » ، فكأنه قال : إن رفع لها رأسها بالزمام يسهل أمسه عليها . وفي الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خطب على ناقة وقد شق لها فمى تقمع بجريتها .

وَمِنَ الشَّاهِدِ عَلَى أَنَّ « اشْتَقَّ » يَعْنِي شَقَّ قَوْلُ عَدِيِّ بْنِ زَيْدٍ الْبَاهِلِيِّ :
سَاءَ مَا لَهَا تَبَيَّنَ فِي الْأَمْرِ عَدِيٌّ وَإِشْقَاقُهَا إِلَى الْأَهْقَاقِ

الشرح :

سمى السواد سواداً لخضرته بالزروع والأشجار والنخل ، والعرب تسمى الأخضر أسوداً ، قال سبعة : « مُدْهَامَتَانِ » ^(١) يريد الخضرة . وقوله : « لو أطردت مقاتلك » ، أى أتيت الأول قولاً ثانياً من قولهم أطرد له ، إذا تنازع جريته .

وقوله : « من حيث أفضيت » أصل أفضى خرج إلى الفضاء ، فكأنه شبهه عليه السلام حيث سكت عما كان يقوله ، بمن خرج من خباء أو جدار إلى فضاء من الأرض ، وذلك لأن النفس والقوى والهمة عند ارتجال الخطب والأشعار تجتمع إلى القلب ، فإذا قطع الإنسان وفرغ ، تفرقت وخرجت عن حيز الاجتماع واستراحت .

والشقيقة ، بالكسر فيهما : شيء . يُخرج البعير من فيه إذا حاج ، وإذا قالوا الخطيب : ذو شقيقة فإنما شبهوه بالفعل . والمدير : صوتها .

وأما قول ابن عباس : « ما أسفت على كلام . . » إلى آخره ، فحدثني شيبني أبو الخير مصدق بن شبيب الواسطي^(١) في سنة ثلاث وستمائة ، قال : قرأت على الشيخ أبي محمد عبد الله بن أحمد للعروف بابن الخشاب هذه الخطبة ، فلما انتهيت إلى هذا اللوح ، قال لي : لو سمعت ابن عباس يقول هذا قللت له : وهل بقي في نفس ابن عمك أمر لم يبلغه في هذه الخطبة لتأسف ألا يكون بلغ من كلامه ما أراد ! والله ما رجعت عن الأولين ولا من الآخرين ، ولا بقي في نفسي أحد لم يذكره إلا رسول الله صلى الله عليه وآله .

قال مصدق : وكان ابن الخشاب صاحب دعاية وهزل . قال : قللت له : أتقول إنها منحولة ! فقال : لا والله ، وإنني لأعلم أنها كلامه ، كما أعلم أنك مصدق . قال : قللت له : إن كثيراً من الناس يقولون إنها من كلام الرضى رحمه الله تعالى . فقال : أتى للرضى وغير الرضى هذا النمط وهذا الأسلوب اقتوفنا على رسائل الرضى ، وعرفنا طريقته وقته في الكلام للثبوت ، وما يقع مع هذا الكلام في حل ولا تحرر . ثم قال : والله لقد وقفت على هذه الخطبة في كتب صنعت قبل أن يخلق الرضى بمائتي سنة ، ولقد وجدت هامسورة بخطوط أعرفها ، وأعرف خطوط من هو من العلماء وأهل الأدب قبل أن يخلق النقيب أبو أحمد والذو الرضى .

قلت : وقد وجدت أنا كثيراً من هذه الخطبة في تصانيف شيخنا أبي القاسم البلخي^(٢)

(١) مصدق بن شبيب بن الحسين الصاحب الواسطي ؟ ذكره التفتي في إنباء الرواة (٣ : ٢٧٤) ، وقال إنه قدم بغداد ، وقرأ بها على ابن الخشاب وحماد بن محمد الضرير ، وعبد الرحمن بن الأباري وغيرهم ؟ وتوفي ببغداد سنة ٦٠٥ .

(٢) أبو القاسم البلخي ، ذكره ابن الدم وهو : « كل من أهل بلخ ، بطرف البلاد وبحول الأرم ؟ حسن المعرفة بالفلسفة والعلوم القديمة . . . ورأيت بخطه شيئاً كثيراً في علوم كثيرة مسوحات ومسانيد لم يخرج منها إلى الناس كتاب تام » . الفهرست ٢٩٩ . وابن خلكان ١ : ٢٥٢ .

إمام البغداديين من المعتزة ، وكان في دوة القنطرة قبل أن يُخلق الرضى بمدة طويلة .
 ووجدت أيضاً كثيراً منها في كتاب أبي جعفر بن قبة أحد متكلمي الإمامية^(١) وهو
 الكتاب المشهور المعروف بكتاب " الإنصاف " . وكان أبو جعفر هذا من تلامذة
 الشيخ أبي القاسم البلخي رحمه الله تعالى ، ومات في ذلك العصر قبل أن يكون الرضى
 رحمه الله تعالى موجوداً .



(١) هو أبو جعفر بن محمد بن قبة ؟ من متكلمي الشيعة وحذائهم ، وله من الكتب كتاب الإنصاف
 في الإمامة . المهرست ١٧٦

(٤)

الأصل :

ومن خطبة له عليه السلام :

بِنَا أَهْتَدَيْتُمْ فِي الظُّلُمَاءِ، وَتَسْتَمُّ الْمَلِيَاءُ ^(١). وَبِنَا أَفْجَرْتُمْ عَنِ السَّرَارِ.
وَقِرَّ سَمْعٌ لَمْ يَفْقَهِ الْوَاحِيَةَ ؛ وَكَيْفَ يَرَاهِي النَّبَاءُ مَنْ أَحْسَنَهُ الصَّبِيحَةُ ؛
رُبِطَ جَنَانٌ لَمْ يَهَارِقَهُ الْخَلْفَقَانُ .
مَا زِلْتُ أَنْتَظِرُ بِكُمْ عَوَاقِبَ الْحَدِيثِ ، وَأَتَوَسَّعُ بِكُمْ بِحِلْيَةِ الْمُفَتَّرِينَ ؛ سَتَرَنِي
عَنكُمْ جِلْبَابُ الدِّينِ ، وَبَصَّرَنِيكُمْ حِلْيَةُ النُّبِيِّ .
أَقَمْتُ لَكُمْ عَلَى سَنَنِ الْحَقِّ فِي جَوَازِ الْمَذَلَّةِ ؛ حَيْثُ تَلْقَوْنَ وَلَا دَلِيلَ ،
وَتَحْتَفِرُونَ وَلَا كَيْسَ .
الْيَوْمَ أَنْطِقُ لَكُمْ الْعَجَاءَ ذَاتَ الْبَيَانِ .
عَزَبَ رَأْيُ أَمْرِي يُخَلِّفُ عَنِّي ، مَا شَكَّكَ فِي الْحَقِّ مُذَارِيحُهُ .
لَمْ يُوَجِّسْ مُوسَى خَيْفَةً عَلَى نَفْسِهِ ؛ أَشْفَقَ مِنْ غَيْبَةِ الْجَهَالِ وَدَوْلِ الضَّلَالِ .
الْيَوْمَ تَوَاقَفْنَا عَلَى سَبِيلِ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ . مَنْ وَثِقَ بِمَا لَمْ يَظُنْ .

• • •

(١) في « د » ولستم لرواة الطباء .

البُزج :

هذه الكلمات والأمثال منسوبة إلى حطبة طويلة منسوبة إليه عليه السلام ،
 قد زاد ^(١) فيها قوم أشياء جعلهم عليها أهواؤهم ، لا توافق ألباطل طريقتهم عليه السلام
 في الخطب ، ولا تناسب فصاحتها فصاحتهم ، ولا حاجة إلى ذكرها فهي شهيرة . ونحن
 نشرح هذه الألفاظ ، لأنها كلامه عليه السلام ، لا يشك في ذلك من له ذوق ونقد ومعرفة
 بمذاهب الخطباء والفصحاء في خطبهم ورسائلهم ، ولأن الرواية لها كثرة ، ولأن الرضى
 رحمة الله تعالى عليه قد نقلها ونسبها إليه عليه السلام ، وصححها وحذف ما عداها .

وأما قوله عليه السلام : « بنا اهتديتم في الظلمات » ، فمضى بالظلمات الجهالة ، ونسبتم
 العلويات : ركبتم سداها : وهذه استعارة

قوله : « وبنا انفجرتم عن السرار » ، أى « حلتم في القبر » ، والسرار : الليلة واليلتان
 يستتر فيهما القمر في آخر الشهر فلا يظهر . وروى « أخرجتم » ، وهو أفصح وأصح ، لأن
 « افضل » لا يكون إلا مطاوع « فصل » ، نحو كسرتة فاكسر ، وحطنته فاحطم ،
 إلا ما شذ من قولهم : أغلقف الباب فاسلق وأربعجت فارعج . وأيضاً فإنه لا يقع إلا حيث
 يكون علاج وتأثير ، نحو انكسر واحطم ؛ ولهذا قالوا : إن قولهم : انعدم خطأ ، وأما
 « أفل » فيجىء لصيرورة الشيء على حال وأمر ، نحو أعدد البعير ، أى صار ذا غدة ،
 وأجرب الرجل ، إذا صار ذا إبل جربى ، وغير ذلك . فأفجرتهم : أى صرتم ذوى فجر .
 وأما « عن » في قوله : « عن السرار » فهي للمجاوزة على حقيقة معناها الأصلي ،
 أى منتقلين عن السرار ومتجاوزين له .

وقوله عليه السلام : « وقر سمع » هذا دعاء على السمع الذى لم يفقه الواعية بالثقل
 والصمم ، وقُرَّتْ أُذُنُ زيد ، نضم الواو فهي موقورة ، والوَقْر ، بالفتح : الثقل في الأذن ،

وَقَرَّتْ أذُنُهُ - بفتح الـ و كسر القاف - تَوَقَّرَ وَ قَرَأَ أَيْ صَتَّتْ ، والمصدر في هذا الموضع جاء بالسكون ، وهو شاذٌ ، وقياسه التعريك بالفتح ، نحو وِرِمَ وَرَمًا . والواصية : الصارخة ، من الوُعَاء ، وهو الجَلْبَة والأصوات ، والمراد العبر والمواظ .

قوله : « كيف يُرَاعِي النبأ » ، هذا مثل آخر ، يقول : كيف يلاحظ ويراعي العبر الضعيفة مَنْ لم ينتفع بالعبر الجليلة الظاهرة ، بل فدعها ، وشبه ذلك بمن أصبته الصيحة القوية ؛ فإنه محال أن يراعى بعد ذلك الصوت الضعيف . والنبأ : هي الصوت الخفي .

فإن قيل : هذا يخالف قولكم : إن الاستعداد لا يجوز على الحكيم سبحانه ، فإن كلامه عليه السلام صريح في أن بعض المكلفين يجهل عند العبر والمواظ .

قيل : إن لفظة « أصل » قد تأتي لوجود الشيء على صفة ، نحو أحمده ، إذا أصبته محموداً . وقالوا : أحميت الأرض ، إذا وجدتها حية النبات ^(١) ، قوله : « أصبته الصيحة » ، ليس معناه أن الصيحة كانت علة لصبه ، بل معناه صادفته أصمٌ ، وبهذا تأول أصحابنا قوله تعالى : ﴿ وَأَصْلُهُ أَفْهَى عَلَى عِلْمٍ ﴾ ^(٢) .

قوله : « رُبَطَ جَبَانٌ لم يفارقه الخلقان » ، هذا مثل آخر ، وهو دعاء لقلب لا يزال خائفاً من الله يحقق بالثبوت والاستمساك .

قوله : « ما زلت أنتظر بكم » ، يقول : كنت متربحاً بكم متفرحاً بما فيكم الفرر ، وهو المغلة .

وقيل : إن هذه الخطبة خطبها بعد مقتل طليحة والزبير ، مخاطباً بها لها ولغيرها من أمثالها ، كما قال النبي صلى الله عليه وآله يوم بدر ، بعد قتل مَنْ قتل من قريش : « يا عتبة بن ربيعة ،

(١) : « ذات النبات »

(٢) : سورة البقرة ٢٤

(١١ - شرح نهج البلاغة - أول)

بأشبه بن ربيعة ، يا عمرو بن هشام ، ، وم جيف منته قد جُرّوا إلى القليب .

قوله : « سترني عنكم » ، هذا يحتمل وجوها ؛ أوضحها أن إظهاركم شعار الإسلام
عنكم متى مع على بنفاقكم ، وإنما أبصرت نفاقكم وبواطنكم الخبيثة بصدق نيتي .
كما يقال : المؤمن يُبصر بنور الله . ويحتمل أن يريد : سترني عنكم جلباب ديني ، ومنعني
أن أعرفكم نفسي وما أقدر عليه من عنفكم ، كما تقول لمن استهان بحقك : أنت
لا تعرفني ولو شئت لعرفتك نفسي .

وفتر القطب الراوندي قوله عليه السلام : « وبصركم صدق النية » ، قال :
معناه أنكم إذا صدقتم نياتكم ، ونظرتم بأعين لم تطرف بالحسد والعش وأنصفتموني ،
أبصرتم عظيم منزلي .



وهذا ليس بجيد ، لأنه لو كان هو المراد لقال : وبصركم إيتاي صدق النية ، ولم يقل
ذلك ، وإنما قال : « بصركم » ، فجعل صدق النية مبصراً له لالم . وأيضاً فإنه حكم
بأن صدق النية هو علة التبصير ، وأعداؤه لم يكن فيهم صادق النية ، وظاهر الكلام
الحكم والقطع ؛ لا التعليل بالشرط .

قوله : « أفت لكم على سنن الحق » ، يقال : تفتح عن سنن الطريق وسنن الطريق
بفتح السين وضماً ، فالأول مفرد والثاني جمع سنّة ، وهي جادة الطريق والواضح منها .
وأرض مضّة ومضّة ، بفتح الضاد وكسرها : يضلّ سالكها . وأما المختفِر يميّه ؛
أنبط الماء . يقول : فعلت من إرشادكم وأمركم بالمعروف ونهيكم عن المنكر ما يجب على
مثلي ، فوقفت لكم على جادة الحق ومنهجه ؛ حيث طرّق الضلال ، كثيرة مختلفة من
سائر جهات ، وأنتم تأسرون فيها تلتفتون ، ولا دليل لكم ، وتحتفرون لتجدوا ماء
تقمنون به غلتكم فلا تظفرون بالماء ، وهذه كلها استعارات .

قوله : « اليوم أنطق » ، هذا مثل آخر . والمعجماء : التي لا نطق لها ، وهذا إشارة إلى الرموز التي تتضمنها هذه الخطبة ، يقول : هي خيبة غامضة ، وهي مع غموضها جليلة لأولى الألباب ، فكأنها تنطق كما ينطق ذور الألسنة ، كما قيل : ما الأمور الصامدة الناطقة ؟ قليل : الدلائل الخيرة والعبر الواقعة . وفي الأثر : سل الأرض : من شق أنهارك ، وأخرج ثمارك ؟ فإن لم تجبك حوارا ، أجابتك اعتبارا .

قوله : « عزب رأي امرئ تخلف عني » هذا كلام آخر ، عزب ، أي نعد ، والعازب : البعيد . ويحتمل أن يكون هذا الكلام إخباراً وأن يكون دعاء ، كما أن قوله تعالى : ﴿ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ ﴾ ^(١) يحتمل الأمرين .

قوله : « ماشككت في الحق مذاراة » ، هذا كلام آخر ، يقول : معارف ثابتة لا يطرأ عليها الشك والشبهة .



قوله : « لم يوجس موسى » ، هذا كلام شرح جده يقول : إن موسى لما أوجس الخيفة ، بدلالة قوله تعالى : ﴿ فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى ﴾ ^(٢) ، لم يكن ذلك الخوف على نفسه ، وإنما خاف من الفتنة والشبهة الداحلة على السكّفين عند إلقاء السحرة عصيهم ، فحِيلَ إليه من سحرهم أنها نسي ، وكذلك أنا لا أخاف على نفسي من الأعداء الذين نصبوا لي الحبائل ، وأرصدوا لي للكائد ، وسقروا على نيران الحرب ؛ وإنما أخاف أن يفتن السكّفون بشبههم وتمويهاتهم ، فتقوى دوة الضلال ، وتنب كفة الجهال .

قوله : « اليوم تواقفنا » ، القاف قبل الفاء ، تواقف القوم على الطريق ، أي وقفوا كلهم عليها ؛ يقول : اليوم أنضج الحق والباطل ، وعرفناهما نحن وأنتم .

قوله : « من وثق بما لم يظن » ، الظن الذي يكون عند عدم الثقة بالماء ، وليس

يريد النفي المطلق ؛ لأن الواثق باللاء قد يظلم ، ولكن لا يكون عطشه على حد العطش
 لكائن عند عدم اللاء ، وعدم الوثوق بوجوده ، وهذا كقول أبي الطيب :
 وما عصابة مُشتاقٍ قلى أملٍ من ألقاء كُشتاقٍ بلا أملٍ^(١)
 والصائم في شهر رمضان يصبح جائعاً تنازعه نفسه إلى العذاء ، وفي أيام الفطر لا يجد
 تلك المنازعة في مثل ذلك الوقت ؛ لأن الصائم ممنوع ، والنفس تحرص على طلب
 ما منعت منه ؛ يقول : إن وثقت بي وسكنتم إلى قولي كنتم أبعد عن الضلال وأقرب
 إلى اليقين وتلج النفس ؛ كمن وثق بأن اللاء في إداوته ، يكون عن الظلم وخوف الهلاك
 من العطش أبعد ممن لم يثق بذلك .



(٥)

الأصل :

ومن كلام له ^(١) عليه السلام لما قبض رسول الله صلى الله عليه وآله ،
وخطبه العباس وأبو سفيان بن حرب في أن ^(٢) يبايعا له بالخلافة :
أيها الناس ؛ شقوا أمواج الفتن يسفن السجاة ، وعرجوا عن طريق المناقرة ،
وضعوا تيجان المفاخرة . أفتح من نهس بمخارج ، أو استسلم ^(٣) فأراح . ماء آجن ،
ولقمة ينص بها آكلها . ومحتبي الشرة لغير وقت إبتاعها كالزارع يغير أرضه ،
فإن أقل يقولوا : حرص على الملك ، ^(٤) وإن أشكت يقولوا : جزع من الموت .
هيات بعد القتيا والقي ! والله لا ينجدني طالب آنس بالموت من الطفل
يشدي أمه ، بل اندججت على مكنون علم لو بحث به لأضطربتم اضطراب
الأرشيعة في الطوى البعيدة ^(٥) .

• • •

الشرح :

المفاخرة : أن يذكر كل واحد من الرجلين مفاخرة وفصائله وقديمه ، ثم يتعاقبا
إلى ثالث . واللآء الآجن : التغير العاسد ، آجن للآء ، بفتح الجيم ، يآجن ويآجن ،
بالكسر والضم . والإبناع : إدراك الثمرة . والقتيا ^(١) : تصغير القى ، كما أن القديا تصغير
القدي . واندججت : انطويت . والطوى : البئر المطلوبة بالحجارة . يقول : تخلصوا من
الفتنة وانجوا منها بالمشاركة والمسألة والعدول عن المناقرة والمفاخرة .

(١) : « خطبة » .

(٢) : « استسلم » .

(٣) : « أن يبايعاه » .

(٤) : « بعد هذه المسئلة في مخطوطة التهجد : « السلام » .

(٥) : « في القاموس بفتح اللام المشددة وضما .

أفْلَحَ مَنْ نَهَضَ بِمُخْتَارِهِ، أَيْ مَاتَ ؛ شَبَّهَ اللَّيْلَ لِلْفَارِقِ الدُّنْيَا بِطَائِرٍ نَهَضَ عَنِ الْأَرْضِ بِمُخْتَارِهِ . وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَرِيدَ بِذَلِكَ : أَفْلَحَ مَنْ اعْتَزَلَ هَذَا الْعَالَمَ ، وَسَاحَ فِي الْأَرْضِ مُتَقَطِعًا عَنِ تَسْكَالِيفِ الدُّنْيَا . وَيَحْتَمِلُ أَيْضًا أَنْ يَرِيدَ : أَفْلَحَ مَنْ نَهَضَ فِي طَلَبِ الرِّيَاسَةِ بِنَاصِرٍ يَنْصُرُهُ ، وَأَعْوَانٍ يُمَاحِدُونَ بَيْنَ يَدَيْهِ ؛ وَعَلَى التَّقَادِيرِ كُلِّهَا تَنْطَبِقُ الْهَفْظَةُ الثَّانِيَّةُ ، وَهِيَ قَوْلُهُ : « أَوْ اسْتَلِمَ فُأْرَاحَ »^(١) ، أَيْ أَرَاخَ نَفْسَهُ بِاسْتِغْلَامِهِ .

ثُمَّ قَالَ : الْإِمْرَةُ عَلَى النَّاسِ وَخِيَمَةُ الْعَاقِبَةِ ، ذَاتُ مَشَقَّةٍ فِي الْعَاجِلَةِ ، فَهِيَ فِي عَاجِلِهَا كَالْمَاءِ الْآجِنِ يَجِدُّ شَارِبُهُ مَشَقَّةً ، وَفِي آجِلِهَا كَالْقَمْعَةِ الَّتِي تَمُحِّثُ عَنْ أَكْلِهَا الْمُصَّةُ . وَيَنْصَحُ مَفْتُوحُ حَرْفِ الْمُضَارَعَةِ وَمَفْتُوحُ اللَّيْنِ ، أَصْلُهُ : « قَصِصْتُ » بِالْكَسْرِ . وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَسْكُونُ الْأُمْرَانِ مَعَ الْعَاجِلَةِ ؛ لِأَنَّ الْقَصَصَ فِي أَوَّلِ الْبَلْعِ ، كَمَا أَنَّ الْمَ شَرِبَ الْمَاءِ الْآجِنِ يَمُحِّثُ فِي أَوَّلِ الشَّرْبِ . وَبِمَجُوزٍ لَا يَكُونُ عَنِ الْإِمْرَةِ الْمَطْلُوقَةِ ؛ بَلْ هِيَ^(٢) الْإِمْرَةُ الْخُصُوصَةُ ، يَعْنِي بَيْعَةَ السَّقِيَّةِ عَنْ شَيْءٍ مِنْ سَائِرِ

ثُمَّ أَخَذَ فِي الْإِعْتِذَارِ عَنِ الْإِسْكَافِ وَتَرَكَ الْمُنَازَعَةَ ، فَقَالَ : يَجْتَنِي الثَّمَرَةُ قَبْلَ أَنْ تُدْرِكَ لَا يَنْتَفِعُ بِمَا اجْتَنَاهُ ، كَمَنْ زَرَعَ فِي غَيْرِ أَرْضِهِ ، وَلَا يَنْتَفِعُ بِذَلِكَ الزَّرْعِ ؛ يَرِيدُ أَنَّهُ لَيْسَ هَذَا الْوَقْتُ هُوَ الْوَقْتُ الَّذِي يَسُوعُ لِي فِيهِ طَلَبُ الْأَمْرِ ، وَأَنَّهُ لَمْ يَأْنِ بَعْدَ .

ثُمَّ قَالَ : قَدْ حَصَلَتْ بَيْنَ حَالَيْنِ ؛ إِنْ قُلْتُ ، قَالَ الدَّاسُ : حَرَّصَ عَلَى الْمُلْكِ ، وَإِنْ لَمْ أَقُلْ ، قَالُوا : جَزَعَ مِنَ الْمَوْتِ .

قَالَ : هِيَئَاتِ ، اسْتِغْنَاءًا لِعَظَمِهِمْ فِيهِ^(٣) الْجُرْعَ . ثُمَّ قَالَ : « اللَّتْيَا وَالَّتِي » ، أَيْ : أُنْعِدْ اللَّتْيَا وَالَّتِي أَجْزَعُ ! أُبَعِّدُ أَنْ قَاسَيْتُ الْأَهْوَالَ الْكِبَارَ وَالصَّغَارَ ، وَمُنِيَّتِ بِكُلِّ دَاهِيَةٍ عَظِيمَةٍ وَصَغِيرَةٍ ؛ فَاللَّتْيَا بِالصَّغِيرَةِ وَالَّتِي بِالْكَبِيرَةِ .

(٢) ١ : « هَذِهِ » .

(١) ١ : « وَاسْتَلِمَ » .

(٣) سَالِفَةٌ مِنْ .

ذكر أن أنه بالموت كأنس الطفل شدى أمه ، وأنه انطوى على علم هو مجتمع لوجهه من المنازعة ، وأن ذلك العلم لا يباح به ^(١) ، ولو باح به لاضطرب سامعوه كاضطراب الأرشية - وهي الحبال - في البحر الهائلة القعر ، وهذا إشارة إلى الوصية التي خص بها عليه السلام . إنه قد كان من جعلها الأمر بترك النزاع في مبدأ الاختلاف عليه .

• • •

[استطراد بذكر طائفة من الاستعارات]

واعلم أن أحسن الاستعارات ما تضمن مناسبة بين المستعار والمستعار منه ، كهذه الاستعارات ، فإن قوله عليه السلام : « شُقُوا لِمَوَاجِ الْفِتَنِ بِسُفُنِ النِّجَاحِ » من هذا النوع ؛ وذلك لأن الفتن قد تتصاعد وتتهادف ^(٢) كخفق أمواج البحر المضطربة . ولما كانت السفن الحقيقية تنجى من أمواج البحر ، حسن أن يستعار لفظ السفن لما ينجى من الفتن . وكذلك قوله : « لَارْضَعُوا تَيْحَانَ الْفَاخِرَةِ » ، لأن التاج لما كان مما يعظم به قدر الإنسان استعاره لما يتعظم به الإنسان من الافتخار وذكر القديم وكذلك استعارة النهوض بالجنح لمن اعتزل الناس ، كأنه لما نفخ يديه عنهم صار كالطائر الذي ينهض من الأرض بمخايعه .

وفي الاستعارات ما هو خارج عن هذا النوع ، وهو مستقيم ؛ وذلك كقول أبي نواس :

بُجَّ صَوْتُ الْمَالِ مِمَّا مِثْلُكَ قَوْلُهُ :
مِنْكَ يَبْكِي وَيَبْئُوحُ ^(٣)

مَا لِرَجُلٍ لِلْمَالِ أَضْعَتْ تَشْكِي مِنْكَ الْكَلَّالَ ^(٤)

(٢) ديوانه ٧٠ ، وفيه : « يصبح » .

(١) ساقطة من ب .

(٣) ديوانه ١١٩ .

وقول أبي تمام :

وَكَمْ أَخْرَزَتْ مِنْكُمْ عَلَى قُبْحِ قَائِمَا صُرُوفُ النَّوَى مِنْ مُرْهَفٍ حَسَنِ الْقَدِّ (١)
وكقوله :

يَلُونَاكَ ، أَمَا كُنْتُ عَرَضِيكَ فِي الْعِلَالِ فَقَالَ ، وَلَكِنْ حَذَا مَالِكَ أَسْفَلُ (٢)
فإنه لا مناسبة بين الرّجل والمال ، ولا بين الصوت والمال ، ولا معنى لتصيره
لنّوى قدّا ، ولا ليعرض كمبا ، ولا للمال حدّا
وقريب منه أيضاً قوله :

لَا تَنْقِي مَاءَ الْمَلَامِ قَائِسُ صَبْ قَدَرٍ أَمْتَعَدْتُ مَاءَ مَكَائِي (٣)
ويقال : إن مخدداً الموصلى (٤) بقارورة يسهل أن يبعث له فيها قليلاً من
ماء اللام ، فقال لصاحبه : قل له يبعث إلى ريشة من جناح الدّل لأستخرج بها من
القارورة ما أعتقه إليه
وتقريباً من سدي

وهذا ظلم من أبي تمام لمخدّد ، وما الأمران سوء ، لأن الطائر إذا أعيا ونعب دلّ
وخفض جناحيه ، وكذلك الإنسان إذا استسلم ألقى بيديه دلاً ، وبدء حناجه ، فذاك
هو الذي حسن قوله تعالى : ﴿ وَأَخْفِصْ لَهُمَا حَنَاحَ الدُّلِّ ﴾ (٥) ألا ترى أنه لو قال :
وأخفصّ لهما ساق الدّل ، أو نطن الدّل لم يكن مستحسنًا .

ومن الاستعارة للمتجسمة في الكلام الممتور ، ما احتاره قدامة بن جعفر في كتاب
" الخراج " نحو قول أبي الحسين جعفر بن محمد بن ثوابة في جوابه لأبي الجليش خارويه

(٢) ديوانه ٣ : ٧٣ .

(١) ديوانه ٢ : ١١٠ .

(٣) ديوانه ١ : ٢٥ .

(٤) هو مخدّد بن مكارم اللومى ، وله مع أبي تمام أخبار ومباحثات ، ذكرها الصول في كتابه أخبار
أبي تمام ٢٣٤ - ٢٤٣ .

(٥) سورة الإسراء ٢٤ .

ابن أحمد بن طولون عن المعتضد بالله، لما كتب بإنفاذ ابنته قطر الندى التي تزوجها المعتضد، وذلك قول ابن ثوابه هذا: وأما الوديمة فهي بمنزلة ما انتقل من شمالك إلى يمينك، عناية بها وحياطة لها، ورعاية لمودتك فيها.

وقال ابن ثوابه لما كتب هذا الكتاب لأبي القاسم عبيد الله بن سليمان بن وهب وزير المعتضد: والله إن تسبقت إياها بالوديمة نصف البلاغة.

وذكر أحمد بن يوسف الكاتب رجلاً خلا «لألمون»، فقال: مازال يقتله في الذروة والعارب حتى لفته عن رأيه.

وقال إسحق بن إبراهيم الموصلي: التبيذ قيد الحديث.

وذكر بعضهم رجلاً فذمه، فقال: ^(١) ليس فيه مستقرٌ خير ولا شر. ورضى بعض الرؤساء عن رجل من ^(٢) قومهم، ثم أقبل يوتئجه عليها، فقال: إن رأيت ألا تمخدش وجهه رضاك بالتوبيخ فافعل ^(٣) قبيحاً شديداً.

وقال بعض الأعراب: خرجنا في ليلة حديد ^(٤)، قد ألفت على الأرض أكارعها، ففقت صورة الأبدان؛ فما كنا نعارف إلا بالأدان.

وغزت حنيفة ثمراء، فأثبتهم ثمراء، فأتوا عليهم، فقبل لرجل منهم: كيف صنع قومك؟ قال: أتبعوم والله، وقد أحققوا كل جمالية خبيثة ^(٥)، فأرلوا يخلصون آثار الملقى بموافر الخليل حتى لحقوهم، فجعلوا المران ^(٦) أرشية للوت، فاستفوا بها أرواحهم.

ومن كلام لعبد الله بن المعتز، يصف القلم: يخدم الإرادة، ولا يعمل الاسترادة،

(١) ١: «إبليس» تحريف. (٢) ليلة حديد: شديدة الظلمة.

(٣) أحطب العبر: وضع له الخشب؛ وهو حل يشده الرجل في بطن البعير، والحالبة: الناقة الوثيقة به بالجل في خلقها وشدها وععلها. والخبيثة: السريعة، شبهت بالجرادة السريعة.

(٤) حاشية ب: «المران: الرماح» . . .

وبسكت واقفا ، وينطق سائرا ، على أرضٍ بياضها مظلم ، وسوادها مضى .

فأما القطب الراوندى فقال : قوله عليه السلام : « شقوا أمواج الفتن بسفن النجاة »
معناه : كونوا مع أهل البيت لأنهم سفن النجاة ، لقوله عليه السلام : « مثل أهل بيتي
كسفينة نوح : من ركبها نجا ، ومن تخلف عنها غرق » .

ولقائل أن يقول : لا شبهة أن أهل البيت سفن النجاة ، ولكنهم لم يُرادوا هاهنا
بهذه اللفظة ؛ لأنه لو كان ذلك هو المراد ، لكان قد أمر أبا سفيان والعباس بالسكون مع
أهل البيت ، ومراده الآن ينقص ذلك ، لأنه يأمر بالتقية وإظهار اتباع الدين عقيده
لم الأمر ، ويرى أن الاستسلام هو التعتيم ، فلهذا ظنه الراوندى لا يحتمل الكلام
ولا يناسبه .



وقال أيضاً : التعرّيجُ على الشيء : الإطاعةُ عليه ، يقال : عرّج فلان على المنزل ، إذا
حبس نفسه عليه ، فالتقدير : عرّجوا على الاستقامة منصرفين عن المناقرة .

ولقائل أن يقول : التعرّيجُ بمدى تارة بـ « عن » وتارة بـ « على » ، فإذا عُدّ به بمن أردت
التجنب والرفض ، وإذا عُدّ به بـ « على » أردت المقام والوقوف ؛ وكلامه عليه السلام بمدى
بـ « عن » . قال : « وعرجوا عن طريق المناقرة » .

وقال أيضاً : « آنس بالموت » أى أَمَرُ به ، وليس بفسر صحيح ؛ بل هو من
الأنس ضد الوحشة .

[اختلاف الرأي في الخلافة بعد وفاة رسول الله]

لما قبض رسول الله صلى الله عليه وآله ، واشتغل على عليه السلام بنفسه ودفعه ،
وبُويح أبو بكر ؛ خلا الزبير وأبو سفيان وجماعة من المهاجرين بعباس وعلى عليه

السلام لإزالة الرأى ، وتكلموا بكلام يقتضى الاستنهاض والنهيج ، فقال العباس رضى الله عنه : قد سمعنا قولكم فلا لِقَّةَ نستمع بكم ، ولا لِقَّةَ نترك آراءكم ، فأهلونا تراجع الفكر ؛ فإن يكن لنا من الإثم مخرج يصير بنا وبهم الحق صريحا أُلْجَذُجْدُ^(١) ، ونسقط إلى المجد أ كفا لا تقبضها أو نبلغ المدى ، وإن تكن الأخرى ، فلا لِقَّةَ في العدد ولا لَوْهَنَ في الأيدى ، والله لولا أن الإسلام قيد العتق ، لَتَدَكَّدَ كَت جنادل صغر يسمع اصطكاكا كما من الحل الملى .

غفل على عليه السلام حنوته ، وقال : الصبر حلم ، والتقوى دين ، والحجة محمد ، والطريق الصراط . أيها الناس شقوا أمواج الفتن ... الخطبة . ثم نهض فدخل إلى منزله واقترب القوم .



وقال البراء بن عازب : لم أزل لبني هاشم محبا لما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم خِفْتُ أن تنالاً قريش على إخراج هذه الأمر عنهم ، فأخذنى ما يأخذ الراحلة العجول ، مع ما فى نفسى من الحزن لوفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكنت أتردد إلى بني هاشم وهم عند النبي صلى الله عليه وسلم فى الحجرة ، وأتفقده وجوه قريش ، فلأتى كذلك إذ فقدت أبا بكر وعمر ، وإذا قاتل يقول : القوم فى سقيفة بنى ساعدة ، وإذا قاتل آخر يقول : قد بُويج أبو بكر ، فلم ألبث ؛ وإذا أنا بأبى بكر قد أقبل ومعه عمر وأبو عبيدة وجماعة من أصحاب السقيفة ، وهم محجزون بالأزر الصنمائية لا يمرّون بأحد إلا خطبوه ، وقدّموه فدّوا يده فمسحوها على يد أبى بكر بيابه ؛ شاء ذلك أو أبى ؛ فأكرت عطفى ، وخرجت أشدُّ حق انتهت إلى بنى هاشم ، والهاب مغلق ، فضربت عليهم الباب ضربا عفيفا ، وقلت : قد بايع الناس لأبى بكر بن أبى قحافة . فقال العباس : تررت أيدىكم إلى آخر الدهر ؛ أما إني قد أمرتكم فصيّتموني ؛ فكثت أكايد ما فى نفسى ، ورأيت

(١) الجذجد : دوبة كالجندب .

في الليل ليقداد وسلمان وأبا ذر وعبد بن العاص وأبا الهيثم بن التيهن وحذيفة وعماراء
وم يريدون أن يعيدوا الأمر شورى بين المهاجرين .

وبلغ ذلك أبا بكر وعمر ، فأرسلا إلى أبي عبيدة وإلى المغيرة بن شعبة ، فسألاهما عن
الرأي ، فقال للمغيرة : الرأي أن تلقوا العباس فتحملوا له ولولده في هذه الإمرة نصيبا ،
ليقطعوا بذلك ناحية علي بن أبي طالب .

فانطلق أبو بكر وعمر وأبو عبيدة والمغيرة حتى دخلوا على العباس ، وذلك في الليلة
الثانية من وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله ، فحمد الله وأثنى عليه ، وقال :
إن الله ابتعث لكم محمدا صلى الله عليه وسلم نبياً ، وله مؤمنين ولياً ؛ فمن الله عليهم بكونه
بين ظهرأيهم ؛ حتى اختار له ما عنده ؛ فقل على الناس أمورهم ليختاروا لأنفسهم متعقبن
غير مختلفين ، فاختاروني عليهم والياً ، ولأمرهم راعياً ، فتوليت ذلك ، وما أخاف
سوءن الله وتسديده وهتنا ولا تحية ولا جناح ، وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه
أنيب . وما أملك يلفظي عن طاعن يقول بخلاف قول عامة المسلمين ، يتحدكم لحاً فتكوبون
حصه المنيع ، وخطبه البديع ، فإنا دخلتم فيما دخل فيه الناس ، أو صرفتموه عما مالوا
إليه . قد جئناك ، ونحن نريد أن نجعل لك في هذا الأمر نصيبا ، ونحن نمدك من عبقك ،
إذ كنت عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وإن كان المسلمون قد رأوا مكالك من رسول
الله صلى الله عليه وآله ، ومكان أميت ، ثم عدلوا بهذا الأمر عنكم . وعلى ريشلكم
بنى هاشم ؛ فإن رسول الله صلى الله عليه وآله منا ومنكم .

فاعترض كلامه عمر ، وخرج إلى مذهب في المشورة والوعيد وإتيان الأمر من أصعب
جهاته ، فقال : إي والله . وأخرى : إننا لم نأتكم حاجة إليكم ، ولكن كرهنا أن
يكون الطعن فيما اجتمع عليه المسلمون منكم ، فيتناقم الخطبكم ومنهم . فانظروا لأنفسكم
ولعائتكم ، ثم سكت .

فكلم العباس ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : إن الله ابتعث محمداً نبياً كما وصى
 وولياً للمؤمنين ، فمن الله به على أمته حتى اختار له ماعنده ، فخلق الناس على أمرهم
 ليختاروا لأنفسهم ، مصيبين للحق ، مائلين عن زيغ الهوى ؛ فإن كنت رسول الله
 طلبت غفناً أخذت ، وإن كنت بالمؤمنين فمنهم ؛ ما تقدمنا في أمركم فرطاً ،
 ولا حللنا وسطاً ، ولا زحنا شحطاً ؛ فإن كان هذا الأمر يجب لك بالمؤمنين فواجب
 إذ كنا كارهين . وما أبعد قولك : إنهم طعنوا من قولك إنهم مالوا إليك ؛ وأما ما بذلت
 لنا ، فإن يكن حَقُّكَ أعطيناه فَمَسِيكُكَ عليك ، وإن يكن حقُّ المؤمنين فليس لك أن
 تحكم فيه ، وإن يكن حقاً لم نرض لك بيمضه دون بعض . وما أقول هذا أرومُ صرفك
 عما دخلت فيه ، ولكن للحجة نصيبها من البيان . وأما قولك : إن رسول الله صلى الله
 عليه وآله منا ومنكم ، فإن رسول الله صلى الله عليه وآله من شجرة نحن أغصانها ، وأنتم
 جورانها . وأما قولك يا عمر : إنك تخالف الناس علياً ، فهذا الذي قدمتموه أوّل ذلك ،
 والله المتعان .



لما اجتمع للهاجرون على بيعة أبي بكر ، أقبل أبو سفيان وهو يقول : أما والله
 إنى لأرى عجاجة لا يطفئها إلا الدم ؛ لا تبعد مناف ، فيم أبو بكر من أمركم ؟
 أين المستضعفان ؟ أين الأدلان ؟ يعنى علياً والعباس ما بال هذا الأمر في أقلّ حى من قريش .
 ثم قال لعلّ : أبسط يدك أبايعك ، فوالله إن شئت لأملأها على أبي فصيل - يعنى أبا بكر -
 خيلاً ورَجَلاً . فامتنع عليه على عليه السلام ؛ فلما يس منه قام عنه وهو ينشد
 شعر التمس :

وَلَا يُقِيمُ عَلَى ضَيْمٍ يُرَادُ بِهِ إِلَّا الْأَذْلَانِ، عَيْرُ الْحَيِّ وَالْوَرْدُ^(١)
هذا على الخلف مربوط برؤيته وَذَا يَشْجُ فَلَا يَرِنِي لَهُ أَحَدٌ^(٢)

• • •

قيل لأبي قحافة يوم ولي الأمر ابنه : قد ولي ابنك الخلافة ، فقرأ : ﴿ قُلِ اللَّهُمَّ
مَالِكُ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ ﴾^(٣) ، ثم قال : لم ولوه ؟
قالوا : لسنه ، قال : أنا أسن منه .

نازع أبو سفيان أبا بكر في أمر فأغلظ له أبو بكر ، فقال له أبو قحافة : يا بني ، أتقول
هذا لأبي سفيان شيخ البطحاء ؟ قال : إن الله تعالى رفع بالإسلام بيوتنا ، ووضع بيوتنا ،
فكان مما رفع بيتك يا أبت ، ومما وضع بيتي أبي سفيان .



رَفَعَتْ شَيْئًا مِنْ سَدَى

(١) معاهد التنصيص ٤ : ٣٠٦ . والجر هنا : الحار .
(٢) الخشب : النقيصة . والرمة : القطعة من الحل .
(٣) سورة آل عمران ٢٦ .

(٦)

الأصل :

ومن كلام له لما أشير عليه بالألّا ينبع طلعة والوزير ولا يُرصد لها القتال :
 وَاللّٰهُ لَا أَكُونُ كَالضَّبْعِ تَنَامُ عَلَى طُولِ اللَّذَمِ ؛ حَتَّى يَصِلَ إِلَيْهَا طَائِلُهَا وَيَخْتَلِمَا
 رَاصِدُهَا ؛ وَلَكِنِّي أَضْرِبُ بِالنُّقِيلِ إِلَى أَلْحَقِّ الْمَذِيرِ عَنْهُ ، وَبِالسَّامِعِ الْمَطْمَعِ
 الْعَاصِ الْمُرِيبِ أَبَدًا ، حَتَّى يَأْتِيَ عَلَى يَوْمِي ؛ فَوَاللّٰهِ مَا زِلْتُ مُدْفُوعًا عَنْ حَقِّي ، مُسْتَأْثَرًا
 عَلَى ^(١) مُنْذُ قَبَضَ اللَّهُ نَبِيَّهٗ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ حَقَّ يَوْمِ النَّاسِ هَذَا .



الشرح :

يقال : أرصد له بشره ، أى أعد له وهماً ؛ وفي الحديث : « إِنْ لَا أَنْ أُرْصَدَهُ لِيَدَيَّ
 عَلَى » ^(٢) . واللّٰذم : صوت الحجر أو المصلاو جبرها تضرب به الأرض ضرباً شديداً .
 ولما شرح الراوندى هذه اللفظات ، قال : وفي الحديث : « وَاللّٰهُ لَا أَكُونُ مِثْلَ الضَّبْعِ
 تَسْمَعُ اللَّذَمَ حَتَّى تَخْرُجَ فَتُصَادَ » ، وقد كان - سبحانه الله - وقت تصنيفه الشرح ينظر
 في " صحاح الجوهري " ^(٣) وينقل منها ، فنقل هذا الحديث ظناً منه أنه حديث عن رسول
 الله صلى الله عليه وآله ، وليس كما ظن ، بل الحديث الذى أشار إليه الجوهري هو حديث
 على عليه السلام الذى نحن بصدد تفسيره .

ويختلما راصداها : يخذعها مترقبها ، خفلت فلاناً : خدعته . ورصدته : ترقبته .
 ومستأثراً على : أى مستبداً دونى بالأمر ، والاسم الأثرية وفى الحديث : إنا لله صلى الله عليه وآله ،

(١) مغلطة التهج : « مُسْتَأْثَرًا عَلَى غَيْرِي » .

(٢) تظن ابن الأثير فى النهاية (٢ : ٨٧) عن أبي هريرة : قال له عليه الصلاة والسلام : « مَا أَحَبُّ
 عِنْدِي مِثْلَ أَحَدٍ ذَهَبًا فَأَتَقَهٗ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، وَتَمَسَّ ثَلَاثَةَ رَعْدَى مِنْهُ دِهَارًا ؛ إِلَّا دَهَنًا أُرْصَدَهُ لِيَدَيْنِ »

(٣) صحاح الجوهري : ٢٠٧٩ .

قال للأَنْصار : « ستلقون بمدى أثره » ، فإذا كان ذلك فاصبروا حتى تردوا على الخوض ^(١) .
والعرب تقول في رموزها وأمثالها : أحق من الضبع ^(٢) ؛ ويزعمون أن الصائد يدخل عليها
وجارها ، فيقول لها : أطرق أم طرقتي ، خامري أم عامر ، وبكرر ذلك عليها مراراً . معنى
أطرق أم طرقتي طأطأت رأسك ، وكناها أم طرقتي لكثرة إطراقها ، على « فُعِيل »
كالتقبيط للناطف ، والمُلقى لنبت . ومعنى « خامري » الزمى وجارك واستترى فيه ، خامر
الرجل منزله إذا لزمه . قالوا : فتلجأ إلى أقصى مزارها وتتقبض ، فيقول : أم عامر ليست
في وجارها ، أم عامر نائمة ، فتمد يديها ورجليها وتستلقى ، فيدخل عليها فيوثقها ، وهو
يقول لها : أبشري أم عامر بكم ^(٣) الرجل ، أبشري أم عامر بشاهدي ، وجراد عظمي ^(٤) ،
أي يركب بعضه بعضاً ، فتشد عراقيتها فلا تتحرك ، ولو شادت أن تفنله لأمكنها ،
قال الكعب :
فمن المقررة لعقد

فمن المقررة لعقد ^(٥) عامر

وقال الشنفرى :

لَا تَقْبِرُونِي إِنْ قَبِرِي مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ وَلَكِنْ خَامِرِي أَمْ عَامِرِي ^(٦)
إِذَا مَضَى رَأْسِي وَفِي الرَّأْسِ كَثْرَى وَخُودِرَ عِنْدَ الْمَلْتَقَى ثُمَّ سَأَرِي ^(٧)
هَذَا لَا أَرْجُو حَيَاةَ تَرُونِي سَجِيسَ الْيَالِي مُبْسَلَا بِالْجَرَانِ ^(٨)

(١) ذكره ابن الأثير في النهاية (١ : ١٥) ، وقال : « الأثره » ، بفتح الحرة والثاء الاسم من آخر
يؤثر لثارة ؛ إذا أظنى ؛ أراد أنه يستأثر عليكم ليحصل غيركم في نصيبه في القى » .

(٢) التل في جملة الأمثال ٩ : ٢٧٦

(٣) كم : جمع كة ؛ وهي قلعة القدر ، وفي جملة الأمثال : « كمر » ؛ جمع كرة ؛ وهي رأس القدر .

(٤) في اللسان : « تماطلت الجراد » ، إذا تماطت « وأورد التل » .

(٥) من أبيات في معاني ابن قتيبة ٩ : ٢٩٤

(٦) ديوانه ٣٦ (من مجموعة الطرائف الأدبية) ، وفيه : « أبشري أم عامر »

(٧) ديوانه :

• إذا احتملوا رأسي وفي الرأس أكرى •

(٨) سجيس اليالي ؛ أي أبدا ؛ ومبسلا ، أي ممسا ؛ كذا نثره صاحب اللسان في (٧ : ٤٠٨) ،

(١٣ : ٥٧) ، واستشهد بالبيت .

أوصاهم ألا يذنبوه إذا قُتل ، وقال : اجعلوني أكلًا للسياح ، كالشيء الذي يرغب به الضبع في الخروج ؛ وتقدير الكلام : لا تقبروني ولكن اجعلوني كالتي يقال لها : خامري أم عامر ، وهي الضبع ، فإنها لا تقبر . ويمكن أن يقال أيضا : أراد لا تقبروني واجعلوني قربة لتي يقال لها : خامري أم عامر ؛ لأنها تأكل الجيف وأشلاء القتلى واللواتي .

وقال أبو عبيدة : يأتي الصائد فيضرب بعقبه الأرض عند باب مغارها ضربا خفيفا ؛ وذلك هو اللذم ، ويقول : خامري أم عامر ؛ مرارا ، بصوت ليس بشديد ، فننام على ذلك ، فيدخل إليها ، فيجسل الخبل في عرقوبها ويخرجها فيخرجها . يقول : لا أقعدُ عن الحرب والانتصار لنفسي وسلطاني ، فيكون حالي مع القوم المثار إليهم حال الضبع مع صائدها ، فأكون قد أسلتُ نفسي ، قتلَ الناجي الأحمق ، وكنتي أحارب من عصاني عن أطاعني حتى أموت ، ثم عقب ذلك بقوله : إن الاستكثار على والتغلب أمر لم يتجدد الآن ؛ ولكنه كان منذ قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم .

• • •

[طلحة والزبير ونسبهما]

وطلحة هو أبو محمد طلحة بن عبيد الله بن عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة . أبوه ابن عم أبي بكر ، وأمه الصعبة بنت الحضرمي ، وكانت قبل أن تكون عند عبيد الله تحت أبي سفيان صخر بن حرب ، فطلقها ثم تبعها نفسه ، فقال فيها شعرا أوله :

وإني وصَّيَّةٌ فيما أرى بَعِيدَانِ وَالْوُدُّ وَدٌّ قَرِيبُ

في آيات مشهورة . وطلحة أحد المشرقة المشهود لهم بالجنة ، وأحد أصحاب الشورى ، وكان له في الدفاع عن رسول الله صلى الله عليه وآله يوم أحد أثر عظيم ، وسَلَّتْ بعضُ (١٥ - شرح نهج البلاغة - أول)

أصابه يومئذوق رسول الله صلى الله عليه وآله بيده من سيوف المشركين، وقال رسول الله صلى الله عليه وآله يومئذ : « اليوم أوجب طلعة الجنة »^(١).

والزبير هو أبو عبد الله الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي، أمه صفية بنت عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف، عمه رسول الله صلى الله عليه وآله، وهو أحد العشرة أبصاء، وأحد الستة، وممن ثبت مع رسول الله صلى الله عليه وآله يوم أحد وأبلى بلاء حسناً، وقال النبي صلى الله عليه وآله: « لكل نبي حوارى وحوارى الزبير ». والحوارى: الخالصة، تقول: فلان خالصة فلان، وخلصانه وحواريه، أى شديد الاختصاص به والاستغلام له.

•••

[خروج طارق بن شهاب لاستقبال علي بن أبي طالب]

خرج طارق بن شهاب الأحسى يستقبل علياً عليه السلام، وقد صار بالزبدية طالباً عائشة وأصحابها، وكان طارق من صحابة علي عليه السلام وشيعته، قال: فسألت عنه قبل أن أتاه: ما أقدمه؟ قيل: خالقه طلحة والزبير وعائشة فأتوا البصرة، فقلت في نفسي: إنها الحرب! أما قاتل أم المؤمنين، وحوارى رسول الله صلى الله عليه وآله! إن هذا لعظيم، ثم قلت: أددع علياً، وهو أول المؤمنين إيماناً بالله وابن عم رسول الله صلى الله عليه وآله ووصيه! هذا أعظم. ثم أتيت فسلمت عليه، ثم جلست إليه، فقصت علي قصة القوم وقصته، ثم صلى بنا الظهر، فلما اغتسل جاء الحسن ابنة عليهما السلام، فبكي بين يديه، قال: ما بالك؟ قال: أبكى لقتلك غداً بمضيعة ولا ناصر لك. أما إنى أمرتك فصيتنى، ثم أمرتك فصيتنى. فقال علي السلام: لا تزال تحن خدين^(٢) الأمة! ما لى أمرتنى به فصيحك! قال: أمرتك حين أحاط الناس بثمان أن تعزل، فإن الناس إذا قتلوه طلبوك أينما كنتم حتى يبابوك، فلم تفعل ثم أمرتك لما قتل عثمان ألا توافقهم على

(١) أوجب، أى عمل عملاً أوجب له الجنة. وانظر النهاية لابن الأثير ٤ : ١٩٤.

(٢) الحنين: تردد البكاء حتى يكون في الصوت فحة. والمبر في اللسان (حن) وفي الأصول:

« حنين »، تحريف.

البيعة حتى يجتمع الناس ويأتيتك وفود العرب فلم تفعل . ثم خالفك هؤلاء القوم ، فأمرتك
ألا تخرج من المدينة ، وأن تدعهم وشأنهم ، فإن اجتمعت عليك الأمة فذاك ، وإلا رضيت
بقضاء الله . فقال عليه السلام : والله لا أكون كالضبع تنام على القدم حتى يدخل إليها
طالبها فيملىء الحبل برجلها ، ويقول لها : دباب دباب ، حتى يُقطع عرقوبها ... وذكر تمام
الفصل . فكان طارق بن شهاب يبكي إذا ذكر هذا الحديث .
دباب : اسم الضبع ، مبنى على الكسر كبراج اسم قشس .



مكتبة شهاب

(٧)

الأصل :

ومن خطبة له عليه السلام :

اتخذوا الشيطانَ لأمرهم مَلَاكَا، واتخذهم له أشرَكا، فباضَ وفرَّخَ في صدورهم،
ودبَّ ودرَجَ في حُجُورهم ؛ فنظرَ بأعينهم ، ونطقَ بألسنتهم ، فركبَ بهم الزَّللَ ،
وزَيَّنَ لهمُ الخطَلَ ؛ ففعلَ مَنْ قَدْ شَرِكَهُ الشَّيْطَانُ فِي سُلْطَانِهِ ، ونطقَ بِالْبَاطِلِ
عَلَى لِسَانِهِ .



الشرح :

يحوز أن يكون أشرَكا، جمع شريك، وأشرف . ويجوز أن يكون جمع
شرك ، كجَبَل وأحبال ، وللعنى بالاعتبارين مختلف .
وباض وفرَّخ في صدورهم ، استعارة لبسوسة والإعواء ، ومرادُه طولُ مكثه وإقامته
عليهم ، لأنَّ الطائر لا يبيض ويفرَّخ إلا في الأعشاش التي هي وطنه ومسكنه . ودبَّ ودرج
في حُجُورهم ، أى ربوا الباطل كما يربى الوالدان الولد في حجورهما . ثم ذكر أنه لشدة
اتحادهم وامتزاجه صار كمن ينظر بأعينهم ، وينطق بألسنتهم ، أى صار الاثنان كالواحد ،
قال أبو الطيب :

ما الخِلَ إلا مَنْ أودَ بغيره وأرى بطرف لا يرى بسوائه^(١)

وقال آخر :

كنا من الماعدة نحميا برُوح واحدة

وقال آخر :

جِئْتُ نَفْسُكَ فِي نَفْسِي كَمَا تَجِبُ الْحُرَّةُ بِالْمَاءِ الزَّلَالِ

فَإِذَا مَعَكَ شَيْءٌ مَسْتَبِي فَإِنِّي أَنَا فِي كُلِّ حَالٍ

والتخلل: القول الفاسد. وبحوز : أشرَكَ الشيطان في سلطانه، بالهمزة ، وشريكاً أيضاً؛

• بغير الهمزة أفصح .



(٨)

الأصل :

ومن كلام له عليه السلام يعنى به الزير فى حال اقتضت ذلك :
يَزُمُّ أَنَّهُ قَدْ بَايَعَ بِيَدِهِ وَلَمْ يُبَايِعْ بِقَدْبِهِ ؛ فَقَدْ أَفْرَأَ بِالْبَيْعَةِ ، وَأَدْعَى الْوَلِيْعَةَ .
فَلَيَاتُ عَلَيْهَا بِأَمْرِ يُعْرَفُ ، وَإِلَّا فَلْيَدْخُلْ فِيهَا خَرَجَ مِنْهُ .

• • •

الشرح :

الوليعة : البطانة ، والأمر بَسَرٌ وَبَكْرٌ ، قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ : ﴿ وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً ﴾ (١) . كان الزير يقول : بايعة بيدي لا بقلبي ؛
وكان يدعى تارة أنه أكره ، ويدعى تارة أنه ورع ، وفى البيعة توربة ، وتوى دخيلة ، وأنى
بمعارض لا تحمل على ظاهرها ، فقال عليه السلام : هذا الكلام إقرار منه بالبيعة وادعاء
أمر آخر لم يُقِمَّ عليه دليلا ، ولم ينصب له برهانا ، فإما أن يقيم دليلا على فساد البيعة الظاهرة ،
وأنها غير لازمة له ، وإما أن يعاود طاعته .

قال على عليه السلام للزير يوم بايعة : إني تخافت أن تغدر بى وتكث بيعى ، قال :
لا تخافن ؛ فإن ذلك لا يكون منى أبدا ، فقال عليه السلام : فلى الله عليك بذلك رابع
وكفيل . قال : نعم ، الله لك على ذلك رابع وكفيل .

• • •

[أمر طلحة والزير مع على بن أبى طالب بعد بيعتهما له]

لما بويع على عليه السلام كتب إلى معاوية : أما بعد ، فإن الناس قتلوا عثمان عن غير

مشورة متى ، وبايعوني عن مشورة منهم واجتماع ، فإذا أتاك كتابي فبايع لي ، وأوفد إلى أشراف أهل الشام قبلك .

فلما قدم رسوله على معاوية ، وقرأ كتابه ، بعث رجلا من بني عُمَيْس ، وكتب معه كتابا إلى الزبير بن العوام ، وفيه :

بسم الله الرحمن الرحيم . لعبد الله الزبير أمير المؤمنين من معاوية بن أبي سفيان :
سلام عليك ، أما بعد ، فإني قد بايعت لك أهل الشام ، فأجابوا واستوسقوا^(١) كما يستوسق الجلب ، فدوئك الكوفة والبصرة ، لا يسبقك إليها ابن أبي طالب ، فإنه لا شيء بعد هذين الصريين ، وقد بايعت لطلحة بن عبيد الله من بعدك ، فأظهرنا الطلب بدم عمان ، وادعونا الناس إلى ذلك ، وليكن بينكما الجِد والثمير ، أغفر كما الله ،
وخذل مناوئكما !

فلما وصل هذا الكتاب إلى الزبير بن العوام ، وأعلم به طلحة وأقرأه إياه ، فلم يشكأ في النصح لهما من قبل معاوية ، وأجما عند ذلك على خلاف علي عليه السلام .

• • •

جاء الزبير وطلحة إلى علي عليه السلام بعد ثلثية أيام ، فقالا له : يا أمير المؤمنين ، قد رايت ما كنا فيه من الجفوة في ولاية عمان كلها ، وعلمت رأي عمان كان في بني أمية ، وقد ولّاك الله الخلافة من بعده ، فولّنا بعض أعمالك ، فقال لهما : أرضيا بقسم الله لسكنا ، حتى أرى رأيي ، واعلموا أنني لا أشرك في أمانتي إلا من أرضى بدينه وأمانته من أصحابي ، ومن قد عرفت دخيلته .

فانصرفا عنه وقد دخلهما اليأس ، فاستأذناه في العبرة .

(٢) استوسقوا : استجمعوا وانصبا . وفي نهاية ابن الأثير : « ومنه حديث أحد : استوسقوا كما يستوسق جرب الفم ، أي استجمعوا » .

طلب طلعة والزبير من عليّ عليه السلام أن يوليَّيهما للضربين : البصرة والكوفة ، فقال : حتى أنظر . ثم استشار المغيرة بن شعبه ، فقال له : أرى أن توليَّيهما إلى أن يستقيم لك أمر الناس . فقال ابن عباس ، وقال : ما ترى ؟ قال : يا أمير المؤمنين ، إن الكوفة والبصرة عين الخلافة ، وبهما كتوزُّ الرجال ، ومكان طلعة والزبير من الإسلام ما قد علت ، ولست آمنهما إن وليَّيهما أن يُحدثا أمرا . فأخذ عليّ عليه السلام برأي ابن عباس . وقد كان استشار للمغيرة أيضا في أمر معاوية ، فقال له : أرى إقراره على الشام ، وأن تبعث إليه بعده إلى أن يسكن شعبُ الناس ، ولت بعدُ رأيك . فلم يأخذ برأيه . فقال المغيرة بعد ذلك : والله ما نصحتُه قبلها ، ولا أصعبه بمذَّها ما بقيت .



دخل الزبير وطلعة عليّ عليه السلام ، فاستأذناه في العمرة ، فقال : ما العمرة تريدان ؟ فحللنا له بالله أنهما ما يريدان غير العمرة ، فقال لهما : ما العمرة تريدان ، وإنما تريدان العذرة ومكث البيعة ؟ فحللنا بالله ما الخلاف عليه ولا نكث بيعة يريدان ، وما رأيهما غير العمرة . قال لهما : فأعيدا البيعة لي ثانية ، فأعادها بأشد ما يكون من الأيمان واللوائح ، فأذيت لهما ، فلما خرجا من عنده ، قال لمن كان حاضرا : والله لا ترويهما إلا في فتنة يقتلان فيها . قالوا : يا أمير المؤمنين ، فمر برؤهما عليك ، قال : ليقتضي الله أمرا كان منقولا .



لما خرج الزبير وطلعة من المدينة إلى مكة لم يلقيا أحدا إلا وقالوا له : ليس لعل في اعتناقنا بيعة ، وإنما بآمناء مكرهين . فبغ عليا عليه السلام قولهما ، فقال : أبعدهما الله وأغرب^(١) دارهما ! أما والله لقد علت أنهما سيقتلان أنفسهما أخبث مقتل ، ويأتيان من

(١) يغل : أغرب علوه : أبعدهما .

وردا عليه بأشأم يوم ، والله ما المرأة يريدان ، ولقد أتيتني بوجهي فاجرين ، ورجعا بوجهي غادين ناكثين ، والله لا يلتقياني بعد اليوم إلا في كتيبة خشناء^(١) ، يقتلان فيها أنفسهما ، فبعداً لهما وسحقاً !

• • •

وذكر أبو مخنف في "كتاب الجمل" أن علياً عليه السلام خطب لما سار الزبير وطلعة من مكة ومعهما عائشة يريدون البصرة ، فقال : أيها الناس ، إن عائشة سارت إلى البصرة ، ومعهما طلعة والزبير ، وكل منهما يرى الأمر له دون صاحبه ، أما طلعة فأن عمها ، وأما الزبير فحنتها ، والله لو ظفروا بما أرادوا - ولن ينالوا ذلك أبداً - ليصرين أحدهما عنق صاحبه بعد تنازع منهما شديد . والله إن راكبة الجمل الأحمر ما تقطع عتبة ولا تحمل عقدة إلا في مصيبة الله وسخطه ، حتى تورد نفسها ومن معها موارد الهلكة ؛ أي والله كيقتلن نلهم ، وليهرين نلهم ، وليتوين نلهم ، وإنها التي تنبئها كلاب الحروب ، وإنها ليعلمان أنها محطتان . ورب عالم قتله جهله ، ومعه علمه لا ينفعه ، وحسبنا الله ونعم الوكيل ! فقد قامت العتلة فيها الفتن الباغية ، أين المحتسبون ؟ أين المؤمنون ؟ مالي ولقريش ! أما والله لقد قتلهم كافرين ، ولأقتلهم مفتونين ! وما لنا إلى عائشة من ذنب إلا أنا أدخلناها في حيزنا . والله لأبقرن الباطل ، حتى يظهر الحق من خاصرته ، قتل قریش فلتضج ضجيجها . ثم نزل .

• • •

برز علي عليه السلام يوم الجمل ، ومادى بالزبير : يا أبا عبد الله ، مرارا ، فخرج الزبير ، فتصاربا حتى اختلفت أعناق خيلهما ، فقال له علي عليه السلام : إنما دعوتك لأذكرك حديثنا قاله لي ذلك رسول الله صلى الله عليه ؛ أنذكر يوم رأيتك مشفق ، فقال لك :

(١) كتيبة خشناء ، أي كثيرة السلاح خشنة .

«أحببه» ؟ قلت : ومالي لأحبه وهو أخى وابن خالى ! فقال : «أما إنك ستحاربه وأنت ظالم له» . فاسترجع الزبير ، وقال : أذكرتني ما أساياه الدهر ، ورجع إلى صفوفه . فقال له عبدالله ابنه : لقد رجعت إلينا بنير الوجه الذى فارقتنا به ! فقال : أذكرنى على حديثاً أنساه الدهر فلا أحاربه أبداً ، وإنى لأرجع وتارككم منذ اليوم . فقال له عبدالله : ما أراك إلا جئفت من سيف بنى عبد المطلب ، إنها لسيف جِداد ، تحملها فتية أعاد ! فقال الزبير : وبلك ! أتتهجن على حربته ! أما إنى قد حملت إلا أحاربه ، قال : كغر عن يمينك ! لا تتحدث نساء قريش أمك جئفت ، وما كنت جناناً ، فقال الزبير : غلامى مكحول حر كفارة عن يمينى ، ثم أنصلي^(١) سينان ربحه ، وحمل على عسكر على عليه السلام برُمح لا سنان له ، فقال على عليه السلام : أفر حواله ، فإني أخرج ، ثم عاد إلى أصحابه ، ثم حل ثابته ، ثم ثالثة ، ثم قال لابنه : أجننا وبلك ترى ؟ فقال : لقد أعذرت

•••

لما أذكر على عليه السلام الزبير بما أذكره به ورجع الزبير ، قال :
 نادى على بأمر لست أمكره وكان صرايح الخيل مذحين
 فقلت حسبك من عدل أبا حسن بمن الذى قلت منذ اليوم يكفيني
 ترك الأمور التى تمشى معشها والله أمثل فى الدنيا وفى الدين
 فاحتدت عارا على نار موجهة أى يقوم لها خلق من الطين !

•••

لما خرج على عليه السلام لطلب الزبير خرج حاسرا ، وخرج إليه الزبير دارعا مدججا ، فقال للزبير : يا أبا عبد الله ، قد لعمري أعددت سلاحا ، وحذا فهل أعددت عند الله عنرا ؟ فقال الزبير : إن مردنا إلى الله ، قال على عليه السلام : «يَوْمَئِذٍ يُؤْفِكُهُمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْخُلُقَ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْخُلُقُ الْعَبِيدُ»^(٢) ، ثم أذكره الخيل ، فلما كثر

الزبير راجعاً إلى أصحابه نادماً واجماً ، رجع على عليه السلام إلى أصحابه جذلاً مسروراً ، فقال له أصحابه : يا أمير المؤمنين ، تبرز إلى الزبير حاسراً ، وهو شاكٍ^(١) في السلاح ، وأنت تعرف شجاعته ! قال : إنه ليس بقاتل ، إنما يقتلني رجل خامل الذكر ، ضئيل النسب ، غيلة في غير ما قطع^(٢) حرب ، ولا معركة رجال ، ويبلغ أشقى البشر ! ليودن أن أمه هبّت به ! أما إنه وأحر تمود لمقرونان في قرن .

• • •


لما انصرف الزبير عن حرب على عليه السلام مرّ بوادي السباع ، والأحف بن قيس هناك في جمع من بني تميم قد اعتزل الفريقين ، فأخبر الأحف بمرور الزبير ، فقال رافعاً صوته : ما صنع بالزبير ! لفت غاربن^(٣) من المسلمين ، حتى أخذت السيوف منهما ما أخذاه ، انسلا وتركهم . أما إنه غليل بالقتل ، قتل الله ! فأنبى عمرو بن جرموز - وكان فاتكاً - فلما قرب منه وقف الزبير ، وقال : ما سألتك ؟ قال : جئت لأسألك عن أمر الناس ، قال الزبير : إني تركتهم قياماً في الركب ، يضرب بعضهم وجهه ببعض بالسيف . فسار ابن جرموز معه ، وكل واحد منهما يتقي الآخر . فلما حصرت الصلاة ، قال الزبير : يا هذا ، إننا نريد أن نصلي .

فقال ابن جرموز : وأما أريد ذلك ، فقال الزبير : فتؤمنني وأؤمنك ؟ قال : نعم ، فتقى الزبير رجله ، وأخذ وصووه . فلما قام إلى الصلاة شد ابن جرموز عليه فقتله ، وأخذ رأسه وخاتمه وسيفه ، وحشا عليه تراها يسيراً ، ورجع إلى الأحف ، فأخبره ، فقال : والله ما أدرى أسأت أم أحسنت ؟ اذهب إلى علي عليه السلام فأخبره ، فجاء إلى علي عليه السلام ، فقال للأذن : قل له : عمرو بن جرموز بالباب ومعه رأس الزبير وسيفه ، فأدخله . وفي كثير من الروايات أنه لم يأت بالرأس بل بالسيف ، فقال له : وأنت قتلته ؟ قال : نعم ، قال : والله ما كان ابن صفية جباناً ولا ثيباً ، ولكن الحنين ومصارع السوء

(١) يقال : رجل شاكٍ السلاح ؛ إذا كان ذا شوكة وحديد سلاحه . (٢) انقطع : ساحة القتال .

(٣) النارها : الحبش ، وفي اللسان ٦ : ٣٤ : جمع بين غاربن .

ثم قال : فناولني سيفه ، فناولته فهرقه ؛ وقال : سيف طالمنا جلي به الكرم من وجه رسول الله صلى الله عليه وآله . فقال ابن حرموز : الجائزة بأمر المؤمنين ، فقال : أما إن سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول : « بشر قاتل ابن صعيقة بالنار » ، فخرج ابن جرموز خائبا ، وقال :

أنيبُ عنيأ برأس الزبير أبني يد عنده الزلهة (١)
فبشر بالنار يوم الحساب فنبئت إشارة ذي الشحنة
فقلت له إن قتل الزبير لولا رضاك من الكلفة
فإن ترض ذلك فلك الرضا وإلا قدؤنك لي حنقه
ورب الملقين والمحرمين وربي الجماعة والألفة
ليمان هندی قتل الرضا  ومضرة عنز بذي الحصة

ثم خرج ابن جرموز على علي عليه السلام مع أهل السهر ، فقتله معهم فيمن قتل.

(٩)

الأمنل :

ومن كلام له عليه السلام :

وَقَدْ أَرَعَدُوا وَأَبْرَقُوا ، وَمَعَ هَذَيْنِ الْأَمْرَيْنِ الْفَشَلُ ، وَلَسْنَا نُرْعِدُ حَتَّى نُوقِعَ ،
وَلَا نُسِيلُ حَتَّى نُمْطِرَ .



الشَّيْخ :

أرعد الرجل وأبرق ، إذا أوعد وتهدد ، وكان الأوصى بكرة ، ويرزم أنه لا يقال
إلا رعد وبرق ، ولما احتج عليه فقيل له لا بأس ،
أَرَعِدْ وَأَبْرِقْ مَا يَزِيدُ فَاوَعِدْكَ لِي بِضَائِرَ

قال : السكيت قروي لا يحتاج بقوله^(١)

وكلام أمير المؤمنين عليه السلام حجة دالة على بطلان قول الأوصى . والفشل :
الجنين والنحور .

وقوله : « وَلَا نُسِيلُ حَتَّى نُمْطِرَ » ، كلمة فصيحة ، يقول : إن أصحاب الجمل في
وعيدهم وإجلابهم بمنزلة من يدعى أنه يحدث السيل قبل إحداث المطر ؛ وهذا محال ،
لأن السيل إنما يكون من المطر ، فكيف يسبق للمطر ؟ وأما نحن فإننا لا ندعى ذلك ،
وإنما نجرى الأمور على حقائقها ، فإن كان منا مطر كان منا سيل ، وإذا أوقفنا بخصمتنا
أوعدنا حينئذ بالإيقاع به غيره من خصومنا .

(١) الخبر والبيت في أمالي القائل : ٩٦ :

وقوله عليه السلام : « ومع هذين الأمرين القتل » معنى حسن ، لأن الغالب من الجبناء كثرة الضوضاء والغلبة يوم الحرب ، كما أن الغالب من الشجعان الصمت والسكون .

وسمع أبو طاهر الجنابي^(١) صوضاء عسكر المقتدر بأفقه ودبايرهم^(٢) ونوفاهم ، وهو في ألف وخمسمائة ، وعسكر المقتدر في عشرين ألفا ، مقدمهم يوسف بن أبي الساج ، فقال لبعض أصحابه : ما هذا الزجل^(٣) ؟ قال : قتل ، قال : أجل .

ويقال : إنه ما رُئي جيش كعيش أبي طاهر ، ما كان يسمع لهم صوت ، حتى إن الخيل لم تكن لها سمحة ، فرشق عسكر ابن أبي الساج^(٤) القرامطة بالسهم المسومة ، فخرج منهم أكثر من خمسمائة إنسان .

وكان أبو طاهر في عمارية له ، فتركها وركب فرسا ، وحمل نفسه ومعه أصحابه حملة على عسكر ابن أبي الساج ، فكسروه وقتلوه وحلصوا إلى يوسف فأسروه ، وتقطع عسكره بعد أن أتى بالقتل على كثير منهم ، وكان ذلك في سنة خمس عشرة وثلثمائة . ومن أمثالهم : الصدق بنو " هنك لا الوعيد .

(١) هو أبو طاهر سليمان بن أبي سعيد المس بن بهرام الجنابي ؟ كان أبوه المس كبير القرامطة ؟ وقتل سنة ٣٠٩ ، قتله خادم له سلمي ، فتولى ابنه أبو طاهر أمر القرامطة بعده ، بعد أن عمر أخوه سعيد عن الأمر . تاريخ ابن الأثير ٩ : ١٤٧ .

(٢) في اللسان : « الدباب : صوت كناه دباب ، دباب ؟ وهي حكاية الصوت » .

(٣) المزجل : الجلة ورفح الصوت .

(٤) هو يوسف بن أبي الساج ؟ أحد ولادة الرى في عهد المقتدر ؟ وكان استقل من الخليفة ، ثم عاد إلى طاعته . وانظر طرقا من أخباره في تاريخ ابن الأثير ٩ : ١٧٥ ، وما بعدها .

(١٠)

الأصل :

ومن خطبة له عليه السلام :

أَلَا وَإِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ جَمَعَ حِزْبَهُ ، وَاسْتَجَلَبَ خَيْلَهُ وَرَجُلَهُ ؛ وَإِنْ مَعِيَ لَبَصِيرَتِي ؛
مَا لَبِئْتُ عَلَى نَفْسِي ، وَلَا لُبْسَ عَلَى . وَابْتِئِمْ اللَّهُ لَا فَرِطَلٌ لَهُمْ حَوْضًا أَمَّا مَا مَحْمُةٌ ،
لَا يَصْدُرُونَ عَنْهُ ، وَلَا يَسُودُونَ إِلَيْهِ .



الشرح :

يمكن أن يَمْنَى الشيطان الشيطان الحقيقي ، ويمكن أن يَمْنَى به معاوية ، فإن عَنَى
معاوية ، فقوله : « قَدْ جَمَعَ حِزْبَهُ ، وَاسْتَجَلَبَ خَيْلَهُ وَرَجُلَهُ » كلام جارٍ على حقيقته ،
وإن عَنَى به الشيطان ، كان ذلك من باب الاستعارة ؛ وما خَوْفًا من قوله تعالى :
﴿ وَأَسْتَفْزِرُّ مَنِ اسْتَضَعَّتْ مِنْهُمْ بِصَوْنِكَ وَأَجِيبْ عَلَيْهِمْ بِحَبْلِكَ وَرَاجِلْ ﴾^(١) ، والراجل :
جمع راجل ، كالشرب ، جمع شارب ، والركب : جمع راكب .

قوله : « وَإِنْ مَعِيَ لَبَصِيرَتِي » ، يريد أن البصيرة التي كانت معي في زمن رسول الله
صلى الله عليه وآله لم تَتَمَيَّز .

وقوله : « مَا لَبِئْتُ » تقسيم جيد ، لأن كل ضال عن الهداية ، فلما أن يضل من
تلقاه نفسه ، أو بإضلال غيره له .

وقوله : « لَا فَرِطَلٌ » من رواها بفتح الحرة ، فأصله « فَرَطٌ » ثلاثي ، يقال : فَرَطَ

زبد القوم أى سبهم ، ورجل فرط : يسبق القوم إلى البئر ، فيبقي لهم الأرشية والدلاء ،
ومنه قوله عليه السلام : « أنا فرطكم على الحوض » ، ويكون تقدير الكلام :
وأيهم الله لأفرطن لم إلى حوض ، فلما حذف الجار عدى الفعل بنفسه ، فنصب ، كقوله
تعالى : ﴿ وَأَخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ ۖ ﴾^(١) ، وتكون اللام في « لهم » إمّا لام التحدية ، كقوله :
« ويؤمن للمؤمنين » أى ويؤمن للمؤمنين ، أو تكون لام التعليل ، أى لأجلهم . ومن
رواها « لأفرطن » بضم الهمزة ، فهو من أفرط للزادة ، أى ملاًها .

والماتح : المستقي ، متع بفتح ، بالفتح ، والماتح ، بالياء : الذى ينزل إلى البئر فيملأ الدلو .
وقيل لأى على رحمة الله : ما الفرق بين الماتح والماتح ؟ قال : هما كإيهامهما ، يبنى
أن التاء بتقطين من فوق ، وكذلك الماتح لأنه المستقي ، فهو فوق البئر ، والياء بتقطين
من تحت ، وكذلك الماتح لأنه تحت الماء الذى فى البئر يملأ الدلاء . ومعنى قوله :
« أنا ماتحه » ، أما خير به ، كما يقول من يدعى معرفة الدار : أنا باني هذه الدار ،
والكلام استعارة ؛ يقول : لأملأن لم حياض الحرب التى هى دُرْبَتى وعادى ،
أو لأشيقنهم إلى حياض حرب أما متضرب بها ، مجرب لها ، إذا وردوها لا يصدرون عنها .
يعنى قتلهم وإزهاق أنفسهم ، ومن قرأ منهم لا يعود إليها ومن هذا اللفظ قول الشاعر :
تَحَصَّتْ يَدْلُوهُ حَتَّى تَحْتَى ذُؤُوبَ الشَّرِّ مَلَأَى أَوْقُرَابًا^(٢)

(١١)

الأنشيد :

ومن كلام له عليه السلام لابنه محمد بن الحنفية لما أعطاه الراية يوم الجبل :
تَزُولُ الْجِبَالُ وَلَا تَزُلْ ، غَضٌّ قَلَى نَاجِدِكَ ، أَعِيرَ اللَّهُ جُحُشَتَكَ ، تَذُ فِي الْأَرْضِ
قَدَمَكَ ، أَرَمَ بَيْصَرِكَ أَقْصَى الْقَوْمِ ، وَغُضٌّ بَصَرِكَ ، وَأَعْلَمُ أَنَّ النَّصْرَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ
مُبْتَعَانُهُ .

التيشرح :

قوله : « تَزُولُ الْجِبَالُ وَلَا تَزُلْ » معناه على الشرط ، تقديره : إن زالتِ الجبالُ
فلا تَزُلْ أنتَ ؛ والمراد للبالغة في أخبار عَمِيْنِ بْنِ حَكَلٍ - وكانوا مع أهل الشام -
حلوا في يوم من أيام صِفِّينَ ، خرجوا وعقلوا أنفسهم بيمانهم ، وتحالفوا أن لا يفرّ حتى يفرّ
هذا « الحَكْر » ، بالكاف ، قالوا : لأن حُكَلًا تبدل الجيم كافا .

والناجِدُ : أقصى الأصراس . وتَذُ ، أمر من وتَدَّ قدمه في الأرض ؛ أي أنبت بها فيها كالوتد .
ولا تَنَاقُصَ بين قوله : « أَرَمَ بَيْصَرِكَ » وقوله : « غُضٌّ بَصَرِكَ » ، وذلك لأنه في الأولى
أمره أن يفتح عينه ويرفع طرفه ، ويحدّق إلى أقصى القوم ببصره ؛ فقل الشجاع المقدام
غير المكثرت ولا اللبالي ، لأن الجبان تضف نفسه ويحدّق قلبه فيقصر بصره ، ولا يرتفع
طرفه ، ولا يمتدّ عنقه ، ويكون ناكس الرأس ، غضيض الطرف . وفي الثانية أمره أن
يغضّ بصره عن بريق سيوفهم ولعان دروعهم ، لئلا يبرق بصره ، ويدعش ويستشعر
خوفا . وتقدير الكلام « واحمل » وحذف ذلك للعلم به ، فكأنه قال : إذا عزمت على الحلة
(١٦ - شرح نهج البلاغة - أول)

وصحمت ، فنُضِرَ حينئذٍ بصرَكَ واحِل ، وكن كالمشوّاء التي تُخبط ما أمامها ولا تبالى .
 وقوله : « غَضَّ عَلَى نَاحِيَتِكَ » ، قالوا : إنَّ العاضَّ على نواحيه ينبى السيف عن دماغه ،
 لأنَّ عظام الرأس تشدُّ وتصلب ؛ وقد جاء في كلامه عليه السلام هذا مشروحاً في موضع
 آخر ، وهو قوله : « وَعَضُوا عَلَى النَّوَاجِدِ » ، فإنه انتهى للصوارم من الهام . ويحتمل أن يريد به
 شِدَّةَ الحَقِّ ؛ قالوا : فلان يحرقُ عَلَى الأَرَم ، يريدون شِدَّةَ النِّبْطِ ، والحرق : صريف
 الأسنان وصوتها ، والأَرَم : الأضراس .

وقوله : « أَمَرَ اللَّهُ بِجُحْمَتِكَ » ، معناه ابتذلها في طاعة الله . ويمكن أن يقال : إن ذلك
 إشعارٌ به أنه لا يقتل في تلك الحرب ، لأنَّ العارية مردودة ، ولو قال له : بعِ الله بِجُحْمَتِكَ ،
 لكان ذلك إشعاراً به بالشهادة فيها .

وأخذ يزيد بن المهلب هذه اللفظة فخطب أصحابه بواسطه ، فقال : إني قد أسمع قول
 الرطاع : جاء متلّة ، وجاء العباس ^(١) ، وجاء أهل الشام ، ومن أهل الشام والله ما هم إلا تسعة
 أسياف ، سبعة منها مني ، وأثنان من قس ، وأما تسعة فخرادة صفراء ، وأما العباس
 فسطوس ابن سطر ^(٢) ، أناكم في برابرة وصقالية وجرامقة وجراجمة ^(٣) وأقباط وأنباط
 وأخلاط ، إنما أقبل إليكم الفلاحون وأوباش كاشلاء القمم . والله ما لقوا قط كعديديكم
 وعديديكم ، أعيدوني سواعدكم ساعة نصيفقون بها حراطينهم ، فإنما هي غَدْوَةٌ أو رَوْحَةٌ ؛
 حتى يحكم الله بيننا وبين القوم الظالمين .

من صفات الشعاع قولهم : فلان مغاير ، وفلان غَشْمَشَم ، أي لا يبصر ما بين يديه
 في الحرب ، وذلك لشدة تفتحه وركوبه للهلكة ، وقلة نظره في العاقبة ، وهذا هو معنى قوله
 عليه السلام لحمد : « غَضَّ بَصْرَكَ » .

(١) هما مسلمة بن عبد الملك والعباس بن الوليد بن عبد الملك ، جهزهما يزيد بن عبد الملك لقتال يزيد
 ابن المهلب . انظر ابن حنبل ، ترجمة يزيد بن المهلب . (٢) إشارة إلى أن أمه كانت أمّة
 رومية نصرانية . (٣) الجرامقة : قوم من النجم صاروا بالموصل في أوائل الإسلام . والجرامقة :
 قوم من النجم بالجزيرة ، أو نبط الشام .

[ذكر خبر مقتل حمزة بن عبد المطلب]

وكان حمزة بن عبد المطلب مغامراً غَشَّيْتُمَا لَا يَبْصِرُ أَمَامَهُ ، قَالَ جُبَيْرُ بْنُ مُطْعِمٍ
ابْنُ عَدَى بْنِ نَوْفَلِ بْنِ عَبْدِ مَنَافٍ لِعَبْدِهِ وَحْشَى يَوْمَ أُحُدٍ : وَيَبْلُوكَ ! إِنْ عَلِيًّا قَتَلَ عَمِّي طَعْنَةً
سَيِّدَ الْبَطْعَاءِ يَوْمَ بَدْرٍ ، فَإِنْ قَتَلْتَهُ الْيَوْمَ فَأَنْتَ حُرٌّ ، وَإِنْ قَتَلْتَ مُحَمَّدًا فَأَنْتَ حُرٌّ ، وَإِنْ قَتَلْتَ
حُمَازَةَ فَأَنْتَ حُرٌّ ، فَلَا أَحَدٌ يَمْدِدُ عَمِّي إِلَّا هَؤُلَاءِ . فَقَالَ : أَمَّا مُحَمَّدٌ فَإِنْ أَصْحَابُهُ دُونَهُ ، وَلَنْ
يُسْلِمُوهُ ، وَلَا أَرَانِي أَصِيلُ إِلَيْهِ ، وَأَمَّا عَلِيٌّ فَرَجُلٌ حَذِيرٌ مَرَسٌ ^(١) ، كَثِيرُ الْإِتِّفَاتِ فِي الْحَرْبِ
لَا أَسْتَطِيعُ قَتْلَهُ ، وَلَكِنْ سَأَقْتُلُكَ حُمَازَةَ ، فَإِنَّ رَجُلًا لَا يَبْصِرُ أَمَامَهُ فِي الْحَرْبِ ، فَرُوقَ
لِحْمَةٍ حَتَّى إِذَا حَاذَاهُ زَرْقٌ بِالْحُرْمَةِ كَأَنَّ زَرْقًا ^(٢) بِالْجَبْشَةِ مَحْرَابَهَا ، فَقَتَلَهُ .



[محمد بن الحنفية وثمنه وبعض أخباره]

دَعَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ رَابِعَةً إِلَى عَمْدَانِهِ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ ، وَقَدْ اسْتَوَتْ
الْصُّفُوفُ ، وَقَالَ لَهُ : اجْلِسْ ! فَتَوَقَّفَ قَلِيلًا ، فَقَالَ لَهُ : اجْلِسْ ، فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، أَمَا تَرَى
السَّهَامَ كَأَنَّهَا شَائِبُ الْبَطْرِ ! فَدَفَعَ فِي صَدْرِهِ ، فَقَالَ : أَذْرُكَكَ مِرْقًا مِنْ أَمْكٍ ، ثُمَّ أَخَذَ
الرَّايَةَ فَهَزَّهَا ، ثُمَّ قَالَ :

اطْعَنُ بِهَا طَعْنَ أَبِيكَ مُحَمَّدٍ لَا خَيْرَ فِي الْحَرْبِ إِذَا لَمْ تُوقَدِ

• بِالْمَشْرِقِ وَالْقَفَا لِلْسَّدِّ •

ثُمَّ حَلَّ وَحَلَّ النَّاسَ خَلْفَهُ ، فَطَعَنَ عَسْكَرَ الْبَصْرَةِ .

(١) رَجُلٌ مَرَسٌ : شَدِيدُ الْعِلَاجِ لِلْأُمُورِ .

(٢) زَرْقَةٌ : لُحْمَةٌ .

قيل لمحمد: لِمَ يُفَرُّ بِكَ أبوك في الحرب ولا يفرُّ بالحسن والحسين عليهما السلام؟
 فقال: إنيهما عيناها وأنا يميناها، فهو يدفع عن عيتيه يمينيه .

كانت علي عليه السلام يقذفُ بمحمد في مهالك الحرب ، وبكفت حنا
 وحسبنا عنها .

ومن كلامه في يوم صفين: امْلِكُوا عَنِّي هَذَيْنِ الْفَتَيَيْنِ، أَخَافُ أَنْ يَنْقَطِعَ بِهِمَا نَسْلُ
 رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ .

أم محمد رضي الله عنه خوّلة بنت جعفر بن قيس بن مسلمة بن عبيد بن ثعلبة بن يربوع
 ابن ثعلبة بن الدؤل بن حنيفة بن لحيم بن منصور بن علي بن بكر بن وائل .

واختلِفَ في أمرها ، فقال قوم: إنيما حنيفة من سبأيا الرّدة ، قوتل أهلها على يد خالد
 ابن الوليد في أيام أبي بكر، لَمَّا مَنَعَ كَثِيرٌ مِنَ الْعَرَبِ الزَّكَاةَ، وَارْتَدَّتْ بِسُوءِ حَنِيْفَةٍ، وَادَّعَتْ
 نِيُوَّةَ سُتَيْلِيَةَ ، وَإِنْ أَبَا بَكْرٍ دَفَعَهَا إِلَى عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْ سَهْمِهِ فِي الْمَعْمِ .

وقال قوم، منهم أبو الحسن علي بن محمد بن سيف الدائمي: هي سديّة في أيام رسول الله
 صلى الله عليه وآله ، قالوا: نعمت رسول الله صلى الله عليه وآله عليّا إلى الين ، فأصاب
 خوّلة في بني زُبَيْدَ ، وقد ارتدوا مع عمرو بن معدى كرب ، وكانت زُبَيْدُ سَبْتَهَا مِنْ
 بَنِي حَنِيْفَةٍ فِي غَارَةٍ لَمْ عَلَيْهِمْ، فَصَارَتْ فِي سَهْمِ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
 عَلَيْهِ وَآلِهِ : إِنْ وَلَدْتَ مِنْكَ غُلَامًا فَسَمِّهِ بِاسْمِي ، وَكُنَّهْ بِكُنْيَتِي، فَوَلَدَتْ لَهُ بَعْدَ مَوْتِ فَاطِمَةَ
 عَلَيْهَا السَّلَامُ مُحَمَّدًا ، فَكَفَّاهُ أَبَا الْقَاسِمِ .

وقال قوم، وهم المحققون، وقولهم الأظهر: إن بني أسدٍ أغارت على بني حنيفة في خلافة
 أبي بكر الصديق، فسبوا خوّلة بنت جعفر، وقد موأبها المدينة فباعوها من علي عليه السلام،

وبلغ قوتها خبرها ، فقدموا المدينة على علي عليه السلام ، فصرفوها وأخبروه بموضعها منهم ، فأعتقها ومهرها وتزوجها ، فولدت له محمداً ، فكناه أبا القاسم .
وهذا القول ، هو اختيار أحمد بن يحيى البلاذري في كتابه المعروف بـ " تاريخ الأشراف " .

• • •

لما تقاسم محمد يوم الجمل عن الحملة ، وحمل علي عليه السلام الراية ، فضمض أركان عسكر الجمل ، دفع إليه الراية ، وقال : أشح الأولى بالأخرى ، وهذه الأنصار معك . وضم إليه خزيم بن ثابت ذا الشهادتين ، في جمع من الأنصار ، كثير منهم من أهل بدر ، فحمل حملات كثيرة ، أزال بها القوم عن مواقفهم وأبلى بلاء حسناً . فقال خزيم بن ثابت لعلي عليه السلام : أما إني لو كان غير محمد اليوم لأفضمض ، ولئن كنت خفت عليه الحين وهو بينك وبين حمزة وحضر لما خفناه عليه ، ولئن كنت أردت أن تملأه الطعان فطالما علمته الرجال . .

وقالت الأنصار : يا أمير المؤمنين ، لولا ما جبل الله تعالى الحسن والحسين لما قدمنا على محمد أحداً من العرب . فقال علي عليه السلام : أين التعم من الشمس والقمر ! أما إنه قد أغنى وأبلى ، وله فضله ، ولا ينقص فضل صاحبيه عليه ، وحسب صاحبكم ما انتهت به نعمة الله تعالى إليه ، فقالوا : يا أمير المؤمنين ، إنا والله لا نجعله كالحسن والحسين ، ولا نظلموما له ، ولا نظلمه - نفضلها عليه - حقاً ، فقال علي عليه السلام : أين يقع ابني من ابني بنت رسول الله صلى الله عليه وآله ! فقال خزيم بن ثابت فيه :

محمد ما في عودك اليوم ومحنة
ولا كنت في الحرب الصرؤوس مَعْرُداً^(١)
أبوك الذي لم يركب الخيل مثله
علي ، وسمائك النبي محمد
فلو كان حقاً من أبيك خليفة
أكنت ، ولكن داك مالا يرى بداً

وَأَنْتَ بِحَمْدِ اللَّهِ أَطْلُوْ غَالِبٍ^(١) لَسْنَا ، وَأَنْدَاهَا بِمَا مَلَكَتْ يَدَا
وَأَقْرَبُهَا مِنْ كُلِّ حَبِيرٍ تَرِيدُهُ قُرَيْشٍ وَأَوْفَاهَا بِمَا قَالَ مَوْعِدَا
وَأَطْلَعُهُمْ صَدْرَ الْكَيِّ بِرَحْمَةِ وَأَكْثَمُ لِلْهَامِ عَضْبًا مُّهْنَدَا
سَوْى أَخَوَيْكَ الْيَدَيْنِ ، كَلَامَهَا إِمَامِ الْوَرَى وَالِدَاعِيَانِ إِلَى الْمَسْدَى
أَبَى اللَّهِ أَنْ يَمْعَى عِلْوُكَ مَقْعِدَا مِنْ الْأَرْضِ أَوْفَى الْأَوْجِ مَرْقَى وَمَعْمِدَا



مَعْمِدَا مَرْقَى مَرْقَى

(١) غَالِبٌ : يَلْعَدُ بِهِ ذُرِيَةُ غَالِبِ بْنِ قَهْرِ بْنِ مَالِكٍ .

(١٢)

الأصل :

ومن كلام له عليه السلام لما أظفروا الله بأصحاب الجمل ، وقد قال له بعض أصحابه :
وددت أن أخى فلانا كان شاهداً ليرى ما نصرك الله به على أعدائك ، فقال صلى الله عليه وسلم :
أخوى أخيك معناً ؟ فقال : نعم ، قال : فقد شهدنا ، ولقد شهدنا في
عسكرنا هذا قوم في أصلاب الرجال ، وأرحام النساء ، سيعرفهم الزمان ،
ويقوى بهم الإيمان .



الشرح :

يعرفهم الزمان : يوجد لهم ويخرجهم ، كما يعرف الإنسان بالدم الذي يخرج منه من
أنفه ، قال الشاعر :

ومارَعَفَ الزمان بمثل عمرو ولا يُدرك النساء له ضريباً

والعنى مأخوذ من قول النبي صلى الله عليه وآله لعُمان - ولم يكن شهد بدرًا ، تخلفت
على رقية ابنة رسول الله صلى الله عليه وآله لما مرضت عرض موتها - : « لقد كنت شاهداً
وإن كنت غائباً ، لك أجرك وسهمك » .

[من أخبار يوم الجمل]

قال الكلبي : قلت لأبي صالح : كيف لم يضع علي عليه السلام السيف في أهل
البصرة يوم الجمل بعد غلظه ؟ قال : سار فيهم بالصفح ولئن الذي سار به رسول الله صلى الله

عليه وآله في أهل مكة يوم الفتح ، فإنه أراد أن يستعرضهم بالسيف ، ثم من عليهم ، وكان يحب أن يهديهم الله .

قال فطر بن خليفة : ما دخلت دار الوليد بالسكوفة التي فيها القصارون إلا وذكرت بأصواتهم وقع السيوف يوم الجمل .

حرب بن جيهان الجعفي : لقد رأيت الرماح يوم الجمل قد أشرعها الرجال بمضهم في صدر بعض ، كأنها آجام القصب ، لو شامت الرجال أن تمشي عليها لمشت ، ولقد صدقونا القتال حتى ما ظننت أن يهزموا ، وما رأيت يوماً قط أشبه بيوم الجمل من يوم جلولاء الواقعة^(١) .

الأصبغ بن نباتة : لما انهزم أهل البصرة خرج علي عليه السلام بعهة رسول الله صلى الله عليه وآله الشهباء ، وكانت باقية عنده ، وجار في القتلى يستعرضهم ، فرأى بكعب بن سور القاضى ، فاضى البصرة ، وهو قتييل ، فقال : أجلسوه ، فأجلس ، فقال له : وَيْلُكَ كعب ابن سور ! لقد كان لك عِلم لو تفمكت ! ولكن الشيطان أضلك فأرلك ، فصجلك إلى النار ، أرسلوه . ثم مر بطليحة بن عبيد الله قتيلاً ، فقال : أجلسوه ، فأجلس - قال أبو عصف في كتابه : فقال : وَيْلُكَ طلحة ! لقد كان لك قدم لو تفمكت ! ولكن الشيطان أضلك فأرلك فصجلك إلى النار .

وأما أصحابنا فيروون غير ذلك ؛ يروون أنه عليه السلام قال له لما أجلسوه : أعزز عليّ أبا محمد أن أراك معقراً تحت نجوم السماء وفي بطن هذا الوادي ! أسدّ جهادك في الله ، وذبحك عن رسول الله صلى الله عليه وآله ! فجاء إليه إنسان فقال : أشهد بأمر المؤمنين ، لقد مررت عليه بعد أن أصابه السهم وهو صريع ، فصاح بي ، فقال : من أصحاب من أنت ؟ فقلت : من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام ، فقال : امدد يدك لأبايع

(١) جلولاء : موضع في طريق خراسان ، كانت بها وقعة المسلمين على الفرس سنة ١٦ هـ ، وسميت الواقعة لا أولع بهم المسلمون (ياقوت) .

لأمير المؤمنين عليه السلام ، فحدث إليه يدى فهايمنى لك . فقال صلى عليه السلام : أبى الله أن يدخل طلحة الجنة إلا وييمنى فى عقبه .

ثم مرّ بعبد الله بن خلف الخزاعى ، وكان عليه السلام قتله بيده مبارزة ، وكان رئيس أهل البصرة ، فقال : أجلسوه ، فأجلس ، فقال : الويل لك يا بن خلف ! لقد هانت أمراً عظيماً .

وقال شيخنا أبو عثمان الجاحظ : ومرّ عليه السلام بعبد الرحمن بن عتاب بن أسيد ، فقال : أجلسوه ، فأجلس ، فقال : هذا يسوب قريش ، هذا القباب للمحض من بنى عبد مناف . ثم قال : شفيت نفسى ، وقتلت مشرى ، إلى الله أشكو عجبى وبجبرى^(١) ! قتلت الصناديد من بنى عبد مناف ، وأقلنت الأعيار^(٢) من بنى جهم . فقال له قاتل : لشد ما أطريت هذا الفيل منذ اليوم يا أمير المؤمنين ! قال : إنه قام عني وعنه نسوة لم يقمن عنك .

قال أبو الأسود الدؤلى : لما ظهر صلى عليه السلام يوم الجمل ، دخل بيت المال بالبصرة فى ناس من المهاجرين والأنصار وأنا معهم ، فلما رأى كثرة ما فيه ، قال : غرمى غبرى ... مرارا . ثم نظر إلى المال ، وصمد فيه بصره وصوت ، وقال : أقسموه بين أصحابي خمسمائة خمسمائة ، قسم بينهم ، فلا وادى بمث محمدا بالحق ما قسم درهما ولا زاد درهما ، كأنه كان يعرف مبلغه ومقداره ، وكان ستة آلاف ألف درهم ، والناس اثنا عشر ألفا .

(١) جبرى وبجبرى ، نقل صاحب اللسان (٦ : ٢١٦) من محمد بن يزيد : « معناه هموى وأحزان ؛ وقيل : ما أبدي وأخفى ، وكله على المثل » . وقال : « وأصل الجبر الرفع للنقطة فى الصدر ، والجبر الرفع للنقطة فى البطن خاصة » .

(٢) الأعيار هنا : جمع عير ؛ وعير القوم : سيدهم ؛ وعليه قول الحارث بن حنظلة :

زَعَمُوا أَنَّ كُلَّ مَنْ ضَرَبَ الْعِيْرَ رَمَالٍ لَنَا وَأَنْتِ الْوَلَاءُ

حَبَّةُ الرُّقِيِّ^(١) ، قَسَمَ عَلَى عَلَيْهِ السَّلَامُ يَبْتَ مالَ البصرة على أصحابه خمسمائة
خمسمائة ، وأخذ خمسمائة درهم كواحد منهم ، فغاء إنسان لم يحضر الواقعة ، فقال : يا أمير
المؤمنين ، كنتُ شاهداً معك قلبى ، وإن غاب منك جسمى ، فأعطينى من النِّىءِ شيئاً .
فدفع إليه الذى أخذه لنفسه وهو خمسمائة درهم ، ولم يصب من النِّىءِ شيئاً .

• • •

اتفقت الرواة كلها على أنه عليه السلام قبض ما وجد في عسكر الجبل من سلاح ودابة
ومملوك ومتاع وجروض ، فقسّمه بين أصحابه ، وأهمّ قالوا له : اقسّم بيننا أهلَ البصرة
فاجعلهم رقيقاً ، فقال : لا ، فقالوا : فكيف نُحِلُّ لنا دماءهم ونحرّم علينا سبيهم ؟ فقال :
كيف يحلُّ لكم ذرية ضيفة في دار هجرة في الإسلام ! أما ما أُجْتَلَبَ به القومُ في مسكرهم
عليكم فهو لكم منكم ، وأما ما وارت الدُّورُ وأُغْلِقَتْ عليه الأبواب فهو لأهله ، ولا
نصيب لكم في شيء منه ، فلما أُرْكِبُوا جِيبُهُ قَالَ : فَأَقْبِرُوا عَلَى عَائِشَةَ ، لَأُدْفَعَهَا إِلَى مَنْ
تَصِيبُهُ الْقُرْعَةُ ! فقالوا : يستغفر الله يا أمير المؤمنين ! ثم انصرفوا .

(١) حبة ، بفتح أوله ، ثم موحدة ثقيلة ، بن حبيب الرقي ، والسكونى . كلن عاليا في التشيع ؛ قاله
بن التهذيب : مات أول ما قدم المصباح الراى سنة ٧٦ .

(١٣)

الأصل :

ومن كلام له عليه السلام في ذم أهل البصرة :

كُنْتُمْ جُنْدَ الْمَرْأَةِ ، وَأَنْبَاعَ السَّهْمَةِ ، رِعَا قَاجَتَكُمْ ، وَعَقَرَ فَهْرَ بَنِيكُمْ . أَخْلَافُكُمْ
دِفَاقٌ ، وَعَهْدُكُمْ شِقَاقٌ ، وَدَبُّكُمْ نِفَاقٌ ، وَمَاؤُكُمْ رُعَاقٌ ، وَالنِّفِيمُ بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ
مُرْتَهَنٌ بِأَنفِهِ ، وَالشَّائِخُ عَنْكُمْ مُتَدَارِكٌ رِثَةٍ مِنْ رَبِّهِ ؛ كَأَنِّي بِمَسْجِدِكُمْ
كَجَوْجُو سَفِينَةٍ ، قَدْ بَعَثَ اللَّهُ عَلَيْهَا الْعَذَابَ مِنْ فَوْقِهَا وَمِنْ تَحْتِهَا ، وَفَرَّقَ عَنْ
فِي ضَرْبِهَا .



وفي رواية :

وَأَيْمُ اللَّهِ ، لَتَمُرَّقَنَّ بِلَادُكُمْ ، حَتَّى كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى مَسْجِدِهَا كَجَوْجُو سَفِينَةٍ ،
أَوْ نَعَامَةِ جَائِعَةٍ .

وفي رواية :

كَجَوْجُو طَيْرٍ فِي ثُلَّةٍ بِحَرٍّ .

وفي رواية أخرى :

بِلَادُكُمْ أَسْتَنْ بِلَادِ اللَّهِ ثُرْبَةً ؛ أَقْرَبُهَا مِنَ الْمَاءِ ، وَأَبْعَدُهَا مِنَ السَّمَاءِ ؛ وَبِهَا
تِسْعَةُ أَغْشَارِ الشَّرِّ . الْمُحْتَبَسُ فِيهَا بِدْنِيهِ ، وَالْخَارِجُ يَغْفِرُ اللَّهُ .
كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى قُرْبَتِكُمْ هَذِهِ قَدْ طَلَّقَ الْمَاءُ ، حَتَّى مَا يَرَى مِنْهَا إِلَّا شَرْفُ
الْمَسْجِدِ ؛ كَأَنَّهُ جَوْجُو طَيْرٍ فِي ثُلَّةٍ بِحَرٍّ .

الْبَيْعُ :

قوله : « وأتباع البهيمة » ، بمعنى الجمل ، وكان جل عائشة راية عسكر البصرة ، قُتِلُوا
دونه كما تُقَتَّل الرجال تحت راياتها .

وقوله : « أخلاقكم دقاق » ، يصفهم بالقوم ، وفي الحديث أن رجلا قال له :
يا رسول الله إني أحب أن أنكح فلانة ، إلا أن في أخلاق أهلها دقة ، فقال له : « إياك
وخضراء الدمن ، إياك والمرأة الحسنة في مثبت السوء » .

قوله : « وعهدكم شقاق » يصفهم بالعير ، يقول : عهدكم وذمتكم لا يوثق بها ،
بل هي وإن كانت في الصورة عهدا لو ذمقة فإنها في المعنى خلاف وعداوة .

قوله : « وماؤكم زعاق » ، أي يُلَجَج ، وهذا ما لم يكن من أصلهم إلا أنه مما تَدَمَّ
به المدينة ، كما قال :

بلاد بها الحمى وأسدٌ عَرَبِيَّةٌ وفيها المَلَى يَتَسَدَّى وَيَحْوَرُ
فإني لِمَن قَدْ حَلَّ فِيهَا لَرَاعِمٌ وإني من لَمْ يَأْتِهَا لَنَذِيرُ

ولا ذنب لأهلها في أنها بلاد الحمى والسباع .

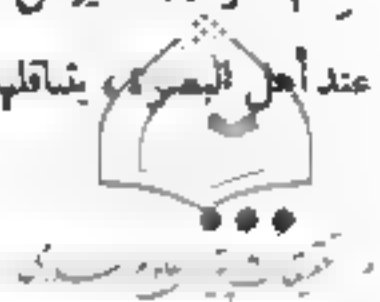
ثم وصف المقيم بين أظهرهم بأنه مرتهن بذهبه ، لأنه إما أن يشاركهم في الذنوب
أو يراها فلا ينكرها ؛ ومذهب أصحابنا أنه لا تجوز الإقامة في دار الفسق ، كما لا تجوز
الإقامة في دار الكفر .

والجَوْجُو : عَظْم الصدر ؛ وجَوْجُو السفينة : صدرها .

فأما إخباره عليه السلام أن البصرة تفرق عدا للسجدة الجامع بها ، فقد رأيت من يذكر أن كتب للملاحم تدل على أن البصرة تهلك بالماء الأسود ينفجر من أرضها ، ففرق ويبقى مسعدها .

والصحيح أن الخبر به قد وقع ، فإن البصرة غرقت مرتين ؛ مرة في أيام القادر بالله ، ومرة في أيام القائم بأمر الله ، غرقت بأجمعها ولم يبق منها إلا مسجدتها الجامع بارزا بمضه كجؤحوظ الطائر ، حسب ما أخبر به أمير المؤمنين عليه السلام ، جاءها الماء من بحر فارس من جهة للوضع المعروف الآن بحزيرة الفرس ، ومن جهة الجبل المعروف بجبل التمام ، وخربت دورها ، وغرق كل ما فيها ، وهلك كثير من أهلها .

وأخبار هذين الفرقتين معروفة عند أهل البصرة ، يناقلها حلهم عن ملهم .



[من أخبار يوم الجمل أيضاً]

قال أبو الحسن علي بن محمد بن سيف المدائني ومحمد بن عمر الواقدي : ما حفظ رجز قط أكثر من رجز قيل يوم الجمل ، وأكثره ليني صة والأرد ، الذين كانوا حول الجمل يحا ون منه ، ولقد كانت الرهوس تندر^(١) من الكواهل ، والأبدى تطيع من للمام وأقتاب الطلز^(٢) تنديق من الأجواف ؛ وم حول الجمل كالجراد النابتة لا تمحلحل ولا تنزل ؛ حتى لقا صرخ عليه السلام بأعلى صوته : ويلكم اعقبوا الجمل فإنه شيطان ! ثم قال : اعقبوه وإلا هربت العرب . لا يزال السيف قائما ورا كما حتى يهوى هذا البعير

(١) تندر : تطلع .

(٢) الأقتاب : الأماء ؛ واحده قتب ، عرجة ، أو مكسر يكون .

إلى الأرض ، فصدوا له حتى عقروه فشقوا له رغاء شديداً ؛ فلما بركت كانت المزيمة .

ومن الأراجيز المخفوفة يوم الجمل لعسكر البصرة قول بمصهم^(١) :

نَحْنُ - بَنِي ضَبَّةٍ - أَصْحَابُ الْجَمَلِ نُنَازِلُ لِلْمَوْتِ إِذَا الْمَوْتُ نَزَلَ
نَتَّقِي ابْنَ عَفَّانٍ بِأَطْرَافِ الْأَسَلِ رَدُّوا عَلَيْنَا شَيْخَانَا ثُمَّ يَجْمَلُ^(٢)
الْمَوْتُ أَحَلَّ عِنْدَنَا مِنَ الْقَمَلِ لَا عَارَ فِي الْمَوْتِ إِذَا حَانَ الْأَجَلُ
إِنْ عَلِيَاهُ مِنْ شَرِّ الْبَدَلِ إِنْ تَمَدَّلُوا شَيْخَانَا لَا يُعْتَدَلُ

• أَيْنَ الْوَهَادُ وَشُمَارِيخُ الْقَتْلِ^(٣) •

فأجابه رجل من عسكر الكوفة من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام :

نَحْنُ قَتَلْنَا نَمَثَلًا فِيمَنْ قُتِلَ كَثَرُ مِنْ أَكْثَرٍ فِيهِ أَوْ أَقَلُ^(٤)
أَنْ يُرَدُّ نَمَثَلٌ وَقَدْ قُتِلَ نَحْنُ ضَرْبَتَا وَسْطِهِ حَتَّى انْجَدَلُ^(٥)
لِعُسْكِهِ حُكْمُ الطَّوَائِفِ الْأَوَّلِ^(٦) سَأَلْتُ بِالْفَيْءِ وَجَاقِي فِي الْعَمَلِ
فَأَبْدَلَ اللَّهُ يَدِي خَيْرَ بَدَلٍ إِنِّي أَمْرٌ مُسْتَقْدِمٌ غَيْرُ وَرَكَلٍ

• مَشَرَّ الْعَرَبِ مَعْرُوفٌ بِطَالٍ •

ومن أراجيز أهل البصرة :

بِأَيِّهَا الْجَنْدُ الصَّليبُ الْإِيمَانُ قَوْمُوا قِيَامًا وَاسْتَفِثُوا الرَّحْمَنَ

(١) الآيات في العبري (٤ : ٥١٨) ، مسوية إلى رجل يدعى الخارث من بني ضبة ، وول السحودي

(٢ : ٣٧٥) من غير نسبة ، مع اختلاف في الرواية وعدد الآيات .

(٢) يجم : حب ؛ كذا فسره صاحب اللسان (١٣ : ٤٨) ، واستشهد بالبيت .

(٣) الشماريخ : رهوس الجبال .

(٤) قال صاحب اللسان : « نمتل : رحل من أهل مصر ، كان طويل القامة ؛ قيل : إنه كان يشبه عثمان رضي الله عنه ؛ هذا قول أبي عبد الله . وشاعرو عثمان رضي الله عنه يسوونه لثلا ؛ تشبيها بالرحل المصري لطوله لحيته ، ولم يكونوا يجدون فيه عيبا غير هذا » .

(٥) قتل : مات وجب حله . وانجمل : سقط ، ولى ج : « انجزل » ، أى انقسم قسمين .

(٦) رواية البيت في كتابه سبعين :

• لَمَّا حَكَى حُكْمَ الطَّوَائِفِ الْأَوَّلِ •

إلى أناني خَيْرٌ ذُو الْوَانِ أَنْ عَلِيًّا قَتَلَ ابْنَ عَفَانَ
رَدُّوا إِلَيْنَا شَيْخَنَا كَمَا كَانَ بَارِبَةً وَأَبْعَثْ نَاصِرًا لِعِمَّانِ
• بَقْتُلَهُمْ بِوَقْرٍ وَسُلْطَانِ •

فأجابه رجل من عمكر الكوفة :

أَبَتْ سُبُوفٌ مَذْجِجٌ وَهَمْدَانِ بَانَ تَرَدُّ مَثَلًا كَمَا كَانَ
خَلْقًا سَوِيًّا بَعْدَ خَلْقِ الرَّهْمَنِ وَقَدْ قَضَى بِالْحُكْمِ حُكْمَ الشَّيْطَانِ
وَفَارَقَ الْحَقُّ وَبُورَ الْمُرْقَانِ فَذَائِقَ كَأْسِ الْمَوْتِ شَرِبَ الظُّلْمَانِ

ومن الرجز المشهور للقول يوم الجمل ، قاله أهل البصرة :

يَا أَمْنًا طَاشُ لَا تَرَاعِي كُلُّ نِيكَ نَطْلُ الْمِصَاعِ^(١)
بِمَعْنَى ابْنِ عَفَانَ إِلَيْكَ يَا بَاغِ كَلِمَتَانِ سَوْرَ كَاشِفِ الْعِيَابِ
فَارْضِي بِبَصْرِ السَّيِّدِ الْمِصَاعِ وَالْأَرْدُ فِيهَا كَرَمُ الطَّيَافِ

ومنه قول بعضهم :

يَا أَمْنًا يَكْفِيكَ مَنَادُ سَوْءٍ لَنْ يُوَحِّدَ الدَّهْرَ الْخَطَامُ عَتَوَةً
وَحَوْلَكَ الْيَوْمَ رِجَالُ شَتَوَةٍ وَحَى هَمْدَانِ رِجَالُ الْهِنَوَةِ^(٢)
وَالْمَالِكِيُّونَ الْقَلِيلُ الْكِنَوَةِ وَالْأَرْدُ حَى لَيْسَ فِيهِمْ نَبَوَةٌ
قلوا : وخرج من أهل البصرة شيخ صبيح الوجه ، نبيل ، عليه جبة وثني ، يحضن
الناس على الحرب ، ويقول :

يَا مَعْتَرِ الْأَرْدِ عَلَيْكُمْ أَمَكُمْ فَإِنَّهَا صِلَانُكُمْ وَصَوْمُكُمْ
وَالْحَرَمَةُ الْعُظْمَى الَّتِي تَعْمُكُمْ فَأَحْصِرُوهَا جِدَّكُمْ وَحَزْمُكُمْ

(١) للمصاع : الجلاء والضراب (٢) الهوة : البصرة ؛ يرتد ما يقتل في المعارك من الغبار والغراب ،
ومن ملاحظات الأستاذ حاسم . « يلزم أن يكون مدلا من حى همدان اسم آخر لأنه لم يوجد في ذلك
العهد من همدان أحد بالبصرة » ، والمثبت ما في الأصول .

لَا يَمْلِكَنَّ سُمْ الْعَدُوِّ مُتَمِّكُكُمْ إِنْ الْعَدُوُّ إِنْ عَلَاكُمْ زَمَّكُمْ
وَحَصَّكُمْ بِحُورِهِ وَعَمَّكُمْ لَا تُفَضِّحُوا الْيَوْمَ فِدَاكُمْ قَوْمَكُمْ

قال المدائني والواقدي : وهذا الرجز يصدق الرواية أن الزبير وطلحة قاما في الناس ،
فقالا : إن عليا إن يظفر فهو فناؤكم يا أهل البصرة ، فاحموا حقيقتكم ، فإنه لا يبقى حرمة
إلا انتهكها ، ولا حرما إلا هتكه ، ولا ذربة إلا قتلها ، ولا ذوات خدر إلا سباهن ،
فقاتلوا مقاتلة من يحس عن حريمه ، ويختار للوث على الفضيحة يراها في أهله .

وقال أبو مخنف : لم يقل أحد من رجز البصرة قولا كان أحب إلى أهل الجبل
من قول هذا الشيخ ، استقتل الناس عند قوله ، وثبتوا حول الجبل ؛ وانتدبوا ، فخرج
عوف بن قطن الضبي ؛ وهو ينادي : ليس لعمان نأر إلا علي بن أبي طالب وولده ،
فأخذ خطام الجبل ، وقال :

يَا أُمَّ يَا أُمَّ خَلَا مَنِي الْوَطَنُ لَا أَيْسَ الْقَبْرِ وَلَا أَيْسَ الْكَمَنُ
مِنْ هَاهُنَا مَحْشَرُ عَوْفِ بْنِ قَطَنٍ إِنْ فَاتَنَا الْيَوْمَ عَلَى قَالِبَيْنِ
أَوْ فَاتَنَا ابْنَاهُ حُسَيْنٌ وَحَسَنٌ إِذَا أُتَتْ بِطُولِ هَمٍّ وَحَرَنٍ
ثم تقدم ، فضرب بسيفه حتى قتل .

وتناول عبد الله بن أبرى خطام الجبل ، وكان كل من أراد الجذب في الحرب وقاتل
قتال مستعيت يتقدم إلى الجبل فيأخذ بخطامه ، ثم شد على عسكر علي عليه
السلام ، وقال :

أَضْرِبُهُمْ وَلَا أَرَى أَبَا حَسَنٍ هَذَا حَزَنٌ مِنْ الْحَزَنِ
فشد عليه علي أمير المؤمنين عليه السلام بالرمح فطعنه فقتله ، وقال : قد رأيت
أبا حسن ، فكيف رأيته ! وترك الرمح فيه .

وأخذت عائشة كفاً من حمى ، فخصبت به أصحاب علي عليه السلام ، وصاحت بأهل صوتها : شأهت الوجوه ! كما صنع رسول الله صلى الله عليه وآله يوم حُنين ، فقال لها قاتل : وما رميت إذ رميت ولكن الشيطان ^(١) رمى . وزحف علي عليه السلام نحو ^(٢) الجمل بنفسه في كتيبته الخضراء من المهاجرين والأنصار ، وحوله بنوه : حسن وحسين وعبدعليهم السلام ، ودفع الراية إلى محمد ، وقال : أقدم بها حتى تركوها في عين ^(٣) الجمل ، ولا تنقن دونه . فتقدم محمد ؛ فرشقته السهام ، فقال لأصحابه : روياً حتى تنفذ سهامهم ، فلم يبق لهم إلا رشفة أو رشفتان . فأنفذ إليه علي عليه السلام إليه يستعنه ، ويأمره بالناجزة ، فلما أبطأ عليه جاء بنفسه من خلفه ، فوضع يده اليسرى على منكبيه الأيمن ، وقال له : أقدم لا أم لك ! فكان محمد رضى الله عنه إذا ذكر ذلك بعدد يكي ، ويقول : لكانني أجدر ربح نفيه في قتلى ، والله لا أسى أبداً . ثم أدركت علي عليه السلام رقة على والده ، فتناول الراية منه بيده اليسرى ، وذو الفقار مشهور في يمينه ، ثم حل فصاص في عسكر الجمل ، ثم رجع وقد انحنى سيفه ، فأقامه بركبته . فقال له أصحابه وبنوه والأشتر وعمار : نحن نكفيك يا أمير المؤمنين . فلم يجب أحداً منهم ولا رد إليهم بصره ؛ وظل ينحط ^(٤) وبرار زبير الأسد ، حتى فرق ^(٥) من حوله . وتبادروه ؛ وإياه لطامح يبصره نحو عسكر البصرة ، لا يبصر من حوله ، ولا برد حوارة ، ثم دفع الراية إلى ابنه محمد ، ثم حل حملة ثانية وحده ، فدخل وسطهم فصرهم بالسيف قدماً قدماً ، والرحل تعرف من بين يديه ، وتنحاز عنه يمنة ويسرة ، حتى حصب الأرض بدماء القتلى ، ثم رجع وقد انحنى سيفه ، فأقامه بركبته ، فأعصوب ^(٦) به أصحابه ، وناشدوه الله في نفسه وفي الإسلام ، وقالوا : إنا إن نصب يذهب الدين ، فأمرهم نكفيك . فقال : والله ما أريد ما ترون إلا وجه الله والدار الآخرة . ثم قال الحمد ابنه : هكذا تصنع يا ابن الحنفية ، فقل للناس : من الذي يستطيع ما تستطيع يا أمير المؤمنين !

(١) كذا في ١ ، و ٢ ، و ٣ ، و ٤ ، و ٥ ، و ٦ ، و ٧ ، و ٨ ، و ٩ ، و ١٠ ، و ١١ ، و ١٢ ، و ١٣ ، و ١٤ ، و ١٥ ، و ١٦ ، و ١٧ ، و ١٨ ، و ١٩ ، و ٢٠ ، و ٢١ ، و ٢٢ ، و ٢٣ ، و ٢٤ ، و ٢٥ ، و ٢٦ ، و ٢٧ ، و ٢٨ ، و ٢٩ ، و ٣٠ ، و ٣١ ، و ٣٢ ، و ٣٣ ، و ٣٤ ، و ٣٥ ، و ٣٦ ، و ٣٧ ، و ٣٨ ، و ٣٩ ، و ٤٠ ، و ٤١ ، و ٤٢ ، و ٤٣ ، و ٤٤ ، و ٤٥ ، و ٤٦ ، و ٤٧ ، و ٤٨ ، و ٤٩ ، و ٥٠ ، و ٥١ ، و ٥٢ ، و ٥٣ ، و ٥٤ ، و ٥٥ ، و ٥٦ ، و ٥٧ ، و ٥٨ ، و ٥٩ ، و ٦٠ ، و ٦١ ، و ٦٢ ، و ٦٣ ، و ٦٤ ، و ٦٥ ، و ٦٦ ، و ٦٧ ، و ٦٨ ، و ٦٩ ، و ٧٠ ، و ٧١ ، و ٧٢ ، و ٧٣ ، و ٧٤ ، و ٧٥ ، و ٧٦ ، و ٧٧ ، و ٧٨ ، و ٧٩ ، و ٨٠ ، و ٨١ ، و ٨٢ ، و ٨٣ ، و ٨٤ ، و ٨٥ ، و ٨٦ ، و ٨٧ ، و ٨٨ ، و ٨٩ ، و ٩٠ ، و ٩١ ، و ٩٢ ، و ٩٣ ، و ٩٤ ، و ٩٥ ، و ٩٦ ، و ٩٧ ، و ٩٨ ، و ٩٩ ، و ١٠٠ .
(٢) ينحط : يرفرف . (٣) فرق : من باب لطف ؛ أي خاف . (٤) أعصوبوا به : استعصموا وانتموا حوله . (٥) ينحط : يرفرف . (٦) أعصوبوا به : استعصموا وانتموا حوله . (٧) ينحط : يرفرف . (٨) فرق : من باب لطف ؛ أي خاف . (٩) أعصوبوا به : استعصموا وانتموا حوله . (١٠) ينحط : يرفرف . (١١) فرق : من باب لطف ؛ أي خاف . (١٢) أعصوبوا به : استعصموا وانتموا حوله . (١٣) ينحط : يرفرف . (١٤) فرق : من باب لطف ؛ أي خاف . (١٥) أعصوبوا به : استعصموا وانتموا حوله . (١٦) ينحط : يرفرف . (١٧) فرق : من باب لطف ؛ أي خاف . (١٨) أعصوبوا به : استعصموا وانتموا حوله . (١٩) ينحط : يرفرف . (٢٠) فرق : من باب لطف ؛ أي خاف . (٢١) أعصوبوا به : استعصموا وانتموا حوله . (٢٢) ينحط : يرفرف . (٢٣) فرق : من باب لطف ؛ أي خاف . (٢٤) أعصوبوا به : استعصموا وانتموا حوله . (٢٥) ينحط : يرفرف . (٢٦) فرق : من باب لطف ؛ أي خاف . (٢٧) أعصوبوا به : استعصموا وانتموا حوله . (٢٨) ينحط : يرفرف . (٢٩) فرق : من باب لطف ؛ أي خاف . (٣٠) أعصوبوا به : استعصموا وانتموا حوله . (٣١) ينحط : يرفرف . (٣٢) فرق : من باب لطف ؛ أي خاف . (٣٣) أعصوبوا به : استعصموا وانتموا حوله . (٣٤) ينحط : يرفرف . (٣٥) فرق : من باب لطف ؛ أي خاف . (٣٦) أعصوبوا به : استعصموا وانتموا حوله . (٣٧) ينحط : يرفرف . (٣٨) فرق : من باب لطف ؛ أي خاف . (٣٩) أعصوبوا به : استعصموا وانتموا حوله . (٤٠) ينحط : يرفرف . (٤١) فرق : من باب لطف ؛ أي خاف . (٤٢) أعصوبوا به : استعصموا وانتموا حوله . (٤٣) ينحط : يرفرف . (٤٤) فرق : من باب لطف ؛ أي خاف . (٤٥) أعصوبوا به : استعصموا وانتموا حوله . (٤٦) ينحط : يرفرف . (٤٧) فرق : من باب لطف ؛ أي خاف . (٤٨) أعصوبوا به : استعصموا وانتموا حوله . (٤٩) ينحط : يرفرف . (٥٠) فرق : من باب لطف ؛ أي خاف . (٥١) أعصوبوا به : استعصموا وانتموا حوله . (٥٢) ينحط : يرفرف . (٥٣) فرق : من باب لطف ؛ أي خاف . (٥٤) أعصوبوا به : استعصموا وانتموا حوله . (٥٥) ينحط : يرفرف . (٥٦) فرق : من باب لطف ؛ أي خاف . (٥٧) أعصوبوا به : استعصموا وانتموا حوله . (٥٨) ينحط : يرفرف . (٥٩) فرق : من باب لطف ؛ أي خاف . (٦٠) أعصوبوا به : استعصموا وانتموا حوله . (٦١) ينحط : يرفرف . (٦٢) فرق : من باب لطف ؛ أي خاف . (٦٣) أعصوبوا به : استعصموا وانتموا حوله . (٦٤) ينحط : يرفرف . (٦٥) فرق : من باب لطف ؛ أي خاف . (٦٦) أعصوبوا به : استعصموا وانتموا حوله . (٦٧) ينحط : يرفرف . (٦٨) فرق : من باب لطف ؛ أي خاف . (٦٩) أعصوبوا به : استعصموا وانتموا حوله . (٧٠) ينحط : يرفرف . (٧١) فرق : من باب لطف ؛ أي خاف . (٧٢) أعصوبوا به : استعصموا وانتموا حوله . (٧٣) ينحط : يرفرف . (٧٤) فرق : من باب لطف ؛ أي خاف . (٧٥) أعصوبوا به : استعصموا وانتموا حوله . (٧٦) ينحط : يرفرف . (٧٧) فرق : من باب لطف ؛ أي خاف . (٧٨) أعصوبوا به : استعصموا وانتموا حوله . (٧٩) ينحط : يرفرف . (٨٠) فرق : من باب لطف ؛ أي خاف . (٨١) أعصوبوا به : استعصموا وانتموا حوله . (٨٢) ينحط : يرفرف . (٨٣) فرق : من باب لطف ؛ أي خاف . (٨٤) أعصوبوا به : استعصموا وانتموا حوله . (٨٥) ينحط : يرفرف . (٨٦) فرق : من باب لطف ؛ أي خاف . (٨٧) أعصوبوا به : استعصموا وانتموا حوله . (٨٨) ينحط : يرفرف . (٨٩) فرق : من باب لطف ؛ أي خاف . (٩٠) أعصوبوا به : استعصموا وانتموا حوله . (٩١) ينحط : يرفرف . (٩٢) فرق : من باب لطف ؛ أي خاف . (٩٣) أعصوبوا به : استعصموا وانتموا حوله . (٩٤) ينحط : يرفرف . (٩٥) فرق : من باب لطف ؛ أي خاف . (٩٦) أعصوبوا به : استعصموا وانتموا حوله . (٩٧) ينحط : يرفرف . (٩٨) فرق : من باب لطف ؛ أي خاف . (٩٩) أعصوبوا به : استعصموا وانتموا حوله . (١٠٠) ينحط : يرفرف .

ومن كلماته الفصيحة عليه السلام في يوم الجمل ، مارواه الكلبي عن رجل من الأنصار قال : بينا أنا واقف في أول الصفوف يوم الجمل ؛ إذ جاء علي عليه السلام فأنحرفتُ إليه فقال : أين مَثَرِي القوم ؟ قلت : ها هنا - نحو عائشة .

قال الكلبي : يريد أين عدوهم ؟ وأين جمهورهم وكثرتهم ؟ وللحال الثرى علي «فصيل» هو الكثير ، ومنه رجل ثروان ، وامرأة ثروى ، وتصغيرها ثرياً . والصدقة مائة لئال ، أى مكثرة له .

قال أبو مخنف : وبث علي عليه السلام إلى الأشتر : أن أحمل علي ميسرتهم ، فحمل عليها وفيها هلال بن وكيع ، فاقبلوا قتالا شديداً ، وقُتل هلال ؛ قتله الأشتر ؛ فالت لبصرة إلى عائشة فلادوا بها ، وعظمهم ^{نورانية} وسو عتي ، ثم عطفت الأزد وصبة وناجية وبلغة إلى الجمل ، فأحاطوا به ، واقتل الناس حوله قتالا شديداً ، وقُتل كعب بن سور قاضي البصرة ، جاءه سهم ^(١) عرَّت قَتْلَهُ وَخَطَّامُ الْجَمَلِ فِي يَدِهِ ، ثم قُتل عمرو بن بثرني الصبي ^(٢) ، وكان فارس أصحاب الجمل وشجعانهم ، بعد أن قتل كثيراً من أصحاب علي عليه السلام .

قالوا : كان عمرو أخذ عظيم الجمل ، فدفنه إلى ابنه ، ثم دعا إلى البراز ، فخرج إليه عاباء بن الهيثم السدوسي ، فقتله عمرو ، ثم دعا إلى البراز ، فخرج إليه هند بن عمرو الجلي ^(٣) فقتله عمرو ، ثم دعا إلى البراز ، فقتل زيد بن صوحان العبدي لعلي عليه السلام : يا أمير المؤمنين ، إني رأيت يداً أشرفت علي من السماء وهي تقول : هلم إلينا ، وأما خارج إلى

(١) يقال : أصابه سهم عرب (بفتح) وضرب (فتح مسكون) ، إذا كان لا يدري من رماه . وقيل : إذا أتاه من حيث لا يدري . القياس ٢ : ١٣٣ .

(٢) عمرو بن بثرني ، كان من رموس صفة و الجامعية ، ثم أسلم ، واستنصاه عثمان علي البصرة الإصانة ٥ : ١٢٠ ، والاشتقاق ٤١٣ .

(٣) هو هند بن عمرو الجلي ، نسيه إلى جل بن سعد المشيرة ، حتى من منفع . الاشتقاق ٤١٣ .

ابن يثربى ، فإذا قتلنى فادفننى بدمى ولا تُنْشِئْنى ، فإبنى بخاصم عند ربى . ثم خرج قتلته عمرو ، ثم رجع إلى خطام الجمل مرتجزا يقول :

أَرَدَيْتُ عِلْبَاءَ وَهِنْدًا فِي طَلْقٍ ثم ابنٌ صُوحَانٍ خَضِيْبًا فِي عَلَقٍ^(١)
قَدْ سَبَقَ الْيَوْمَ لَنَا مَا قَدْ سَبَقَ وَالْوِثْرُ مِنَّا فِي عَدَى ذَى الْفَرَقِ
وَالْأَشْرَافُ وَالْأَوَى وَعَمْرُو بْنُ الْحَلِيقِ^(٢) وَالْفَارِسُ لِلْعَلِمِ فِي الْحَرْبِ الْخَلِيقِ
ذَلِكَ الَّذِى فِي الْحَادِثَاتِ لَمْ يُطَقْ أَعْنَى عَلِيًّا لَيْتَهُ فِينَا مِرْقٌ

قال : قوله : «والوثر منا في عدى» بمعنى عدى بن حاتم الطائي ، وكان من أشد الناس على عثمان ، ومن أشدهم جهادا مع علي عليه السلام . ثم ترك ابن يثربى الخطام ، وخرج يطلب المبارزة ، فاختلف في قتله ، فقتل قوم : إن عمار بن ياسر خرج إليه والناس يسترجعون له ، لأنه كان أضعف من برد إليه يومئذ أقصرهم سيفاً ، وأقصمهم رجلاً ، وأحشهم^(٣) ساقاً ، حمالة سيفه من شدة^(٤) الرُّحْلِ ، وذئاب سيفه^(٥) قريب من إبطه . فاختلفا خمرتين ، فشب سيف ابن يثربى في حقيقته^(٦) عمار ، فحصر به عمار على رأسه فصرعه ، ثم أخذ برجله يسحبه حتى انتهى به إلى علي عليه السلام ، فقال : يا أمير المؤمنين ، استنقني أجاهد بين يديك ، وأقل منهم مثل ما قتلت منك فقال له علي عليه السلام : أبعد زيد وهند وعلباء أستبقيك ! لاها الله إذا ! قال : فاديني منك أسارك ، قال له : أنت متبرد ، وقد أخبرني رسول الله صلى الله عليه وآله بالمتبردين ، وذگرك فيهم . فقال : أما والله لو وصلت إليك لمضضت أنفك مضة أبدته منك .

فأمر به علي عليه السلام فضررت عنقه .

(١) الطلق : الشوط ، والعلق : الدم .

(٢) عمرو بن الحقيق ، يعرف بالكاهن ، صاحب الرسول عليه السلام وشهيد للشاهد مع علي ، وقله معاوية بالجريرة ، وكان رأسه أول رأس صلب في الإسلام الاشتقاق ٤٧٤ .

(٣) أحسن السابقين . دقيقتها .

(٤) النسخ : سير يسبح عريضا على هيئة أعة النعال ، تشد به الرجال ؛ واللطمة منه معة .

(٥) الذئاب : حد السيف ، أو طرفه المتطرف .

(٦) المجطة : واحدة المجط ، وهي الثروس من جلد أو حشب .

وقال قوم : إن حمراً لما قَتَلَ مَنْ قَتَلَ، وأراد أن يخرج لطلب البراز ، قال للأزد : يا معشر الأزد ، إنكم قوم لكم حياة وناس ، وإلى قد وثرت القوم ، وعم قاتل ، وهذه أمتكم نصرها دين ، وخذلانها حقوق ، ولست أخشى أن أقتل حتى أصرع ، فإن صرعت فاستنقذوني . فقالت له الأزد : ما في هذا الجمع أحد يخافه عيبك إلا الأشر ، قال : فلياه أخاف .

قال أبو مخنف : فقيصه الله له ، وقد أعلمنا جميعا ، فارتجز الأشر :

إني إذا ما الحرب أبدت نابتها وأعتقت يوم الوغى أبوابها
ومزقت من حنق أثوابها كنتا قدأماها ولا أذناها^(١)
لبس المدوء دونا أمحابتها من هابتها اليوم فلن أهابتها

• لا طعننا أخشى ولا ضرايبها •

ثم حمل عليه قطمعه فصرعه بوحولته فصرعه الأزد فاستنقذوه ، فوثبوه وهو وقيد ثقيل^(٢) ، فلم يستطع أن يدفع عن نفسه ، واستمرعه عبد الرحمن بن طود البكري ، فطعمه فصرعه ثانية ، ووثب عليه رجل من سدوس^(٣) فاحمله مسحوبا برجله حتى أتى به عليا عليه السلام ، فنashده الله وقال : يا أمير المؤمنين ، اعف عني ، فإن العرب لم تزل قاتلة عنك : إنك لم تجهز على جريح قط . فأطلقه ، وقال : اذهب حيث شئت ، فجاها إلى أصعابه وهو لما به . حضره الموت ، فقالوا له : دُمتك عند أي الناس ؟ فقال : أما الأشر ففلقيني وأنا كالشهر الأرني^(٤) ، فعلا حده حذني ، ولقيت رجلا يبتني له عشرة أمثالي . وأما البكري فلقيني ، وأنا لمأبى ، وكان يبتني لي عشرة أمثاله ، وتولى أسرى أضعف القوم ، وصاحي الأشر .

قال أبو مخنف : فلما اكشفت الحرب ، شكرت ابنة عمرو بن بثر بن الأزد ، وهابت قومها ، فقالت :

(٢) الوقيذ : الجريح للأعرابي على الموت .

(١) قدامى الجيش : مقدمه .

(٢) الأرني : الشيط .

يَا ضَبُّ إِيَّاكَ قَدْ فُجِئْتَ بِفَارِسٍ حَامِي الْحَقِيقَةِ قَاتِلِ الْأَقْرَانِ
عَمْرُو بْنُ يَثْرِبٍ الَّذِي فُجِئْتَ بِهِ كُلِّ الْقَبَائِلِ مِنْ بَنِي عَدْنَانَ
لَمْ يَحْيِهِ وَسْطَ الْعَبَاجَةِ قَوْمُهُ وَحَنَّتْ عَلَيْهِ الْأَزْدُ، أَزْدُ مُهَاجِرِ
فَلَهُمْ عَلَىٰ بِذَلِكَ حَادِثُ نِعْمَةٍ وَلُحْبِهِمْ أُحْبِيتُ كُلُّ يَمَانٍ
لَوْ كَانَ يَدْفَعُ عَنْ مَنِيَّةٍ هَاطِلِكِ طُولُ الْأَكْفِ بِذَائِلِ اللَّزَانِ
أَوْ مَعِشَرٍ وَصَلُوا الْخَطَا بِسُيُوفِهِمْ وَسْطَ الْمَجَاجَةِ وَالْخُتُوفِ دَوَانِ
مَا نِيلَ عَمْرٌ وَالْحَوَادِثُ بَجَّةً حَقٌّ يُنَالُ النِّجْمُ وَالْقَمَرَانِ
لَوْ غَسِيرُ الْأَشْتَرِ نَالَهُ لَدَبُهُ وَبِكَيْتُهُ مَا دَامَ هَضْبُ أَهَانِ^(١)
لَكِنَّهُ مَنْ لَا بُعَابُ يَقْتُلُهُ أَسَدُ الْأَسْوَدِ وَفَارِسُ الْقُرْسَانِ

قال أبو مخنف : وبلغنا أن عبد الرحمن بن ملوك البكري قال لقومه : أنا والله قتل عمرا ، وإن الأشتر كان بمدي وأنا أمامه في الصعاليك ، فطعنت عمرا طعنة لم أحسب أنها تحمل للأشتر دوني ، وإنما الأشتر ذو حظ في الحرب ، وإنه ليعلم أنه كان خلفي ، ولكن آبي الناس إلا أنه صاحبه ، ولا أرى أن أكون حمم العامة ، وإن الأشتر لأهل ألا يتنازع . فلما بلغ الأشتر قوله قال : أما والله لو لا أني أطفأت بخرسته عنه ما دنا منه ، وما صاحبه غيري ، وإن الصيد لمن وقَّده . فقال عبد الرحمن : لا أنزع فيه ، ما القول إلا ما قاله ، وأبي لي أن أخالف الناس .

قال : وخرج عبد الله بن خلف الخزازي ، وهو رئيس البصرة ، وأكثرا أهلها مالا وضياعا ، فطلب البراز ، وسأل ألا يخرج إليه إلا على عليه السلام ، وارتجز فقال :
أبا ترابٍ أدنُ مِنِّي فِتْرًا^(٢) فإني دان إليك شِبرًا
• وإن في صدري عليك عَمْرًا^(٣) •

(٢) كذا في ١ ، ولرب ههنا تراب .

(١) أهان : من أسماء الجبال عندم .

(٢) الفسر : الحقة والمداوة .

نخرج إليه على عليه السلام ، فلم يُبهِمه أن سَرَّبه ، ففلق هامته .

قلوا : استدار الجمل كما تدور الرحا ، وتكاثفت الرجال من حوله ، واشتد رُفَاؤه ، واشتد زحام الناس عليه ، وبأدى الحفلات المحاشي : أيها الناس ، أمكم أمكم ! واختلط الناس فضرب بعضهم بعضاً ، وتقصد أهل الكوفة قعد الجمل ؛ والرجال دونه كالجبال ، كلما خفت قوم جاء أضعافهم . فنادى على عليه السلام : ويحكم ! ارشقوا الجمل بالنبل ، اعقروه لعنه الله ! فرشق بالسهم ، فلم يبق فيه موضع إلا أصابه النبل ، وكان مجففاً^(١) فتعلقت السهام به ، فصار كالقنفذ ، ونادت الأزبد وضبة : يا ثارات عمان ! فاتخذوها شعاراً ، ونادى أصحاب على عليه السلام : يا محمد ! فاتخذوها شعاراً ، واختلط الفريقان ؛ ونادى على عليه السلام بشعار رسول الله صلى الله عليه وآله : يا منصور أمت^(٢) . وهذا في اليوم الثاني من أيام الجمل ، فمات عليهما تترتيلاً لقدام القوم ، وذلك وقت العصر ، بعد أن كانت الحرب من وقت الفجر .

قال الواقدي : وقد روي أن شعاره عليه السلام كان في ذلك اليوم « حم لا ينصرون . اللهم انصر ما على القوم الناكثين » ثم تحاجز الفريقان ، والقَتْلُ فاش فيهما ، إلا أنه في أهل البصرة أكثر ، وأمارات النصر لأمّة لعسكر الكوفة ، ثم تواقفوا في اليوم الثالث ، فبرز أول الناس عبد الله بن الربيع ، ودعا إلى المبارزة ، فبرز إليه الأشتر ، فقالت عائشة : من رز إلى عبد الله ؟ قالوا : الأشتر ، فقالت : وأكُلَ أسماء ! فضرب كل منهما صاحبه فخرجه ، ثم اعتنقا ، فصرع الأشتر عبد الله ، وقعد على صدره ، واختلط الفريقان : هؤلاء لينفذوا عبد الله ، وهؤلاء ليُعِينوا الأشتر . وكان الأشتر طويلاً ثلاثة أيام

(١) كان مجففاً ، أي ألبس الجفاف ، وهو آلة الحرب توضع على الفرس .

(٢) هو أمر بالموت ، والمراد به التفاؤل بالنصر بعد الأمر بالإمانة ، مع حصول الفرس (النهاية لابن الأثير)

لم يَظَعَمْ - وهذه عادته في الحرب - وكان أيضاً شيعاً على السن ، فحمل عبد الله ينادى :
• اقتلوني ومالِكاً ^(١) •

فلو قال : « اقتلوني والأشتر » قتلوهما ، إلا أن أكثر من كان يمر بهما لا يعرفهما ؛
لكثرة مَنْ وقع في المعركة حَزَرعى مصُهم فوق بعض ، وأفلت ابن الزبير مِنْ تحته ولم
يكده ، فذلك قول الأشتر :

أعائشُ لولا أننى كنتُ طاوياً ثلاثاً لألقى ابنَ أخيكِ هالِكاً
غداة ينادى والرجالُ تحوزهُ بضرب صوت : أقتلوني ومالِكاً
فلمْ يعرفوه إذ دُعامَ وغه خدبٌ عليه في العجاجة بارِكاً ^(٢)
فنبجاه مَنى أكله وشابه وأنى شيعُ لم أكن مماسِكاً

وروى أبو مخنف عن الأصم بن سائب قال : دخل عمار بن ياسر ومالك بن الحارث الأشتر
على عائشة بعد انقضاء أمر الجمل ، فقالت عائشة : يا عمار ، مَنْ معك ؟ قال : الأشتر .
فقالت : يا مالك ، أنت الذى صنعتَ بانِ أختى ما صنعت ؟ قال : نعم ، ولولا أنى
كنت طاوياً ثلاثة أيام لأرختُ أمة محمد منه ، فقالت : أما علمتَ أن رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال : « لا يحملُ دم مسلم إلا بأحد أمور ثلاثة : كفر بعد إيمان ، أو زناً بعد
إحصان ، أو قتل من بغير حق » ! فقال الأشتر : هلَى بعض هذه الثلاثة قاتلناه يا أم المؤمنين ،
وأيُّهم الله ما خافى سيفى قبلها ، ولقد أقمتُ ألا يصحبنى بعدها .

قال أبو مخنف : ففى ذلك يقول الأشتر من جملة هذا الشعر الذى ذكرناه :

وقالت على أى الحصال مرعته فقتل أنى ، أم رِدَّة لا أبالِكاً
أم المحصن الزانى الذى حلَّ قتله فقتل لها لا بد من بعض ذلكا

• وأقتلوا مالِكاً معى •

(١) بيته :

(٢) الخدب : الصم .

والنظر السعوى ٢ : ٣٧٦

قال أبو مخنف : وانتهى الحارث بن زهير الأزدي من أصحاب علي عليه السلام إلى الجبل ، ورجل ^(١) أخذ بخطامه ، لا يدنو منه أحد إلا قتله ، فلما رآه الحارث بن زهير مشى إليه بالسيف وارتمى ، فقال لعائشة :

يَا أُمَّنَا أَعَى أُمِّ نَعْلَمْ ^(٢) وَالْأُمُّ تَفْذُو وَلَدَهَا وَتَرْحَمُ
أَمَّا تَرَيْنَ كَمْ شَجَاعٍ بِكُمْ ! وَتُحْنَلِي هَامَتُهُ وَالْمَعْمُ ^(٣)

فاختلف هو والرجل ضربتين ، فكللها ما أنحن صاحبه .

قال جندب بن عبد الله الأزدي : لجئت حتى وقفت عليهما وهما يفحصان بأرجلهما حتى ماتا . قال : فأتيت عائشة بعد ذلك أسلم عليها بالمدينة ، فقالت : مَنْ أَنْتَ ؟ قلت : رجل من أهل الكوفة ، قالت : هل تشهدتنا يوم البصرة ؟ قلت : نعم ، قالت : مع أي الفريقين ؟ قلت : مع علي ، قالت : هل سمعت مقالة الذي قال :

يَا أُمَّنَا أَعَى أُمِّ نَعْلَمْ •

قلت : سم ، وأعرفه ، قالت : ومن هو ؟ قلت : ابن عم لي ، قالت : وما فعل ؟ قلت : قُتِلَ عِنْدَ الْجَبَلِ ، وَقُتِلَ قَاتِلُهُ ، قَالَ : فَبَكَتْ حَتَّى خَلَّتْ وَاللَّهِ أَنَّهَا لَا تَسْكُتُ ، ثُمَّ قَالَتْ : لَوَدِدْتُ وَاللَّهِ أَنِّي كُنْتُ مَيِّتًا قَبْلَ ذَلِكَ الْيَوْمِ بِعَشْرِينَ سَنَةً .

قالوا : وخرج رجل من عسكر البصرة يعرف بجناب بن عمرو الراسي ، فارتمى فقال :
أَضْرِبُهُمْ وَلَوْ أَرَى عَلِيًّا تَحْمَتُهُ أَيْضًا مَشْرِفِيَا
• أَرْجَحُ مِنْهُ مَشْرِفَا هَوِيَا •

فصمد عليه الأشر فقتله .

ثم تقدم عبد الرحمن بن عتاب بن أسيد بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس وهو

(١) هو عمرو بن الأشرف . الطبري : ٢١١ .

(٢) ذكر الطبري رواية أخرى في هذا الرجز :

• يَا أُمَّنَا يَا خَيْرَ أُمِّ نَعْلَمْ •

(٣) تحنلي : تطلع .

من أشراف قريش - وكان اسم سيفه « ولول » - فارتجز ، فقال :

أَنَا ابْنُ عَتَّابٍ وَسَيِّفِي وَلَوْلُ وَبَلَوْتُ دُونَ الْجَمَلِ الْجَمْلَ^(١)

فحمل عليه الأشر فقتله . ثم خرج عبد الله بن حكيم بن حزام من بني أسد بن عبد المزى بن قصي ، من أشراف قريش أيضاً ، فارتجز وطلب للبارزة ، فصرج إليه الأشر فضر به على رأسه فصرعه ، ثم قام فنجأ بنفسه .

قالوا : وأخذ خطام الجمل سبعون من قريش ، قتلوا كلهم ، ولم يكن يأخذ بخطام الجمل أحدٌ إلا سالت نفسه ، أوقطعت يده . وجاءت بنو ناجية فأخذوا بخطام الجمل ، ولم يكن يأخذ الخطام أحدٌ إلا سالت عائشة : من هذا ؟ فالت عنهم ، فقيل : بنو ناجية ؛ فقالت عائشة : صبراً يا بنى ناجية ، فإنى أهرق فيكم دماً من قريش . قالوا : وبنو ناجية مطعون في نسبهم^(٢) إلى قريش^(٣) ، فقتلوا حولها جميعاً .

قال أبو مخنف : وحدثنا إسحاق بن إبراهيم عن عبد الله بن الزبير ، قال : أصيبت يوم الجمل وبنو سبعة وثلاثون جرحاً ، من ضربة وطعنة ورمية ، وما رأيت مثل يوم الجمل قط ، ما كان الفريقان إلا كالجليلين لا يزولان .

قال أبو مخنف : وقام رجل إلى علي عليه السلام فقال : يا أمير المؤمنين ، أرى فتنة أعظم من هذه ؟ إن البذرية ليشي بعضها إلى بعض بالسيف ، فقال علي عليه السلام : ويحك ! أتكون فتنة أنا أميرها وقائدها ! والذي بعت محمدًا بالحق وكرمت وجهه ، ما كذبتُ ولا كذبتُ ، ولا ضللتُ ولا ضللتُ بي ، ولا زللتُ ولا زلتُ بي ، وإني لعلى بينة من ربي ، بينها الله لرسوله ، وبينها رسوله لي ، وسأدعى يوم القيامة ولا ذنب لي ، ولو كان لي ذنب لسكفر عني ذنوبي ما أنا فيه من قتالهم .

قال أبو مخنف : وحدثنا مسلم الأعور عن حبة المُرَني قال : فلما رأى علي عليه السلام

أن الموت عند الجبل ، وأنه مادام قائماً فالحرب لا تطفأ ، وضع سيفه على عاتقه ، وعطف
نحوه ، وأمر أصحابه بذلك ، ومشى نحوه وإلخاطام مع بني ضة ، فاقتلوا قتالا شديداً ،
واستعز القتل في بني ضة ، فقتل منهم مقتلة عظيمة ، وخلف على عليه السلام في جماعة
من النخع وهمدان إلى الجبل ، فقال لرجل من النخع اسمه بجير : دونك الجبل يا بجير ،
فضرب عجز الجبل بسيفه فوق جنبه ، وضرب بحرانه الأرض ، وعج عجب عالم يسمع بأشد
منه ، فما هو إلا أن صرع الجبل حتى فرقت الرجال ، كما يطير الجراد في الريح الشديدة المهبوب ،
واحتملت عاتة جهودجها ، فعلمت إلى دار عبد الله بن حلف ، وأمر على عليه السلام
بأن يجرى ثم يذرى في الريح . وقال عليه السلام : لعنه الله من دابة أفا أشبهه
بجعل بني إسرائيل ، ثم قرأ : ﴿ وَأَنْظُرْ إِلَى إِلَهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفاً لَنْتَرَكَنَّهُ ﴾
﴿ ثُمَّ لَنْبَغَنَّ فِي آيَةِ نَعَا ﴾ (١)



رواه الشيخ في مسنده

(١٤)

الأصل:

ومن كلام له عليه السلام في مثل ذلك :

أَرْضُكُمْ قَرِيبَةٌ مِنْ الْمَاءِ ، تَمِيدَةٌ مِنْ السَّمَاءِ . خَفْتُ عُقُوبَتَكُمْ ، وَسَفَهَتْ
حُلُومَكُمْ ؛ فَأَنْتُمْ غَرَضٌ لِنَائِلٍ ، وَأَكَلَةٌ لَأَكِلٍ ، وَقَرِيبَةٌ لِمَصَائِلٍ .

الْبِنْج :

العرَض : ما يُنْصَب ليرى بالسهم ^{والجواب على نحو النمل} . والأَكَلَةُ ، بضم الهمزة :
الماكول . وقريبة الأسد : ما يفترضه ^{شبهه} ^{سلك}

وسفه فلان ، بالكسر ، أى صار سفيها ، وسفه بالضم أبصا . فإذا قلت : سفه فلان
رأيه أو حلمه أو نفسه ، لم تقل إلا بالكسر ، لأن « قُلْ » بالضم لا يتعدى . وقولهم :
سفه فلان نفسه ، وغبن رأيه ، وتطر عيشته ، وألم بطنه ، ورفق حاله ، ورشد أمره ،
كان الأصل فيه كله : سَفِهَتْ نفس ربه فلما حوّل الفعل إلى الرجل انتصب ما بعده بالفعولية .
هذا مذهب البصريين والكسائي من الكوفيين .

وقال القراء : لما حوّل الفعل إلى الرجل خرج ما بعده مفترأ ليل على أن السفاهة
فيه ، وكان حكمه أن يكون : سفه زيد فضا ، لأن للفتر لا يكون إلا نكرة ، ولكنه
ترك على إضافته ، ونصب كنصب النكرة ، تشبيها بها .

ومحوز عند البصريين والكسائي تقديم النصب ، كما يحوز : ضرب غلامه زيد ،
وعند القراء لا يحوز تقديمه ، لأن للفتر لا بتقديم ^(١) .

فأما قوله : « أرضكم قريبة من الماء ، بعيدة من السماء » فقد قدمنا^(١) معنى قوله « قريبة من الماء » وذكرنا غرقها من بحر فارس دفعتين ، ومراده عليه السلام بقوله : « قريبة من الماء » ، أى قريبة من الفرق بالماء . وأما « بعيدة من السماء » ؛ فإن أرباب علم الهيئة وصناعة التنجيم يدكرون أن أبداً موضع في الأرض عن السماء الأبدية^(٢) ، وذلك موافق لقوله عليه السلام .

ومعنى البعد عن السماء ما هنا هو بعد تلك الأرض المخصوصة عن دائرة معدل النهار والبقاع ، والبلاد تختلف في ذلك . وقد دلت الأرصاد والآلات التجوئية على أن أبداً موضع في العمود عن دائرة معدل النهار هو الأبدية ، والأبدية هي قبة البصرة . وهذا الموضع من خصائص أمير المؤمنين عليه السلام ، لأنه أخير عن أمر لا تعرفه العرب ، ولا تهتدى إليه ، وهو مخصوص بالمدققين من الحكماء . وهذا من أسرارهم وغرائب البديعة .

وتمت في شهر ربيع الثاني سنة ١٢٨٠

(١) ص ٢٥٣ من هذا الجزء .

(٢) الأبدية بضم أوله وثانيه وتشديد اللام وفتحها : بلدة على شاطئ دجلة البصرة العظمى ، في زاوية الخليج التي يدخل إلى مدينة البصرة ؛ وهي أقدم من البصرة . مراد الاطلاع ١ : ١٨ .

(١٥)

الأصل :

ومن كلام له عليه السلام فيما رده على المسلمين من قطائع عثمان رضى الله عنه :
وَاللَّهِ لَوْ وَجَدْتُهُ قَدْ تَزَوَّجَ بِهِ النِّسَاءَ ، وَمَلَكَ بِهِ الْإِمَاءَ ؛ لَرَدَدْتُهُ ؛ فَإِنْ فِي الْهَدْيِ
سَعَةً . وَمَنْ ضَاقَ عَلَيْهِ الْمَدْلُ ، فَالْجُلُورُ عَلَيْهِ أَضِيقُ .

• • •

الشرح :

القطائع : ما يقطعه الإمام بعض الرعية من أرض بيت المال ذات الحراج ، ويسقط
عنه خراجه ، ويحمل عليه ضريبة يسيرة عوضاً عن الحراج . وقد كان عثمان أقطع كثيراً
من بني أمية وغيرهم من أوليائه وأصحابه قطائع من أرض الحراج على هذه الصورة ، وقد كان
همراً أقطع قطائع ؛ ولكن لأرباب العناء في الحرب والآثار المشهورة في الجهاد ؛ فقل ذلك
كثراً عما بذلوه من مهجهم في طاعة الله سبحانه ، وعثمان أقطع القطائع صلاة لرحمه ، وميلاً
إلى أصحابه ، عن غير عناء في الحرب ولا آخر .

وهذه الخطبة ذكرها الكلبي مروية مرفوعة إلى أبي صالح ، عن ابن عباس رضى الله
عنهما : أَنَّ عَلِيّاً عَلَيْهِ السَّلَامُ خَطَبَ فِي الْيَوْمِ الثَّانِي مِنْ يَمَعَةِ الْمَدِينَةِ ، فَقَالَ :
أَلَا إِنَّ كُلَّ قَطِيعَةٍ أَقْطَعَهَا عُثْمَانُ ، وَكُلَّ مَالٍ أَعْطَاهُ مِنْ مَالِ اللَّهِ ، فَهُوَ مَرْدُودٌ فِي
بَيْتِ الْمَالِ ، فَإِنَّ الْحَقَّ الْقَدِيمَ لَا يُبْطَلُ شَيْءٌ ، وَلَوْ وَجَدْتُهُ وَقَدْ ^(١) تَزَوَّجَ بِهِ النِّسَاءُ ،
وَفُرِّقَ فِي الْبُلْدَانِ ، لَرَدَدْتُهُ إِلَى حَالِهِ ^(٢) ؛ فَإِنْ فِي الْمَدْلِ سَعَةٌ ، وَمَنْ ضَاقَ عَنْهُ الْحَقُّ فَالْجُلُورُ
عَلَيْهِ أَضِيقُ .

(٢) ب : « على حاله » .

(١) ب : « قد » .

وتفسيرُ هذا الكلام أن الوالي إذا ضاقت عليه تديرات أموره في العدل ، فهي في الجور أضيق عليه ؛ لأن الجائر في مظنة أن يُمنع ويصد عن جوره .

قال السكبي : ثم أمر عليه السلام بكل سلاح ووجد لعمان في داره مما تقوى به على المسلمين قبض ، وأمر قبض نجائب كانت في داره من إبل الصدقة ، فقبضت ، وأمر قبض سيفه ودرعه ، وأمر ألا يعرض لسلاح وحده لم يقاتل به المسلمون ، وبالكف من جميع أمواله التي وجدت في داره وفي غير داره ، وأمر أن تُرتفع الأموال التي أجاز بها عمان حيث أصيبت أو أصيب أصحابها .

فبلغ ذلك عمرو بن العاص ، وكان بأيلة من أرض الشام ، أنهاها حيث وثب الناس على عمان ، فنزلها فكتب إلى معاوية : ما كنت صاماً فاصنع ، إذ قسرك ابن أبي طالب من كل مال تملكه كما تقشر عن المعالي .

وقال الوليد بن عتبة - وهو أخو عمان من أمه - يذكر قبض على عليه السلام نجائب عمان وسيفه وسلاحه (١) :

بني هاشم ردوا سلاح ابن أخيتكم	ولا تهيموا لا تحل مناهية
بني هاشم كيف الهواة بيننا	وعند علي درعه ونجائبه
بني هاشم كيف التودد منكم	وبرأ ابن أروى فيكم وحرائبه (٢)
بني هاشم ألا تردوا فانتسا	سواء علينا قتلاه وسالبه
بني هاشم إنا وما كان منكم	كصدع الصفا لا يشب الصدع شاعبه
فقتلتم أخى كيما تكونوا مكانه	كأغدرت يوماً بكيمري مرازبه (٣)

(١) الأبيات في السعدي ٢ : ٢٥٦ ؛ والأغانى ١ : ١٧٥ (ساس) ، والكمال ٢ : ٢٨ مع اختلاف في الرواية وترتيب الأبيات .

(٢) البر : مناع البيت من الثياب . والحرايب : جمع حربة ؛ وهو مال الرجل التي يدوم به أمره ؛ ورواية البيت في السعدي :

بني هاشم كيف الهواة بيننا وسيف ابن أروى عندكم وحرائبه (٣) رواية للسعدي :

• غدرتكم يد كيما تكونوا مكانه •

فأجابه عبد الله بن أبي سفيان بن الحارث بن عبد المطلب بأبيات طويلة^(١) من جملتها:
 فَلَا تَسْأَلُونَا سَيِّفَكُمْ إِنَّا سَيِّفُكُمْ أَضِيعُ وَالْقَاءُ لَدَى الرُّوْعِ صَاحِبُهُ
 وَشَبَّهَتْهُ كِسْرَى وَقَدْ كَانَ مِثْلَهُ شَيْبًا بِكِسْرَى هَذِهِ وَضَرَّائِبُهُ
 أَى كَانَ كَافِرًا كَمَا كَانَ كِسْرَى كَافِرًا .

وكان المنصور رحمه الله تعالى إذا أشد هذا الشعر^(٢) يقول : لمن الله الوليد ! هو الذي
 قرّق بين بني عبد مناف بهذا الشعر !



مكتبة جامعة القاهرة

(١) نسبها للسعودي وصاحب الأغاني إلى الفضل بن العباس بن عتبة بن أبي لهب .

(٢) به : « البيت » .

(١٦)

الأصل :

ومن خطبة له عليه السلام لما بويع بالمدينة :

ذِمَّتِي بِمَا أَقُولُ رَهِينَةً ، وَأَنَا بِهِ رَعِيمٌ . إِنْ مَنْ صَرَحْتُ لَهُ الْبِرُّ عَمَّا بَيْنَ
يَدَيْهِ مِنَ الثَّلَاثِ ، حَجَزَتْهُ التَّقْوَى عَنْ تَقَعُّمِ الشُّبُهَاتِ . أَلَا وَإِنْ بَلَيْتُكُمْ قَدْ
عَادَتْ كَهَيْئَتِهَا يَوْمَ بَعَثَ اللَّهُ نَبِيَّهُ ^(١) . وَالَّذِي بَعَثَهُ بِالْحَقِّ لَتُبْلِيَنَّ بَلِيلَهُ ،
وَلَتَمُرَّ نُنُورُ غُرَابَةٍ ، وَلَتَسَاطُنَ ^{فِي الْقُدْرَةِ} حَتَّى يَمُودَ أَسْفَلَكُمْ أَعْلَاكُمْ ، وَأَعْلَاكُمْ
أَسْفَلَكُمْ وَلَيَسْقَنَّ سَائِقُونَ كَأَنَّهُمْ قَصُورٌ ، وَلَيَقْصُرَنَّ سَائِقُونَ كَأَنَّهُمْ سَبَقُوا .
وَأَقْرَبَ مَا كُنْتُ وَشَمَةً ، وَلَيْسَ كُنْتُ كَذَّابَةً ، وَلَقَدْ نَبَّيْتُ بِهَذَا لِلْقَامِ
وَعَدَا الْيَوْمَ .

أَلَا وَإِنْ أَعْطَايَا خَيْلٌ شَمْسٌ حُلَّ عَلَيْنَا أَهْنًا ، وَخُلِعَتْ لُجُئًا ، فَتَقَعَّتْ بِهِمْ
فِي النَّارِ .

أَلَا وَإِنْ التَّقْوَى مَعْطَايَا ذُلٌّ ، حُلَّ عَلَيْنَا أَهْنًا ، وَأَعْطَايَا أَرْمَئًا ، فَأُورِدَتْهُمْ الْجَنَّةَ .
حَقٌّ وَمَاطِلٌ ، وَلَيْسَ كُنْتُ أَهْلٌ ، فَهِنَّ أَمِيرَ الْبَاطِلِ لَقْدِيمًا فَعَلَّ ، وَلَئِنْ قُلَّ الْحَقُّ
لَرُبَّمَا وَاعِلٌ ؛ وَلَقَدْ لَمَّا أُدْبِرَ شَيْءٌ فَأَنْبَلَ .

• • •

(٢) قال الرضى عليه السلام : وأقول : إنَّ في هذا الكلام الأذنى من مواقع

(١) كذا في ١ ومخطوطة التهج ، وفي ٢ : « بهم » .

(٢ - ٢) ساقط من ٢

الإحسان ما لا تبْلُغُهُ مَوَاقِعُ الاستِحْسانِ . وَإِنْ حَظَّ الْمُعْجِبُ مِنْهُ أَكْثَرُ مِنْ حَظِّ
 الْمُعْجَبِ بِهِ ، وَفِيهِ مَعَ الْحَالِ الَّتِي وَصَفْنَا ^(١) زَوَائِدُ مِنَ الْمَصَاحَةِ لَا يَقُومُ بِهَا لِسَانٌ ،
 وَلَا يَطْلُعُ فَجْهًا ^(٢) إِنْسَانٌ ، وَلَا يَتَرَفُّ مَا أَقُولُ إِلَّا مَنْ ضَرَبَ فِي هَذِهِ الصَّنَاعَةِ يَحَقُّ ،
 وَجَرَى فِيهَا عَلَى عَرَقٍ ، (وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ) .

• • •

ومن هذه الخطبة :

شِئْلَ مَنْ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ أَمَامَهُ . سَاجِدٌ سَرِيعٌ نَجْمًا ، وَطَالِبٌ بَطِيءٌ رَجَا ، وَمُقَصِّرٌ
 فِي النَّارِ عَوَى .

الْيَمِينُ وَالشَّامُ مَصَلَّةٌ ، وَالطَّرِيقُ ^(٣) الْوُطْقُ عَلَى هِيَ الْجَادَّةُ ، عَلَيْهَا بَاقِي ^(٤) الْكِتَابِ
 وَأَثَارُ النُّبُوَّةِ ، وَمِنْهَا مَنَفَذُ السُّنَّةِ ، وَإِلَيْهَا مَصِيرُ الْعَاقِبَةِ .
 هَلَكَ مَنْ أَدْعَى ، وَخَابَ مَنْ أَفْتَرَى .

مَنْ أُنْذِيَ صَفْحَتَهُ لِلْحَقِّ هَلَكَ عِنْدَ حَمَلَةِ النَّاسِ . وَكَفَى بِالْمَرْءِ جَهْلًا لَا
 يَعْرِفَ قُدْرَهُ .

لَا يَهْلِكُ عَلَى التَّقْوَى سِنْحُ أَصْلٍ ، وَلَا يَطْمَأُ عَائِبًا رَزَعُ قَوْمٍ ؛ فَاسْتَقِرُّوا فِي
 بُيُوتِكُمْ ، وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ ، وَالتَّوْبَةُ مِنْ ذُنُوبِكُمْ ، وَلَا يَحْمَدُ حَامِدٌ إِلَّا
 رَبَّهُ ، وَلَا يَلُمُ لَا إِلَهَ إِلَّا نَفْسُهُ .

• • •

(١) مخطوطة التهج : « وصفتنا » .

(٢) التهج : الطريق الواسع بين جبلين ، وطبع الطريق : طبعه

(٣) مخطوطة التهج : « ماني الكتاب » .

الشرح :

الذمة : العهد والعهد ، يقول : هذا الذين في ذمتي ، كفولك : في عنقي ؛ وهما كناية عن الالتزام والضمان والتعهد . والزعم : الكفيل ، ومخرج الكلام لم يخرج الترغيب في سماع ما يقوله ، كما يقول اللهم بإيضاح أمر لقوم لهم : أنا المدرك المتقصد بصدق ما أقوله لكم . وصرحت : كشفت . والمعبر : جمع عبرة ، وهي الوعظة . والمثلثات : العقوبات . وحجره : منعه . وقوله : « لَتُبْلَيْنَّ » أي لَتَحْلَطُنَّ ، تلبلت الألسن ، أي اختلطت . « وَلَتُعْرَبَنَّ » ، يجوز أن يكون من العربال الذي يُعْرَبُّ به الدقيق ، ويجوز أن يكون من غَرَبَلْت اللحم ، أي قطمته . فإن كان الأول كان له معنيان : أحدهما الاختلاط ، كالتبليل ، لأن غربة الدقيق تخلط بمصه يعض . والثاني أن يريد بذلك أنه يستحلص الصالح منكم من الفاسد ، ويتميز كما يتميز الدقيق عند الغربلة من نخالته .

وتقول : ما عصيت إلا بأوشة ، أي كلمة . وحصان شمس : يمنع ظهوره ، شمس القرس ، بالفتح ، وهو شمس . وأمر الباطل : كثر .

وقوله : « لقد يما فعل » ، أي لقد يما فعل الباطل ذلك ، ونسب الفعل إلى الباطل مجازاً . ويجوز أن يكون « فعل » بمعنى « افعل » كقوله ^(١) :

• قَدْ جَبَرَ الدِّينَ الْإِلَهَ فَجَبَرَ •

أي فأنجبر . والسِّنخ : الأصل ، وقوله : « يفتح أصل » كقوله ^(٢) :

• إِذَا حَاصَ عَيْنِي كَرَمِي النَّوْمِ . . . •

وفي بعض الروايات : « من أبدى صفحته فله حق هلك عند جملة الناس » ، والتأويل مختلف ، فراه على الرواية الأولى - وهي الصحيحة - من كاشف الحق غاصما له هلك ،

(١) مطلع أرحوزة للعجاج ، ديوانه ١٥ ، واللسان : ١٨٥ .

(٢) لأبطل شرا ، والبيت برواية أبي تمام في الحماسة - بشرح المروقي ١ : ٩٧ :

إِذَا خَاطَ عَيْنِي كَرَمِي النَّوْمِ لَمْ يَرَلْ لَهُ كَالِي مِنْ قَلْبِ شَيْعَانٍ فَإِنَّكَ

وهي كلمة جارية تحتمى المثل . ومراده على الرواية : الثانية : مَنْ أَبْدَى صَفَحَتَهُ لِنُصْرَةِ الْحَقِّ غَلَبَهُ أَهْلُ الْجَهْلِ - لِأَنَّهُمُ الْعَامَّةُ ، وَفِيهِمْ الْكَثْرَةُ - فَهَلْكَ .

• • •

وهذه الخطبة من جلائل خطبه عليه السلام ومن مشهوراتها ، قد رواها الناس كلهم ، وفيها زيادات حذفها الرضى ، إما اختصاراً أو خوفاً من إباحاش السامعين ، وقد ذكرها شيخنا أبو عثمان الجاحظ في كتاب " البيان والتبيين " ^(١) على وجهها ، ورواها عن أبي هُبَيْرَةَ مَعْمَرِ بْنِ الْمُنْثَنَّى .

قال : أوَّل خطبة خطبها أمير المؤمنين على عليه السلام بالمدينة في خلافته ^(٢) حِجْدَ اللَّهِ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ، وَصَلَّى عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، ثُمَّ قَالَ :

أَلَا لَا يُرْعَيْنَ ^(٣) مُرْجِعَ إِلَّا عَلَى مَعْبَدٍ شَمِلَ مِنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ أَمَامَهُ ^(٤) . سَاعِ مُحَمَّدٍ [يَنْجُو] ^(٥) ، وَطَالِبِ يَرْحُو ، وَمَقْصَرٍ فِي الْبَارِ ^(٦) ؛ ثَلَاثَةٌ : وَائِثَانٌ : مَلَكٌ طَارَ بِمَخَاحِيهِ ، وَنَبِيٌّ أَخَذَ اللَّهُ بِيَدِهِ ^(٧) ؛ لَا سَادِسَ . هَلْكَ مَنْ أَدْعَى ، وَرَدَى مَنْ اقْتَمَعَ ^(٨) . الْيَمِينِ وَالشَّامِلِ مَصَلَّةً ، وَالْوَسْطَى الْجَادَّةُ ^(٩) ؛ مِنْهُجٌ عَلَيْهِ بَاقِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَأَثَارِ النَّبُوَّةِ . إِنْ اللَّهُ دَاوَى هَذِهِ الْأُمَّةَ بِدَوَائِيْنِ : السُّوْطِ وَالسَّيْفِ ؛ لَا هَوَادَةَ عِنْدَ الْإِمَامِ فِيهِمَا . اسْتَقْرُّوا فِي بَيْوتِكُمْ ^(١٠) ، وَأَصْلَحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ ^(١١) ، وَالتَّوَنُّهُ مِنْ وَرَائِكُمْ . مَنْ أَبْدَى صَفَحَتَهُ

(١) البيان والتبيين (٢ : ٥٠ - ٥٢) ، ورواها أيضاً ابن قتيبة في عيون الأخبار (٢ : ٢٣٦) .

(٢) البيان : « أَنَّهُ قَالَ يَمْدُ أَنْ حِجْدَ اللَّهِ وَأَثْنَى عَلَيْهِ وَصَلَّى عَلَى نَبِيِّهِ » .

(٣) البيان : « أَمَا يَمْدُ فَلَا يَرْعَيْنَ » .

(٤) في البيان : « فَإِنْ مِنْ أَرَعَى عَلَى غَيْرِ مَعْبَدٍ شَمِلَ مِنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ أَمَامَهُ » .

(٥) اسكلة من البيان والتبيين .

(٦) عند ابن قتيبة في العيون : « سَاعِ سَرِيعٍ عَمَّا ، وَطَالِبِ بَطِيءٍ رَحًا ، وَمَقْصَرٍ فِي النَّارِ هَوَى » .

(٧) البيان والعيون : « بِيَدِهِ » . (٨) البيان : « فَإِنْ الْيَمِينِ » .

(٩) الحادة : الطريق الواضح .

(١٠) البيان : « اسْتَقْرُّوا بَبُيُوتِكُمْ » ، والعيون : « فَاسْتَقْرُّوا بَبُيُوتِكُمْ » .

(١١) البيان : « وَأَصْلَحُوا لِبَا بَيْنِكُمْ » .

لحق هلك . قد كانت [لكم] "أمور [مستم فيها على مئة]"^(١) لم تكونوا عندى فيها محمودين^(٢) [ولا نصيبين]^(٣) . أما لاني لو أشاء لقلت ، عفا الله عما سلف . سبق الرجلان وقام الثالث كالغراب هتته بطنه . وبحة^(٤) (٢) لو قص جناحاه ، وقطع رأسه لكان خيرا له ! انظروا فإن أنكرتم فأنكروا ، وإن عرقم فآذروا . حق وباطل ، ولكل أهل . ولئن أير الباطل قديما فعل ، ولئن^(٥) قل الحق لرُبما ولعل ، وقلما أدبر شيء فاقبل^(٦) . ولئن رجعت إليكم أموركم إنكم لعداء ، وإنى لأخشى أن تكونوا في فقر ، وما علينا إلا الاجتهاد .

قال شيخنا أبو عثمان رحمه الله تعالى : وقال أبو عبيدة : وزاد^(٧) فيها في رواية جعفر ابن محمد عليها السلام عن آتائه عليهم السلام :
ألا إن أبرار عترتي ، وأطياب أرومتي ، أعلم الناس صارا ، وأعلم الناس كبارا .
ألا وإننا أهل بيت من علم الله علمنا ، وبحكم الله حكمنا ، ومن قول صادق سمعنا ، فإن تنقبضوا آثارنا تهتدوا ببصائرنا ، وإن لم تفعلوا هلككم الله بأيدينا . ومنا راية الحق ، من تبعها لحق ، ومن تأخر عنها فرق . ألا وبنا يدرك تركة كل مؤمن ، وبنا تخلع ربة الفل عن أعناقكم^(٨) وبنا فتح^(٩) لا بكم ، ومنا يخسم لا بكم .

• • •

قوله : « لا يُرعى » أى لا يبين ، أرهت عليه ، أى أبقيت ؛ يقول : من أبى على الناس فإنما أبى على نفسه . والموادة : الرق والصلح ، وأصله اللين . والتهويد : المشى ،

(١) تسكة من البيان والبيان .

(٢) البيان : محمودين .

(٣) ب : « وإن » .

(٤ - ٦) البيان : « وروى بها جعفر بن محمد » .

(٧) البيان : « من أعناقكم » .

(٨) البيان : « فتح الله » .

(٩) البيان : « يا ويحه » .

(١٠) البيان : « ما أدبر شيء » فاقبل .

رويدا ، وفي الحديث : « أسرعوا المشي في الجبازة ولا تنهوا كانهو د أهل الكتاب » .
وأزرت زيدا : أعنته . الثرة : والثرة . والرقة : الحبل يجعل في عنق الشاة . وردي :
هلك ، من الردي ، كقولك : عني من العي ، وشجي من الشجي .
وقوله : « شغل من الجنة والنار أمامه » ؛ يريد به أن من كانت هاتان الداران
أمامه أتى شغل عن أمور الدنيا إن كان رشيدا .

وقوله : « ساع مجتهد » إلى قوله : « لا سادس » كلام تقديره : المكلفون على
خمس أقسام : ساع مجتهد ، ومطالب راجع ، ومقتصر هالك . ثم قال : ثلاثة ، أي فهو لا
ثلاثة أقسام ، وهذا ينظر إلى قوله سبحانه : « ثم أوزننا الكتاب الذين أعطفنا من
عبادنا فيهم ظالم لتفهم ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات يؤذن الله » (١) ،
ثم ذكر القسمين : الرابع والخامس ، فقال : « لا ملك طار بجناحه ، ونبي أخذ الله بيده »
يريد عصمة هذين النوعين من التبعيض . ثم قال : « لا سادس » ، أي لم يبق في المكلفين
قسم سادس . وهذا يقتضي أن العصمة ليست إلا للأنبياء والملائكة ، ولو كان الإمام
يجب أن يكون معصوما لكان قسما سادسا ، فإذن قد شهد هذا الكلام بصحة ما نقوله
المتمثلة في نقي اشتراط العصمة في الإمامة ، اللهم إلا أن يجعل الإمام للمصوم داحلا في القسم
الأول ، وهو الساعي المجتهد . وفيه بُمد وضعف .

وقوله : « هلك من ادعى ، وردي من اتهم » ، يريد هلك من ادعى وكذب ،
لا بد من تقدير ذلك ؛ لأن الدعوى نعم الصدق والكذب ، وكأنه يقول : هلك من ادعى
الإمامة ، وردي من اتهمها ووجلبها عن غير استحقاق ؛ لأن كلامه عليه السلام في هذه
الخطبة ، « كله كتابات عن الإمامة لا عن غيرها » .

وقوله : « البين والشمال » ، مثال لأن السالك الطريق الْمُنْتَهَج اللاحب ناجٍ ، والعاذل عنها يميناً وشمالاً مُعرض للخطر .

ونحو هذا الكلام ما روي عن عمر ، أنه لما صدر عن منى في السنة التي قتل فيها ، كَوْمُ كَوْمَةٍ من البطحاء ^(١) فقام عليها ، فخطب الناس ، فقال : أيها الناس ، قد سُنَّتْ لكم السنن ، وفُرضت لكم الفرائض ، وتُرَكِّبْتُكم على الواضحة ، إلا أن تميلوا بالناس يميناً وشمالاً ، ثم قرأ : ﴿ أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ • وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ • وَهَدَّيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ ﴾ ^(٢) ، ثم قال : ألا إنهما تجذا الخير والشر ؛ فاجعل نجدَ الشر أحبَّ إليكم من نجدِ الخير .

[من كلام للحجاج وزباد تسجعا فيه على منوالِ كلام علي]

وقوله : « إن الله دأوى هذه الأمة بلسواطين » ، كلام شريف ، وعلى منواله نجح الحجاج وزباد كلامهما المذكور في السوط والسيف . فن ذلك قول الحجاج ^(٣) :
مَنْ أَعْيَاه دَاوَاهُ فَعَلَى دَوَاوَاهُ ، وَمَنْ اسْتَبَطَّ أَحَدَهُ فَعَلَى أَنْ أَعْبَلَهُ ، وَمَنْ اسْتَقْبَلَ رَأْسَهُ وَضَعَتْ عَنْهُ رِقْلَهُ ، وَمَنْ اسْتَطَالَ مَاضِيَ عَمْرِهِ قَصُرَتْ عَلَيْهِ بَاقِيهِ . إِنْ لِلشَّيْطَانِ طَلِيْعًا ، وَإِنْ لِلْمَلِكِ سَيْفًا ، فَمَنْ سَقَمَتْ سِرْبَتُهُ ، مَحَّتْ عَقُوبَتُهُ ، وَمَنْ وَضَعَ ذَنْبُهُ ، رَفَعَهُ صَلْبُهُ ، وَمَنْ لَمْ تَنْهَ الْعَاقِبَةُ ، لَمْ تَنْقُضْ عَنْهُ الْهَلَكَةُ ؛ وَمَنْ سَبَقَتْهُ بَادِرَةٌ فِيهِ ، سَبَقَ بِدَنَتِهِ سَفْكَؤُهُ . إِنْ لَمْ أَنْذِرْ ثُمَّ لَا أَنْظِرْ ، وَأَحْذَرْ ثُمَّ لَا أَعْذِرْ ، وَأَتَوَعَّدْ ثُمَّ لَا أَغْفِرْ ؛ إِنَّمَا أَفْسِدُكُمْ ^(٤) تَرْقِيقًا وَلَا نَكْمًا . وَمَنْ اسْتَرَحَى لَيْسَهُ ^(٥) ، سَاءَ أَدَبُهُ . إِنْ الْحَزْمَ وَالْعَزْمَ سَلَبَايَ

(١) البطحاء : التراب السهل مما حوته السبول .

(٢) سورة البقرة ٨ - ١٠ .

(٣) نهاية الأرب ٧ : ٢٢٤ ، صبح الأعشى ١ : ٢٢٠ ، شرح الميون ١٨٤ .

(٤) في صبح الأعشى : « ترقيق » ، والترقيق : النصب في الأمر .

(٥) اللب : ما يشد في صدر الدابة ليمح استقذار الرسل ؟ يريد أن الموادة واللين لما يغد الرعية .

سوطى ،^(١) وجعلا سوطى سبى^(٢) ، فقامه فى بدي ، ونحاده^(٣) فى عنق ، وذبابه^(٤) قِلادة^(٥) لِمَنْ عَصَانِي . والله لا أمرُ أحدا أن يخرج من^(٦) «باب من» أبواب السعد فيخرج من الباب الذى يليه إلا ضربت عنقه .

ومن ذلك قولُ زياد :

إنما هو زَجْرٌ بالقول ، ثم ضَرْبٌ بالسوط ، ثم الثالثة التى لا شوى^(٧) لها . فلا يكونن لسانُ أحدكم شَفْرَةً^(٨) تمرى على أوداجه^(٩) ، وليعلم إذا حلا بنفسه أنى قد حلت سبى بيده ؛ فإن شهره لم أعيده ، وإن أعده لم أشهره .

• • •

وقوله عليه السلام : « كالمراب » يعنى الحرم والجشع ، والمراب يقع على الجمعة ، ويقع على الثمرة ، ويقع على الحبة ؛ وفى الأمثال : « أجشع من غراب » ، و « أحرص من غراب » .

و تميمي شيبه يوم سدى

وقوله : « ويحه لو قسن » ، يريد لو كان قتل أو مات قبل أن يتلبس بالخلافة لكان خيرا له من أن يمش ويدخل فيها . ثم قال لهم : أفكروا فيما قد قلت ، فإن كان منكرا فأنكروه ، وإن كان حقا فأعينوا عليه .

وقوله : « استروا فى بيوتكم » نهى^(١٠) لم عن المصيبة^(١١) والاجتماع والتعزب ، قد كان قوم بعد قتل عثمان تكلموا فى قتله من شيعة نسي أمية بالمدينة

(١ - ١) صبح الأعمى : د وأبدلانى به سقى - (٢) الصاد : علاقة السيف .

(٣) ذباب السيف : حده . (٤ - ٤) ساقط من ه ، وهو فى وصبح الأعمى .

(٥) لاشوى لها ، أى لا خطأ لها ، أو لا براء ؛ ومنه قول الكبت :

أجيبوا رقى الآسى النطاسى وأحذروا مطفئة الرضف التى لا شوى لها

(٦) الشفرة : السكين الطليم ، أو ما عرس من الحديد وحده .

(٧) الأوداج : هروى النقي .

(٨) : أ : « للصبة » .

وأما قوله : « قد كانت أمور لم تكونوا عندي فيها محمودين » ، فإرادته أمر عثمان وتقديمه في الخلافة عليه . ومن الناس من يحيل ذلك على خلافة الشيخين أيضاً . ويبعد عندي أن يكون إرادته ، لأن المدة قد كانت طالت ، ولم يبق من يعاتبه ليقول : قد كانت أمور لم تكونوا عندي فيها محمودين ، فإن هذا الكلام يشعر بمعاتبه قوم على أمر كان أنكره منهم . وأما بيعة عثمان ، ثم ما جرى بينه وبين عثمان من منازعات طويلة ، وغضب تارة ، وصُلح أخرى ، ومراسلات خشة ولطيفة ، وكون الناس بالمدينة كانوا حزينين وفشين : إحداهما معه عليه السلام ، والأخرى مع عثمان ؛ فإن « صَرَفَ الكلام إلى ما قلناه بهذا الاعتبار أليق .

ولسنا نمنع من أن يكون في كلامه عليه السلام الكثير من التوجد والتألم لصرف الخلافة بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وآله عليه ، وإنما كلامنا الآن في هذه اللمعات التي في هذه الخطبة ؛ على أن قوله عليه السلام : « سيق الرجلان » والاقتصار على ذلك فيه كناية في انحرافه عنهما .

وأما قوله : « حق وباطل . . . » إلى آخر الفصل ، فعنايه كل أمر فهو إما حق وإما باطل ، ولكل واحد من هذين أهل ، وما زال أهل الباطل أكثر من أهل الحق ؛ ولئن كان الحق قليلاً ربما أكثر ، ولعله ينتصر أهله .

ثم قال على سبيل التضعير بنفسه : « وقتلنا أدبر شيء فأقبل » ، استبعد عليه السلام أن تعود دولة قوم بعد ذوالها عنهم ؛ وإلى هذا المعنى ذهب الشاعر في قوله :

وَقَالُوا يَمُودُ لِلَّهِ فِي النَّهْرِ بَعْدَ مَا ذَوَى نَبْتِ جَنْبَيْهِ وَجَفَّ الْمَشَارِعُ
فَقُلْتُ إِلَى أَنْ يَرْجِعَ النَّهْرُ جَارِيًا وَيُسْبِجَ جَنْبَاهُ تَمُوتُ الصَّفَادِعُ

ثم قال : « ولئن رجعت عليكم أموركم ، أى إن ساعدنى الوقت ، وتمكنت من أن أحكم فيكم بحكم الله تعالى ورسوله ، وعادت إليكم أيام شبيهة بأيام رسول الله صلى الله عليه وآله ، وسيرة مماثلة لسيرته في أصحابه ؛ إنكم لتُعداء .

ثم قال : « وإنى لأخشى أن تكونوا في فترة » ، الفترة هي الأزمنة التي بين الأشياء إذا انقطعت الرسل فيها ؛ كالفترة التي بين عيسى عليه السلام ومحمد صلى الله عليه وآله ، لأنه لم يكن بينهما نبي ، بخلاف اللدة التي كانت بين موسى وعيسى عليهما السلام ، لأنه بُعث فيها أنبياء كثيرون ، فيقول عليه السلام : إني لأخشى ألا أتمكن من الحكم بكتاب الله تعالى فيكم ، فتكونوا كالأمم الذين في أزمنة الفترة لا يرجعون إلى نبي يشافهم بالشرائع والأحكام ؛ وبما عليه السلام قد كانت يعلم أن الأمر سيضطرب عليه .

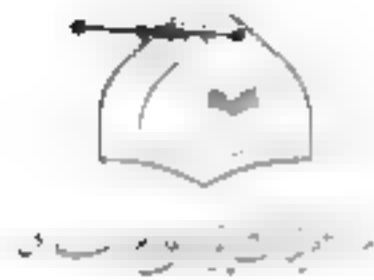


ثم قال : « وما علينا إلا الاجتهاد » ، يقولون : الله أعلم بما يجب على « من الاجتهاد » في القيام بالشريعة وعزل ولاية السوء وأمراء القماء عن المسلمين ، فإن تم ما أريد فذاك ، وإلا كنت قد أعذرت .

وأما التهمة المروية عن جعفر بن محمد عليهما السلام فواضحة الألفاظ ، وقوله في آخرها : « وبنا نَحْمُ لا بِكُمْ » إشارة إلى المهدي الذي يظهر في آخر الزمان . وأكثر الحديثين على أنه من وَلَدِ فاطمة عليها السلام . وأصحابنا للعترة لا ينكرونها ، وقد صرحوا بذكره في كتبهم ، واعترف به شيوخهم ، إلا أنه عندنا لم يُخلق بعد ، وسيخلق . وإلى هذا المذهب ينحس أصحاب الحديث أيضا .

وروى قاضي القضاة رحمه الله تعالى عن كافي الكفاة أبي القاسم إسماعيل بن عباد

رحمه الله بإسناد متصل بعل عليه السلام أنه ذكر للهدى ، وقال : إنه من ولد الحسين عليه السلام ، وذكر حليته ^(١) ، فقال رجل : أجلى الجبين ، أبقى الأنف ، ضخم البطن ، أزيل ^(٢) الفخذين ، أبلغ الثنايا ، بفخذه اليمنى شامة ...
وذكر هذا الحديث بعينه عبد الله بن قتيبة في كتاب " غريب الحديث " .



(١) الحلية هنا : الصفة .
(٢) الزيل ، حركة : تباعد ، أزيل الفخذين ، وهو أزيل .

(١٧)

الأفضل :

ومن كلام له عليه السلام في صفة من يتصدى للحكم بين الأمة واپس

لذلك بأهل :

إِنْ أَبْعَثَ أَخْلَاقِي إِلَى اللَّهِ تَعَالَى رَجُلَانِ :

رَجُلٌ وَكَلَهُ اللَّهُ إِلَى نَفْسِهِ ؛ فَهُوَ جَائِرٌ عَنْ قَصْدِ السَّبِيلِ ، مَشْعُوفٌ بِكَلَامِ
مُدْعَاةٍ ، وَدُعَاءِ ضَلَالَةٍ ، فَهُوَ فِتْنَةٌ لِمَنْ أَفْتَنَ بِهِ ، ضَالٌّ عَنْ هُدًى مَنْ كَانَ قَلْبُهُ ،
مُضِلٌّ لِمَنْ أَفْضَى بِهِ فِي حَيَاتِهِ وَتَمَدُّ وَفَاتِهِ ، تَحْمِلُ خَطَايَا غَيْرِهِ ، رَهْنٌ بِمُحْطِئِهِ .

وَرَجُلٌ قَمَشَ حَقْلًا ، مُوَضِّعٌ فِي **جَهْلِ الْأُمَّةِ** ، مُجَادٍ ^(١) فِي أَغْبَاشِ الْفِتْنَةِ ، عَمْرٍاءُ
فِي عَقْدِ الْهُدَى ، قَدْ سَمَّاهُ أَشْبَاهَ النَّاسِ **جَاهِلًا** وَلَيْسَ بِهِ . بَكَرٌ فَاسْتَكْثَرَ مِنْ
تَجَمُّعٍ ، مَا قَلَّ مِنْهُ حَبْرٌ مِمَّا كَثُرَ ، حَتَّى إِذَا ارْتَوَى مِنْ آجِنٍ ، وَاسْتَنْزَعَ مِنْ غَيْرِ طَائِلٍ .
جَلَسَ بَيْنَ النَّاسِ قَاضِيًا ، ضَامِيًا لِيَتَعَلَّمَ مَا التَّبَسَّ عَلَى غَيْرِهِ . فَإِنْ مَزَلَتْ بِهِ إِحْدَى
السُّبُهَاتِ ؛ هَيَّا لَهَا حَشَوًا رَثًا مِنْ رَأْيِهِ ، ثُمَّ قَطَعَ بِهِ . فَهُوَ مِنْ لَبْسِ الشُّبُهَاتِ فِي
مِثْلِ نَسْجِ الْعَنْكَبُوتِ ، لَا يَذَرِي أَصَابَ أَمْ أَخْطَأَ ، فَإِنْ أَصَابَ حَافَ أَنْ يَكُونَ قَدْ
أَخْطَأَ ، وَإِنْ أَخْطَأَ رَجَا أَنْ يَكُونَ قَدْ أَصَابَ . جَاهِلٌ حَقَّاطُ جَهَالَاتٍ ، هَاشٍ رَكَابُ
عَشَوَاتٍ ، لَمْ يَمَسَّ عَلَى الْعِلْمِ بِصِرَافٍ قَاسِمٍ . يَذَرِي الرُّوَابِيَّاتِ إِدْرَاءَ الرِّيحِ الْحَشِيمِ ،
لَا مَلِيٍّ ، وَاللَّهِ بِإِضْدارِ مَا وَرَدَ عَلَيْهِ ، وَلَا هُوَ أَهْلٌ لِمَا فُوضَ إِلَيْهِ . لَا يَحْسِبُ الْعِلْمُ فِي
شَيْءٍ مِمَّا أَنْكَرَهُ ، وَلَا بَرَى أَنْ مِنْ وَرَاءَ مَا تَنَغَّ مَذْهَبًا لَعِيرَهُ ، وَإِنْ أَظْلَمَ عَلَيْهِ أَمْرٌ
اسْتَقَمَ بِهِ ، لِيَا يَعْلَمَ مِنْ جَهْلِ نَفْسِهِ ، تَصْرُخُ مِنْ جَوْرِ قَصَائِرِ الدُّمَاءِ ، وَتَسْجُ مِنْهُ

الْمَوْلِدِثِ إِلَى اللَّهِ مِنْ مَعْتَرٍ يَمِيشُونَ جُهْلًا ، وَيَمُوتُونَ ضَلَالًا ؛ لَيْسَ فِيهِمْ
مِلَّةٌ أَبْوَرُ مِنَ الْكِتَابِ إِذَا تَلَّى حَقَّ تِلَاوَتِهِ ، وَلَا مِلَّةٌ أَضَقُّ بَيْنًا ، وَلَا أَعْلَى
عَمَّا مِنَ الْكِتَابِ إِذَا حُرِّفَ عَنْ مَوَاضِيهِ ، وَلَا عِندَهُمْ أَنْكَرُ مِنَ الْمَعْرُوفِ ، وَلَا
أَعْرَفُ مِنَ الْمُنْكَرِ .

الشيخ :

وكله إلى نفسه : تركه وفتنه ، وكلته وكلا ووكولا . والجائر : الضال العادل عن
الطريق . وقش جهلا : جمه . وموضع : مسرع ؛ أوسع البصر : أسرع ، وأوضعه
راكبه ، فهو موضع به ، أى أسرع به . وأعباش الغش : وأعباش الليل : بقايا ظلمته ، ومنه الحديث
في صلاة الصبح : « والنساء متلفعات بحجب وطن ما يقمن من العيش » والمساء الأجبن :
الفاقد . وأكثر ، كقولك : « استكثر » ، ويروى : « اكتر » ، أى اتخذ العلم كزنا .
والتخلص : التبيين ، وهو والتلخيص متقاربان ، ولعلمنا شيء واحد من القلوب .
والمهمات : المشكلات ؛ وإنما قيل لها مبهمة ، لأنها أضيفت عن البيان ، كأنها
أضيفت فلم يُحْمَلْ عليها دليل ولا إليها سبيل ، أو جعل عليها دليل وإليها سبيل ؛ إلا أنه
معتسر مستصحب ؛ ولهذا قيل لما لا ينطق من الحيوان : بهيمة ، وقيل للمصمت اللون
الذى لا شبهة فيه : بهيم .

وقوله : « حشوا رثا » كلام مخرجه الدم ، والرث : انطلق ، ضد الجديد .
وقوله : « حشوا » ، يعنى كثيرا لافائدة فيه . وعاش : خابط في ظلام وقوله : « لم يعض » يريد
أنه لم يثبت ولم يحكم الأمور ، فيكون بمنزلة من يعض بالناجذ ، وهو آخر الأضراس وإنما

ومن روى الرواية الأولى وَقَفَ عَلَى قَوْلِهِ : « إِلَى اللَّهِ » ويكون قوله : « من معشر » من تمام صفات ذلك الحاكم ، أى هو من معشر صفتهم كذا .

وَأَبْوَرُ « أَفْضَلُ » من المَوْر : العاصد ، بَرَّ الشَّيْءُ ، أى فسد ، وبارت السلعة ؛ أى كسدت ولم تنفع ، وهو المراد هاهنا ، وأصله العساد أيضا .

إِنْ قِيلَ : يَبْتَغُوا الْفَرْقَ بَيْنَ الرَّجُلَيْنِ الَّذِينَ أَحَدُهُمَا وَكَفَّلَهُ اللَّهُ إِلَى نَفْسِهِ ، وَالْآخَرُ رَجُلٌ قَسَّ جَهْلًا ؛ فَإِنَّهُمَا فِي الطَّاهِرِ وَاحِدٌ .

قِيلَ : أَمَّا الرَّجُلُ الْأَوَّلُ ، فَهُوَ الصَّالِّ فِي أَصُولِ الْمُقَاتِلَةِ ، كَالْمُسْتَهْ وَالْمُجِيرِ وَمَحْوَمَا ؛ أَلَا تَرَاهُ كَيْفَ قَالَ : « مُشْفَوْفٌ بِكَلَامٍ بَدْعَةٍ ، وَدَعَاءِ ضَلَالَةٍ » ، وَهَذَا يُشِيرُ بِمُقَاتِلَتِهِ ؛ مِنْ أَنَّ مَرَادَهُ بِهِ الْمُسْكَلَمَ فِي أَصُولِ الدِّينِ ، وَهُوَ ضَالٌّ عَنِ الْحَقِّ ؛ وَلِهَذَا قَالَ : إِنَّهُ فَتْنَةٌ لِمَنْ افْتَنَ بِهِ ضَالٌّ عَنْ هُدًى مَنْ قَبْلَهُ ، مَقْلُوبٌ مِنْ يَمِينٍ بِدَعْوَةٍ . وَأَمَّا الرَّجُلُ الثَّانِي فَهُوَ الْمُتَفَقِّهُ فِي فُرُوعِ الشَّرْعِيَّاتِ ، وَلَيْسَ بِأَهْلٍ لِمَنْ تَلَفَتْ كَقَهْقَاهِ السُّوَرِ ، أَلَا تَرَاهُ كَيْفَ يَقُولُ : جَاسَ بَيْنَ النَّاسِ قَاضِيًا .

وَقَالَ أَيْضًا : « تَصْرُخُ مِنْ جَوْرِ قَصَائِهِ الدِّمَاءِ ، وَتَسْجُ مِنْهُ لِلْوَارِثِ » .

فَإِنْ قِيلَ : مَا مَعْنَى قَوْلِهِ فِي الرَّجُلِ الْأَوَّلِ : « رَهْنٌ بِخَطِيئَتِهِ » ؟ قِيلَ : لِأَنَّهُ إِنْ كَانَ ضَالًّا فِي دَعْوَتِهِ مُضِلًّا لِمَنْ اتَّبَعَهُ ، فَقَدْ حَمَلَ خَطَايَاهُ وَخَطَايَا غَيْرِهِ ، فَهُوَ رَهْنٌ بِالْخَطِيئَتَيْنِ مَعًا ، وَهَذَا مِثْلُ قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَتَبِعِينَ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَعَ أَثْقَالِهِمْ ﴾ ^(١) .

إِنْ قِيلَ : مَا مَعْنَى قَوْلِهِ « عَمٍ بِمَافِي عَقْدِ الْهُدَى » ؟ قِيلَ : الْهُدَى أَصْلُهَا فِي اللُّغَةِ التَّسْكُونُ ، يُقَالُ : هَدَنَ إِذَا سَكَنَ ، وَمَعْنَى الْكَلَامِ أَنَّهُ لَا يَعْرِفُ مَا فِي النَّفْتَةِ مِنَ الشَّرِّ ، وَلَا مَا فِي الْمَكُونِ وَالْمَعَالِجَةِ ^(٢) مِنَ الْخَيْرِ .

ويروى : « بما في غيب الهدنة » ، أى في طيها وفي ضمها . ويروى : « غارق أغباش الفتنة » ، أى غافل ذو غيرة .

ويروى : « من جمع » بالتثنية فتكون « ما » على هذا اسما موصولا ، وهى وصلتها فى موضع جزم لأنها صفة « جمع » ، ومن لم يرو التثنية فى « جمع » حذف للوصف ، تقديره : من جمع شئ ما قل منه خيرا مما كثر ، فتكون « ما » مصدرية ، وتقدير الكلام : قلته خيرا من كثرته ، ويكون موضع ذلك جرا أيضا بالصفة .



مجموعت من

(N)

الأفضل :

ومن كلام له عليه السلام في ذم اختلاف العلماء في الفتيا:

تَرَدُّ عَلَى أَحَدِهِمُ الْقَضِيَّةُ فِي حُكْمٍ مِنَ الْأَحْكَامِ ، فَيَحْكُمُ فِيهَا بِرَأْيِهِ ،
ثُمَّ تَرَدُّ تِلْكَ الْقَضِيَّةُ بِمِثْلِهَا عَلَى غَيْرِهِ ، فَيَحْكُمُ فِيهَا بِخِلَافِ قَوْلِهِ ^(١) ، ثُمَّ يَجْتَمِعُ الْقَضَاءُ
بِذَلِكَ عِنْدَ الْإِمَامِ الَّذِي اسْتَفْصَاهُمْ ، فَيُصَوِّبُ آرَاءَهُمْ جَمِيعًا وَلَا لَهُمْ وَاحِدٌ ، وَفِيهِمْ
وَاحِدٌ ، وَكِتَابُهُمْ وَاحِدٌ .

أَفَاتَمَرَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى بِالْاِخْتِلَافِ فَأَمَّا لَعْنُهُ أَمْ نَهَاكُمْ عَنْهُ فَصَوِّهُ أَمْ أُنْزِلَ اللَّهُ (١)
سُخَّاهُ دِينًا بَاقِيًا فَاسْتَمَنَّ بِهِمْ عَلَى (٢) أَمْ كَانُوا شُرَكَاءَ لَهُ فَلَهُمْ أَنْ يَقُولُوا
وَعَلَيْهِ أَنْ يَرْمَى أَمْ أُنْزِلَ اللَّهُ سُخَّاهُ دِينًا تَامًا فَقَصَرَ الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
عَنْ تَسْلِيمِهِ وَأَدَّاهُ ؛ وَاللَّهُ سُخَّاهُ يَقُولُ : ﴿ مَا قَرَأْتُ فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ﴾ (٣) ،
﴿ وَفِيهِ تَبَيَانٌ كُلُّ شَيْءٍ ﴾ . وَدَكَرَ أَنَّ الْكِتَابَ يُصَدِّقُ بَعْضُهُ نَصًّا ، وَأَنَّهُ
لَا اِخْتِلَافَ فِيهِ ، فَقَالَ سُخَّاهُ : ﴿ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اِخْتِلَافًا
كَثِيرًا ﴾ (٤)

وَأَنَّ الْقُرْآنَ ظَاهِرُهُ أُنِيقٌ، وَبَاطِنُهُ عَمِيقٌ، لَا تَفْنَى مَجَابِلُهُ، وَلَا تَنْقُضِي غَرَائِبُهُ
وَلَا تُكْشِفُ الطُّمَاتُ إِلَّا بِهِ.

• • •

(١) كذا في المخطوطة التهج ، وفي م « بحلقه » .

(۲) : اُمّ آتَرَلْ اِلَهَم • (۳) سورة الاسام ۳۸ •

(٤ - ٤) و : * وقال : فيه تبيان كل شيء . : والأصوب ما أثبتته من ا ، وعطوفة النج .

(٥) سورة النباء ٨٢ .

البيان :

الأنيق : المعيب ، وآخى الشيء ، أى أجهنى ؛ يقول : لا ينبغي أن يحتل جميع حافى الكتاب المزيّن على ظاهره ؛ فكم من ظاهر فيه غير مراد ، بل للراد به أمر آخر باطن ؛ وللراد الرد على أهل الاجتهاد فى الأحكام الشرعية ، وإفساد قول من قال : كل مجتهد مصيب ، وتلخيص الاحتجاج من خمسة أوجه :

الأول : أنه لما كان الإله سبحانه واحدا ، والرسول صلى الله عليه وآله واحدا والكتاب واحدا ، وجب أن يكون الحكم فى الواقعة واحدا ؛ كالملك الذى يرسل إلى رعيته رسولا بكتاب يأمرهم فيه بأوامر يقتضيه ملكه وإمرته ، فإنه لا يجوز أن يختلف أوامره ، ولو تناقضت لنسب إلى الله الجهل .

الثانى : لا يخلو الاختلاف الذى ذهب إليه المصنفون ، إما أن يكون مأمورا به أو منهيّا عنه ، والأول باطل ، لأنه ليس فى الكتاب والسنة ما يمكن الخلع أن يتعلق به فى كون الاختلاف مأمورا به . والثانى حق ويحرم منه تحريم الاختلاف .

الثالث : إما أن يكون دين الإسلام ناقصا أو تاما ، فإن كان الأول كان الله سبحانه قد استعان بالمكلفين على إتمام شريعة ناقصة أرسل بها رسوله ، إما استعانة على سبيل النيابة عنه ، أو على سبيل المشاركة له ، وكلاهما كفر . وإن كان الثانى ؛ فإما أن يكون الله تعالى أنزل الشرع تاما فحصر الرسول عن تبليغه ، أو يكون الرسول قد أبلغه على تمامه وكلاه ؛ فإن كان الأول فهو كفر أيضا ؛ وإن كان الثانى قد بطل الاجتهاد ؛ لأن الاجتهاد إنما يكون فيما لم يتبين ؛ فأما ما قد بُيّن فلا مجال للاجتهاد فيه .

الرابع : الاستدلال بقوله تعالى : ﴿ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ﴾ ^(١) ، وقوله ، ﴿ تَبَيَّنَ لَكُلِّ شَيْءٍ ﴾ ^(٢) ، وقوله سبحانه : ﴿ وَلَا رَظْبٍ وَلَا يَاسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ ﴾

(١) سورة الأنعام ٣٨ .

(٢) سورة النحل ٨٩ . وفى الأصول : وقوله : « فيه تبيان كل شيء » ، والتلاوة ما أنتهه .

(١٩ - شرح نهج البلاغة - أول)

مُبين^(١)، فهذه الآيات دالة على اشتغال الكتاب العزيز على جميع الأحكام؛ فكل ما ليس في الكتاب وجب ألا يكون في الشرع.

الخامس : قوله تعالى : ﴿وَلَوْ كَانِ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾^(٢)، فجعل الاختلاف دليلاً على أنه ليس من عند الله، لكنه من عند الله سبحانه بالأدلة القاطنة لله على صحة النبوة، فوجب ألا يكون فيه اختلاف.

واعلم أن هذه الوجوه هي التي يتعلق بها الإمامية ونفاة القياس والاجتهاد في الشرعيات وقد تكلم عليها أصحابنا في كتبهم، وقالوا : إن أمير المؤمنين عليه السلام كان يجتهد وقياس، وادّعى إجماع الصحابة على صحة الاجتهاد والقياس، ودفنوا صحة هذا الكلام للنسب في هذا الكتاب إلى أمير المؤمنين عليه السلام، وقالوا : إنه من رواية الإمامية، وهو معارض بما ترويه الزيدية عن أبيهم عليهم السلام في صحة القياس والاجتهاد، ومخالفة الزيدية لأئمة أهل البيت عليهم السلام كمخالفة الإمامية لهم؛ ومعارضهم بأقوالهم وأحوالهم ومذاهبهم كمرقة الإمامية، لا فرق بين الفئتين في ذلك. والزيدية قارية جاروديتها وصالحيتها^(٣) تقول بالقياس والاجتهاد، وينقلون في ذلك نصوصاً عن أهل البيت عليهم السلام. وإذا تعارضت الروايتان تساقطتا، وعدماً إلى الأدلة المذكورة في هذه المسألة. وقد تكلمت في "اعتبار القرينة"، للمرنسي^(٤) على احتجاجه في إبطال القياس والاجتهاد بما ليس هذا موضع ذكره.

(١) سورة النساء ٨٢.

(٢) سورة الأنعام ٥٩.

(٣) الزيدية : أناس زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب؛ وهم أصناف ثلاثة : جارودية؛ وهم أصحاب أبي الجارود زيد بن أبي زيد، وسليانية؛ وهم أصحاب سليمان بن جرير، وصالحية؛ وهم أصحاب الحسن بن صالح بن حي؛ ومن هؤلاء البترة؛ أصحاب كثير الأثر. وانظر تفصيل مدعيتهم في المال والنسل للمهرستاني ١ : ١٣٧ - ١٤٣.

(٤) هو كتاب القرينة إلى أصول الفريضة؛ للمصنف المرتضى، شرحه ابن أبي الحديد وسمى شرحه الاعتبار على كتاب القرينة؛ في ثلاثة مجلدات. وانظر كتاب القرينة إلى تصانيف القيمة ١٠ : ٢٦.

(١٩)

الاستبصار:

ومن كلامه عليه السلام ؛ قاله للأشعث بن قيس ، وهو على منبر الكوفة يخطب ،
فمضى في بعض كلامه شيء اعترضه الأشعث فيه ، فقال : يا أمير المؤمنين ، هذه عليك
لا لك ، فحَفَصَ إليه بصره عليه السلام ، ثم قال :

وَمَا يُدْرِيكَ مَا عَلَىَّ إِنَّمَا لِي أَعْلَيْكَ لَعْنَةُ اللَّهِ وَلَعْنَةُ اللَّامِعِينَ حَائِلُكَ ابْنُ حَائِلٍ ،
مُتَافِقُ ابْنِ كَافِرٍ . وَأَهْلُو لَقْدَ أُسْرَكَ الْكُفْرَ قَوْمُهُ وَالْإِسْلَامُ أُخْرَى ، فَمَا فَدَاكَ مِنْ
وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا مَا لَكَ وَلَا حَسْبُكَ . وَإِنْ أَمَرَ دَلَّ عَلَى قَوْمِهِ السَّيْفَ ، وَسَقَى إِلَيْهِمْ
الْحَنْفَ ، تَحَرَّى أَنْ يَتَّقِيَهُ الْأَقْرَبُ ، وَلَا يَأْتِيَهُ إِلَّا بَعْدُ .

قال الرضى رحمه الله :

يريد عليه السلام أنه أسير في الكفر مرة وفي الإسلام مرة .
وأما قوله عليه السلام : «دَلَّ عَلَى قَوْمِهِ السَّيْفَ» ، فأراد به حديثاً كَانَ لِالأشعثِ
مع خالد بن الوليد باليمامة ، غرَّ فيه قومه ، ومكر بهم ؛ حتى أوقع بهم خالد ،
وكان قومه بعد ذلك يُسمونه عُرْفَ النَّارِ ، وَهُوَ أَسْمُ الْفَخَّارِ عِنْدَهُمْ .

• • •

الْبَيْتُ :

خَفَضَ إِلَيْهِ بَصْرَهُ : طَاطَأَهُ . وَقَوْلُهُ : « فَمَا فِدَاكَ » ، لَا يُرِيدُ بِهِ الْقِدَاءَ الْحَقِيقِيَّ ، فَإِنَّ الْأَشْمَثَ قُدِيَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ بِفِدَاءٍ بِضَرْبٍ بِهِ لِلْثَلِّ ، فَقَالَ : « أَغْلَى قِدَاءٍ مِنَ الْأَشْمَثِ » ، وَسَنَذْكُرُهُ ، وَإِنَّمَا يُرِيدُ : مَا دَفَعَ عَنْكَ الْأَسْرَ مَا لَكَ وَلَا حَبَبَكَ . وَبَعَثَهُ : بَيَّضَهُ ، وَلَلَّتْ : الْبَغَضُ .

• • •

[الْأَشْمَثُ بْنُ قَيْسٍ وَنَسَبُهُ وَبَعْضُ أَخْبَارِهِ]

اسْمُ الْأَشْمَثِ مَعْدِي كَرْبٌ ، وَأَبُوهُ قَيْسُ الْأَشْجِ - سَمَى الْأَشْجَ ؛ لِأَنَّهُ شَجَّ فِي بَعْضِ حُرُوبِهِمْ - ابْنُ مَعْدِي كَرْبِ بْنِ مَعَاوِيَةَ بْنِ مَعْدِي كَرْبِ بْنِ مَعَاوِيَةَ بْنِ جَبَلَةَ ابْنِ عَبْدِ الْعَزِيِّ بْنِ رَيْمَةَ بْنِ مَعَاوِيَةَ الْأَكْرَمِيِّ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ مَعَاوِيَةَ بْنِ الْحَارِثِ ابْنِ مَعَاوِيَةَ بْنِ قُوْر بْنِ مُرْتَعٍ ^(١) بْنِ مَعَاوِيَةَ بْنِ كِنْدَةَ بْنِ عَفِيرٍ بْنِ عَدِيٍّ بْنِ الْحَارِثِ ابْنِ مَرْثَةَ بْنِ أَدَدَ .

وَأُمُّ الْأَشْمَثِ كَبْشَةُ بِنْتُ يَزِيدَ بْنِ شُرَحْبِيلَ بْنِ يَزِيدَ بْنِ أَمْرِئِ الْقَيْسِ بْنِ صُرُو الْقَعُصْرِ الْمَلِكِ .

كَانَ الْأَشْمَثُ أَبْدَا أَشْمَثِ الرَّأْسِ ، فَسَمِيَ الْأَشْمَثَ ، وَغَلِبَ عَلَيْهِ حَتَّى نُسِيَ اسْمُهُ ؛ وَلَعَبَدُ الرَّحْمَنِ بْنِ عَمْدِ بْنِ الْأَشْمَثِ يَقُولُ أَعْنَى قَهْدَانِ ^(٢) :
لَا بَنَ الْأَشْجِ قَرِيبَ كِنْدَةَ ذَدَةَ لَا أَمَالِي فِيكَ عَتَبًا ^(٣)

(١) مَرْيَمٌ ، كَمَعَتْ ، وَكَمَعَنَ أَيْهَا . الْقَامُوسُ

(٢) هُوَ أَبُو مَصْبُوحَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَمْدٍ أَفَقَ ؟ مِنْ أَيْيَابِ فِي دِيْوَانِ الْأَعْمَشِ ٤١٦ ؛ أَوَّلُهَا :

مَنْ مُبْلِسُ الْحَبَاجِ أُنِّي قَدْ نَدَبْتُ إِلَيْهِ حَرَمًا
حَرَمًا مَذْكَرَةً عَمُوا مَا تَتْرُكُ الثُّبَاتُ شَبَابًا

(٣) فِي الدِّيْوَانِ :

لَا بَنَ الْأَشْجِ قَرِيبَ كِنْدَةَ ذَدَةَ لَا أَيْنُ فِيهِ عَتَبًا

أنتَ الرئيسُ ابنُ الرُّبِ حروا من أغلى الناسِ كَمَبًا^(١)
وتزوج رسول الله صلى الله عليه وآله قَتِيلَةَ أخت الأشعث ، فزوّج قبل أن
تصل إليه .

فأما الأسر الذي أشار أمير المؤمنين عليه السلام إليه في الجاهلية فقد ذكره
ابن الكلبي في " جمهرة النسب " ، فقال : إن مُرادا لما قُتِلَتْ قَبِيلًا الْأَشْجُ ، خرج
الأشعث طالبا بثأره^(٢) ، ففرجت كعدة مُتساعدين على ثلاثة ألوية : على أحد الألوية كَبْسُ
ابن هاني بن شُرَحْبِيل بن الحارث بن عدوى بن ربيعة بن معاوية الأكرمين - ويعرف
هاني بالمطليح ، لأنه كان يفرّو فيقول : اطلّعتُ بنى^(٣) فلان ، فسعى للمطليح . وعلى
أحدها القَشَم أبو جَبْر^(٤) بن يزيد الأرقم . وعلى أحدها الأشعث ، فأخطأوا مُرادا ، ولم
يَقَمُوا عليهم ، ووقعوا على بنى الحارث بن كعب ، قَتِلَ كَبْسُ والقَشَم أبو جَبْر ،
وأسير الأشعث ، فعدى بثلاثة آلاف بعير ، لم يُقدِّمها عربى بعده ولا قبله ، فقال في
ذلك عمرو بن معدى كرب الزُّبَيْدِيَّةَ قَتَلَ شَيْئًا مِنْ بَنِي

فَكَانَ فِدَاؤُهُ أَلْفَى بَعِيرٍ وَلَقَا مِنْ طَرِيفَاتٍ وَتَلَّ

وأما الأسر الثاني في الإسلام ، فإن رسول الله صلى الله عليه وآله لما قَدِمَتْ كِنْدَةُ
حُجَّاجًا قبل الهجرة ، عرض رسول الله صلى الله عليه وآله نفسه عليهم ، كما كان يعرضُ
نفسه على أحياء العرب ، فدفعه بنو وَلِيعةَ من بني عمرو بن معاوية ولم يقبلوه ، فلما هاجر
صلى الله عليه وآله وتمهدت دعوتُهُ ، وجاءته وفود العرب ، جاءه وفد كِنْدَةَ ، فيهم الأشعث
وبنو وَلِيعةَ ، فأسلموا ، فأطعم رسول الله صلى الله عليه وآله بنو وَلِيعةَ طُعْمَةً من صدقات
حَضْرَمَوْتِ ، وكان قد استعمل على حَضْرَمَوْتِ زِيَادُ بْنُ لَبِيدٍ الْبِيضِيُّ الْأَنْصَارِيُّ ، فدفعها
زِيَادُ إِلَيْهِمْ ، فَأَبَوْا أَخْذَهَا ، وقالوا : لَا ظَهْرَ لَنَا^(٥) ، فأبست بها إلى بلادنا على ظَهْرِ

(١) الديوان : « أعلى القوم » . (٢) : « ثأره » .

(٣) أطعم القوم : هجم عليهم . (٤) : « القاسم بن جبر » ، وصوابه من ب ، والاعتناق ٣٦٥

(٥) الظهر : الركاب التي تحمل الأمتعة في السفر ، سميت بذلك لأنها لا يراها على ظهورها .

من عندك ، فأبى زياد ، وحدث بينهم وبين زياد شرّ كاد يكون حرباً ، فرجع منهم قوم إلى رسول الله صلى الله عليه وآله ، وكتب زياد إليه عليه السلام يشكّونهم .

وفي هذه الوثيقة كان الخبر للشهور عن رسول الله صلى الله عليه وآله ، قال لبي وليمّة : « لَتَنفُتَنَّ يا بني وليمّة ، أو لأبغتنّ عليكم رجلاً عذيل نفي ، يقتل مقاتلتكم ، ويسبي ذراريكم » . قال عمر بن الخطاب : فما تميت الإمارة إلا يومئذ ، وجعلت أصيب له صدري رجاء أن يقول : هو هذا ، فأخذ بيد علي عليه السلام ، وقال : « هو هذا » .

ثم كتب لم رسول الله صلى الله عليه وآله إلى زياد ، فوصلوا إليه بالكتاب وقد ثوَّق رسول الله صلى الله عليه وآله ، وطار الخبر بموته إلى قبائل العرب ، فارتدت بنو وليمّة ، وغتت بعلابم ، وخصّصن له أيديهن .

وقال محمد بن حبيب : كان إسلام بني وليمّة ضعيفاً ، وكان رسول الله صلى الله عليه وآله يعلم ذلك منهم . ولما حج رسول الله صلى الله عليه وآله حجة الوداع ، وانتهى إلى قمر الشعب دخل أسامة بن زيد ليبول ، فانتظره رسول الله صلى الله عليه وآله . وكان أسامة أسوداً أفلّس . فقال بنو وليمّة : هذا الحبشي حبّسنا فكأن الردة في أنفسهم .

قال أبو جعفر محمد بن جرير : فأمر^(١) أبو بكر زياداً على حضرموت ، وأمره بأخذ البيعة على أهلها واستيفاء صدقاتهم ، فبابوه إلا بني وليمّة ، فلما خرج ليقبض الصدقات من بني عمرو بن معاوية ، أخذ ناقةً لنسلاهم يعرف شيطان بن حجر . وكانت صفية^(٢) نفيّة ، اسمها شذرة . ففنعها العلام عنها . وقال : خذ غيرها ، فأبى زياد ذلك ولجّ ، فاستغاث شيطان بأخيه المداء بن حجر ، فقال لزياد : دعهما وخذ غيرها ، فأبى زياد ذلك ، ولجّ الغلامان في أخذها ، ولجّ زياد وقال لها : لا تكونن شذرة عليكما كالبسوس ،

(١) تاريخ الطبري ٣ : ٢٢٢ ، ٢٢٣ ؛ مع تصرف . (٢) الصفية : الناقة الغزيرة اللبن .

فهتف الغلامان : يا لمروا ! أنضام ونضطهد ! إن الدليل من أكل في داره . وحضا
عسروق بن معدى كرب ، فقال مسروق زياد : أطلقها ، فأبى ، فقال مسروق :
بُطْلِقْهَا شَيْخٌ بِخَدَّيْهِ الشَّيْبُ ^(١) مَلْعٌ فِيهِ كَتَلِيمُ الثَّوْبِ ^(٢)
• ماضٍ على الرّيب إذا كان الرّيب ^(٣) •

ثم قام فأطلقها ، فاجتمع إلى زياد بن ليلى أصحابه ، واجتمع بنو وليعة ، وأظهروا
أمرهم ، فبقيتهم زياد وهم غارون ، قتل منهم جمعا كثيرا ، ونهب وسبى ، ولحق قتلهم
بالأشعث بن قيس ، فاستنصروه فقال : لا أنصركم حتى تملكونى عليكم . فلكوه
وتوجوه كما يتوجج الملك من قحطان . فخرج إلى زياد في جمع كثير ، وكتب أبو بكر
إلى المهاجر بن أبي أمية وهو على صنعاء أن يسير ^(٤) معه إلى زياد ، فاستخلف على
صنعاء ، وسار إلى زياد ، فلقوا الأشعث ، فهزموا وقُتل مسروق ، ولجأ الأشعث
والباقيون إلى الحصن المعروف بالثّجير ^(٥) ، فحاصرهم المسلمون حصارا شديدا حتى ضعفوا ،
ونزل الأشعث ليلا إلى الهاجر وزياد ، فألها الأمان على نفسه حتى يقدموا به على
أبي بكر فبدرى فيه رأيه ؛ على أن يفتح لهم الحصن ويُسلم إليهم من فيه .
وقيل : بل كان في الأمان عشرة من أهل الأشعث .

فأثناء وأمضيا شرطه ، ففتح لهم الحصن ؛ فدخلوه واستنزلوا كل من فيه ، وأخذوا
أسلحتهم ، وقالوا للأشعث : اعزل العشرة ، ففر لهم ، فتركهم وقاتلوا الباقيين . وكانوا
ثمانمائة . وقطعوا أيدي النساء اللواتي شين برسول الله صلى الله عليه وآله ، وجعلوا الأشعث

(١) الطبرى : د يعبها .

(٢) الطبرى :

• مَلْعٌ كَمَا يُلْعُ الثَّوْبُ •

(٣) لم يرد هذا البيت في الطبرى .

(٤) كذا ضبطه صاحب مرآة الاطلاع بالتصغير : وال : « حسن باليمن قرب حضرموت » .

إلى أبي بكر مؤثقا في الحديد هو والمشرة ، ففأعنه وعنهم ، وزوجه أخته أم فروة بنت أبي قحافة - وكانت عمياء - فولدت للأشعث عمدا وإسماعيل وإسحاق .

وخرج الأشعث يوم البناء عليها إلى سوق المدينة ، فامرّ بذات أربع إلا عقرها ، وقال للناس : هذه ولجة البناء ، وثمن كل حقيرة في مالى . فدفع أثمانها إلى أربابها .

قال أبو جعفر محمد بن حرير في التاريخ : وكان المسلمون يلعنون الأشعث ويلعنونه الكافرون أيضا وسبايا قومه ، وسمّاه نساء قومه عرف النار ، وهو اسم للمادر عندهم^(١) .

وهذا عندي هو الوجه ، وهو أصح مما ذكره الرضى رحمه الله تعالى من قوله في تفسير قول أمير المؤمنين : « وإن امرأ ذك على قومه سيف » : أنه أراد به حديثا كان للأشعث مع خالد بن الوليد باليمامة مرّ فيه قومه ، ومكر بهم حتى قتلهم ؛ فإننا لم نعرف في التواريخ أن الأشعث جرى له باليمامة مع خالد هذا ولا شبهه ، وابن كندة واليمامة كندة باليمن ، واليمامة لبني حنيفة ، ولا أعلم بن ابن نفل الرضى رحمه الله تعالى هذا !



فأما الكلام الذى كان أمير المؤمنين عليه السلام قاله على منبر الكوفة فاعترضه فيه الأشعث ، فإن عليا عليه السلام قام إليه - وهو يخطب ، ويذكر أمر الحكمين - رجل من أصحابه ، بعد أن انتهى أمر الخوارج ، فقال له : نهيتنا عن الحكومة ثم أمرتنا بها ، فما ندرى أى الأمرين أرشد ! فنصفق عليه السلام بإحدى يديه على الأخرى ، وقال : هذا جزاء من ترك الضّدة . وكان مراده عليه السلام : هذا جزاؤكم إذ تركتم الرأى والحزم ، وأمررتهم على إجابة القوم إلى التعكيم ! فظن الأشعث أنه أراد : هذا جزاؤى حيث تركت الرأى والحزم وحكمت ، لأن هذه اللفظة محتملة ؛ ألا ترى أن الرئيس

(١) الطبرى ٣ : ٢٢٨ ؛ ومبارك : « كلام يمان يسون به القادر » .

إذا شَبَّ عليه جُنْدُه وطلبوا منه اعتياد أمرٍ ليس بصواب ، فواقفهم تسكيناً لشغبهم
لا استصلاحاً لرأيهم ، ثم ندموا بعد ذلك ، قد يقول : هذا جزاء مَنْ ترك الرأي ،
وخالف وجه الحزم ؛ وبغنى بذلك أصحابه ؛ وقد بقوله يمين به نفسه حيث واقفهم
أمير المؤمنين عليه السلام ، إنما عني ما ذكرناه دون ما خطر للأشعث ، فلما قال له : هذه
عليك لآلك ، قال له : وما يدريك ما عليّ بما لي ، عليك لعنة الله ولعنة اللاعنين !

وكان الأشعثُ من النافقين في خلافة عليّ عليه السلام ، وهو في أصحاب أمير المؤمنين
عليه السلام ، كما كان عبد الله بن أبي بن سُرّول في أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله
كل واحد منهما رأسُ النفاق في زمانه .

وأما قوله عليه السلام للأشعث : « حائك ابن حائك » ، فإن أهل اليمن يقولون
بالحيافة ؛ وليس هذا مما يخصُّ الأشعث .
ومن كلام خالد بن صفوان : ما أقول في قوم ليس فيهم إلا حائك بُرد ، أو دابغ
جِلْد ، أو سانس قرْد ؛ ملكتهم امرأة ، وأغرقهم قارة ، ودلّ عليهم هُدُود !

(٢٠)

الأصل :

ومن خطبة له عليه السلام :

فإنكم لو قد عابتم ما قد عاب من مات منكم ، بجزعتم ووهنتم ، وتيممت
وأطعتم ، ولكن تحبوب عنكم ما قد عابنوا ؛ وقريب ما يطرح الحجاب .
ولقد بصرتم إن أبصرتهم ، وأتيممت إن تيممت ، وهديتهم إن هتدبتهم ؛
وإحق أقول لكم ^(١) : لقد حاهر سلك إليهم ، وزحرتهم بما فيه مژدجر ، وما يبلغ
عن الله بعد رسل السماء إلا البشر .



الشرح :

الوهل : الخوف ، وهل الرجل بوهل .

« ما » في قوله : « ما يطرح » مصدرية ؛ تقديره : « وقريب طرح الحجاب » ،
يعنى رفعه بالموت .

وهذا الكلام يدل على صحة القول بعذاب القبر ، وأصحابنا كلهم يذهبون إليه ، وإن
شفع عليهم أعداؤهم من الأشعرية وغيرهم بجمده .
وذكر قاضي القضاة رحمه الله تعالى : أنه لم يعرف ^(٢) معزياً نفي عذاب القبر ، لا من

(١) كلمة « لكم » ساقطة من ١ .

(٢) ج : « لا يعرف » .

مبتدئهم ولا من متأخريهم ؛ قال : وإنما غناه ضرار^(١) بن عمرو ، لخالفه لأصحابنا وأخذه عن شيخنا ، ما نسب قوله إليهم .

ويمكن أن يقول قائل : هذا الكلام لا يدل على صحة القول بعذاب القبر ؛ لجواز أن يعنى بمعاينة من قد مات ، ما يشاهده المحتضر من الحالة الدالة على السعادة أو الشقاوة ، فقد جاء في الخبر : « لا يموت امرؤ حتى يعلم مصيره ؛ هل هو إلى الجنة أم إلى النار » . ويمكن أن يعنى به ما يباينه المحتضر من ملك الموت وهول قبومه . ويمكن أن يعنى به ما كان عليه السلام بقوله عن نفسه : إنه لا يموت ميت حتى يشاهده عليه السلام حاضراً عنده . والشبهة تنهب إلى هذا القول وتمتد ، وتروى عنه عليه السلام شعراً قاله للحارث الأعمور الهمداني :

يا حارِ همدانَ مَنْ يَمُتُ بِرَبِّي مَنْ مَوْمِنٍ أَوْ مُنَافِقٍ قُبُلًا
يَعْرِفُنِي طَرَفُهُ وَأَعْرِفُنِي رَحِيمُهُ وَأَمِيمُهُ وَمَا قَعُلًا
أَقُولُ لِلنَّارِ وَهِيَ تَوَقَّدُ ۖ مَرَضٍ ذَرِيَّةٍ لَا تَقْرِي الرَّجُلَا
ذَرِيَّةٍ لَا تَقْرِيهِ إِنَّ لَهُ حَبْلًا بِحَبْلِ الوَصَى مُتَعِلًا
وَأَنْتَ يَا حَارِ إِنْ تَمَتَّ تَرِنِي فَلَا تَخَفْ عَذَّةً وَلَا زَلَلًا^(٢)
أَسْتَقِيكَ مِنْ بَارِدٍ عَلَى ظُلْمٍ تَخَالُهُ فِي الْحَلَاوَةِ السَّلَا

وليس هذا بمنكر ؛ إن صح أنه عليه السلام قاله عن نفسه ، ففي الكتاب العزيز ما يدل على أن أهل الكتاب لا يموت منهم ميت حتى يصدق بعيسى بن مريم عليه السلام ؛ وذلك قوله : « وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَإِيَّائِنَّا بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ

(١) ضرار بن عمرو ، صاحب مذهب الصرارية من فرق الجبرية ، وكان في بدء أمره تلميذاً لواصل ابن عطاء المقرئ ، ثم خالفه في خلق الأعمال وانتكاه عذاب القبر . الفرق بين الفرق ٢٠٦ .
(٢) هذا البيت والذي يليه لم يذكر في به .

الْقِيَامَةِ بِكُونٍ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا^(١)؛ قال كثير من المفسرين : معنى ذلك أن كل ميت من اليهود وغيرهم من أهل الكذب السالفة إذا احتضر رأى المسيح عيسى^(٢) عنده ، فيصدق به من لم يكن في أوقات التكليف مصدقاً به .

وشبهه بقوله عليه السلام : « لو عابثتم ما عاب من مات قبلكم » قول أبي حازم سليمان ابن عبد الملك في كلام بعضه به : « إن آياتك ابتزوا هذا الأمر من غير مشورة ، ثم ماتوا ، فلو علمت ما قالوا وما فعلوا لم أقتل : إنه » بكي حتى سقط^(٣) .



رَأَيْتُ شَيْئاً مِثْلَ سَدَى

(٢) سألته من ب .

(١) سورة النساء ١٥٩ .

(٣ - ٢) ١ : « إن سليمان بكى حتى سقط » .

(٢١)

الأصل :

ومن حكمة له عليه السلام :

فَإِنَّ الْعَابَةَ أَمَامَكُمْ ، وَإِنْ وَرَاءَكُمْ السَّاعَةُ تَحْدُوكُمْ .
تَحَفُّقُوا تَلْعَقُوا ، فَإِنَّمَا يُنْتَظَرُ بِأَوَّلِكُمْ آخِرُكُمْ .

• • •

قال الرضى رحمه الله :

أقول : إن هذا الكلام لو وُزِنَ بِمِثْلِ كَلَامِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ ، وَبِمِثْلِ كَلَامِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بِكُلِّ كَلَامٍ لَيْلِيٍّ وَنَهْيِيٍّ ، وَبِرَّزِّ عَلَيْهِ مَا بَقِيَ .
فَأَمَّا قَوْلُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ : « تَحَفُّقُوا تَلْعَقُوا » ، فَمَا سَمِعَ كَلَامٌ أَقْلٌ مِنْهُ مَسْنُوعًا
وَلَا أَكْثَرُ مَحْصُولًا ، وَمَا أَبَدَ عَوْرَتَهَا مِنْ كَلِمَةٍ ! وَأَتَمَّ نَظْمَهَا مِنْ حِكْمَةٍ !
وَقَدْ نَبَّهْنَا فِي كِتَابِ « الْخُلَصَائِنِ »^(١) عَلَى عِظَمِ قَدْرِهَا ، وَشَرَفِ جَوْهَرِهَا .

• • •

الشرح :

غاية المكلفين هي الثواب أو العقاب ، فيحتل أن يكون أراد ذلك ، ويحتل أن يكون أراد بالقاية للموت ، وإنما جعل ذلك أمانًا ، لأن الإنسان كالسائر إلى الموت أو كالسائر إلى الجزاء ، فهما أمامه ، أى بين يديه .

(١) كتاب خالص الأئمة لشرى الرضى . انظر القديمة في صفات الشيعة ٧ : ١٦٤ .

ثم قال : « وإن وراءكم الساعة مخلوكم » أى تسوقكم ، وإنما جعلها وراءنا ، لأنها إذا وجدت ساقط الناس إلى موقف الجزاء كما يسوق الراعى الإبل ، فلما كانت ساقطة لنا ، كانت كالشيء يحفز الإنسان من خلفه ، ويحركه من ورائه ، إلى جهة ما بين يديه .

ولا يجوز أن يقال : إنما سماها « وراءنا » ، لأنها تكون بعد موتنا وخروجنا من الدنيا ، وذلك أن الثواب والعقاب هذا شأنهما ، وقد جعلهما أمامنا .

وأما القطب الراوندى ، فإنه قال : معنى قوله : « فإن العاية أمامكم » ، يعنى أن الجنة والنار خلفكم . ومعنى قوله : « وراءكم الساعة » أى قد أمكم .

ولقائل أن يقول : أما للوراء معنى التقديم فقد ورد ، ولكن ماورد « أمام » بمعنى « خلف » ، ولا سمنا ذلك .

وأما قوله : « تخفّفوا تلحقوا » فاصلة الرجل يسمى وهو غير متقل بما يحمله ، يكون أجدر أن يلحق الذين سبقوه ، ومنه قوله : « نجما الخفقون » .

وقوله عليه السلام : « فإنا ينتظر بأولكم آخركم » ، يريد : إنما ينتظر بيث الذين ماتوا في أول الدهر يحيى من^(١) يخلقون ويموتون في آخره ، كأمر يريد إعطاء جنده إذا تكامل عرضهم ، إنما يعطى الأول منهم إذا انتهى عرض الأخير . وهذا كلام فصيح جداً .

والنور : العمق . والنطفة : ما صفا من الماء ، وما ألق هذا الماء أى ما أرواه للمعشأ

(٢٢)

الأصل :

ومن خطبة له عليه السلام :

أَلَا وَإِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ ذَمَّرَ حِزْبَهُ، وَأَسْتَجَبَ جَلْبَهُ، لِيَعُودَ الْجُورُ إِلَى أَوْطَانِهِ^(١)،
وَيَرْجِعَ الْبَاطِلُ إِلَى نَصَابِهِ .

وَاللَّهِ مَا أَنْكَرُوا عَلَى مُنْكَرَاهِمْ لَا جَمْلًا بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ نَصًّا ؛ وَإِنَّهُمْ لَيَطْلُبُونَ
حَقًّا مُتَرَكَوهُ ، وَدَمًا مُسَكَّوهُ ؛ فَإِنْ عَكَفَ كَمَرِيكُهُمْ فِيهِ ؛ فَإِنَّ لَهُمْ لِنَصِيبِهِمْ
مِنْهُ ، وَإِنْ كَانُوا وَلَوْ دُونِي ؛ فَلَا لِنَصِيبي إِلَّا عِنْدَهُمْ . وَإِنَّ أَكْثَرَ حُجَّتِهِمْ عَلَى
أَنْفُسِهِمْ ؛ يَرْتَضِعُونَ أَمَّا قَدْ قَطَعْتُ ، وَيَحْمِيُونَ بِدَعَايَ قَدْ أَمِنْتُ .

بِأَخِيَّةِ الدَّاعِي أَمِنْ دَعَايَ ، وَإِلَامَ أَحِبِّ أَوْلِيَائِي رَاضٍ بِعَجْدِ اللَّهِ عَلَيْهِمْ ،
وَعَلَيْهِ فِيهِمْ ، فَإِنْ أَمَرُوا أُعْطِيَتْهُمْ حَسَدُ السَّيْفِ ، وَكَفَى بِهِ شَافِيًا مِنَ الْبَاطِلِ ،
وَبَاصِرًا لِلْحَقِّ !

وَمِنْ الْعَجَبِ بَعَثْتُهُمْ إِلَى أَنْ أُبْرَرَ لِقَاطَانِ ، وَأَنْ أُصِيرَ لِقِلَادِ . هَيْبَتُهُمُ الْهُبُولُ !
لَقَدْ كُنْتُ وَمَا أَهْدُدُ بِالْحَرْبِ ، وَلَا أَرْهَبُ بِالضَّرْبِ . وَإِنِّي كَلَى يَقِينٍ مِنْ رَأْيِ ،
وَفَقِيرٍ شُبُهَةٍ مِنْ دِينِي .

• • •

الْبَزَجُ :

بروى : « ذَمَر » بالتخفيف ، و « ذَمَر » بالتشديد ، وأصله الحَضُّ والحَثُّ ، والتشديد دليل على التكرير .

واستجلب جَلَبَهُ ، الجَلَبُ بفتح اللام : ما يُجَلَبُ ، كما يقال : جَمَعَ جَمْعَهُ . وبروى : « جَلَبَهُ » و « جَلَبَهُ » ؛ وهما بمعنى ، وهو السحاب الرقيق الذى لا ماء فيه ، أى جمع قوما كالجهام الذى لا نفع فيه . وروى : « ليمودَ الجوزُ إلى قطابه » ، والإقطاب : مزاج النحر بالماء ، أى ليمودَ الجوزُ بمنزجاً بالمدل كما كان . ويجوز أن يبنى بالقطاب قطاب الجنب ، وهو مدخل الرأس فيه ، أى ليمودَ الجوزُ إلى لباسه وثوبه .
وقال الراوندى : قطابه : أصله : وليس ذلك بمعروف فى اللغة .

وروى « الباطل » بالنصب ؛ على أن يكون « يرجع » متمدياً ، تقول : رجعت زيدا إلى كذا ؛ والمعنى : وريدَ الجوزُ الباطل إلى أوطانه .

وقال الراوندى : « يمود » أيضاً مثل « يرجع » ، يكون لارماً ومتعدياً ، وأجاز نصب « الجوز » به ؛ وهذا غير صحيح ؛ لأن « عاد » لم بات متمدياً ، وإنما يمدى بالهمزة .
والنصف : الذى يُنصف .

وقال الراوندى : النصف : النصفة^(١) ؛ والمعنى لا يحتمله ؛ لأنه لا معنى لقوله : ولا جعلوا يبنى وبينهم إنصافاً ، بل المعنى : لم يحملوا إذا إنصاف يبنى وبينهم .
يرتفعون أمّا قد قطمت ، يقول : يطلبون الشيء بعد فواته ؛ لأن الأم إذا قطمت ولدها فقد انقصى لإرضاعها .

وقوله : « يا خيبة الداعي » ، ههنا كالداعى قوله تعالى : ﴿ يَا خَيْرَةُ عَلَى الْعِبَادِ ﴾^(٢) ،
وقوله : ﴿ يَا خَيْرَتَنَا عَلَى مَا مَرَّ طَنَّا فِيهَا ﴾^(٣) أى يا خيبة احضرى فهذا أوانك !

(١) كذا فى ١ ، وفى ب : « النصف » ، والنصفة : المدل .

(٢) سورة الأمام ٣٩ .

(٣) سورة يس ٣٠ .

وكلامه في هذه الخطبة مع أصحاب الجبل ؛ والهامي هو أحد الثلاثة : الرجلان والراة .
ثم قال على سبيل الاستصغار لهم ، والاستحقار : « مَنْ دَعَا إِلَى مَاذَا أُجِيب ! »
أي أحقر جوارح دعام هذا الهامي ! وأقبح بالأمر الذي أجابوه إليه ، فأنقشه وأرذله !
وقال الراوندي : يا خيبة الهامي ؛ تقديره : يا هؤلاء ، لحذف للنادى ، ثم قال : خيبة
الهامي ؛ أي خاب الهامي خيبة . وهذا ارتكاب ضرورة لا حاجة إليها ، وإنما يُحذف
النادى في اللواضع التي دَلَّ الدليلُ فيها على الحذف ، كقوله :

• يَا قَانْظَرَا أَيْسَرَ الْوَادِي عَلَى إِسْمِهِ •

وأيضاً ، فإنَّ المصدر الذي لا عامل فيه غير جائز حذف عامله ؛ وتقدير حذفه تقديرٌ
ملا دليل عليه .



وحبسه أمه ، بكسر الباء : تَكَلَّه .
وقوله : « لقد كنتُ وما أهدد بالحرب » ، معناه : مازلتُ لا أهدد بالحرب ، والواو
زائدة . وهذه كلمة فصيحة كثيراً ما استعملها العرب . وقد ورد في القرآن العزيز « كان »
بمعنى « مازال » في قوله : « وَكَانَ اللَّهُ عَلِيماً حَكِيماً »^(١) ونحو ذلك من الآي ، معنى
ذلك : لم يزل الله عليماً حكيماً . والذي تأوله للرخصي رحمه الله تعالى في " نكتة الفرر والفرر " ،^(٢)
كلام متكلف ، والوجه الصحيح ما ذكرناه .

• • •

وهذه الخطبة ليست من خطب صنفين كما ذكره الراوندي ، بل من خطب الجبل ، وقد
ذكر كثير منها أبو عفيف رحمه الله تعالى ، قال : حدثنا مسافر بن عفيف بن أبي الأحنس

(١) سورة النساء ١٤٠

(٢) نكتة الفرر والفرر ٤ : ٢٠٠ - ٢٠٢

قال : لما رجعت رُسُلُ علي عليه السلام من عند طلحة والزبير وعائشة يؤذِنُونَهُ بِالْحَرْبِ ، قام فحمد الله وأثنى عليه ، وصلى على رسوله صلى الله عليه ، ثم قال :

أيُّهَا النَّاسُ ، إِنِّي قَدْ رَأَيْتُ هَؤُلَاءِ الْقَوْمَ كَيْ يَرْعَوْنَ أَوْ يَرْجِعُوا ، وَوَبَّخْتُهُمْ بِنَسَكْتِهِمْ ، وَعَرَفْتُهُمْ بِعَيْبِهِمْ فَلَمْ يَسْتَعْبُوا ، وَقَدْ بَشَوُا إِلَى أَنْ أُبْرَزَ لِلْعُمَانِ ، وَأَصْبِرَ لِلْجِلَادِ ، وَإِنَّمَا تُمْنِيكَ نَفْسُكَ أَمَانِي الْبَاطِلِ ، وَتَمِيدُكَ الْفُرُورُ . الْإِهْيَاتِهِمُ الْهَبُولُ ، لَقَدْ كُنْتُ وَمَا أَهْدَدُ بِالْحَرْبِ ، وَلَا أَرْهَبُ بِالضَّرْبِ أَوْ لَقَدْ أَنْصَفَ الْقَارَةَ مَنْ رَامَاهَا ^(١) ، فَلْيُرْعِدُوا وَلْيُبْرِقُوا ، قَدْ رَأَوْنِي قَدِيمًا ، وَعَرَفُوا نِكَابِي ، فَكَيْفَ رَأَوْنِي أَنَا أَبُو الْحَسَنِ ، الَّذِي قُلْتُ حَدًّا لِلشَّرَكِيِّينَ ، وَفَرَّقْتُ جَمَاعَتَهُمْ ، وَبَنَيْتُ الْقَلْبَ أَلْقَى عَدُوِّي الْيَوْمَ ، وَإِنِّي لَعَلِي مَا وَعَدَنِي رَبِّي مِنَ النِّصْرِ وَالتَّأْيِيدِ ، وَعَلَى بَقِيَّةٍ مِنْ أَمْرِي ، وَفِي غَيْرِ شُبْهَةٍ مِنْ دِينِي .

أيُّهَا النَّاسُ ، إِنْ لَوْتُ لَا بَيُوتُهُ الْقِيمَ ، وَلَا يُصْغِرُهُ الْمَارِبُ ، لَيْسَ عَنِ الْمَوْتِ تَحِيدُ وَلَا عَيْمٌ ، مَنْ لَمْ يَقْتُلْ مَاتَ .

إِنْ أَفْضَلَ الْمَوْتَ الْقَتْلُ ، وَالَّذِي نَحْسَ عَلَى يَدِهِ لَأَلْفُ ضَرْبَةٍ بِالسَّيْفِ أَهْوَنُ مِنْ مَوْتَةٍ وَاحِدَةٍ عَلَى الْفَرَاشِ . اللَّهُمَّ إِنْ طَلَعَتْ نَكْتٌ بَيْتِي ، وَأَلْبَ قَلِي عِمَانٌ حَتَّى قَتَلَهُ ، ثُمَّ عَصَيْتَنِي ^(٢) بِهِ وَرَمَانِي .

اللَّهُمَّ فَلَا تَمِمْهُ . اللَّهُمَّ إِنْ الزَّبِيرَ قَطَعَ رَحِييَ ، وَنَكْتٌ بَيْتِي ، وَظَاهَرَ عَلَى عَدُوِّي ، فَكَفَيْتَنِي الْيَوْمَ بِمَا شِئْتَ .
ثم نزل .

(١) قَدْ أَنْصَفَ الْقَارَةَ مَنْ رَامَاهَا ؛ مَثَلٌ ، وَالْقَارَةُ : قَوْمُ رِمَّةَ مِنَ الْعَرَبِ . وَبِالْإِسْنَانِ (٦ : ٤٣٦) مِنَ التَّهْذِيبِ : « كَانُوا رِمَّةَ الْحَدَقِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ ؛ وَفِي الْيَوْمِ فِي الْإِيمَنِ يَسْبِقُونَ إِلَى الْأَسَدِ ، وَالنَّسَبُ إِلَيْهِمْ قَرِيبٌ » وَزَعَمُوا أَنَّ رَجُلَيْنِ الْفَرَسَ أَحَدُهُمَا ظَهَرَ وَالْآخَرُ أَسْدَى ، فَقَالَ الْفَارِسِيُّ : إِنْ شِئْتَ صَارَ عِنْتُكَ ، وَإِنْ شِئْتَ سَابِغَتُكَ ، وَإِنْ عَشَرْتَنِي أَمِيتُكَ ، فَقَالَ : اخْتَرْتُ لِلرَّامَةِ ، فَقَالَ الْفَارِسِيُّ : لَقَدْ أَنْصَفْتَنِي ، وَالْأَسَدُ :

قَدْ أَنْصَفَ الْقَارَةَ مَنْ رَامَاهَا إِنَّمَا إِذَا مَا فِئْتُهُ نَلْقَاهَا

• نَزَدَ أَوْلَاهَا عَلَى أَخْرَاجِهَا •

[خطبة عليّ بالمدينة في أول إمارته]

واعلم أن كلام أمير المؤمنين عليه السلام وكلام أصحابه وعمله في واقعة الجمل ، كله يدور على هذه المعاني التي اشتملت عليها ألقاؤه هذا الفصل ؛ فمن ذلك الخطبة التي رواها أبو الحسن عليّ بن محمد المدائني ، عن عبد الله بن جنادة ، قال : **بِقَدِثْتُ** من الحجاز أريد العراق ؛ في أول إمارته عليّ عليه السلام ، فررت بمكة ، فاعتصمت ، ثم **بِقَدِثْتُ** المدينة ، فدخلت مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله ؛ إذ يودى : الصلاة جامعة ؛ فاجتمع الناس ، وخرج عليّ عليه السلام متقلدا سيفه ، فشخصت الأبصار نحوه ، لحيد الله وصلى على رسوله ، صلى الله عليه وآله ، ثم قال :

أما بعد ، فإنه لما قبض الله نبيه صلى الله عليه وآله ، قلنا : نحن أهل وورثته وعترته ، وأولياؤه دون الناس ، لا ينازعنا سلطانه أحد ، ولا يطع في حقنا طامع ؛ إذ انبرى لنا قومنا فمصبونا سلطان بيتنا ، فصارَتِ **الإمارة** ^(١) **لغير ما سويها** سوقة ؛ يطمع فيها الضعيف ؛ ويتمرّز علينا الذليل ؛ فبكت الأعين منّا ليلك ، وحشيت ^(٢) الصدور ، وجزعت النفوس ، وإيم الله لولا غشافة الفرقة بين المسلمين ، وأن بسود الكفر ، وبيور الدين ، لسكتا على غير ما كفتا لم عليه ، فولى الأمر ولادة لم يألوها الناس خيرا ، ثم استعرجتموني أيها الناس من بيتي ، فبايعتموني على شئني متى لأمركم ، وفراصة تصدقني مافي قلوب كثير منكم ، وبايعني هذان الرجلان في أول من بايع ، تطعون ذلك ، وقد نكثنا وغدرا ، ونهضا إلى البصرة بعائشة ليفرقا جماعتكم ، ويلقيا بأنكم ينسكم . اللهم نخذلها عما عملا أخذة رابية ^(٣) ،

(١) الإمارة . (٢) كذا في ج ، وحشيت أي أومرت ، ومنه قول عمر :

• وَحَشَيْتَ صَدْرًا جِبْهَةً لَكَ نَاصِحٌ •

وقال « حشيت » ، والوجه ما أثبتته من أ

(٣) ب : « أخذة واحدة رابية » ، وما أثبتته من أ . وأخذة رابية ، أي أخفة تزيد على الأخذات ، وقال الجوهرى : أي رائدة ، كقولك : أريت ، إذا أحدثت أكثر مما أعطيت ، قال تعالى : **(فَقَعَصُوا رَسُولَ رَبِّهِمْ فَاخَذَهُمْ أَخْذَةً رَابِيَةً)** .

ولا تَمَشْ^(١) لها صرعة ، ولا تُقِلْ لها عثرة ، ولا تَمِيلْها فَوْاقًا^(٢) ، فَإِنَّهَا يَطْلُبَانِ حَقًّا تَرَكَاهُ .
وَمَا سَفَكَاهُ . اللَّهُمَّ إِنِّي أَعْتَصِيكَ وَعْدَكَ ، فَإِنَّكَ قُلْتَ وَقَرَأْتَ الْحَقَّ : « ثُمَّ يُنْفِ عَلَيْهِ لِيَنْصُرْتَهُ
اللَّهُ »^(٣) ، اللَّهُمَّ فَأَنْجِزْ لِي مَوْعِدَكَ ، وَلَا تَكِلْنِي إِلَى نَفْسِي ، إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ .
ثم نزل .



[خطبته عند مسيره للبصرة]

وروى الكلبي قال : لما أراد علي عليه السلام المسير إلى البصرة ، قام فخطب
الناس ، فقال بعد أن تحمد الله وصلى على رسوله ، صلى الله عليه :
إِنَّ اللَّهَ لَا يَقْبِضُ نَبِيَّهُ ، اسْتَأْذِنْتُ عَلَيْهِ قَرِيبِينَ بِالْأَمْرِ ، وَدَفَعْنَا عَنْ حَقٍّ نَحْنُ أَحَقُّ بِمَنْ
النَّاسُ كَافَّةً ، فَرَأَيْتُ أَنَّ الصِّرَاحَ عَلَى ذَلِكَ أَفْضَلُ مِنْ تَفْرِيقِ كَلِمَةِ الْمُسْلِمِينَ ، وَسَفَكَ دِمَائِهِمْ .
وَالنَّاسُ حَدِيثُو عَهْدٍ بِالْإِسْلَامِ ، وَالَّذِينَ يَمْتَحِضُ نَحْضُ الْوُطْبِ ، يُفِيدُهُ أَذَى وَهَنْ ،
وَيَمَكِّسُهُ أَقْلَ خُلْفٍ . فَوَلَّى الْأَمْرَ قَوْمٌ لَمْ يَأْلُوا فِي أَمْرِهِمْ اجْتِهَادًا ، ثُمَّ انْتَقَلُوا إِلَى دَارِ الْجَزَاءِ ،
وَاللَّهُ وَلِيٌّ تَحْمِيصِ سَيِّئَاتِهِمْ ، وَالْحَفْوِ عَنْ هَفْوَاتِهِمْ . فَمَا بَالُ طَلْعَةِ الزَّيْدِ ، وَلَيْسَ مِنْ هَذَا
الْأَمْرِ بَسِيلٌ أَلَمْ يَصِيرَا عَلَى حَوْلٍ وَلَا شَهْرٍ أَحَقَّ وَثْبًا وَمَرْقًا ، وَنَازَعَانِي أَمْرًا لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهَا إِلَيْهِ
سَبِيلًا ، بَعْدَ أَنْ بَايَا طَائِفَتَيْنِ غَيْرَ مُكْرَهَيْنِ ، بِرَضِيْعَانِ أَمَا قَدْ غَطَمْتُ ، وَنَحْيِيَانِ بِدْعَةٍ
قَدْ أَمِيتَتْ . أَدَمَ عُمَانُ زَعَمَاءُ الْوَقْفِ مَا لَشَيْعَةٍ إِلَّا عِنْدَهُمْ وَفِيهِمْ ، وَإِنْ أَعْظَمَ حُجَّتَهُمْ لَعَلِّي

(١) التمش : الزلج ؛ لعلت فلانا ، إذا جبرته بعد ظر ، وألته بعد عثرة .

(٢) الفواق : بفتح الفاء وضبا : ما بين الحلبين من الوقت ؛ لأنها تحلب ثم تترك سوية يرتفعها الضبل
فصر ثم تحلب ؛ يقال : ما أألم عدنا إلا فواقا ، أي لمر فوق .

(٣) الآية بأكملها في سورة الحج ٦٠ : ﴿ ذَلِكَ وَمَنْ حَقَّبَ يَمِثْلِي مَا عَوْقَبَ بِهِ
ثُمَّ يُنْفِ عَلَيْهِ لِيَنْصُرْتَهُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَنَفُوْهُ غَفُورٌ ﴾ .

أنفسهم ، وأنا راضٍ بحجة الله عليهم وعمله فيهم ، فإن فاءاً وأنا لها أعظمهما أحرزاً ،
وأغنىهما غنياً ، وأعظم بها غنية ! وإن أياً أعطيتهما حد السيف ، وكفى به ناصراً لحق ،
وشافياً لباطل .
ثم نزل .

•••

[خطبته بنى قار]

وروى أبو مخنف عن زيد بن سوحان ، قال : شهدتُ علياً عليه السلام بنى قار^(١) ،
وهو معتمٌ بهامة سوداء ، ملففٌ بسايجٍ يخطب ، فقال في خطبة :
الحمد لله على كل أمر وحال ، في العُدوة والإميل ، وأشهد أن لا إله إلا الله ، وأن
محمداً عبده ورسوله ، اجتته رحمة للعباد ، ونجاة للبلاد ، حين استلأت الأرض فتنة ،
واضطرب حبيلها ، وعبد الشيطان في أكفافها ، واشتمل عقوق الله إليس على عقائد أهلها ،
فكان محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ، الذي ألقاه الله به نير أسها ، وأخذ به شرارها ، موزع
به أوتادها ، وأقام به ميثاقها ، إمام الهدى ، والنبي للصطفى ، صلى الله عليه وآله . فلقد صدع
بما أمر به ، وبلغ رسالات ربه ، فأصنع الله به ذات البين ، وآمن به السبل ، وحقن به
الدماء ، وألف به بين ذوى الصغائر الواعرة في الصدور ، حتى أتاه اليقين ، ثم قبضه
الله إليه حميداً . ثم استخلف الناس أبا بكر ، فلم يألُ جهده ، ثم استخلف أبو بكر عمر فلم
يألُ جهده ، ثم استخلف الناس عثمان ، فذل منكم وريثكم منه ، حتى إذا كان من أمره
ما كان ، أتبعوني لتبايعوني ، لا حاجة لي في ذلك ، ودخلتُ منزلي ، فاستخرجتموني
فقبضتُ يدي فبسطتموها ، وتداككتم^(٢) علي ، حتى ظننتُ أنكم قاتلني ، وأن بعضكم
قاتل بعض ، فبايعتموني وأنا غيرُ مسرور بذلك ولا جدل .

(١) ذوقار : موضع قريب من البصرة ؟ وهو المكان الذى كانت فيه الحرب بين العرب والفرس .

(٢) تداككتم : تراختم .

وقد علم الله سبحانه أني كنتُ كارها للعكومة بين أمة محمد صلى الله عليه وآله ،
 ولقد سمعته يقول : « ما من والٍ يلي شيئا من أمراةي إلا أتى به يوم القيامة
 مغلولاً يده إلى عنقه على رهوس الخلائق ، ثم يُنشر كتابه ، فإن كان عادلاً نجى ،
 وإن كان جائراً هوى » ، حتى اجتمع على ملؤكم ، وبابن طليعة والزبير ، وأنا أعرفُ
 العذر في أوجههما ، والنكث في أعينهما ، ثم استأذنا في العشرة ، فأعطتهما أن ليس العمرة
 يربدان ، فسارا إلى مكة واستخفا عائشة وخدماتها ، وشخص معهما أبناء الطلقاء (١) ،
 فقدموا البصرة ، فقتلوا بها المسلمين ، وفعلوا النكر . وباجبا لاستقامتهما لأبي بكر وعمر
 وبقيهما على ما هما بطلان أني لست دون أحدهما ، ولو شئت أن أقول لقلت ؛ ولقد كان
 معاوية كتب إليهما من الشام كتاباً يحث عليهما فيه ، فكثما عني ، وخرجا يؤلمان الطعام
 أنهما يطلبان بدم عثمان ؛ والله ما أتكرأ على مسكرا ، ولا جملا بيني وبينهم نصفا مؤان
 دم عثمان لمصوب بهما ، ومطلوب بهما . يا حبيبة الله اعني ! إلام دعاء وبماذا أجيب ؟
 والله إنهما لملئ ضلالة صماء ، وجهالة صماء ، وإن الشيطان قد ذم لها حزبه ، واستجلب
 منهما خيله ورجله ، ليميد الجوز إلى أوطانه ، ويرد الباطل إلى نصابه .

ثم رفع يديه ، فقال : اللهم ! إن طليعة والزبير قطعاني ، وظلماني ، وألبا علي ،
 ونكثا بعني ، فاحلل ما عقدا ، وامكث ما أبرما ، ولا تغرلها أبدا ، وأرهما المساءة
 فيما عملا وأملا

قال أبو مخنف : فقام إليه الأشتر فقال :

الحمد لله الذي من علينا فأفصل ، وأحسن إلينا فأحل ، قد سمعنا كلامك يا أمير المؤمنين ، ولقد
 أصبت ووفقت ، وأنت انعم بيينا وصبره ووصيته ، وأول مصدق به ، ومصل معه ، شهدت

(١) الطلقاء : هم الذين خلى عنهم الرسول عليه السلام يوم فتح مكة ، وأطلقهم فلم يسترقهم ، واحدم
 طليق ، قيل بمعنى مفعول ، وهو الأسير إذا أُلحق سبيله .

مشاهدته كلها ، فكان لك الفضل فيها على جميع الأمة ، فن اتبعك أصاب حظّه ،
واستبشر بفلاحه ، ومن عصاك ، ورعب عنك ؛ إلى أمّه الهاوية ! لعمرى يا أمير المؤمنين
ما أمر طلحة والزبير وفائشة علينا بمُخِيل ، ولقد دخل الرجلان فيما دخلا فيه ، وفارقا على
غير حدث أحدث ، ولا جور صنعت ؛ فإن زعما أتتهما يطلبان بدم عثمان فليقيدا من
أنفسهما فإيهما أول من ألَبَ عليه وأغرى الناس بدمه ، وأشهد الله ، لئن لم يدخلنا فيما
خرجنا منه لنُلْحِقَنَّهُمَا بِمَآثِنِ ، فإن سيوفنا في عوانتنا ، وقلوبنا في صدورنا ، ونحن اليوم كما
كنّا أمس . ثم قعد



توبيخه

عَلَيْهِ عِنْدَ نَازِلَةٍ إِنْ^(١) نَزَلَتْ بِهِ ، وَلَيْسَ الصَّدَقِ بِجَمَلُهُ أَفْهُ لِلرَّءْفِ فِي النَّاسِ خَيْرٌ
لَهُ مِنْ أَلَمِ بَوْرَتِهِ غَيْرُهُ .

ومنها :

أَلَا لَا يَبْدِلَنَّ أَحَدُكُمْ عَنِ الْقَرَابَةِ بَرَى بِهَا أَنْفُصَاةً أَنْ يَسُدَّهَا بِالَّذِي
لَا يَزِيدُهُ إِنْ أَمَّكَهُ ، وَلَا يَنْقُصُهُ إِنْ أَهْلَكَهُ ، وَمَنْ يَقْبِضْ يَدَهُ عَنْ عَشِيرَتِهِ ؛
فَأِنَّمَا يَقْبِضُ مِنْهُ عَنْهُمْ يَدٌ وَاحِدَةً ، وَتَقْبِضُ مِنْهُمْ عَنْهُ أَيْدٍ كَثِيرَةٌ .

وَمَنْ تَلَّنَ حَاشِيَتَهُ يَسْتَدِرُّ مِنْ قُوِيهِ الْمَوَدَّةَ .



قال الرضی رحمه الله^(٢) :

أَقُولُ : الْمَغِيرَةُ هَاهُنَا الزَّيَادَةُ وَالْكَثَرَةُ مِنْ قَوْلِهِمْ لَلْجَمْعِ الْكَثِيرِ : أَلْجَمُ
الْمَغِيرِ ، وَأَلْجَتَاءُ الْمَغِيرِ ، وَيُرْوَى : « عَفْوَةٌ مِنْ^(٣) أَهْلِ أَوْ مَالٍ » ، وَالْمَغْفُورَةُ : الْخِيَارُ
مِنَ الشَّيْءِ ؛ يُقَالُ : أَكَلْتُ عَفْوَةَ الطَّعَامِ ، أَيْ خِيَارَهُ .

وَمَا أَحْسَنَ الْمَعْنَى الَّذِي أَرَادَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَقُولُهُ : « وَمَنْ يَقْبِضْ يَدَهُ عَنْ
عَشِيرَتِهِ ... » إِلَى تَمَامِ الْكَلَامِ ، فَإِنَّ الْمُنْسِكَ خَيْرُهُ عَنْ عَشِيرَتِهِ ، إِنَّمَا يَمْسِكُ تَقَعُّ
يَدٍ وَاحِدَةٍ ، فَإِذَا احتَاجَ إِلَى نَصْرَتِهِمْ وَاصْطَرَّ إِلَى مُرَافَقَتِهِمْ ، قَعَدُوا عَنْ نَصْرِهِ ،
وَتَشَاقَلُوا عَنْ صَوْتِهِ ؛ فَمَنْعَ تَرَاوُدِ الْأَيْدِي الْكَثِيرَةِ وَتَشَاهُضِ الْأَقْدَامِ الْجَمْعَةِ .

(٢) ماضية من أ .

(١) ب : « إِذَا » .

(٣) أ : « لِي » .

البَيْزُجُ :

الفالج : الظافر القائر ، فَلَجَ يَفْجُجُ ، بالهم ، وفي المثل : « مَنْ بَاتَ الْحَكْمَ وَحْدَهُ يَفْجُجُ » . والياسر : الذي يلعب بالقِداح ، واليسر مثله ، والجمع أيسار . وفي الكلام تقديم وتأخير ، تقديره : كالياسر الفالج ، أى كاللاعب بالقِداح المخطوط منها ، وهو من باب تقديم الصفة على الموصوف ، كقوله تعالى : ﴿ وَغَرَّابُ سُوْدٍ ﴾ ^(١) ، وَحَسَنَ ذَلِكَ هَاهُنَا أَنَّ الْفَتْحَيْنِ صِفَتَانِ ، وَإِنْ كَانَتْ إِحْدَاهُمَا مَرْتَبَةً عَلَى الْأُخْرَى .

وقوله : « لَيْسَتْ بِتَمْذِيرٍ » ، أى لَيْسَتْ بِذَاتِ تَمْذِيرٍ ، أى تقصير ، لحذف المضاف ، كقوله تعالى : ﴿ قُتِلَ أَشْعَابُ الْأَخْدُودِ ﴾ ^(٢) أى ذى النار .

وقوله : « هُمْ أَكْثَرُ النَّاسِ حَيْطَةً » كَيْفِيَّةٌ ، أى رعاية وكلاءة ، ويروى : « حَيْطَةً » ، كَيْفِيَّةٌ ، وهى مصدر حاط أى تحسب وتعتكف .

والخلاصة : الفقر ، يقول : القصاص والقدر يفرلان من السماء إلى الأرض كقطر المطر ، أى مبعوث فى جميع أقطار الأرض إلى كل نفس بما قسم لها من زيادة أو نقصان ، فى المال والعمر والجاه والولد وغير ذلك . فإذا رأى أحدكم لأخيه زيادة فى رزق أو عمر أو ولد وغير ذلك ؛ فلا يَكُونَنَّ ذَلِكَ لَهُ فِتْنَةً تُفِضُ بِهِ إِلَى الْحَسَدِ ، فَإِنَّ الْإِنْسَانَ الْمُسْلِمَ إِذَا كَانَ غَيْرَ مُوَاقِعٍ لِدَنَاءَةِ وَقَبِيحٍ يَسْتَحْيِ مِنْ ذِكْرِهِ بَيْنَ النَّاسِ ، وَيَحْشَعُ إِذَا قَرَعَ بِهِ ، وَيُغْشَى لثَامَ النَّاسِ بِهَيْئَتِكَ مَتَرَهُ بِهِ ، كَاللَّاعِبِ بِالْقِدَاحِ ؛ الْمَحْظُوظُ مِنْهَا ، يَنْتَظِرُ أَوَّلَ فَوْزَةٍ وَخَلْبَةٍ مِنْ قِدَاحِهِ ، تَحْلُبُ لَهُ نَفْعًا ، وَتُدْفَعُ عَنْهُ ضَرًّا ؛ كَذَلِكَ مَنْ وَصَفْنَا حَالَهُ ، بِصَبْرٍ وَيَنْتَظِرُ إِحْدَى الْحُسْنَيْنِ ؛ إِمَّا أَنْ يَدْعُوهُ اللَّهُ فَيَقْبِضَهُ إِلَيْهِ ، وَيُسَائِرَ بِهِ ، فَالَّذِى عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لَهُ . وَإِمَّا أَنْ يُنْسَأَ فى أَجَلِهِ ، فَيَرْزُقَهُ اللَّهُ أَهْلًا وَمَالًا ، فَيَصْبِحَ وَقَدْ اجْتَمَعَ لَهُ ذَلِكَ مَعَ حَسَبِهِ وَدِينِهِ وَمَرْوَتِهِ الْمَحْفُوظَةِ عَلَيْهِ .

ثم قال : « لِلْمَالِ وَالْبَنُونِ حَرِثُ الدُّنْيَا » ، وهو من قوله سبحانه : ﴿ أَلْمَالُ وَالْبَنُونَ

زِيْنَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ^(١) ، ومن قوله تعالى : ﴿ مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا مُؤَنَّهُ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ ^(٢) .

قال : وقد يجمعها الله لأقوام ، فإنه تعالى قد يرزق الرجل الصالح مالا وبهين ، فتجتمع له الدنيا والآخرة .

ثم قال : « فاحذروا من الله ما حذركم من نفسه » ، وذلك لأنه تعالى قال : ﴿ فَاتَّقُونِ ^(٣) ، وقال : ﴿ فَارْهَبُونِ ^(٤) ، وقال : ﴿ فَلَا تَحْشَوْا النَّاسَ وَاحْشَوْنِي ^(٥) ، وغير ذلك من آيات التحذير .

ثم قال : ولتكن التقوى منكم أقصى نهايات جهدكم ، لا ذات تقصيركم ، فإنَّ العمل القاصر قاصر الثواب ، قاصر المصلحة .

فصل في ذم الحاسد والحسد

واعلم أن مصدرَ هذا الكلام الهی عن الحسد ، وهو من أقبح الأخلاق الذمومة . وروى ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وآله : « ألا لا تمادوا بعم الله » ، قيل : يا رسول الله ، ومن الذي يمادى بعم الله ؟ قال : « الذين يحسدون الناس » . وكان ابن عمر يقول : تمودوا بالله من قدرٍ وافق إرادة حمود .

(١) سورة الكهف ٤٦ .

(٢) سورة الشورى ٢٠ .

(٣) سورة البقرة ١٩٠ : ﴿ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ ﴾ .

(٤) سورة البقرة ٤٠ : ﴿ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ ﴾ .

(٥) سورة المائدة ٤٤ .

قيل لأرسطو : ما بال الحسود أشدّ عما من للكروب ؟ قال : لأنه يأخذ نصيبه من غنوم الدنيا ، ويضاف إلى ذلك عظم سرور الناس .

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله : « استمعنوا على قضاء حوائجكم بالكتمان ، فإن كل ذي نعمة محسود » .

وقال منصور الفقيه^(١) :

مُتَأَنِّفٌ أَلْفَقَى فِيمَا يَزُولُ عَلَى نَقْصَانِ هِمَّتِهِ دَلِيلُ
وَمُخْتَارُ الْقَلِيلِ أَقْلٌ مِنْهُ وَكُلُّ فَوَائِدِ الدُّنْيَا قَلِيلُ

ومن الكلام للروى عن أمير المؤمنين عليه السلام : لله در الحسد ! ما أحده ! بدأ بصاحبه قتلته .

ومن كلام عثمان بن عفان : بكفيت من الحساد أنه يضم وقت سرورك .
وقال مالك بن دينار : شهادة القراء سميرة في كل شيء إلا شهادة بعضهم على بعض ، فإنهم أشدّ محاسدا من الشوس في الوبر .
وقال أبو تمام :

وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ نَشْرَ قَضِيَّةٍ طَوَّيْتُ ، أُنَاحَ لَهَا لِيَأْنِ حَسُودُ^(٢)
لَوْلَا اشْتِمَالُ النَّارِ فِيمَا جَاوَرَتْ مَا كَانَ بِمَرْفُطٍ طَيْبٍ مَرْفُطِ الْمُودِ
لَوْلَا مُحَازَرَةُ الْمَوَاقِبِ لَمْ تَزَلْ لِلْحَاسِدِ النُّمْتَى عَلَى الْمُحْسُودِ^(٣)

وتذاكر قوم من ظرفاء البصرة الحسد ، فقال رجل منهم : إن الناس ربما حسدوا على الصلب ؛ فأنكروا ذلك ، ثم جاءهم بعد ذلك بأيام ، فقال : إن الخليفة قد أمر بصلب

(١) هو منصور بن إسماعيل بن عيسى التميمي أحد فقهاء الشافعية . طبقات الكي ٢ . ٣١٧

(٢) ديوانه ١ : ٤٠٢ (٣) الديوان : « لولا المحفوف للمواقب » .

الأحنف «بن قيس» ، ومالك بن مسنن ، وتجدان الحجام ؛ فقالوا : هذا الخبيث يُصلب مع هذين الرئيسين ! فقال : ألم أقل لكم إن الناس يحسدون على الصلب !
وروى أس بن مالك مرفوعاً : «إن الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب» .
وفي الكتب القديمة : يقول الله عز وجل : الحايذ عدو نفسي ، متسخط فعلى ،
غير راضٍ بقسمي .

وقال الأصمعي : رأيت أعرابياً قد بلغ مائة وعشرين سنة ، قتلت له : ما أطول عمرك ! فقال : تركت الحسد فقيت .

وقال بعضهم : ما رأيت ظالماً أشبهَ بمظلوم من حاسد .



قال الشاعر :

تراه كأن الله يمدح نفسه وأذيه إن مولاه ثاب إلى وفري

وقال آخر :

قل للعسود إذا تنفس ضيقه ظالماً وكأنه مظلوم !

ومن كلام الحكماء : إيتاك والحسد ، فإنه يبينُ فيك ولا يبين في العسود .

ومن كلامهم : من دناءة الحايذ أنه يبدأ بالأقرب فالأقرب .

وقيل لبعضهم : لزممت البادية ، وتركتم قومك وبلدك ! قال : وهل بقي إلا حاسدٌ

تُحمة ، أو شامتٌ بمصيبة !

بيننا عبد الملك بن صالح يسيرُ مع الرشيد في موكبهِ ، إذ هتف هاتف : يا أمير المؤمنين ،

ظالمٌ من إشرافه ، وقصُر من عِنايته ، واشدُّ من شِكاله . وكان عبدُ الملك متبهماً

عند الرشيد بالطمع في الخلافة - فقال الرشيد : ما يقول هذا ؟ فقال عبد الملك : مقال حاسد ودحيس حاقق يا أمير المؤمنين . قال : قد صدقت ، قص القوم وفصلتهم ، وتحلفوا وسبقتهم ؛ حتى برز شؤك ، وقصر عنك غيرك ، فني صدورهم جرات التغلف ، وحرارات السلد قال عبد الملك : فأضرمها يا أمير المؤمنين عليهم بالريد .

وقال شاعر :

يَا طَالِبَ الْعَيْشِ فِي أَمْنٍ وَفِي دَعَايَ تَحْضَبُ يَلَاكَدَرٍ ، صَفَوُا يَلَارَتِي
خَلَّصَ قُوَادِكَ مِنْ غِلٍّ وَمِنْ حَسَدٍ فَاغْلِلْ فِي الْقَلْبِ مِثْلَ الْعُلِّ فِي الْعُنُقِ
ومن كلام عبد الله بن المعتز : إذا زال الهودُ عليه ، علمت أن الحاسد كان يحدُّ

على غير شيء .

ومن كلامه : الحاسدُ معتاض على من لا ذك له ، بحبل بما لا يتيكه .

ومن كلامه : لا راحة للحاسد ولا حياة للحريص .

ومن كلامه : الميت بقل الحسد له ، ويكثر الكذب عليه .

ومن كلامه : ما دل قوم حتى صفوا ، وما ضمفوا حتى تفرقوا ، وما تفرقوا حتى احتلوا ، وما احتلوا حتى ماغصوا ، وما تماغصوا حتى تماسدوا ، وما تماسدوا حتى استأثر بعضهم على بعض .

وقال الشاعر :

إِنْ يَتَّحِدُونِي قَائِي عَزِيْرٌ لَا يُنِيْمُ قَتَلِي مِنَ النَّاسِ أَهْلِي الْعَظْلِ قَدْ حِيدُوا^(١)
قَدْ أَمَّ لِي وَلَهُمْ مَأَى وَمَا سَهُمُ وَمَاتَ أَكْثَرُنَا غِيْظًا بِمَا يَجِدُ

(١) من أبيات في أمالي للرفعي ١ : ٤١٤ ، ولبيبا لك الكهت بن زيد : وهي في شرح المختار من شعر بشر ٦٧ من غير نسبة ، وعيون الأخبار ٢ : ١١ ، وأمالي الخال ٢ : ١٩٨

ومن كلامهم : ما خلا جسدٌ عن حد .

وحدُّ الحد هو أن تتناظَ بما رزقه غيرك ، وتودَّ أنه زال عنه وصار إليك . والنبطة :
الاعتناظ ولا تودَّ زواله عنه ؛ وإنما تودُّ أن تُرزقَ مثله ، وليست النبطة بدمومة .
وقال الشاعر :

حَسَدُوا الْفَقْرَ إِذْ لَمْ يَنَالُوا سَعْيَهُ قَالَ كُلُّ أَغْدَالٍ لَهُ وَخُصُومٌ ^(١)
كَمَرَاتٍ أَلْمَنَاءُ قُلْنَ لِوَجْهِهَا - حَسَدًا وَبَنُومًا - إِنَّهُ لَدَائِمٌ

[فصل في مدح الصبر وانتظار الفرج]

وعلم أنه عليه السلام بعد أن نهى عن التحمد أمر بالصبر وانتظار الفرج من الله ،
إما بموتٍ مرجح ، أو بفقرٍ بالطلب .

والصبرُ من المقامات الشريفة ، وقد وردت فيه آثارٌ كثيرة ، روى عبد الله بن مسعود
عن النبي صلى الله عليه وآله : « إن الصبر نصف الإيمان ، واليقين الإيمان كله » .
وقالت عائشة : لو كان الصبر رجلاً لكان كريماً .

وقال علي عليه السلام : الصبر إما صبر على المصيبة ، أو على الطاعة ؛ أو عن المصيبة ؛
وهذا القسم الثالث أعلى درجة من القسمين الأولين .

وعنه عليه السلام : الحياء زينة ، والتقوى كرم ، وخير للراكب مركب الصبر .
وعنه عليه السلام : القناعة سيفٌ لا ينبؤ ، والصبر مطيةٌ لا تكبو ، وأفضل المدة
الصبر على الشدة .

قال الحسن عليه السلام : جَرَبْنَا وَجَرَّبَ الْجَرَبُونَ ، فلم نَرَ شيئاً أنفعَ وجَداناً ،
ولا أصرَّ فقداناً من الصبر ؛ تدَاوَى به الأمور ، ولا يداوى هوَ بنير .

(١) لأبي الأسود الدؤلي ، ملحق ديوانه ٥١ .

وقال سعيد بن محمد الكاتب^(١) :

لَا تَتَّبِعَنَّ عَلَى التَّوَائِبِ قَالَهُمْ يُرْغِمُ كُلَّ عَارِبٍ
وَاصْبِرْ عَلَى حَدَثَائِهِ إِنَّ الْأُمُورَ لَهَا حَوَائِبُ
كَمْ يَسْمُو مَطْلُوبُهُ لَكَ بَيْنَ أَثْنَاءِ التَّوَائِبِ^(٢)
وَمَسْرُوعُهُ قَدْ أَقْبَلَتْ مِنْ حَيْثُ تَنْظُرُ الْمَصَائِبُ

ومن كلامهم : الصبر مرة ، لا يجبره إلا مرة .

قال أعرابي : كُنْ حُلُوَّ الصَّبْرِ عِنْدَ مَرَارَةِ السَّارَةِ .

وقال كسرى يبرزُ بجهير : ما علامة الظفر بالأمور للطلوبة للعصبة ؟ قال : ملازمة

المطلب ، والمحافظة على الصبر ، وكتان الصبر .

وقال الأحنف بن قيس : لست عالياً ؛ إنما أنا صبور ، فأفادني الصبر صِفَتِي بِالْحَلَمِ .

وسئل علي عليه السلام : أَيُّ شَيْءٍ أَقْرَبُ إِلَى الْكُفْرِ ؟ قال : ذُو قَالَةٍ لَا صَبْرَ لَهُ .

ومن كلامه عليه السلام : الصَّبْرُ يَنْأَخِلُ الْحَدَثَانَ ، وَالْجَزَعُ مِنْ أَعْوَانِ الزَّمَانِ .

وقال أعشى همدان :

إِنْ يَلَتْ لَمْ أَفْرَحْ بِشَيْءٍ يَلْتُهُ وَإِذَا سُبِقْتُ بِهِ فَلَا أَتْلَهُ^(٣)
وَمَتَى تُصِيبَكَ مِنَ الْحَوَادِثِ نَكْبَةٌ فَاصْبِرْ فَكُلَّ غَيَابَةٍ تَنْكَشِفُ

والأمر بذكر الأمر ، وهذا البيت هو الذي قاله له الحجاج يوم قتله ، ذكر ذلك

أبو بكر محمد بن القاسم بن بشار الأنباري في " الأمل " ، قال : لما أتي الحجاجُ بأعشى

همدان أسيراً ؛ وقد كان خرج مع ابن الأشعث ، قال له : يا ابن الضعفاء ! أنت القاتل

لعمرو الرحمن - يعني عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث :

(١) اليعتاق : الثالث والاربع في شرح المختار من شعر بشار ٣١١ ، من غير نسبة .

(٢) شرح المختار : " كم فرجة " .

(٣) ديوان الأعشى ٣٥ ، مع اختلاف في الرواية والذنيب .

وَابْنَ الْأَشْيَجِ فَرِيعَ كَيْدٍ دَمَةٌ لَا أَهْلِي فِيكَ عَيْبٌ^(١)

أَنْتَ الرَّئِيسُ ابْنُ الزَّيْدِ مِنْ، وَأَنْتَ أَهْلُ النَّاسِ كَيْبٌ^(٢)

نَبِئْتُ حِجَّاجَ بْنَ يُوْسُفَ خَرَّ مِنْ زَلْقَى فَعَبَا

فَأَنْهَضَ هُدَيْتَ لَمَلَهُ يَجْنُوكَ الرَّحْمَنُ كَرْبًا^(٣)

وَأَمْسَتْ عَطِيَّةٌ فِي الْحُرُوفِ بِ يَكْتَبُنَ عَلَيْهِ كَبَا

ثم قال : عبد الرحمن خَرَّ مِنْ زَلْقَى فَعَبَا ، وخير وانكسب ، وما لقي ما أحب .

ورفع بها صوته ، واهتز منكبيه ، ودرَّ وَدَجَاهُ^(٤) ، واحمرت عيناه ، ولم يبق في المجلس إلا

من هابه ، فقال : أيها الأمير ، وأنا القاتل :

أَيُّ اللَّهِ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورُهُ وَيُظْلِمَ^(٥) مَا رَأَى الْكَافِرِينَ فَتَعْبُدَا^(٦)

وَيُنْزِلَ ذُلًّا بِالْعِرَاقِ وَأَهْلِهِ عَصَا^(٧) الْعَهْدِ الْوَثِيقِ لِلْوَكْدَا

وَمَا كَيْتَ الْحِجَّاجُ أَنْ تَلَّ سَهْمَهُ عَلَيْنَا ، فَوَلَّى بَعْثًا وَتَبَدُّدَا

فالتفت الحجاج إلى مَنْ حَضَرَ ، فقال : مَا تَقُولُونَ ؟ قَالُوا : لَقَدْ أَحْسَنَ أَيُّهَا الْأَمِيرُ ،

وَحَمَّا بِأَخِيرِ قَوْلِهِ أَوَّلُهُ ، فَلْيَسِّرْهُ حِلَّتَكَ . فقال : لَا هَا اللَّهُ إِيَّاهُ لَمْ يُرِدْ مَا خَلَقْتُمْ ، وَإِنَّا أَرَادَ

مَحْرِضَ أَصْحَابِهِ ، ثُمَّ قَالَ لَهُ : وَبِكَ أَلَسْتُ الْقَاتِلُ :

إِنْ يَلَتْ لَمْ أَفْرَحْ بِشَيْءٍ يَلْتُهُ وَإِذَا سُبِقْتُ بِهِ فَلَا أَتَلَفُ

وَمَتَى تُصِيبُكَ مِنَ الْحَوَادِثِ نَكْبَةٌ فَاصْبِرْ ، فَكُلُّ غَيَابَةٍ تَكْشِفُ

أَمَّا وَاللَّهِ لَتُظْلِمَنَّ عَلَيْكَ غَيَابَةٌ لَا تَكْشِفُ أَبَدًا ، أَلَسْتُ الْقَاتِلُ فِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ :

إِذَا سَأَلْتَ الْجَدَّ أَيْنَ مَحَلُّهُ فَالْحَدُّ بَيْنَ مُحَمَّدٍ وَسَعِيدٍ

(٢) ديوان الأعمش : « أهل القوم » .

(١) ديوان الأعمش ٣١٢

(٣) ديوان الأعمش : « هديت » .

(٤) يخال : در الرق ، إذا امتلأ دماً ، والودج : غرل في المق .

(٥) ديوان الأعمش ٣٢٠ ، مع اختلاف في الرواية وترتيب الأبيات .

(٦) (٢١ - شرح نهج البلاغة - أول)

بَيْنَ الْأَشْيَعِ وَبَيْنَ قَيْسٍ نَارِلٌ يَخُفُّ يَخُفُّ لِوَالِدِهِ وَلِلْمَوْلُودِ^(١)
وَاللَّهُ لَا يَبْتَغِيخُ^(٢) بِهَا أَبَدًا : بِأَحْسَنِ أَضْرَبِ عُنُقِهِ .



وَمَا جَاءَ فِي الصَّبْرِ قِيلَ لِلْأُحْفِ : إِنَّكَ شَيْخٌ ضَعِيفٌ ، وَإِنَّ الصِّيَامَ يَهْدُكَ .
قَالَ : إِنْ أَعَدَّ لَشَرٍّ يَوْمَ طَوِيلٍ ، وَإِنْ الصَّبْرُ عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ أَهْوَنُ مِنَ الصَّبْرِ عَلَى
عَذَابِ اللَّهِ .

وَمِنْ كَلَامِهِ : مَنْ لَمْ يَصْبِرْ عَلَى كَلِمَةٍ تَمَحَّكَ كَلَامُ . رَبِّ غِيظٍ قَدْ تَجَرَّعَتْهُ خِيفَةُ مَا هُوَ
أَشَدُّ مِنْهُ .

يونس بن عبيد : لَوْ أَمِرْنَا بِالْجَزَعِ لَصَبَرْنَا .

ابن السَّكَّاءِ : لِلْعَبِيَةِ وَاحِدَةٌ ، فَإِنْ جُرِّعَ حَاحِبُهَا مِنْهَا صَارَتْ اثْنَتَيْنِ . يَعْنِي : فَقَدْ
لِلصَّبْرِ وَقَدْ التَّوَلَّى .



الْحَارِثُ بْنُ أَسَدٍ الْحَاسِيُّ^(١) لِكُلِّ شَيْءٍ جَوْهَرٌ ، وَجَوْهَرُ الْإِنْسَانِ الْعَقْلُ ، وَجَوْهَرُ
الْعَقْلِ الصَّبْرُ .

جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ : سَتَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ عَنِ الْإِيمَانِ ، قَالَ : « الصَّبْرُ
وَالسَّابِقَةُ » .

وَقَالَ الْمَتَابِيُّ :

اصْبِرْ إِذَا بَدَّعَتْكَ مَآئِبَةٌ مَآعَالٌ مُنْقَطِعَةٌ إِلَى الصَّبْرِ
الصَّبْرُ أَوَّلَى مَا اغْتَصَمْتَ بِهِ وَلَنْ تَمَّ حَشْوُ جَوَارِحِ الصَّدْرِ

وَمِنْ كَلَامِهِ عَلَى عَلَيْهِ السَّلَامُ : الصَّبْرُ مِفْتَاحُ الْفَقْرِ ، وَالتَّوَكُّلُ عَلَى اللَّهِ رَسُولُ الْفَرَجِ .

وَمِنْ كَلَامِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ : انْتَظِرُوا الْفَرَجَ بِالصَّبْرِ عِبَادَةَ .

أَنْتُمْ بَنُ سَيْفٍ : لِلصَّبْرِ عَلَى جُرْعِ الْحَسَامِ أَعَذِبَ مِنْ جَنَّا النَّدَمِ .

(١) ديوان الأعشى ٣٢٣ .

(٢) يَخُفُّ بِالْجَزَعِ : يَخُفُّ ، وَيُخَالِفُ ، وَيُخَالِفُ : وَاللَّهُ لَا يَبْتَغِيخُ بِهَا أَبَدًا .

ومن كلام بعض الزهاد : واصبر على عمل لا غناء بك عن ثوابه ، واصبر عن تحمل
لا صبر على عقابك به .

وكتب ابن العميد : أقرأ في الصبر سوراً ، ولا أقرأ في الجزع آية . وأحفظ في
التماسك والتجدد قصائد ، ولا أحفظ في الهفوت قافية .

وقال الشاعر :

وَيَوْمَ كَهْؤُمُ الْبَشْرِ مَا فِيهِ حَاكِمٌ وَلَا حَاسِمٌ إِلَّا قَنَا وَدُرُوعُ
حَبَّتْ بِهِ نَفْسِي عَلَى مَوْفِقِ الرَّدَى حِفَاظًا وَأَطْرَافُ الرِّيحِ شُرُوعُ
وَمَا يَسْتَوِي عِنْدَ الْخِلَافِ إِنْ عَرَتْ مَبُورٌ عَلَى مَسْكُورِهَا وَجَزُوعُ
أبو حية النميري :

إِنِّي رَأَيْتُ فِي الْأَيَّامِ تَحَرُّبَةً وَأَمْرًا يُحَاوِلُهُ
وَوَصَفَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ : قَالَ : كَانَ لَا يَحْمَلُ ، وَإِنْ جُهِلَ عَلَيْهِ
حَلْمٌ . وَلَا يَطْلُمُ ، وَإِنْ ظَلِمَ غَمَرٌ . وَلَا يَبْتَغِلُ ، وَإِنْ بَغِيَتْ الدُّنْيَا عَلَيْهِ صَبْرٌ .

عبد العزيز بن زرارة الكلابي :

قَدْ عِشْتُ فِي الدَّهْرِ أَمْطُورًا عَلَى طَرُقِ شَيْ قَسَّائِتُ مِنْهُ الْخَلْوُ وَالْبِشْعُ^(١)
كَلًّا بَلَوْتُ فَلَا النِّعْمَاءُ تُبْعِرُنِي وَلَا تَخْشَعْتُ مِنْ لَوَائِهَا جَزَعًا
لَا يَمْلَأُ الْأَمْرُ صَدْرِي قَبْلَ مَوْفِقِهِ وَلَا يَصِيقُ بِهِ صَدْرِي إِذَا وَقَعَ
ومن كلام بعضهم : مَنْ تَبَعَرَ نَصَبٌ . الصَّبْرُ يَفْسَحُ الْفَرْجَ ، وَيَفْتَحُ الرِّقَّةَ . الْحَنَّةُ
إِذَا تَلَقَّيْتُ بِالرِّضَا وَالصَّبْرُ كَانَتْ نِعْمَةً دَائِمَةً ، وَالنِّعْمَةُ إِذَا خَلَّتْ مِنَ الشُّكْرِ كَانَتْ
نِحْنَةً لَازِمَةً .

(١) ديوان المازني ١ : ٨٨ وفي نسخة هنا أليان وروايتها خلاف ، انظره في حواشي الآتي ٤١٢ .

قيل لأبي مسلم صاحب الدعوة . يَمَّ أَصَبْتَ مَا أَصَبْتَ ؟ قال : ارْتَدَدْتُ بِالصَّبْرِ ،
واتزرت بالكَيْثَانِ ، وحالفتُ الحَزْمَ ، وخالفتُ الهَوَى ، ولم أجعل العدوَّ صديقاً ،
ولا الصديقَ عدواً .

منصور النمرى في الرشيد .

وَلَيْسَ لِأَقْبَاءِ الْأُمُورِ إِذَا عَرَّتْ بِمَكَثَرٍ لَكِنْ لَهُنَّ صَبُورُ
يُرَى سَاكِنَ الْأَطْرَافِ بِاسِطٍ وَجْهِهِ يُرِيكَ الْهُؤَيْنَى وَالْأُمُورُ تَطِيرُ
من كلام أمير المؤمنين عليه السلام : أوصيكم بخمس لو ضربتم إليهنَّ آباطُ الإبل
كانت لذلك أهلاً : لا يرجون أحدكم إلا ربه ، ولا يخافنَّ إلا ذنبه ، ولا يستعجبنَّ إذا
سئلَ عملاً يعلم أن يقولَ لا أعلم ، ولا يستعجبنَّ إذا جهل أمراً أن يتعلمه . وعليكم بالصبر ،
فإنَّ الصبرَ من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد ، فكما لا خيرَ في جسدٍ لا رأسَ له ،
لا خيرَ في إيمانٍ لا صبرَ معه .
وعنه عليه السلام : لا يعدمُ الصبورُ للعقربَ ، وإن طال به الزمان .

نيسابور بن حرقى :

ويوم كان المصطفى عمره وإن لم يكن جبراً قياماً على حجر
صبرنا له حقاً تجملى وإثماً نخرج أيام الكربة بالصبر
على عليه السلام : اطرح عنك واردات الهوم بمزائم الصبر وحسن اليقين .
وعنه عليه السلام : وإن كنت جارباً على ما تقلت من يدك ، فاجزع على كل مالم
يصل إليك !

وفي كتابه عليه السلام الذي كتبه إلى عقيل أخيه : ولا تحسبنَّ ابن أُمك - ولو أسلمه
الناس - متصرفاً متخشعاً ، ولا مقيراً للصيم وإهناً ، ولا سلساً الزمام للقائد ، ولا وطنياً
الظفر للراكب ، ولكنه كما قال آخر بني سُلَيْم :

فَإِنْ تَنَالَيْتَنِي كَيْفَ أَنتَ فَإِنِّي صَبُورٌ عَلَى رَيْبِ الزَّمَانِ صَلِيبٌ^(١)
يَعِزُّ عَلَى أَنْ تُرَى بِي كَأَبَةٌ فَيَشْتَتَ عَادٍ أَوْ يُسَاءَ حَبِيبٌ

• • •

[فصل في الرياء والنهي عنه]

واعلم أنه عليه السلام، سد أن أمرنا بالصبر، نهى عن الرياء في العمل، والرياء في العمل منهي عنه، بل العمل ذو الرياء ليس بعمل على الحقيقة، لأنه لم يُقصد به وجه الله تعالى. وأصحابنا للتكلمون يقولون: ينبغي أن يعمل المكلف الواجب لأنه واجب، ويحتمل القبيح لأنه قبيح، ولا يفعل الطاعة ويترك النصية رغبة في الثواب، وخوفاً من العقاب؛ فإن ذلك يُخرج عمله من أن يكون طريفاً إلى الثواب؛ وشبهوه بالاعتذار في الشيء؛ فإن من يعتذر إليك من ذنب خوفاً من عاقبته على ذلك الذنب، لا ندماً على القبيح الذي سبق منه، لا يكون عذره مقبولاً، ولا ذنبه عندك مغفوراً. وهذا مقامٌ جليل لا يصل إليه إلا الأفراد من ألوف الألوف.

وقد جاء في الآثار من النهي عن الرياء والسمة كثير، روى عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: «يُؤْتَى في يوم القيامة بالرجل قد عمل أعمال الخير كالجبال - أو قال: كجبال تهامة - وله خطيئة واحدة، فيقال: إنما عملتها ليُقَالَ عنك، فقد قبل؛ وذلك ثوابك وهذه خطيئتك، أدخلوه بها إلى جهم».

وقال عليه السلام: «ليست الصلاة قيامك وقعودك، إنما الصلاة إخلاصك، وأن تُريدَ بها الله وحده».

وقال جبيب الفارسي: لو أن الله تعالى أقامني يوم القيامة وقال: هل تمدّ سجدةً سجدتَ ليس للشيطان فيها نصيب لم أقدر على ذلك.

(١) مجموعة المعاني ٧٦، وهما لصغير بن عمرو السبيعي، والأول من أبيات أربعة في الأمان ٧٩: ٧٩

توصل عبد الله بن الزبير إلى امرأة عبد الله بن عمر - وهي أخت المختار بن أبي عبيد
التغفي - في أن تكلم بعلمها عبد الله بن عمر أن يبايعه . فكلّمته في ذلك ، وذكرت
صلاته وقيامه وصيامه ، فقال لها : أما رأيت البخلات الشهب التي كنّا نراها تحت معاوية
بالبحر إذا قدم مكة ؟ قالت : بلى ، قال : فأياها يطلب ابن الزبير بصومه وصلاته !
وفي الخبر المرفوع : « إن أخوف ما أخاف على أمتي الرياء في العمل ، ألا وإن الرياء
في العمل هو الشرك الخفي » :

صَلَّى وَصَامَ لِأَمْرِ كَانَ يَطْلُبُهُ حَتَّى حَوَاهُ فَلَا صَلَى وَلَا صَامًا

• • •

[فصل في الاعتضاد بالعشرة والتكثير بالقبيلة]

ثم إنه عليه السلام بعد تنبيهه عن الرياء يطلب السعة ؛ أمر بالاعتضاد بالعشرة والتكثير
بالقبيلة ؛ فإن الإنسان لا يستغنى عنهم وإن كان ذا مال ، وقد قالت الشعراء في هذا المعنى
كثيراً ؛ فمن ذلك قول بعض شعراء الحجاز (١) :

فَوَارِسُ إِنْ قِيلَ أَرْكَبُوا الْمَوْتَ بَرَكَبُوا	إِذَا الْمَرْءُ لَمْ يَمْتَصِبْ لَهُ حِينَ يَمْتَصِبُ
مَقَاجِيمُ فِي الْأَمْرِ الَّذِي يُنْهَبُ (٢)	وَلَمْ يَحْبِبْهُ بِالنَّصْرِ قَوْمٌ أَعَزُّ
وَإِنْ كَانَ عِصًا بِالْفَلَامَةِ يُضْرَبُ (٣)	تَهْتَضُّهُ أَذَى الْمَدَاةِ قَدْ بَزَلْ
بِأَنْ يَوَى مَوْلَاكَ فِي الْحَرْبِ اجْتَبُ	فَأَيُّ لِحَالِ التَّلْمِ مَنْ شِئْتَ وَاعْتَمَنْ
أَجَابَكَ طُغْرًا وَالدُّمَاءُ تَصَبُّ	وَمَوْلَاكَ مَوْلَاكَ الَّذِي إِنْ دَعَوْتَهُ
فَإِنْ يَدُ تَشَايِ الْأُمُورِ وَتُرَابُ (٤)	فَلَا تَحْذَلِ السُّوْلَى وَإِنْ كَانَ ظَالِيًا

(١) في الحجاز ٢ : ٢١١ : « فراد بن عباد » ، وصححه التبريزي : « فراد بن العباد » ، وقال :
« أيوه العباد أحد شياطين العرب » .

(٢) مقاجيم : جمع مقام ، وهو الذي يخوض فصة الماء ؛ أي مضطرب .

(٣) تهضمه ، أي كسره وأذله . والنض : لشكر الشفيع الممان .

(٤) تشاي : تفرق وتفتق .

ومن شعر الحامسة أيضا :

أَفِيضُوا بَنِي حَبْرَنٍ وَأَهْوَاؤَنَا مَعَا
لَتَعْرِىَ لِرَهْطِ اللَّزَاءِ خَسِيرٌ بَقِيَّةُ
إِذَا كُنْتَ فِي قَوْمٍ وَأَمَّاكَ مِنْهُمْ
وَأَنْ حَدَّثْتُكَ النَّفْسُ أَنَّكَ قَادِرٌ
وَأَرْحَامُنَا مَوْصُولَةٌ لَمْ تَقْضَبِ^(١)
عَلَيْهِ وَإِنْ عَالُوا بِكَ كُلُّ مَرْكَبٍ
لَتَعْرِىَ إِلَيْهِمْ فِي خَبِيثٍ وَطَلَبٍ
عَلَى مَا حَوَتْ أَيْدِي الرِّجَالِ فَكَذَّبِ

ومن شعر الحامسة أيضا :

كَمَرُكَ مَا أَنْصَفْتَنِي حِينَ تُمَتِّعُنِي
إِذَا ظَلِمَ لِلسُّوْلِ فَرَحْتُ لِظُلْمِهِ
هَوَاكَ مَعَ اللُّوْلِ وَأَنْ لَا هَوَى لِيَا^(٢)
غَرَّقَ أَحْسَانِي وَهَرَّتْ كِلَابِيَا

ومن شعر الحامسة أيضا :

وَمَا كُنْتُ أَبْغِي الْمَ يَمْنَى عَلَى شَفَا
وَلَكِنْ أَوَاسِيهِ وَأَنْتَ ذُنُوبُهُ^(٣)
وَحَسْبُكَ مِنْ ذَلِكَ وَسُوءَ عَنِيَّةٍ
مُنَاوَاةُ ذِي الْقُرْبَى وَأَنْ قِيلَ فَاطِمِ^(٤)

ومن شعر الحامسة أيضا :

أَلَا هَلْ أَتَى الْأَنْصَارَ أَنْ ابْنَ بَحْدَلٍ
فَلَنَا وَكَذَّبَا كَالْيَدَيْنِ مَتَى تَعَفَّ
حُمَيْدًا شَقِيًّا كَذَّبَا فَفَرَّتْ عِيُونُهَا^(٥)
شِمَالُكَ فِي الْمُنِجَا تُنْهَسَا يَمِينُهَا

- (١) ديوان الحامسة (١ : ٣١٨) يصرح الرزوقي ، ونسبه التبريزي (١ : ٢٩٧) إلى جندل بن عمرو . مع ، أي مجتمة . والقضب : القطع ؟ ولم يرد في الحامسة سوى البيت الأول .
(٢) ديوان الحامسة (١ : ٣٥٠) يصرح التبريزي ، ونسبه إلى حرث بن جابر .
(٣) ديوان الحامسة (١ : ٣٨٠) يصرح التبريزي ، ونسبه إلى محمد بن عبد الله الأزدي وروايه : « لَا أَدْفَعُ ابْنَ الْمَ يَمْنَى . . . » وخفا القى : حرله . والجنادح : الدوامي .
(٤) يجوز فتح همزة « لَنْ » وكسرها ، وانظر التبريزي .
(٥) ديوان (الحامسة ٢ : ٥٢٧) يصرح الرزوقي وهي هناك أربعة أبيات ؛ هنا الأول والراجح منها ، ونسبها إلى بعض بني جهينة .

ومن شعر الحماسة أيضاً :

أخوك أخوك من ينأى وتدنو مودته وإن دعى استجاباً^(١)
إذا حاربت حارباً من تُعادي وزاد غناؤه منك اقتراباً^(٢)
يواصي في كريهته ويدنو إذا ما مضى العَدَثانِ ناكباً^(٣)

• • •

[فصل في حسن الثناء وطيب الأحذوثة]

ثم إنه عليه السلام ذكر أن لسان الصدق يحمله الله للره في الناس خيراً له من المال يورثه غيره . ولسان الصدق هو أن يذكر الإنسان بالخير، ويُثني عليه به ، قال سبحانه :
(وَأَجَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ)^(٤) .

وقد ورد في هذا المعنى من الشعر والنظم الكثير الواسع، فن ذلك قول عمر لابنة حرم :
ما الذي أعطى أبوك زهيراً ؟ قالت : أعطاه ما لا يُنفى ، وثياباً تنلى . قال : لكن ما أعطاكم
زهير لا يُبلىه الدهر ، ولا يُغنيه الزمان .

ومن شعر الحماسة أيضاً :

إذا أنت أعطيت النقي ثم لم تجد بفضل النقي ألفت مآل حامد^(٥)
وقل غناه عنك مال جمعه إذا كان ميراثاً وواراك لأحد

وقال يزيد بن المهلب : المال والحياة أحب شيء إلى الإنسان ، والثناء الحسن أحب إلى منهما ؛ ولو أني أعطيت عالم يقطع أحد لأحيت أن يكون لي أذن أسمع بها ما يقال في فدا وقد ميت كريماً .

وحكى أبو عثمان الجاحظ عن إبراهيم السدي ، قال : قلت في أيام ولايتي الكوفة

(١) ديوان الحماسة - بصرح للرزوقي ٢ : ٥٤٢ ، وسبها إلى ربيعة بن مقروم

(٢) الحماسة : « وزاد سلاحه » .

(٣) لم يذكر هذا البيت في الحماسة . (٤) سورة الشعراء ٨٨ .

(٥) ديوان الحماسة ٣ : ١١٩٩ بصرح للرزوقي ، من أبيات نسبها إلى محمد بن أبي هذيل .

لرجل من وجوهها - كان لا يحفت يده ولا يستريح قلبه ، ولا تسكن حركته في طلب
حوائج الناس ، وإدخال السرور على قلوبهم ، والرفق على ضعفائهم ، وكان عفيف الطعمة .
خبرني حماد بن عمار عن علي بن النعمان ، وقوله على النعمان : فقال : قد والله سمعت غناء الأطياف
بالأشجار ، على أغصان الأشجار ، وسمعت خلق الأوتار ، وتجاوب العود والزممار ، فما
طربت من صوت قط طربى من نساء حسن على رجل عجمي ، قلت : لله أبوك !
فلقد ملئت كرمًا .

وقال حاتم :

أماوي إن يضح صدأ يفتقر^(١) من الأرض لا ماء لدى ولا نحر^(٢)
ترى أن ما أخفت لم يك ضربي^(٣) وأن يدي مما بخلت به صفر^(٤)
أماوي ما بُني السرح عن الفقى^(٥) إذا حشرجت يوماً وخاق بها الصدر^(٦)
بعض المحدثين :

من اشترى بماله^(٧) حسن الثناء غنيا
أقره سماحه^(٨) وذلك الفقر الفسح
ومن أمثال القرم : كل ما يؤكل بئن ، وكل ما يؤهب يارج .
وقال أبو الطيب :

ذكر الفقى حمراء الثأى وحاجته^(٩) ما فاته^(١٠) وفصول العيش أشغال^(١١)

• • •

[فصل في مواساة الأهل وصلة الرحم]

ثم إنه عليه السلام بعد أن قرأ الثناء والذكر الجليل ، وفضله على المال ، أمر بمواساة

(٢) الديوان : « ما أهلكك » .

(١) ديوانه ١١٨ .

(٤) ديوانه ٣ : ٢٨٨ .

(٣) الديوان : « إذا حشرجت نفسي » .

الأهل ، وصلة أرحم ، وإن قل ما يواسى به ، قال : « ألا لا يبدلن أحدكم عن القرابة ... » ،
إلى آخر الفصل ، وقد قال الناس في هذا للمنى فأكثرُوا .

فمن ذلك قول زهير :

وَمَنْ يَلِكُ ذَا فَضْلٍ فَيَبْجَلُ بِفَضْلِهِ عَلَى قَوْمِهِ يُسْتَفَنَ عَنْهُ وَيُدْمَمُ^(١)

وقال عثمان : إن عمر كان يمنع أفرباءه ابتناء وجه الله ، وأنا أعطيتهم ابتناء وجه الله ،

ولن تروا مثل عمر .

أبو هريرة مرفوعا : « الرِّحِمُ مشتقة من الرحمن ، والرحمن اسم من أسماء الله العظمى ،
قال الله لها : من وصلك وصلته ، ومن قطعك قطعتة » .

وفي الحديث المشهور : « صلة الرِّحِمِ تَرْبِكُ فِي الْعَمْرِ » .

وقال طرفة يهجو إسماء بآته يصل الأباعد ويقطع الأقارب :

وَأَنْتَ عَلَى الْأَدْنَى شِمَالِي تَجْرِي بِهَيْبَةٍ بِرِشَامِي تَزْوِي الْوَجْهَ بِلِيلٍ^(٢)

وَأَنْتَ عَلَى الْأَقْصَى صَبَا عَيْرُ قَرَّةٍ تَذَاهِبُ مِنْهَا مَزْرَعٌ وَمَسِيلٌ^(٣)

ومن شعر الحماة :

لَهُمْ جُلٌّ مَالِي إِنْ تَتَابَعَ لِي غَنَى وَإِنْ قُلٌّ مَالِي لَا أَكْلَفُهُمْ رِفْدًا^(٤)

وَلَا أَحْمِلُ الْحِقْدَ الْقَدِيمَ عَنْهُمْ وَلَيْسَ رَئِيسُ الْقَوْمِ مَنْ يَحْمِلُ الْحِقْدَا

(١) ديوانه ٣٠

(٢) ديوانه ١١٩ . الأدنى : الأقرب . والشمال : ريح غير محودة . ليل : ريح باردة .

(٣) الأقصى : البعد . الصبا : ريح مهبها من مطلع الثريا ، وهي عمودة عند دم . وقرة : باردة .

(٤) للفتح الكندي ، الحماة بشرح الردوي ٣ : ١١٨٠ .

(٢٤)

الأنجل :

ومن خطبة له عليه السلام :

وَلَعَمْرِي مَا قَلَى مِنْ قِتَالٍ مَنْ خَالَفَ الْحَقَّ ، وَخَابَطَ النَّيَّ ، مَنْ إِذْهَانَ وَلَا إِيهَانَ ،
فَاتَّقُوا اللَّهَ عِبَادَ اللَّهِ ، وَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ مِنْ أَفْئِدَتِكُمْ ، وَأَمْسُوا فِي الذِّى نَهَجَهُ لَكُمْ ، وَقُومُوا
بِمَا عَصَبَهُ بِكُمْ ، فَتَلَّ ضَامِنٌ لِفَلْعِكُمْ آجِلًا إِنْ كُمْ تَمْنَعُوهُ حَاجِلًا .



الْبَيْزَج :

الإذهان : المصانعة والمناقة ، قال سبحانه : ﴿ وَذُوقُوا قَوْلَهُمْ فَيَذْهَبُونَ ﴾^(١) .
والإيهان : مصدر أوهته ، أى أضعفته ، ومحور وهته ، بحذف الهمزة . ونهجه :
أوضحه وجهه نهجاً ، أى طريقاً يتنا . وعصبه بكم : ناطه بكم وجهه كالعصاة التى تشد
بها الرأس . والفلج : القوز والظفر .

وقوله : « وخابط النى » كأنه جملة والنى متخاطبين ، يخبط أحدهما فى الآخر ؛
وذلك أشد مبالغة من أن تقول : خبط فى النى ، لأن من يخبط ويخبطه غيره يكون
أشد اضطراباً ممن يخبط ولا يخبطه غيره . وقوله : « وفروا إلى الله من الله » ، أى
اهربوا إلى رحمة الله من عذابه . وقد نظر للفرزدق إلى هذا فقال :

إِلَيْكَ فَرَرْتُ مِنْكَ وَمِنْ زِيَادٍ وَلَمْ أَحِبْ دَرِي لَكُمْ حَلَالًا^(٢)

(١) سورة القلم ٩ .

(٢) ديوانه ٦٠٨ ، فى مدح سميد بن العاصى ، وروايته : « ولم أجعل دى » .

(٢٥)

الأصل:

ومن خطبة له عليه السلام وقد توارثت عليه الأخبار باستيلاء أصحاب معاوية على البلاد ، وقدم عليه عاملاه على اليمن ، وهما عبيد الله بن عباس وسميد بن نحران ، لما غلب عليهما بسر بن أرطاة ، فقام عليه السلام على المنبر ضجراً يتناقل أصحابه عن الجهاد ، ومخالفتهم له في الرأي ؛ قال :

مَا مَيَّ إِلَّا الْكُوفَةُ أَقْبَضُهَا وَأَبْطَلُهَا ، إِنْ كَمْ يَكُنْ إِلَّا أَنْتَ تَهْبُ أَهَابِيكَ
فَبَعَثَكَ اللَّهُ ۝



وتمثل بقول الشاعر:

لَمَرُّ أَيْلِكَ الْخَيْرُ بِأَعْرُو إِيَّيْ ، عَلَى وَصَرٍ مِنْ ذَا الْإِنَاءِ قَلِيلُ^(١)

ثم قال عليه السلام :

أَنْبِئْتُ بَسْرًا قَدْ أَطْلَعَ الْيَمَنَ ، وَإِنِّي وَأَقْبَلُ أَنْ هَوْلَاءِ الْقَوْمِ سَيِّدَاؤُنَ
مِنْكُمْ بِاجْتِمَاعِهِمْ عَلَى بَاطِلِهِمْ ، وَفَرَقِيكُمْ عَنْ حَقِّكُمْ ، وَبِمَتْنِيَّتِكُمْ إِمَامَكُمْ
فِي الْمَلَقِ ؛ وَطَاعَتِهِمْ إِمَامَهُمْ فِي الْبَاطِلِ ، وَبَادَاتِهِمْ الْأَمَانَةَ إِلَى صَاحِبِهِمْ وَخِيَانَتِكُمْ ،
وَبِعَادَاتِهِمْ فِي بِلَادِهِمْ وَفَسَادِكُمْ ، فَلَوْ ائْتَمَنْتُ أَحَدَكُمْ عَلَى نَفْسِي لَخَشِيتُ أَنْ
يَذْهَبَ بِعِلَاقَتِهِ .

اللَّهُمَّ إِنِّي قَدْ مَلَيْتُهُمْ وَمَلُونِي ، وَسَيِّئْتُهُمْ وَسَيِّئُونِي ، فَأَبْدِلْنِي بِهِمْ خَيْرًا مِنْهُمْ

(١) الوصير : بقية القسم في الإناء .

وَأَبْدَلَهُمْ بِيَسْرٍ إِنِّي أَنَا اللَّهُمَّ مِثْقَلُ قُلُوبِهِمْ كَمَا يُمَاتُ الْيَنْحُ فِي الْمَاءِ . أَمَا وَاللَّهِ لَوَدِدْتُ
أَنْ لِي بِكُمْ أَلْفَ فَارِسٍ مِنْ بَنِي فِرَاسٍ بِنِ غَنَمٍ :
هَذَا لَوْ دَعَوْتُ أَتَاكَ مِنْهُمْ فَوَارِسٌ يَمِثُلُ أَرْمِيَةَ الْحَمِيمِ^(١)

• • •

ثم نزل عليه السلام من المنبر :

قال الرضى رحمه الله :

أَقُولُ : الْأَرْمِيَةُ جَمْعُ رَمِيَةٍ ؛ وَهُوَ السَّعَابُ . وَالْحَمِيمُ هَاهُنَا : وَقْتُ الصَّيْفِ ،
وَإِنَّمَا خَصَّ الشَّاعِرُ سَعَابَ الصَّيْفِ بِأَنَّ كَرْلَاهُ أَشَدُّ جَفُولًا ، وَأَسْرَعُ خُفُولًا ، لِأَنَّهُ
لَا مَاءَ فِيهِ ، وَإِنَّمَا يَكُونُ السَّعَابُ ثَقِيلَ السَّيْرِ لِانْتِلَايِهِ بِالماء ؛ وَذَلِكَ لَا يَكُونُ فِي
الْأَكْثَرِ إِلَّا زَمَانَ الشَّتَاءِ ؛ وَإِنَّمَا أَرَادَ الشَّاعِرُ وَصْفَهُمْ بِالشَّرْعَةِ إِذَا دُعُوا ، وَالْإِغَاثَةَ إِذَا
أَسْتَيْشُوا ، وَالْحَدِيثُ عَلَى ذَلِكَ قَوْلُهُ : *يَسِيرُونَ فِي شَرِّ السَّيْرِ*
• هَذَا لَوْ دَعَوْتُ أَتَاكَ مِنْهُمْ •

الْبَيِّنَةُ :

تَوَاتُرَاتٍ عَلَيْهِ الْأَخْبَارُ ، مِثْلُ تَرَادُفَتْ وَتَوَاصَلَتْ . النَّاسُ مِنْ يَطْعَنُ فِي هَذَا ،
وَيَقُولُ : التَّوَاتُرُ لَا يَكُونُ إِلَّا مَعَ فُتُرَاتٍ بَيْنَ أَوْقَاتِ الْإِتْيَانِ ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ سَبْعَانَهُ :
« ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَى »^(٢) ، لَيْسَ لِلرَّادِ أَنَّهُمْ مُتَرَادِفُونَ ، بَلْ بَيْنَ كُلِّ نَبِيٍّ فِتْرَةٌ ،
قَالُوا : وَأَصْلُ « تَتْرَى » مِنَ الْوَاوِ ، وَاسْتِثْقَاقُهَا مِنَ « الْوِتْرِ » ، وَهُوَ الْفَرْدُ : وَعَدُّوا هَذَا
لِلْوَضْعِ بِمَا تَفَلَّطَ فِيهِ الْخَاصَّةُ .

(١) الْبَيْتُ فِي السَّنَنِ (١٩ : ٤٤) ، وَنُسِبَ إِلَى أَبِي جَنْدَبٍ الْهَدَلِ ، وَرَوَاهُ : « رَجُلٌ مِثْلُ أَرْمِيَةِ
الْحَمِيمِ » .
(٢) سُورَةُ « الزُّمَرِ » ٤٤ .

[نسب معاوية بن أبي سفيان وذكر بعض أخباره]

ومعاوية هو أبو عبد الرحمن معاوية بن أبي سفيان صخر بن حرب بن أمية ابن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي .

وأُمُّه هند بنت عتبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي . وهي أم أخيه عتبة بن أبي سفيان . فأما يزيد بن أبي سفيان ، ومحمد بن أبي سفيان ، وعنبسة ابن أبي سفيان ، وحنظلة بن أبي سفيان ، وعمر بن أبي سفيان ؛ فمن أمهات شتى .

وأبو سفيان هو الذي قاد قريشاً في حروبها إلى النبي صلى الله عليه وآله وهو رئيس بني عبد شمس بعد قتل عتبة بن ربيعة ببئر ، ذلك صاحب العير ، وهذا صاحب النقيز ، وبهما يضرب المثل ، فيقال لا حامل ، لا في العير ولا في النقيز .

وروى الزهري عن بكار أن هذا الله بن يزيد بن معاوية جاء إلى أخيه خالد بن يزيد في أيام عبد الملك ، فقال : لقد هممت اليوم يا أخي أن أهلك بالوليد بن عبد الملك ، قال : بلما هممت به في ابن أمير المؤمنين ، وولي عهد المسلمين ، فما ذاك ؟ قال : إن خيلي مرت به فبست بها وأصغروا ، فقال خالد : أنا أكفيك ، فدخل على عبد الملك والوليد عنده ، فقال : يا أمير المؤمنين ، إن الوليد مرت به خيل ابن عمه عبد الله ، فبست بها وأصغروا . وكان عبد الملك مطرقاً ، فرفع رأسه ، وقال : ﴿ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةً أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ﴾ ^(١) ، فقال خالد : ﴿ وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْنَا الْقَوْلُ فَنَدِمْنَاهَا تَذِييراً ﴾ ^(٢) ، فقال عبد الملك : أفي عبد الله تكلمني والله قد دخل أس على فأقام لسانه لنا قال

خالد : أَفَعَلَى الْوَلِيدِ نَعُولُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ! قَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ : إِنْ كَانَ الْوَلِيدُ يَلْعَنُ فَإِنَّ أَخَاهُ سُلَيْمَانَ [لَا] ^(١) . فَقَالَ خَالِدُ : وَإِنْ كَانَ عَبْدُ اللَّهِ يَلْعَنُ ، فَإِنَّ أَخَاهُ خَالِدًا [لَا] ^(٢) ، فَالْتَفَتَ الْوَلِيدُ إِلَى خَالِدٍ وَقَالَ لَهُ : اسْكُتْ وَبِمَكَتْ ! فَوَاللَّهِ مَا تَمُدُّ فِي الْعِيرِ وَلَا فِي النَّفِيرِ ، فَقَالَ : أَسْمِعْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، ثُمَّ التَفَتَ إِلَى الْوَلِيدِ ، فَقَالَ لَهُ : وَتَمَكَّتْ أَفْنُ صَاحِبِ الْعِيرِ وَالنَّفِيرِ غَيْرُ جَدِّي أُنَى سُلَيْمَانَ صَاحِبِ الْعِيرِ ، وَجَدِّي عُتْبَةُ صَاحِبِ الْعِيرِ ! وَلَكِنْ لَوْ قُلْتُ : غُنَيَّاتُ وَحُبَيْلَاتُ وَالْعَاطَفُ ، وَرَحِمَ اللَّهُ عُمَانَ ، ، لَقُتْنَا : صَدَقْتَ ^(٣) .

• • •

وهذا مِنْ السَّكَّامِ الْمُسْتَحْسَنِ ، وَالْأَلْفَاظِ الْفَصِيحَةِ ، وَالْجَوَاهِرِ الْمُسَكَّتَةِ ؛ وَإِنَّمَا كَانَ أَبُو غُنَيَّانَ صَاحِبَ الْعِيرِ ، لِأَنَّهُ هُوَ الَّذِي قَدِمَ بِالْعِيرِ الَّتِي رَامَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَأَصْحَابُهُ أَنْ يَمْتَرِضُوهَا ، وَكَانَتْ قَادِمَةً مِنَ الشَّامِ إِلَى مَكَّةَ تَحْمِلُ الْعِطْرَ وَالْبُرَّ ، فَذَرِبَهُمْ أَبُو سُلَيْمَانَ ، فَضَرَبَ وَجُوهُ الْعِيرِ إِلَى الْبَحْرِ ، فَاجْل ^(١) بِهَا حَتَّى أَخَذَهَا مِنْهُمْ ، وَكَانَتْ رَقْمَةً بِدَرِ الْعَقْلِيِّ لِأَجْلِهَا ، لِأَنَّ قَرِيشًا أَتَاهُمُ النَّبِيُّ ﷺ بِهَا ، وَبَخَّرَ وَجَّ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بِأَصْحَابِهِ مِنَ الْمَدِينَةِ فِي طَلْعِهَا ، لِيَنْفِرُوا ، وَكَانَ رَئِيسُ الْجَيْشِ الْفَافِرِ لِحَايَتِهَا عُتْبَةُ بْنُ رَبِيعَةَ ابْنُ عَبْدِ شَمْسٍ جَدُّ مَعَاوِيَةَ لِأُمِّهِ .

وَأَمَّا « غُنَيَّاتُ وَحُبَيْلَاتُ ... » إِلَى آخِرِ السَّكَّامِ ، فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ لَمَّا طَرَدَ الْحَكَمَ بْنَ أَبِي الْعَاصِ إِلَى الْعَاطَفِ لِأُمُورِ نَقَشَها عَلَيْهِ ، أَقَامَ بِالْعَاطَفِ فِي حُبْلَةٍ ابْتِغَاءً - وَهِيَ الْكَرْمَةُ - وَكَانَ يَرْعَى غُنَيَّاتُ أَخَذَهَا ، بِشَرْبٍ مِنْ لَبَنِهَا . فَلَمَّا وَلَّى أَبُو بَكْرٍ ، شَفَعَ إِلَيْهِ عُمَانُ فِي أَنْ يَرُدَّهَ ، فَلَمْ يَفْعَلْ ، فَلَمَّا وَلَّى عُمَرُ شَفَعَ إِلَيْهِ أَيْضًا فَلَمْ يَفْعَلْ ، فَلَمَّا وَلَّى هُوَ الْأَمْرَ رُدَّهَ . وَالْحَكَمَ جَدُّ عَبْدِ الْمَلِكِ ، فَعَتِدَهُمْ خَالِدُ بْنُ يَزِيدَ بِهِ .

■ ■ ■

وَبَنُو أُمَيَّةَ صِنْفَانِ : الْأَعْيَاصُ وَالْعَنَاصُ ، فَالْأَعْيَاصُ : الْعَاصُ ، وَأَبُو الْعَاصِ ،

(١) مِنْ مَجْمَعِ الْأَمْثَالِ .

(٢) الْخَبَرُ وَمَجْمَعُ الْأَمْثَالِ ٢ : ٧٧٧ .

(٣) سَاحِلُ بِهَا : آتَى بِهَا سَاحِلَ الْبَحْرِ .

أحد ، وإنما كنت نائمة . فقال : الحق بأهلك ، قامت من فورها إلى أهلها ، فحكمت
الناس في ذلك ، فقال لها عتبة أبوها : يا بنية ، إن الناس قد أكثروا في أمرك ، فأخبريني
بممنك على الصفة ، فإن كان لك ذنب دست إلى الفاكه من يثقه ، فتقطع عنك
الفاكه . فحلفت أنها لا تعرف لنفسها جرماً ، وأنه لكاذب عليها . فقال عتبة لفاكه :
إنك قد رميت ابنتي بأمر عظيم ، فهل لك أن تحاكمني إلى بعض الكهنة ؟ فخرج الفاكه
في جماعة من بني مخزوم ، وخرج عتبة في جماعة من بني عبد مناف ، وأخرج معه هنداً
ونسوة معها ، فلما شارقوا بلاد الكاهن تعيرت حال هند ، وتكرأمرها ، واختطف
لونها . فرأى ذلك أبوها ، فقال لها : إني أرى ما بك ، وما ذاك إلا لمكروه عندك !
فهل كان هذا قبل أن يشهر عند الناس مهورك ؟ قالت : يا أبت ، إن القى رأيت
منى ليس لمكروه عندي ، ولكني أعلم أنكم تأتون بشراً يخطئ ويصيب ، ولا آمن
أن يميني يميناً يكون على طارأ عند نساء مكة . قال لها : فإني سأمتعه قبل البائة بأمر .
ثم صقر بقرس له فادلى ، ثم أخذ حبة بريرة فأدخلها في إحليله ، وشده بسير وتركه ؛ حتى إذا
وردوا على الكاهن أكرمهم ونحر لهم ، فقال عتبة : إنا قد جئناك لأمر ، وقد خباتك خيئنا
أختبرك به ، فانظر ما هو ؟ فقال : ثمرة في كسرة ، فقال : أبين من هذا ، قال : حبة بريرة ،
في إحليل مهر ، قال : صدقت ، انظر الآن في أمر هؤلاء النسوة . فجعل يدنو من واحدة
واحدة منهن ، ويقول : انهض ، حتى صار إلى هند ، فضرب على كتفها ، وقال : انهض
غير رقعاء ولا زانية ، ولعلين ملكا يقال له معلوبة . فوثب إليها الفاكه ، فأخذها بيده
وقال : قومي إلى بيتك ، فجذبت بدنها من يده ، وقالت : إليك عني ، فوالله لا كان
منك ، ولا كان إلا من غيرك اقتروجها أبو سفيان بن حرب .

الرقعاء : البنى التي تكتسب بالفجور ، والرقاعة : التجارة .



وولي معاوية اثنتين وأربعين سنة منها اثنتان وعشرون سنة ولي فيها إمارة الشام منذ مات أخوه يزيد بن أبي سفيان ، بعد خمس سنين من خلافة عمر ، إلى أن قتل أمير المؤمنين علي عليه السلام في سنة أربعين . ومنها عشرون سنة خليفة إلى أن مات في سنة ستين . ومرو به إنسان وهو غلام يلعب مع العلمان ، فقال : إني أظن هذا الغلام سيؤد قومه ، فقالت هند : ثمكته إن كان لا يسود إلا قومه !

ولم يزل معاوية ذا حمة عالية ، يطلب معالي الأمور ، ويرشح نفسه للرياسة ، وكان أحد كتاب رسول الله صلى الله عليه وآله واختلف في كتابته له كيف كانت ، فالذي عليه المحققون من أهل السيرة أن الوحي كان يكتبه علي عليه السلام وزيد بن ثابت ، وزيد بن أرقم ، وأن حنظلة بن الربيع النخعي ومعاوية بن أبي سفيان كانا يكتبان له إلى الملوك وإلى رؤساء القبائل ، ويكتبان حوائجهم بين يديه ، ومكتبان ما يُحتجى من أموال الصدقات وما يُقسم في أربابها .

وكان معاوية على أس (١) الدهر متبذلاً على عليه السلام ، شديد الاعتراف عنه ، وكيف لا يُعصه وقد قتل أبا حمزة حنظلة يوم بدر ، وحاله الوليد بن عتبة ، وشريك عنه في جده وهو عتبة - أوفى عنه ، وهو شيبه ، على اختلاف الرواية - وقتل من بني حمزة عبد شمس ظراً كثيراً من أعيانهم وأماثلهم ؛ ثم جاءت الطامة الكبرى واقعة عثمان ، ففسها كلها إليه بشبه إمساكه عنه ، واصواه كثير من قتله إليه عليه السلام ، فتأكدت اليقظة ، وثار الأحقاد ، وتذكرت تلك الثرات الأولى ؛ حتى أفضى الأمر إلى ما أفضى إليه . وقد كان معاوية ، مع عظم قدره على عليه السلام في النفوس ، واعتراف العرب بشجاعته ، وأنه البطل الذي لا يقام له ، يتهدره - وعثمان بعد حى - بالحرب واللبادة ، ويراسله من الشام رسائل حشنة ؛ حتى قال له في وجهه ما رواه أبو هلال العسكري في كتاب " الأوائل " ، قال :

(١) أس الدهر ؛ یعنی الدهر أو صعباً أو كسراً ؛ فم الدهر ووجهه .

قدم معاوية المدينة قدما أيام عثمان في أواخر خلافته ، فجلس عثمان يوما للناس ، فاعتذر من أمور نُقِمَتْ عليه ، فقال : إن رسول الله صلى الله عليه وآله قبل توبة الكافر ، وإنى رددتُ الحكمَ عمى لأنه تاب ، فقبلتُ توبته ، ولو كان بينه وبين أبى بكر وعمر من الرحم ما بينى وبينه لأولاه . فأنا ما ختمتُ على أذى أعطيتُ من مال الله ، فإني الأمر إلى ، أحكم في هذا المال بما أراه صلاحا للأمة ، وإلا فلماذا كنت خليفة أقطع عليه الكلام معاوية وقال للمسلمين الحاضرين عنده : أيها المهاجرون ، قد علمتُ أنه ليس منكم رجل إلا وقد كان قبل الإسلام معمورا في قومه ، تُقطعُ الأمور من دونه ، حتى يموت الله رسوله فسبتم إليه ، وأبطأتم أهل الشرف والرياسة ، فعدتم بالتبقي لا بنيره ؛ حتى إنه ليقال اليوم : رهط فلان ، وآل فلان ؛ ولم يكونوا قبلُ شيئا مذكورا ، وسيدوم لكم هذا الأمر ما استقمتم ؛ فإن تركتم شيئا هذا يموت على فراشه ولا يخرج منكم ، ولا ينفسكم سبقكم وهرتكم . فقال له على عليه السلام : ما استودعنا يا ابن النجاة ؟ فقال معاوية : مهلا يا أبا الحسن عن ذكر أمي ، فما كانت بأحسن سائكم ، ولقد صالحها رسول الله صلى الله عليه يوم أسلمت ولم يصافح امرأة غيرها ، أما لو قالها غيرك ؛ فبعض على عليه السلام ليخرج مُنْضِبا ، فقال عثمان : اجلس ، فقال له : لا أجلس ، فقال : هزمت عليك لتجلسن ، فأبى وولى ، فأخذ عثمان طرف رداءه فترك الرداء في يده وخرج ، فأتبعه عثمان بصرا ، فقال : والله لا نصِلُ إليك ولا إلى أحد من ولدك .

قال أسامة بن زيد : كنتُ حاضرا هذا المجلس ، فصجنتُ في نفسى من تألى عثمان ، فدكرته لسعد بن أبى وقاص ، فقال : لا تعجب ، فأتى سمعت رسول الله صلى الله عليه يقول : « لا ينالها على ولا ولده » .

قال أسامة : فأتى في القدر أئني المسعد ، وعلى وطلحة والزبير وجماعة من المهاجرين جلوس ؛ إذ جاء معاوية ، فتآمروا بينهم ألا يوسعوا له ، فجاء حتى جالس بين أيديهم ،

قَالَ : أَنْتَرُونَ لِمَذَا جِئْتُمْ ؟ قَالُوا : لَا ، قَالَ : إِنْ أُنْقِصَ بِاللهِ إِنْ لَمْ تَتْرَكُوا شَيْخَكُمْ يَمُوتُ عَلَى فَرَّاشِهِ لَا أُعْطِيكُمْ إِلَّا هَذَا السِّيفَ ثُمَّ قَامَ فَخَرَجَ .

قَالَ عَلَى عَلَيْهِ السَّلَامُ : قَدْ كُنْتُ أَحْسِبُ أَنَّ عِنْدَ هَذَا شَيْئًا ، فَقَالَ لَهُ طَلْحَةُ : وَآيَ شَيْءٍ يَكُونُ عِنْدَهُ أَكْثَمُ مِمَّا قَالَ ؟ قَاتَلَهُ اللهُ ! لَقَدْ رَمَى الْقَرْصُ فَأَصَابَ ؛ وَاللهُ مَا سَمِعْتَ وَالْأَبْلَسُ كَلِمَةً مِنْ أَمْلَأَ لَصَدْرِكَ مِنْهَا .

ومعاوية مطعون في دبره عند شيوخنا رحمهم الله ، يُرْمَى بِالزُّنْدَقَةِ .

وقد ذكرنا في بعض "الشفائية" ، على شيخنا أبي حيان الجاحظ ما رواه أصحابنا في كتبهم الكلامية عنه من الإلحاد والتعرض لرسول الله صلى الله عليه وآله ، وما تظاهر به من البهر والإرجاء ؛ ولو لم يكن شيء من ذلك ، لكان في محاربتة الإمام ما يكفي في فساد حاله ، لا سيما على قواعد أصحابنا ، وكوهم بالكبيرة الواحدة يقطعون على الصير إلى النار والخلود فيها إن لم تكثرها التوبة .

•••••

[بسر بن أرطاة ونسبه]

وأما بسر بن أرطاة ، فهو بسر بن أرطاة - وقيل ابن أبي أرطاة - بن هوزع بن همران بن الحليس بن سيار بن نزار بن ميسع بن طامر بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة .

بنت معاوية إلى اليمن في جيش كثيف ، وأمره أن يقتل كل من كان في طاعة علي عليه السلام ، فقتل خلقا كثيرا ، وقتل فيمن قتل ابنه عبيد الله بن العباس بن عبد المطلب ، وكانا غلامين صغيرين ، فقالت أمهما ترثيهما .

يَا مَنْ أَحْسَنَ بُنْيَى الَّذِينَ هُمَا كَالِدَا رَتَيْنِ تَشْطَلِي عَنْهُمَا الصَّدَفُ ^(١)

في أبيات مشهورة .

(١) تعطف : تفرق عظاما . والأبيات في الكامل ٨ - ١٥٨ - بشرح الرصني .

[عبيد الله بن العباس وبعض أخباره]

وكان عبيد الله عامل على عليه السلام على اليمن ، وهو عبيد الله بن العباس ابن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي . أمه وأم إخوته عبيد الله وقثم ومعبد وعبد الرحمن ، لبابة بنت الحارث بن حزن ، من بني عامر بن صعصعة . ومات عبيد الله بالمدينة ، وكان جوادا ، وأعقب ، ومن أولاده : قثم بن العباس بن عبيد الله بن العباس ولأه أبو جعفر المنصور للمدينة ، وكان جوادا ممدوحا ، وله يقول ابن اللؤلؤ (١) :

أَغْنَيْتَ مِنْ كُورٍ وَمِنْ رِخْلَةٍ يَا نَقِيْ إِنْ أَذْتَيْنِيْ مِنْ قُثْمٍ
فِي وَجْهِ نُوْرٍ وَفِي بَإِيسٍ طَوْلٌ وَفِي الْعِرْنَيْنِ مِنْهُ كُثْمٌ

ويقال : مارئي قبور إخوة أكثر تابعي من قبور بني العباس رحمه الله تعالى :
قبر عبيد الله بالطائف ، وقبر عبيد الله بالمدينة أو قبر قثم سرقند ، وقبر عبد الرحمن بالشام ،
وقبر معبد بإفريقية .

•••

ثم نعود إلى شرح الخطبة :

الأعاصير : جمع إعصار ، وهي الريح المستديرة على نفسها ، قال الله تعالى : ﴿ فَأَصَابَهَا
إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ ﴾ (٢) .

والوَضَرُ : بقية الدَّسَمِ في الإِنَاء . وقد لَطَعَ اليَمِينَ ، أى ضَمَّهَا وَغَرَاها وَأَغَارَ عليها .
وقوله : « سَيِّدَالُونُ مِنْكُمْ » ، أى يَمْلِكُونَكُمْ وَتَكُونُ لِمِ الدَّوْلَةِ عَلَيْكُمْ . وما شَرِّدَ لِللَّح
فِي الْمَاءِ : أَذَابَهُ .

وبنو فراس بن غنم بن ثعلبة بن مالك بن كنانة ، حنظلي مشهور بالشجاعة ؛ منهم

(١) كذا بهذه التسمية في نسب قريش ٢٣ ، وهما من أبيات نسب إلى داود بن سلم ، في الأغانى
٦ : ٧٠ ، ٩ : ١٦٩ ، ولى السكائل ٧ : ٢٢٩ مسبوقة إلى سليمان بن قيس .

(٢) سورة البقرة ٢٦٦ .

عقمة بن فراس ، وهو جذل الطمان . ومنهم ربيعة بن مكدّم بن حُرثان بن جذيمة بن عاتمة بن فراس ، الشجاع المشهور ، حامي الطّمن حياً وميتاً ، ولم يحم الحرم وهو ميت أحدٌ غيره ؛ عرض له فرسان من بني سليم ، ومعه طمان من أهل يحميهم وحده ، فطاعهم ، فرماه نُبَيْشَة بن حبيب بسهم أصاب قلبه ، فنصبر محمد في الأرض ، واعتمد عليه وهو ثابت في سرجه لم يزل ولم يزل . وأشار إلى الطمان بالروح ، فيرزن حتى يلقن بيوت الحى ، وبنو سليم قيام لزامه لا يقدمون عليه ، ويظنونه حياً ؛ حتى قال قاتل منهم : إني لا أراه إلا ميتاً ، ولو كان حياً لتحرك ؛ إني والله لماثل راتب على هيئة واحدة ، لا يرفع يده ، ولا يحرك رأسه . فلم يقدم أحد منهم على الدنو منه ، حتى رموا فرسه بسهم ، فشب من نخته ، فوقع وهو ميت ، وفاتهم الطمان .

وقال الشاعر :

لَا يَبْعَدَنَّ رَبِيعَةَ بْنَ مُكْدَمٍ سَقَى الْعَوَادِي قَبْرَهُ بِذَنُوبٍ^(١)
فَقَرَّتْ قُلُوبِي مِنْ حِجَارَةِ حَرَمِيٍّ سُبَيْحَتُ قَلْبِي طَلْقَ الْيَدَيْنِ وَهُوبِ
لَا تَنْفِرِي يَا نَاقُ مِنْهُ قَابَةُ شَرِيبُ تَحْرِى مِشْعَرُ لِحْرُوبِ
لَوْلَا السَّعَارُ وَبُعْدُ خَرَقِ مَتْنِهِ لَرَمَعْتَهَا تَجَنُّو قَلِي الْمَرْقُوبِ
نَمَ الْفَسَى أَدَى نُبَيْشَةَ بَرٍّ يَوْمَ الْفَنَاءِ نُبَيْشَةُ بْنُ حَبِيبِ

وقوله عليه السلام : « ما هي إلا الكوفة » ، أى ما ملكتي إلا الكوفة . أقبضها وأبسطها ، أى أنصرف فيها كما جصراف الإنسان في ثوبه ، يقبضه ويبسطه كما يريد . ثم قال على طريق صرف الخطاب : « فإن لم تكوني إلا أنت » ، خرج من الغيبة إلى خطاب الحاضر ؛ كقوله تعالى : ﴿ اتَّخَذُ اللَّهُ رَبًّا الْعَالَمِينَ . الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ . مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ . إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ ، يقول : إن لم يكن لى من الدنيا ملك إلا ملك الكوفة ذات العين ، والآراء المختلفة ، فأبعدها الله !

(١) الحسن بن ثابت ، وقبله من لصرار بن الخطاب ، وهو من الأغانى ١٦ : ٨٨ والكمال ٤ : ٨٩ مع اختلاف في الرواية .

وشبه ما كان يحدث من أهلها من الاختلاف والشقاق بالأصاير ؛ لإثارتها التراب وإفادها الأرض . ثم ذكر علة إدالة أهل الشام من أهل العراق ؛ وهي اجتماع كلمهم وطاعتهم لصاحبهم ، وأداؤهم الأمانة وإصلاحهم بلادهم .

[أهل العراق وخطب الحاج فيهم]

وقال أبو عثمان الجاحظ : العلة في عصيان أهل العراق على الأمراء وطاعة أهل الشام أن أهل العراق أهل نظر وذوو فطن ثاقبة ، ومع العطف والنظر يكون التنقيب والبحث ، ومع التنقيب والبحث يكون الطعن والقدح والترجيح بين الرجال ، والتمييز بين الرؤساء ، وإظهار عيوب الأمراء . وأهل الشام ذوو بلاهة وتقيد وحمود على رأى واحد لا يرون النظر ، ولا يسألون عن معيب الأحوال .

وما زال العراق موصوفاً أهله بآفة الطاعة ، وبالشقاق على أولى الرئاسة

بالتقيد والتقيد

ومن كلام الحاج (١) :

يا أهل العراق ، يا أهل الشقاق والنفاق ، ومساوى الأخلاق ! أما والله لأخوّنكم
لنحو العصا ، ولأعصبنكم عصب النّم ، ولأضربنكم ضرب غرائب الإبل ؛
إني أسمع لكم تكبيراً أيسر بالتكبير الذي يراد به الترهيب ؛ ولكنه تكبير الترهيب .
ألا إنها مباحة تحتها قصف (٢) ، يا بني السكينة (٣) ، وعبيد العصا ، وأنساء الإمام !
إننا مثلي ومثلكم كما قال ابن برة (٤) :

وَكَفْتُ إِذَا قَوْمٌ غَزَوْنِي عَزَوْتُهُمْ فَمَنْ أَنَا فِي دَايَالِ مُهْدَانِ ظَالِمٍ (٥)

(١) السان والتهين ٢ : ١٣٧ مع اختلاف في الرواية

(٢) المعاجة : شدة الضار ، والقصف : شدة الريح . (٣) السكينة : القيمة .

(٤) هو عمرو بن الحارث بن عمرو بن مته بن شهر بن سهم المهدي ؛ وبراقة أمه ، يسب إليها .

(٥) الجان من قصيدة طويلة له ذكرها الفاي في الأسى ٢ : ١٢٢ ، في خبر له مع حريم المرادي حين أغار عليه .

مَتَى تَجْمَعُ الْقَلْبَ الذَّكَىَّ وَصَارِمًا وَأَنَا حَيًّا تَجْتَنِبُكَ التَّظَالُمُ
وَاللَّهُ لَا تَفْرَعُ عَصًا عَصًا إِلَّا جَلَّتْهَا كَأَنسِرِ الذَّاهِبِ .

وكانت هذه الخطبة عقيب سماعه تكبيراً مُكْرَافاً في شوارع الكوفة ، فأشفق
من الفتنة .

• • •

ومما خطب به في ذم أهل العراق بعد وقعة دَيْرِ الجاجم ^(١) :

يا أهلَ العراق، يا أهلَ الشقاق والتفاق؛ إنَّ الشيطانَ استَبَطَنَكُم، فغاطط اللحمَ والدمَ
والعصبَ ، والمسمع والأطراف والأعضاء والشقاق؛ ثم أفضى إلى الأبخاخ والأشباح؛
ثم ارتفع ففشش، ثم باض ففرخ، فخشاكم يخافكم وشقاقاً، وملاًكم غدراً وخلفاً؛ اتخذتموه
دليلاً تدبُّقونه، وقائداً تطيعونه، وموامراً تطيعونه؛ فكيف تنفكم بجريرة، أو تعظكم
واقعة، أو يحجزكم إسلام، أو يمسكم ميلاق؟ أليس أصحابي بالأهواز؛ حيث رُمْتُ للكر،
وسعيت بالندر، وظننتم أن الله يحذل دينه وخلافته؛ وأنا أرميكم بطرفي، وأنتم تنسلقون لواءاً،
وتنهزمون سراعاً أنتم يوم الزاوية ^(٢)، وما يوم الزاوية أبها كان فشلكم وكسلُكم وتحاذلُكم
وتنازعكم، وبرادةُ الله منكم، ونكولُ وثيكم عنكم؛ إذ ولَّيْنتم كالإبل الشوارد
إلى أوطانها، التوازم إلى أعطانها؛ لا يسأل المرء عن أخيه، ولا يُلَوِّى الأبُ حلِي بنيه؛
لما عضتكم السلاح، وقصَّتْكم ^(٣) الرماح . ثم يوم دَيْرِ الجاجم ، وما يوم دَيْرِ الجاجم!

(١) وقعة دَيْرِ الجاجم ، كانت بين الحجاج وابن الأشعث لرب الكوفة سنة ٨٣ ، وحزم فيها ابن
الأشعث . والخطبة في البيان والتهيين ٢ : ١٣٨ ، والعدد ٤ : ١١٥ ، ونهاية الأرب ٧ : ٢٤٥ مع
اختلاف الرواية .

(٢) الزاوية : موضع قرب البصرة كانت به وقعة بين الحجاج وابن الأشعث قتل فيها خلق كثير ،
وذلك سنة ٨٣ . الطبري (حوادث ٨٢) .

(٣) قصتكم : كسرتكم وعلبتكم . ول في البيان : « وقصتكم » ، وما يسمى .

بها كانت المارك والملاحم ، يضرب يزيل الهام عن مقله ؛ ويذهل الخليل عن خليه ^(١)
يا أهل العراق ؛ يا أهل الشقاق والنفاق ! الكفّرات بعد الفجرات ، والغدرات
بعد الغترات ^(٢) ، والزوة بعد الزوات ! إن بعثتكم إلى نفوركم خلّثتم ^(٣) وخنثتم ،
وإن أميئتم أرجفتم ، وإن خيفتم ناقتم . لا تذكرون حسنة ، ولا تشكرون نعمة .
هل استحقكم ناكث ، أو استغفوا لكم غاو ، أو استغزكم عاص ، أو استنصركم ظالم ،
أو استعضدكم خالغ إلا اتبعتموه وآوهموه ، ونصرتموه وزكيتموه !
يا أهل العراق ؛ هل شغب شافب ، أو نسب ناعب ، أو زفر كاذب ^(٤) ؛ إلا كئتم
أشياعه وأتباعه ، وحاته وأنصاره !
يا أهل العراق ؛ ألم تزجروا كم للواعظ : ألم تُدبّوكم الوقائع ! ألم تردفكم الحوادث !
ثم التفت إلى أهل الشام وم حول للنير ، قال :
يا أهل الشام : إنا أنا لكم كالعليق ^(٥) الرامح ^(٦) من فراخه ، ينقى عنها القدر ^(٧)
ويباعد عنها الحجر ، ويكنها من المطر ، ويحسبها من الضباب ، ويحرسها من الدواب !
يا أهل الشام ؛ أنتم الجنة والرداء ، وأنتم المدة والحذاء .
ثم نزل .

• • •

(١) أخذه من رجز عمار بن ياسر يوم صفين ؛ وفيه :
ضرباً يزيل الهام عن مقله ويذهل الخليل عن خليه

ومقله : موضعه . وانظر وقعة صفين ٣٦٦ - ٣٨٧ .

(٢) الخترات : جمع خثرة ، وهي الدرر والحديدية .

(٣) التل حنا : الحياة .

(٤) القند : زفر زافر .

(٥) العليق : ذكر النعام ، والرامح : الدماح .

(٦) البيان والقند : الدرر .

ومن خطبة له في هذا المعنى وقد أراد الحج^(١) :

يا أهل الكوفة ؛ إني أريد الحج وقد استخففت عليكم ابني محمدا ، وأوصيته بخلاف وصية رسول الله صلى الله عليه في الأنصار ، فإنه أمر أن يقبل من محسنهم ، ويتجاوز عن مسيئهم ؛ وإني قد أوصيته ألا يقبل من بخيلكم ، ولا يتجاوز عن مسيئكم .
ألا وإني لكم ستقولون بمدى : لا أحسن منه ؛ له الصعابة ! ألا وإني سأمعل لكم الجواب : لا أحسن الله لكم الخلافة !

• • •

ومن خطبة له في هذا المعنى :

يا أهل الكوفة ؛ بين الفتنة منقح^(٢) ، وتنتج بالشكوى ، وتحمّد بالسيف ؛ أما والله إن أبغضتموني لا تصروني ؛ وإن أحببتموني لا تنفغوني ؛ وما أنا بالستوحش لعداوتكم ، ولا المستريح إلى مودتكم ؛ رزقتمني سحر^(٣) وقد قال الله تعالى : ﴿وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ﴾^(٤) ، وقد أفاحت . ورزقتمني أعلم الاسم الأكبر ؛ فلم تقاتلون من يعلم مالا تعملون !

ثم التفت إلى أهل الشام فقال :

لأزواجكم أطيب من لبنك ، ولأناؤكم آس بالقلب من الولد ؛ وما أنتم إلا كما قال أخو ذبيان :

إذا حاولت في أسد مجورا فإني كنت منك ولست مني^(٥)
ثم دزعي التي استلأمت فيها إلى يوم النصار وهم يحيى^(٥)

(١) عيون الأخبار ٢ : ٧٤٥

(٢) النجوى : السارة . (٣) سورة طه ٦٩

(٤) ديوانه ٧٩ (من مجموعة خسة دواوين) .

(٥) استلأمت : لبس اللأمة ؛ وهي الدرع . السار : ماء لبني عامر . والحي : النفس .

ثم قال :

بل أنتم يا أهل الشام ؛ كما قال الله سبحانه : ﴿ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا
الْمُرْسَلِينَ • إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ • وَإِنَّ جُنَدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ ﴾ ^(١) .

وخطب مرة بعد موت أخيه وابنه قال :

بلى أنتم تقولون : يموت الحاج ، ومات الحاج ' فمه ' ! وما كان ماداً !
والله ما أرجو الخير كله إلا بعد الموت ! وما رضى الله البقاء إلا لأهون الخلقين عليه
إبليس ؛ ﴿ قَالَ أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمٍ يُفْعَلُونَ • قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ ﴾ ^(٢) . ثم قال :
يا أهل العراق ؛ أتبتسكنم وأنا ذو لجة عافرة ^(٣) ، زل فيها ؛ فما زال بي شقاقكم
ومصائبكم حتى حصن ^(٤) شري . ثم كتب رأسه وهو أصم ، وقال :
مَنْ يَكُ دَا إِمَّةً يَكْشُمُهَا ^(٥) فَايَسِي عَيْرٌ حَاثِرِي زَعْرِي ^(٦)
لَا يَمْنَعُ الْمَرْءُ أَنْ يَسُودَ وَأَنْ يَصْرَبَ بِالسَّيْفِ - قِلَّةُ الشَّعْرِ

فأما قوله عليه السلام : « اللهم أبدليهم خيراً منهم ، وأنزلهم في شراً مني » ،
ولا خير فيهم ولا شرّ فيه عليه السلام ؛ فإن « أمل » هاهنا بمنزلة في قوله تعالى :
﴿ أَفَمَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمْ مَنْ بَأْتِيَ آمِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ ^(٧) ، وبمنزلة في قوله :
﴿ قُلْ أَذَلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَهَنَّمُ الْخَالِدَةُ ﴾ ^(٨) .

(٢) سورة الأعراف ١٤ ، ١٥ .
(٤) الزعر : دهاب أصول الشعر .
(٦) سورة الفرقان ١٥ .

(١) سورة الصافات ١٧١ - ١٧٣ .
(٣) الحسن : دهاب الشعر .
(٥) سورة فصلت ٤٠ .

ويمحتمل أن يكون الذي تمتناه عليه السلام من إبداله بهم خيراً منهم قوماً صالحين
ينصرونه ويوفقون لطاعته .

ويمحتمل أن يريد بذلك ما بعد الموت من مراقبة النبي صلى الله عليه وآله .
وقال القطب الراوندي : بنو فراس بن غنم هم الروم . وليس بجيد ، والصحيح
ما ذكرناه .

والبيت المتمثل به أخيراً لأبي جندب الهذلي ، وأول الأبيات :
ألا يا أمّ زنباع أقيمي صدور العيس تحويفي نعيم

وهذه الخطبة ، خطب بها أمير المؤمنين عليه السلام بعد فراغه من صفين ؛ وانقضاء
أمر الحكمين والخوارج ؛ وهي من أواخر خطبه عليه السلام

رقت في سنة ١٣٠٠ هـ

تم الجزء الأول^(١) من شرح نهج البلاغة بحمد الله ومنه ؛ والحمد لله وحده العزيز ؛
وصلى الله على محمد وآله الطيبين الطاهرين .

— — — — —

(١) من تهيئة المؤلف ؛ وهذه قائمة نسخة ب ، ج ، وفي آخر نسخة ا : « هنا آخر الجزء الأول ،
وحلوه الجزء الثاني إلى شاء الله » .

فهرس الخطب وما يجرى مجراها *

صفحة

- ١ - من خطبة لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب يذكر فيها ابتداء خلق
السموات والأرض وخلق آدم . ٥٧
- ٢ - من خطبة له بعد انصرافه من صفين ١٣١
- ٣ - من خطبة له وهي للمروفة بالشفقة ١٥١
- ٤ - من خطبة له يذكر كمال دينه وبقينه واهتداء الناس به ٢٠٧
- ٥ - من كلام له لما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ٢١٣
- ٦ - من كلام له لما أشير عليه بالآل ينسج طلعة والزهر ولا يرضى لهما القتال ٢٢٣
- ٧ - من خطبة له في ذم قوم باتباع الشيطان وذكورهم من الزلل . ٢٢٨
- ٨ - من كلام له يعني به الزبير في حال أخصت ذلك ٢٣٠
- ٩ - من كلام له في صفة قوم أاعدوا وأبرقوا وفشلهم في ذلك ٢٣٧
- ١٠ - من خطبة له يوعد قوما ٢٣٩
- ١١ - من كلام له يخاطب به ابنه محمد بن الحنفية لما أعطاه الراية يوم الجمل ٢٤١
- ١٢ - من كلام له لما أغفره الله بأصحاب الجمل ٢٤٦
- ١٣ - من كلام له في ذم أهل البصرة ٢٥١
- ١٤ - من كلام له في ذم أهل البصرة أيضا ٢٦٧
- ١٥ - من كلام له فيما رده على المسلمين من قطائع عمان ٢٦٩
- ١٦ - من خطبة له لما بويج بالمدينة ٢٧٢

ملحة

- ٢٨٣ - من كلام له في صفة من يتعدى للحكم بين الأمة وليس لذلك بأهل
٢٨٨ - من كلام له في ذم اختلاف العلماء في الفتيا
٢٩١ - من كلام له قاله للأشعث وهو على مدير الكوفة
٢٩٨ - من خطبة له في تهويل ما بعد الموت وتعظيمه ، وفيها حث على الاعتبار
٣٠١ - من خطبة له في تذكير المسلمين بالساعة وباليوم الآخر
٣٠٣ - من خطبة له فيمن آتاه بدم عثمان
٣١٢ - من خطبة له في المال وقسمة الأرزاق بين الناس
٣٣١ - من خطبة له فيمن خالف الحق وخابط النفي
٣٣٢ - من خطبة له وقد نواترت عليه الأنهار بأسفلاء معاوية على البلاد



مركز تحقيق كتب التراث الإسلامي

فهرس الموضوعات •

صفحة	
٣	مقدمة المؤلف
٧	القول فيها ينهب إليه المعتزلة في الإمامة والتفضيل والبُناة والخوارج
١١	القول في نسب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وذكر كُعب بسيرة من فضائله
٣١	القول في نسب الرضى وذكر طرف من خصائصه ومنقبه
٤٢	القول في شرح خطبة نهج البلاغة
٩١	القول في للملائكة وأقسامهم
١٠٣	اختلاف الأقوال في ابتداء خلق البشر
١٠٦	تصويب الزنادقة إبليس لامتناعه عن السجود لآدم
١٠٨	اختلاف الأقوال في خلق الجنة والنار
١٠٩	القول في آدم والملائكة أيهما أفضل
١١٧	القول في أديان العرب في الجاهلية
١٢٤	فصل في فضل البيت والكعبة
١٢٦	فصل في الكلام على التجمع
١٣٣	باب لزوم ما لا يلزم وإيراد أمثلة منه
١٤٣	ما ورد في الوصاية من الشعر
١٥٥	نسب أبي بكر ونبذة من أخبار أبيه
١٥٩	مرض رسول الله صلى الله عليه وسلم وإمرة أسامة بن زيد على الجيش
١٦٣	عهد أبي بكر بالخلافة إلى عمر بن الخطاب
١٧٣	طرف من أخبار عمر بن الخطاب
١٨٥	قصة الشورى
١٩٨	تتف من أخبار عثمان بن عفان

صفحة

٢١٤

ذكر طائفة من الاستعارات

٢١٨

اختلاف الرأي في الخلافة بعد وفاة رسول الله

٢٢٥

طلحة والزبير ونسبهما

٢٢٦

خروج طارق بن شهاب لاستقبال علي بن أبي طالب

٢٣٠

أمر طلحة والزبير مع علي بن أبي طالب بعد بيعتهما له

٢٤٣

مقتل حمزة بن عبد المطلب

٢٤٣

محمد بن الحنفية ونسبه وبعض أخباره

٢٤٧

من أخبار يوم الجمل

٢٥٣

من أخبار يوم الجمل أيضا

٢٧٨

من كلام الحجاج وزاد نسجا فيه علي متوال كلام علي

٢٩٣

الأشعث بن قيس ونسبه وبعض أخباره

٣٠٧

خطبة علي بالمدينة في أول إمارته تكرر تحقيق كتابها في يوم ربيع

٣٠٨

خطبته عند مسيره للبصرة

٣٠٩

خطبته بذي قار

٣١٥

فصل في ذم الحاسد والحسد

٣١٩

فصل في مدح الصبر وانتظار الفرج

٣٢٥

فصل في الرأى والنهى عنه

٣٢٦

فصل في الاعتضاد بالمسيرة والتكثير بالقبيلة

٣٢٨

فصل في حسن الثناء وطيب الأحذنة

٣٢٩

فصل في مواساة الأهل وصلة الرحم

٣٣٤

نسب معاوية بن أبي سفيان وذكر بعض أخباره

٣٤١

عبيد الله بن العباس وبعض أخباره

٣٤٣

أهل العراق وخطب الحجاج فيهم